

أحبني

بقلم

ش. د.

صحي واصف عبد الملك

حقوق الطبع محفوظة ©

دار الكتاب الشريف
2013

ISBN 978-0-9794942-9-1
0-9794942-9-X

يُطلب من:

Pray4Ms@SharifBible.com

الآيات الكتابية مأخوذة من "الكتاب الشريف" طبعة 2013

ويمكنك تحميل الكتاب الشريف من الموقع:

www.SharifBible.com

فهرس

| | |
|-----|-----------------------------|
| 1 | إهداء |
| 3 | تمهيد |
| 4 | مقدمة |
| 13 | أولاً: الصليب في تدبير الله |
| 18 | أ. عن طريق الوعد |
| 19 | ب. عن طريق الرمز |
| 22 | ت. عن طريق النبوة |
| 29 | ثانياً: الصليب كما حدث |
| 29 | أ. إلى الصليب |
| 29 | (1) أُعلن أنه سيموت ويقوم |
| 42 | (2) احتفل بالفصح |
| 76 | (3) ذهب إلى البستان |
| 93 | (4) وقف أمام القضاة |
| 123 | (5) خرج إلى الجلجلة |
| 128 | ب. تنفيذ الصليب |
| 132 | (1) ماذا احتمل؟ |
| 134 | (2) ماذا سمع؟ |
| 140 | (3) ماذا قال؟ |
| 160 | ت. أحداثأخيرة |
| 160 | (1) متعلقة بموته |

| | |
|-----|--|
| 171 | (2) متعلقة بدهنه |
| 179 | ث. قام من الموت |
| 195 | ج. صعد إلى السماء |
| 198 | ثالثا: الصليب ونحن |
| 198 | أ - دين بلا صليب |
| 214 | ب - معنى موت المسيح بالنسبة لي |
| 282 | ت - معنى قيمة المسيح بالنسبة لي |
| 292 | ث - ماذا يطلب الله منك في ضوء الصليب والقيامة؟ |
| 333 | ختام |
| 337 | ملحق 1 رموز أسماء كتب الوحي |
| 338 | ملحق 2 محاولات قتل المسيح |
| 339 | ملحق 3 تسلسل أحداث أسبوع الصلب ثم القبر والقيامة |
| 340 | ملحق 4 كلمات المسيح على الصليب |
| 345 | ملحق 5 شعر وقصائد وأغاني |
| 349 | ملحق 6 المسلم والصلب |
| 370 | ملحق 7 دعاء |
| 372 | مذكرات |

إهداء

لذكرى

كل من حمل لواء الصليب

ودفع أعلى ثمن في سبيل المصلوب

وإلى

لطيفة، ليلى، عواطف، جلال، طارق،

مصطفى، حسن، هشام، فتحي، عبد اللطيف،

عبد الحافظ، اسماعيل

لَأَنَّ رِسَالَةَ الصَّلِيبِ بِالنِّسْبَةِ لِلْهَالِكِينَ هِيَ غَيَّابٌ،

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لَنَا نَحْنُ التَّاهِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ.

لَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ:

"سَاءِبِدُ حِكْمَةَ الْحُكَمَاءِ، وَأَرْفَضَ فَهْمَ الْفُهَمَاءِ."

فَأَيْنَ الْحَكِيمُ؟ أَيْنَ الْفَقِيهُ؟ أَيْنَ فَيْلَسُوفُ هَذَا الزَّمَانِ؟

لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ حِكْمَةَ هَذِهِ الدُّنْيَا جَهَالَةً!

لَأَنَّ اللَّهَ فِي حِكْمَتِهِ،

قَصَدَ أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ لَا عَنْ طَرِيقِ حِكْمَتِهِمْ،

بَلْ شَاءَ أَنْ يُنْقِدَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ عَنْ طَرِيقِ الْبِشَارَةِ الَّتِي يَعْتَبِرُ الْبَعْضُ أَنَّهَا غَيَّابٌ.

لَأَنَّ الْيَهُودَ يَظْلَبُونَ مَعْجِرَةً،

وَالْيُونَانِيِّينَ يُرِيدُونَ حِكْمَةً.

لَكِنَّنَا نَحْنُ نُبَشِّرُ بِالْمَسِيحِ الَّذِي ضَحَى بِنَفْسِهِ عَلَى الصَّلِيبِ.

وَهَذَا مُشْكِلَةٌ كَبِيرَةٌ لِلْيَهُودِ، وَغَيَّابٌ لِلآخَرِينَ.

أَمَّا لِلَّذِينَ دَعَاهُمُ اللَّهُ،

يَهُودًا كَانُوا أَوْ عَيْرَ يَهُودٍ،

فَهُوَ الْمَسِيحُ قُوَّةُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ اللَّهِ.

فَمَا يَبْدُو أَنَّهُ غَيَّابٌ مِنَ اللَّهِ،

هُوَ أَحْكَمُ مِنْ حِكْمَةِ النَّاسِ.

وَمَا يَبْدُو أَنَّهُ ضَعْفٌ مِنَ اللَّهِ، هُوَ أَقْوَى مِنْ قُوَّةِ النَّاسِ.

(25 - 18 : 1) كور

تمهيد

باسم الله الرحمن الرحيم^١

لا أقصد بهذا الكتاب أن يكون مقالاً لاهوتياً عن الصليب، ولا دفاعاً إنجيلياً عن فداء المسيح، ولا جمعاً عشوائياً لآيات الصليب في كتاب الله... لا شيء من هذا إطلاقاً، بل قصدي هو سرد أحداث الصليب كما جرت مع فادينا وسيدنا ومولانا، ثم تطبيق شخصي لما جرى. وهدفي من هذا هو أولاً، تشجيع وتنمية القارئ المؤمن ليجعل الصليب رأيته وفخره والنور الذي يسبر على هداه وسبيل معيشته في كنف المسيح. ثانياً، جذب القارئ الذي لا يؤمن بالصلب، ليرى ضرورة الفداء وخطورته، فيتوكل على المسيح ويأتي إليه ويسلم نفسه له. كم من المرات، وأنا أكتب هذه الصفحات، قلت في نفسي: "هذا موضوع أكبر وأعظم من أن يمكنني أن أكتب فيه! هذا موضوع كبير واسع وأنا محدود في إمكانياتي العقلية والروحية!" ولكن ظل الحُمْل يكثُر ويُثقل، والرؤيا تتضخم وتتبلور. ومع كل التردد كان هناك تقدم، ومع كل ضعفي جاءت قوة المسيح لتسندني وتساعدني.

وحسب فكري، عقيدة الفداء هي من أهم البراهين على وحي الكتاب الشريف. مَنْ مَنَ البشر يمكنه أن يُدَبِّر ويخطط أن يموت الحاكم العادل من أجل متمرد مجرم؟ ليس هذا من اختراع خيال شاعر، ولا أسطورة من تأليف كاتب مبدع، ولا حلماً يتصوره أحد. بالنسبة للبشر، هذه فكرة غير معقوله، وغير ممكنة، وغير ضرورية. ولكنها هي لب الكتاب، وقلب الإيمان المسيحي!

إن كل حديث عن الصليب يجب أن يأتي إلى القارئ والساقع مبللاً بالدموع. فهذه الأحاديث تأتيك مرفقة بدموع كثيرة. لذلك فهذا الكتاب ليس للقراءة السريعة العابرة. إنما مع هذه الأفكار التأملية في كلمة الله، أنت تقترب من المقدس الداخلي، وكأنك في بيت الله ذاته. هنا أنت تقترب منه جل جلاله، حيث سيعلن نفسه لك ويحدثك بهمسات تدخل إلى أعماق قلبك وتروي روحك العطشانية. إذن من فضلك يا أخي، اقرأ ببطء وهدوء في محضره تعالى.

مقدمة

لي صديق كان من أصحاب الأموال والعقارات وله تجارة وإيراد ودخل كبير، فكان يعيش حياة هنية طيبة. لكن تغير كل هذا. فقد طلبت أخته وعائلتها أن يساعدهم ليبدأوا هم أيضا مشروع تجاري يجلب لهم أرباحا طائلة. لم يكن مع صديقي في ذلك الوقت ما يحتاجون إليه من مال سائل، فقرر أن يقرض لهم مبلغا كبيرا جدا لি�ساعدهم. كانت هذه خطوة طيبة من جانب صديقي، فإن قلبه يتصرف بالحنان ومشاعره رقيقة للغاية.

ولكن القرض كان ضخما وللأسف فشل مشروع الأخ وأفلس. وهنا يأتي البنك الذي أعطى صديقي القرض ويطلب بالسداد الكامل. اضطر صديقي أن يبيع داره وكل أملاكه وكل ما عنده، ومع ذلك لم يكن هذا كافيا لسداد القرض. أصبح صديقي مفلسا تماما ومعدما، وما زال عليه دين كبير لا يقدر أن يدفعه للبنك.

تصور يا أخي حالة هذا الرجل الشهم الشجاع صاحب العواطف النبيلة والمشاعر السامية. تصور معي كم بلغ به اليأس والقنوط والإحباط. لقد أدرك أنه لا يقدر أن يعمل شيئا ليغير الأوضاع. أدرك أنه بلا حول ولا قوة ولا رجاء. الطريق أمامه مسدود. أظلمت الدنيا في وجهه.

لنفرض أني رحت إلى صديقي في ذلك الوقت وقلت له: "أبشر يا عمر! كل شيء سيكون على ما يرام. ما عليك إلا أن تخرج نفسك من هذا اليأس!" ولم أعمل شيئا أكثر من الكلام. هل الكلام يغير الأوضاع؟ طبعا لا! إن ما يحتاج إليه هذا المديون هو أن يجد شخصا ثريا شهما يقدم له المساعدة المالية التي تخرجه من الورطة الفظيعة التي وقع فيها وينقذه من الإفلاس.

هذه القصة تبين لنا بطريقة بسيطة معنى صليب المسيح. نحن أصبحنا مديونين

للّه تعالى، بَدَيْنُ الْخَطِيئَةِ وَلَيْسُ فِي مَقْدُورِنَا أَنْ نَسْدِدَ هَذَا الدِّينَ. فِي هَذِهِ الْحَالَةِ نَحْنُ نَحْتَاجُ، لَا إِلَى شَخْصٍ يَأْتِي لِيَقْدِمَ لَنَا كَلَامًا طَيْبًا أَوْ بَلِيغًا وَرَتَّابًا بَلْ إِلَى شَخْصٍ يَسْدِدَ عَنَا الدِّينَ، لَا إِلَى مَنْ يَقْدِمُ لَنَا تَحْذِيرَاتٍ وَإِنْذَارَاتٍ لَكِي لَا نَفْتَرَضُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَلَا مِنْ يَسِنُ لَنَا فَرَوْضًا وَشَرَائِعًا لَكِي نَعْرُفُ كَيْفَ نَتَصْرُفُ حِينَ يَكُونُ عَلَيْنَا دِينٌ، لَا، بَلْ نَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَذْهَبُ إِلَى صَاحِبِ الدِّينِ وَيَدْفَعُ لَهُ مَا يَسْتَحْقُ عَلَيْنَا. وَهَذَا هُوَ مَا عَمَلَهُ الْمَسِيحُ فَعْلًا، فَقَدْ جَاءَ وَدَفَعَ هَذَا الدِّينَ، فَدَانَا، أَنْقَذَا مِنَ الْوَرْطَةِ الْفَظِيْعَةِ.

كَانَ عِيسَى (مِنْهُ وَبِهِ سَلامُنَا) يَجُولُ فِي بَلَادِهِ بَطْوَهَا وَعَرْضَاهَا يَصْنَعُ الْخَيْرَ، وَيَدْعُو النَّاسَ لِيُؤْمِنُوا بِاللهِ وَيَتَوَبُو إِلَيْهِ. كَانَ يَشْفِي الْمَرْضَى مِنْ أَمْرَاضِهِمْ، وَيَعْزِي الْحَزَانَى فِي آلَاهُمْ، وَيَحْرُرُ الَّذِينَ تَسْلُطَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ فَيُطْلَقُهُمْ أَحْرَارًا مِنْ قِيَودِهِ وَسَلَاسِلِهِ. لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِ عِيسَى كَرَاهِيَّةٌ وَلَا بُغْضٌ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ضَمِيرِهِ حَسْدٌ وَلَا حَقْدٌ. لَمْ يَحْمِلْ سِيفًا وَلَمْ يَنْتَقِمْ لِنَفْسِهِ مِنْ أَحَدٍ وَلَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا. إِنَّمَا كَانَ مَمْلُوءًا بِالْمَحْبَةِ وَالْعَطْفِ وَالْمَوْدَةِ وَالْحَنَانِ وَالشَّفْقَةِ. كَانَ طَاهِرًا زَكِيًّا نَقِيًّا. وَفِي حَدِيثِهِ كَانَ جَذَابًا، يَأْسِرُ اِنْتِبَاهَ النَّاسِ بِأَمْثَالِهِ وَقَصْصَهُ، وَكَلَامِهِ الْحَلُوِّ، وَمَوَاعِظِهِ الْقَوِيَّةِ.

فَلَمَّا حَانَ الْوَقْتُ لِيَتَمَّ الْقَصْدُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ جَاءَ إِلَى الْأَرْضِ، أَلَا وَهُوَ فَداءُ الْإِنْسَانِ، سَارَ بِخُطْبِي رَاسِخَةً وَإِصْرَارٍ وَعَزْمٍ وَشَجَاعَةً نَحْوَ الصَّلِيبِ. وَهُنَاكَ تَمَّ مَشِيَّةُ الْأَبِ السَّمَائِيِّ.

الْمَسِيحِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ هِيَ أَنْ نَتَبَعَ الْمَسِيحَ. وَلَكِي نَفْهَمَ الْمَسِيحَ يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَ الصَّلِيبَ. لَقَدْ أَفْرَدَ الْوَحِيُّ الْكَرِيمُ الْمَقْدُسُ لَحْوَادِثِ الْأَسْبُوعِ الْآخِيرِ مِنْ حَيَاةِ سَيِّدِنَا عِيسَى قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْإِنجِيلِ الشَّرِيفِ. تَلَكَ الْحَوَادِثُ تَحْتَلُ ثَلَاثَ قَصَّةَ الْمَسِيحِ الْوَارَدةَ فِي كِتَابِ مَقْتَى وَمَرْقَسٍ وَلَوْقَا وَيَوْحَنَّا. وَلَا عَجَبٌ، لَأَنْ مَرْكَزُ عَمَلِ الْمَسِيحِ هُوَ الصَّلِيبُ. إِنْ سَبْبُ وَأَسَاسُ مَجِيَّءِ الْمَسِيحِ إِلَى الْأَرْضِ هُوَ الصَّلِيبُ لِذَلِكَ يَتَحَدَّثُ ثَلَاثَ تَارِيخَ الْمَسِيحِ الَّذِي عَاشَ حَوْالَيْ 33 سَنَةً، عَنِ الْأَسْبُوعِ الْآخِيرِ مِنْ حَيَاةِهِ! لِمَاذَا؟ لِأَهْمَيَّةِ مَوْتِهِ

في مقاصد الله تعالى. هذا الموت لازم لنجاتنا من ال�لاك في الجحيم. وكدليل على أهمية الصليب، اهتزت الدنيا عند موت المسيح، فترزلت الأرض، وتشققت الصخور، وأظلمت الشمس، واسودت السماء! إلى هذه الدرجة، كان موته خطيرا!

عيسى أعلن الله لنا في تعاليمه السامية وفي معجزاته القديرة، أي في كلامه وأعماله. ولكن أعظم إعلان عن الله جاء من عيسى في موته وقيامته!

هل تريد أن تفهم المسيح؟ إذن، افهم الصليب. كان الصليب هو الموضوع الذي يملأ فكر بولس لهذا قال: "لَهُنْ نُبَشِّرُ بِالْمَسِيحِ الَّذِي ضَحَى بِنَفْسِهِ عَلَى الصَّلِيبِ".^أ كما قال: "فَرَرْتُ أَنْ أَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ... إِلَّا عِيسَى الْمَسِيحَ وَمَوْتَهُ عَلَى الصَّلِيبِ".

حين يذهب ملك أو رئيس لزيارة دولة أخرى، يجتمعون به ويقيمون له الولائم. ولكن ملك العالمين جاء إلى هذه الأرض، فماذا عملوا له؟ قبضوا عليه وحاكموه محاكمة جاثرة وصلبوه وقتلوا. هذه هي جريمة الكل. هذا هو ذنب وخطيئة كل الناس. نحن رفضناه. إنه جاء إلى العالم، العالم الذي صنعه بيده القديرة، العالم الذي هو خلقه، لكن العالم رفضه. جاء إلى أهله، ولم يقبله أهله. جاء إلى شعبه، لكن شعبه لم يقبله.^ب وسيستمر هذا الوضع سنة بعد سنة، وجيلاً بعد جيل، وقرنا بعد قرن.

ولكن ليس إلى ما لا نهاية! فالإنجيل الشريف يقول إنه سيأتي وقت فيه يسجد الكل لعيسى ويشهد الجميع أنه مولانا. ذلك لأن الله تعالى أنعم على السيد المسيح بالاسم الذي هو أعظم من كل إسم. أي بالمكانة التي هي أسمى وأعلى وأعظم من كل مكانة، حتى "يَسْجُدَ الْكُلُّ عَلَى رُكُّعِيهِمْ لِاسْمِ عِيسَى، كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ وَتَحْتَ الْأَرْضِ، وَيَشْهَدَ الْجَمِيعَ عَلَنَا وَيَقُولُوا: "عِيسَى الْمَسِيحُ هُوَ مَوْلَانَا".^ت

كلمة الإنجيل تعني الخبر المفرح، البشرى السارة. فالإنجيل هو الخبر السار لأن

^أ كور 1: 23

^ب يو 1: 11-10

^ت في 2: 11-10

الله تعالى يغفر لنا ذنوبنا عن طريق فداء المسيح. ولا يوجد إلا إنجيل واحد هو إنجيل السيد المسيح، لأنه هو الوحيد الذي مات فداء عن البشر، وقام منتصرا على الموت. هذا هو الخبر السار. ولأن المسيح قام وانتصر على الموت، ألغيت اللعنة وأصبحت بركة، وصارت فضيحة الموت على الصليب هي الأخبار السارة بأن المغفرة والنجاة والحياة ممكنة لمن يؤمن به. هذا هو الإنجيل!

هذه هي البشرى التي تبعث الفرح والسلام في القلوب الحائرة والضمائر المذنبة! إنجيل عيسى هو إعلان الفداء والراحة والأمان والسلام للنفوس التعبانية اليائسة. إنجيل المسيح هو الموسيقى الإلهية تعزف لتبعث المدوع في قلبك الشائر الهائج، وتمنحه الإرشاد والاطمئنان والأمل والفرح والمحبة.

إن رسالة الإنجيل كله هي عن الصليب! الصليب هو لُبّ حديث الإنجيل! حقيقة الصليب هي قلب الإيمان باليسوع. انزع الصليب من إنجيل المسيح، لا يبقى هناك إنجيل ولا بشرى طيبة، ولا رسالة مفرحة، بل تبقى البشرية في ضياعها وظلالمها ومعصيتها بلا منقذ، بلا فاد، بلا أمل، بلا رجاء، بلا فرح. نعم، بلا صليب يصبح الإنجيل خدعة! يصبح لا بشارة ولا أخبارا طيبة.

قبل الصليب جاء الفداء في صورة رموز تشير إلى الصليب ذاته. وبعد الصليب، كل محاولة للفاء باطلة وغير مجدية، بل وخطيرة تؤدي إلى الهالاك عينه! الصليب ليس مشروعًا بدأ بالنجاح وانتهى بالفشل، بل هو الحب بدأ عظيمًا وانتهى منتصرا. الصليب حطم عبادة الأصنام. حطم إذلال قوات الشيطان للبشر. حطم الفواصل العرقية والجنسية. وبقوة الصليب، اليوم تنقشع السحب القاتمة، وينهزم ظلام الضلال ويتحقق. نور الشمس يسطع في كل مكان، وملك الله يمتد بطريقه لم يعرفها تاريخ البشر من قبل. اسم المسيح يتمجد، وعروسته تُعدّ لمجيئه.

الصلب هو لغة الحب. هو لغة الفداء. هو الطريقة الوحيدة للحصول على الحياة. لا يمكن الإضافة إليه ولا الإنقاص منه. الصليب عيد. الصليب فرح. الصليب حقيقة. صالح مات من أجل الأشرار. طيب مات من أجل الأردياء. الصليب هو تعبير غير عادي عن حب غير عادي. ليس لدينا رسالة أخرى ننادي بها، ولا موضوع آخر نتحدث عنه. الصليب هو ضرورة خطيرة. الحب هو طبيعة الله. الله محبة. لذلك أظهر الله طبيعته الحقيقية على الصليب.

يقول يوحنا في بشارته: "الْكَلِمَةُ صَارَ بَشَرًا، وَعَاشَ بَيْنَنَا. وَرَأَيْنَا جَلَالَهُ."^أ عن أي شيء يتحدث يوحنا؟ متى رأى جلال المسيح؟ وأين؟ وكيف؟ ربما يشير يوحنا هنا إلى موضوع ظهور جلال المسيح على الجبل لما جاء إليه موسى وإلياس وتحدثا معه عن الفداء الذي سيقوم به. لكن في رأي، يتحدث يوحنا هنا عن الصليب! نعم، أعتقد أن الإشارة الأهم هي أن يوحنا وأصحابه رأوا في الصليب جلال الله الذي بذل أعز ما عنده لفدائنا.

الذي يقدر أن يرى جلال المسيح في الصليب، يجد نفسه منجذباً أن يتبع المسيح! من يرى جلال المسيح في عار موته، يسير بخطوات ثابتة نحو وفي معيته! لماذا الصليب؟ لأن الله يحبنا! إنه تعالى، دبر للإنسان النجاة عن طريق صليب المسيح وقيامته. لم تستلزم عملية الخلق إلا أن يتكلم الله ويقول كن فيكون. ولكن لكي يفدي، كان لا بد أن يتآلم. لقد خلق الله الإنسان بنسمة من فمه، ولكنه فداه بإراقة دم المسيح. فالفاء كلف الله أكثر مما كلفه الخلق بما لا يحده. لقد كلفه دم المسيح، الابن الحبيب الوحيد. قال عيسى: "أَحَبَّ اللَّهُ كُلَّ النَّاسٍ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ بَدَأَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِيَگُنَّ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ يَنَالُ حَيَاةَ الْخَلْوَةِ."^ب

^أ يو 14:1

^ب يو 3:16

فالصليب يبين أن الله طيب وصالح ومحب. الصليب يبين أن الله يحول الشر لخيرنا ولصالحتنا. عند الصليب كان الله ما زال يسأل السؤال الذي سأله لأيوب: "مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَتَحَدَّى نِعَمِي؟" ^أ ولا واحد يقدر أن يتحدى القدير عز وجل! بواسطة الصليب أخذ الله أفظع شر وحوله إلى أحسن خير. لا يوجد إنسان يمكنه أن يفهم فظاعة الموقف الذي اختبره عيسى فوق الصليب. كان الصليب هو أخطر محاولة من جانب الشيطان ضد الله. ولكن بالصليب انهزم الشيطان هزيمته التهاوية. قام المسيح منتصرا وأعطى الشيطان ضربة لن يفيق منها. والآن يمكننا ان نعلن حقا أن "الله يجْعَلُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ".^ب ² إن هذه الصفحة من التاريخ صفحة الصليب، تشع بنور وهاج. الصليب هو الذي يجعل لنا الماضي مستورا والحاضر منيرا والمستقبل باهرا، وذلك بحب المسيح وتضحيته، وصفحة وغفرانه، وعناته ورعايته، وبالأمل والرجاء فيه.

رجل له بنت مُعَوَّقة جداً ومتخلفة عقلياً، عيناهَا جاحظتان، وجهها مشوه، يسيل اللعاب من فمها لأنها لا تقدر أن تتحكم فيه. ومع ذلك يحضنها أبوها ويقول: "يا حبيبي!" الله يحبنا بهذه الطريقة!

ربما تشعر أنك مثل تلك البنت المعوقة، لكن الحقيقة هي أن قيمتك غالبة جداً في نظر الله. إن الله ينظر إليك بعين الاعتبار والتقدير. أنت لك كرامة كبيرة في نظر المولى تعالى. ربما يحرسك أهلك أو بذرتك أو زملاؤك من هذه الكرامة. ربما يعتبرونك بلا قيمة. أو ربما أنت تعتبر نفسك قليل القيمة. مهما كان الوضع بهذا الشأن يا أخي، إعلم أن المسيح، تبارك وتعالى، يعتبرك نفيساً غالياً، لدرجة أنه مات من أجلك! أنت ثمين عنده لدرجة أنه بذل دمه من أجلك. هذا هو الشمن الغالي الذي

دفعه فيك! دمه! حياته! أنت لك قيمة كبيرة!

وربما في نشأتك منذ الصغر، تلقت تعليماً يفرض عليك أن تقبل ما يُقدمونه لك دون بحث أو نقاش، ومن نوع عليك أن تسأل أو تستفهم. ربما زرعوا في نفسك كراهية للآخرين وخوفاً من كل ما هو غير مألف أو معروف. ربما أجبروك أن تصدق ما يقولون وتدين بما يديرون. إن كان هذا هو وضعك دعني أسرد عليك قصة قرأتها، وأعتقد أنها تقرب لذهنك الفكرة التي أريد أن أسوقها إليك.

تقول القصة إن رجلاً أصيب بهوس جعله يظن أنه مات. استدعت عائلته الطبيب الذي حاول بكل جهده أن يبين للرجل أنه حي لأن الميت لا يدرك ولا يشعر ولا يتكلم ولا يتحرك. ولكن عبثاً حاول الطبيب! لم يكن بإمكانه أن يقنع الرجل أنه حي.

وأخيراً توصل الطبيب إلى فكرة ذكية. فأخذ الرجل إلى المستشفى، إلى المكان الذي يضعون فيه الموتى حتى يأتي أهلهم ليأخذنوه. قال الطبيب للرجل: "هؤلاء الموتى، إن وخرتهم بإبرة لا يسيل منهم الدم، لأنهم موتى. تعال نجرب". وأخذ الطبيب يوخر بالإبرة ميتاً بعد آخر. ولا واحد سال منه الدم. وهنا سأله الطبيب: "هل اقتنعت الآن أن الموتى لا يسيل منهم الدم؟" قال الرجل: "نعم اقتنعت". فأخذ الطبيب إبرة ووخر بها الرجل، فسال منه الدم. وهنا صاح الرجل: "يا له من أمر غير عادي! أنا ميت ومع ذلك سال مني الدم!"

هذه القصة تبين قصدي. إن الاقتناع الذي أدخلوه في فكرك هو اقتناع فاسد. أنت تحتاج أن تتحرر من القهر الفكري الذي فرضوه عليك حتى صار من الصعب استخدام المنطق معك. أدعو الله القدير أن يحررك من هذا القهر، لتطرح عنك الحمل الذي ترزع تحته، ل تستنشق نسمات الحرية الحقيقية، فتفكر كما تشاء، وتتخذ القرار الذي يملئه عليك ضميرك، لا ما يفرضه الآخرون عليك.

مبديئياً، يرمي الصليب إلى الضعف والنذل والعقاب والفشل والموت. ويما له من فكر عجيب غريب حقاً أن الله الخالق الكريم، صاحب الجلال والعزّة والقدرة، يربط نفسه بالآلام والمتاعب التي نجتاز فيها نحن البشر. الله الذي قبلَ الصليب يفهم تماماً معنى الألم والعذاب. الله الذي هو في سعادة أبدية، يأتي ليختبر أحزاننا وأوجاعنا. الله الطاهر النقى يأتي إلى عالم البشر الذي نجسسته الخطيئة. الله صار بشراً عيسى المسيح حمل الصليب، صليب العار والهوان، بل سموه وعلقه عليه. وهناك على الصليب مات.

إذن الله تعالى جاء ليختبر ما نختبره نحن. وبطريقة معنوية، سار في المكان الذي تسير فيه أنت الآن. وقف في الموقف الذي أنت فيه الآن. هل أنت تتالم؟ هو أيضاً تالم، فهو يعرف حالك. هل يضطهدك الناس؟ هو أيضاً اضطهدوه! هل أنت تعبان؟ هو أيضاً تعب!

أو ربما تكون بائساً. ربما تكون غارقاً في يأس شديد. ربما تشعر بأنك فاشل في الحياة، في هذه الحياة التي هي نعمة وإحسان من الله. لكن السبب الحقيقي في فشلك هو أنك بعيد عن المسيح، بعيد عن الحق، بعيد عن النور، بعيد عن مولاك عيسى الذي أحبك وضحى بنفسه من أجلك. إن الله يقدم لك الحق اليوم! إنه يعلن لك الإنجيل اليوم. إنه يعلن لك الخبر السار المفرح لتومن به، وترتاح فيه. هو كلام الله، كلام الحق. هو الذي فيه نور وهداية للعالمين. هو الذي يرشدك إلى الطريق القوي، إلى الصراط المستقيم.

الصليب هو أبشع جريمة ارتكبها الإنسان، وأسمى وأنبل تضحية قام بها الله. الصليب هو أعظم تعبير عن حب الله. الصليب أصلاً كان عقاب الخطيئة، والمسيح حوله إلى شفاء من الخطيئة. الصليب أصلاً كان يعبر عن الكراهيّة، والمسيح حوله إلى دليل الحب الكامل، حب الله للناس. الصليب أصلاً كان يبيّن أسوأ ما في الإنسان؛

القتل. لكن المسيح حوله ليبين أعظم ما في الله؛ الفداء! أخذ المسيح كل ما هو رديء ومكروه في الصليب، من ظلام وعذاب وانتقام، وحوله إلى نور وحب وطهارة. اليوم الصليب هو صيحة النصر التي نهتف بها! تم فدائنا، جاءنا الفرج، جاءتنا النجاة في الصليب وبالصلب.

الصلب قصة. مصدرها ومنبعها هو الله. والذي قام بأهم دور فيها هو الله. أما البشر فكانوا نوعين: نوع له دور فرعي وثانوي في القصة مثل قادة الدين والأبار ويهودا وبيلاتس وغيرهم. ونوع استفاد من القصة وأمن بال المسيح وفدائه وعاش له. الصليب هو مبادرة إلهية، هو خطة ربانية تمت بنجاح منقطع النظير. مات المسيح على الصليب وتم الفداء، ثم قام من الموت وتم النصر. وكما قال شيخ جليل وقسيس تقي يصف تضحية المسيح: "هو الحق خرج من عند الحق ليقضي على الباطل في معركة حامية انتهى دورها الأول بصلب الحق. ثم سرعان ما خُذل الباطل وظفر الحق وقام، وإلى الحق الذي اشتُق منه عاد".³ وهذا أصبح نشيدنا هو: "يَا مَوْتُ لَنْ تَغْلِبَنَا! يَا مَوْتُ لَنْ تَلْدَعَنَا!"⁴

لذلك سنتناول في الصفحات التالية هذه القصة، قصة صلب وموت سيدنا وفادينا عيسى المسيح. ونحن نعرف أن حقائقها واقعية حدثت فعلاً. والذين قاموا بأدوار فيها هم أشخاص لهم تاريخ معروف ومسجل في صفحات الزمن. هذه أحداث ليست من نسج الخيال، ولا خرافية، إنما وقائع تمت مع المسيح أيام شهد كثيرين، في وجود الأحباء والأعداء، وأمام عدد من الأقرباء والغرباء.

أولاً

الصلب في تدبير الله

إن حقيقة صلب المسيح تعود في الأصل إلى أزمنة وعصور ودهور قبل حدوث الصليب. بل في الحقيقة، كان الصليب في تدبير الله تعالى من قبل ما خلق العالمين. إن الله تعالى كليًّا المعرفة. أي يعرف كل شيء من الأول إلى الآخر. فهو كان يعرف أن آدم سيسقط في المعصية وعدم الطاعة ويأكل من الشجرة المحرمة. لذلك دبر القدير عز وجل أن يرسل من يفدي الإنسان المسكين الساقط. أي قبل ما خلق الله الإنسان، علم القدير أن آدم سيسقط في المعصية، وقبل ما دخلت الخطية إلى العالم، دبر الله لنا النجاة. هل يعني هذا أن الله دبر فداء الإنسان، حتى من قبل وقوع آدم في الذنب؟ نعم، قرر الله في الماضي السحيق الذي لا نعرفه نحن ولا ندركه، أن يرسل سيدنا عيسى المسيح ليموت ويفدينا من ذنوبنا. في ذلك الماضي البعيد كان الصليب في حسبان الله تعالى وتدبيره. لذلك يُطلق الكتاب الكريم على عيسى اسم "حمل الفداء المدبوح مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمَيْنَ".^١

ولهذا أيضاً يقول الإنجيل الشريف: "أَنْتُمْ فِي الْمَاضِي كُنْتُمْ تَعِيشُونَ حَيَاةً تَافِهَةً عَلَمَهَا لَكُمْ آبَاؤُكُمْ، لَكِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ فَدَأَكُمْ مِنْ هَذَا، لَا بِأَشْيَاءَ فَانِيَّةٍ مِثْلَ الْفَضَّةِ أَوِ الدَّهَبِ، بِلْ بِالدَّمِ الْكَرِيمِ، دَمَ الْمَسِيحِ، حَمَلَ الْفِداءَ الَّذِي بِلَا لَوْمٍ وَلَا عَيْبٍ. فَقَدِ اخْتَارَهُ اللَّهُ لِهَذَا مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْعَالَمَيْنَ".^٢ إن الله دبر لنا النجاة من ذنوبنا من الأزل، من قبل ما خلق العالمين. أي من قبل ما خلق الكون، وقبل ما خلق الملائكة، وقبل ما خلق البشر. هذا يعني أن الله دبر الدواء قبل إصابة الإنسان بالداء. دبر

العلاج قبل حدوث المرض. وهنا تظهر عظمته عز وجل.

ولهذا نحن أتباع عيسى نفرح ونبتهج لهذه المحبة التي لا تعرف حدودا، لأن الله دبر لنا هذه النجاة العظمى بواسطة فداء المسيح. ويُعبر الإنجيل عن مشاعرنا هذه بقول بولس: "تَبَارَكَ اللَّهُ أَبُو سَيِّدِنَا عِيسَى الْمَسِيحُ، لَأَنَّهُ بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُّوحِيَّةٍ فِي السَّمَاءِ بِوَاسِطَةِ الْمَسِيحِ. فَإِنَّهُ قَبْلَ مَا خَلَقَ الْعَالَمَيْنَ، إِخْتَارَنَا بِوَاسِطَةِ الْمَسِيحِ لِنَكُونَ صَالِحِينَ وَبِلَا عَيْبٍ فِي نَظَرِهِ. وَفِي مَحَبَّتِهِ قَرَرَ مُقْدَمًا أَنْ يَجْعَلَنَا أَبْنَاءَهُ بِوَاسِطَةِ عِيسَى الْمَسِيحِ. وَذَلِكَ حَسَبَ مَشِيتَتِهِ الصَّالِحَةِ وَقَصْدِهِ".^١

قال يحيى بن زكريا عن المسيح: "هَذَا هُوَ حَمْلُ الْفِدَاءِ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِيرْفَعَ حَطَبِيَّةَ النَّاسِ".^٢ إن الله المحب القدير هو الذي دبر لنا الفداء. هو الذي رسم وقرر موت المسيح على الصليب. لم يكن ذلك عفوا. لم يكن ذلك عن طريق الخطأ، بل هو تدبير الله منذ قديم الزمان.

حقا مات المسيح لأن قادة اليهود ناصبوه العداء وقرروا القضاء عليه. حقا مات المسيح لأن يهوذا القربيوني، أحد أتباعه المقربين، خانه. نعم، مات المسيح لأن الرومانيين، تحت ضغط اليهود، صلبوه وقتلوه. نعم، مات المسيح لأن حاكم البلاد خاف من صرخ اليهود الذين طالبوا بأن يصلبه. إن اتهامهم لعيسى بأنه يقاوم القيصر وينافسه شوش على أفكار ذلك الحاكم! ولكن هذه كلها هي مجرد أسباب ثانوية فرعية وسطحية. أما السبب الأساسي والأعمق والأهم فهو أن المسيح مات لأن هذه كانت خطة الله تعالى. كان هذا هو تدبير الله منذ الأزل. "رَضِيَ اللَّهُ أَنْ يَسْحَقَهُ بِالْأَلْمِ".^٣ صحيح، صليب المسيح بسبب عداوة اليهود، وضعف الحاكم الروماني. ولكن الكتاب الشريف يقول إن الصليب كان في فكر الله قبل ظهور الرومان، وقبل وجود

١-3: أَف

٤: بِ يَوْمٍ

٥: إِنَّ شَهِيدَ

اليهود أو غيرهم! لذلك قال بطرس لليهود في خطبته المشهورة في يوم الخمسين: "إِنْ عَيْسَىٰ) سُلِّمَ لَكُمْ حَسْبَ خِطَّةِ اللَّهِ الْمَرْسُومَةِ وَعَلَمِهِ السَّابِقِ، فَصَلَّيْتُمُوهُ وَقَتَّلْتُمُوهُ بِمُسَاعَدَةِ الْكُفَّارِ."^أ موت المسيح على الصليب كان حسب خطة الله المرسومة! وقالت جماعة الرسل في مناسبة أخرى في دعائهم لله: "يَا رَبُّ، يَا صَانِعَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَكُلِّ مَا فِيهَا.. (لقد) اجْتَمَعَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ (الملك) هِيرُودِسُ (والحاكم) بِيَلَاطِسُ الْبُنْطِيُّ وَالْأَجَانِبُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ، ضِدَّ خَادِمَكَ الْقَدُّوسِ عِيسَىٰ الَّذِي مَسَحْتُهُ.. وَعَمِلُوا كُلَّ مَا سَبَقَ وَقَضَيْتَ بِهِ بِخَسِيبٍ قُوَّاتِكَ وَمَشِيَّتِكَ.. بِأَيِّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ سَبَقَ وَقَضَى بِمَوْتِ الْمَسِيحِ عَلَى الصَّلِيبِ، وَكَانَ هَذَا حَسْبَ قُوَّتِهِ وَمَشِيَّتِهِ.

وقبل الصليب بمئات السنين، قال المولى: "إِسْتَيْقِظْ يَا سَيْفٌ وَاهْجُمْ عَلَى رَاعِيَ، عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ صَاحِي! إِاضْرِبِ الرَّاعِي فَتَتَّشَّثَ الْخِرَافُ."^ت فالمتكلم هنا هو الله عز وجل. والراعي هو مولانا عيسى. والسيف هو سيف الله. نعم، كان الصليب هو سيف الله لإنتهاء مشكلة الذنب. لم يكن سيف قيافا ولا سيف بيلاطس، بل سيف الله. هذا هو تدبير الله.

إذن أساس الصليب هو في قلب الله، في حبه الله. فكرة الصليب هي جزء من خطة الله وتدبير الله. قادة اليهود الذين أضموا لل المسيح العداء وقبضوا عليه وقدموه للحاكم، وجاهير اليهود الذين تجمعوا في مظاهرة صاخبة يهتفون ويطالبون بإعدامه، والملك هيرودس الذي هرآ عيسى، وبيلاطس الحاكم الذي أصدر القرار بصلبه، وجنود الرومانيين الذين نفذوا الصلب، كل هؤلاء لم يكن لهم دور أساسي في مجريات الأمور. الله تعالى هو الذي دبر الفداء وهو الذي قصد كل هذا وهو المحرك الأساسي لكل ما جرى. لم يكن متفرجا. لم يُفاجِأَ اللَّهُ تَعَالَى بِتَطْوِيرِ الأَحْدَاثِ لِغَيْرِ مَا

^أ آع 23:2

^ب آع 4:24، 27-28

^ت زك 7:13

يريد، أو في غير صالح عيسى! بل كما ذكرنا من قبل كلام المسيح: "أَحَبَّ اللَّهُ كُلَّ
النَّاسِ لِتَرَحِّةٍ أَكَدُّ بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ".^أ

يجب أن نلاحظ أنه حتى في ذلك الأسبوع الأخير قبل موته، وفي تلك الساعات الصعبة والعصيبة، كان سيدنا ومولانا عيسى المسيح هو سيد الموقف! كان هو مُسَيِّر الأمور! كان هو رب التاريخ! كان يمكنه أن يتحاشى الصليب. لكنه جاء لهذا! جاء ليموت على الصليب.^{بـ}

كان الصليب هدفه، لذلك ذهب إلى القدس في ذلك الوقت بالذات! لقد تآمر قادة الدين اليهود معاً ودبوا أن يقبضوا على عيسى. ولكنهم في نفس الوقت قرروا ألا يكون ذلك في العيد لثلا يثور الشعب ضدهم ويعرض على ذلك. فاتفقوا أن ينتظروا إلى ما بعد العيد. فيقول كتاب الله الكريم: "وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، اجْتَمَعَ رُؤُسَاءُ الْأَهْبَارِ وَشُيوُخُ الشَّعْبِ فِي قَصْرِ الْحَبْرِ الْأَعْلَى الَّذِي اسْمُهُ قَيَافَا. وَتَشَاءَرُوا مَعًا فِي حِيلَةٍ لِيَقْبِضُوا عَلَى عِيسَى وَيَقْتُلُوهُ. إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا: لَا نَفْعَلُ هَذَا فِي الْعِيدِ، لِغَلَّا يَثُورَ الشَّعْبُ".^{تـ}

ولكنْ قال عيسى لتلاميذه إنه بعد يومين سوف يُسلَمُونه ليُصلب، أي في قمة الاحتفال بالعيد!^{ثـ} وبينما كان يتناول طعام الفصح معهم، قال ليهودا القربيوني: "مَا تَوَيَّتْ أَنْ تَعْمَلَهُ أَعْمَلْهُ بِسُرْعَةٍ".^{جـ} وعلى الرغم من قرار القادة بإرجاء القبض على عيسى إلى ما بعد العيد، تم القبض عليه في أيام العيد، لأنَّه هو قرر ذلك! هو صاحب السلطان. فعيسى لم يكن شخصاً تتحكم فيه الظروف، بل هو ملك العالمين الذي

^أ يو 3:16

^{بـ} مت 26:52-54

^{تـ} مت 26:3-5

^{ثـ} مت 2:26

^{جـ} يو 13:27

يتحكم في الظروف. لم يكن شخصا هاربا تم القبض عليه بعدها طارده أعداؤه وأمسكوه، بل هو الذي أرغم أعداءه على إتمام خطته ومقاصده.

في ذلك البستان، في تلك الليلة، ارتكب يهودا أسوأ خيانة في التاريخ البشري، تماما كما أنبأ المسيح بأن ذلك سيحدث! وسُلِّمَ عيسى إلى رؤساء الأخبار، تماما كما أعلن لأتباعه من قبل! وهرب التلاميذ وتركوه وحده، تماما كما قال لهم! وأنكر بطرس أنه يعرفه، تماما كما حذره المسيح! وبعد ذلك سلموه إلى الأجانب ليحكموا عليه بالموت، تماما كما قال هو! وحكم الرومان عليه بالموت، تماما كما أعلن هو! وبعد ثلاثة أيام قام من الموت، تماما كما قال من قبل!

لا، لم يفاجأ المسيح بهذه الظروف. كان يعرف أنه جاء ليموت. كان هو المتسلط على الظروف والذي بيده تدبير كل هذا. لقد قال: "الْأَبُ يُحِبُّنِي، لَأَنِّي أَصْحَّيُ الْحَيَاةِ لِيَكِنْ أَنَّالَهَا ثَانِيَةً. لَا أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَنَا أَصْحَّيُ بِهَا بِرْضَائِي. عِنْدِي السُّلْطَةُ أَنْ أَصْحَّي بِهَا، وَعِنْدِي السُّلْطَةُ أَنْ أَنَّالَهَا ثَانِيَةً".^{١٠} هو صحي ب حياته بنفسه، بإرادته، برضاه. لم يجبره أحد على ذلك. لم يؤخذ على حين غرة. بل كان يعرف أنه جاء لهذاقصد.

لا، لم يفاجأ المسيح بواقع وأمور لم يكن يتوقعها! بل كان يعرف كل التفاصيل من البداية إلى النهاية. لم يكن الصليب سوء حظ أو صدفة تعيسة، ولا حادثة غير متوقعة أصابته. بل هو تاج التدبيبات الإلهية. هو قمة التعبير عن محبة الله، وهو أسمى عمل في كل التاريخ! هو أعظم تضحية على الإطلاق!

وقد بين الله لنا قصده وتدبيره بطرق متنوعة. فقد أعلن لنا أنه سيرسل الفادي عن طريق وعد مباركة مسجلة لنا في الكتاب الشريف، وعن طريق رموز متنوعة، وعن طريق نبوات كثيرة. وهنا أتحدث عن أمثلة فقط لهذه الطرق.

عن طريق الوعد

خلق الله آدم كاملاً طاهراً حراً بريئاً، وأعطاه حواء لتكون معيناً له. لم يكن هناك ألم ولا مرض ولا شقاء ولا تعب. سارت الحياة بهما في سعادة وهناء. ولكن جاء الشيطان وأغوى حواء وأغراها، فكسرت وصية الله، وسقطت وسقط آدم معها في المعصية. حكم الله عليهما بالطرد من الجنة، وبالألم والتعب والجوع والعطش والشقاء والمرض والموت.

كما حكم الله أيضاً بأن تنشأ عداوة بين الشيطان والإنسان. قال الله تعالى يخاطب الحياة، أي الشيطان: "وَأَجْعَلْ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا".^أ ومن ذلك الوقت أصبحنا نرى ونختبر نتائج تلك العداوة في عالمنا وفي حياتنا. ثم يتتابع الله تعالى حديثه ويقول إن نسل المرأة سيتحقق رأس الحياة، والحياة تلدغ كعب نسل المرأة "هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَلْدِغِينَ كَعْبَهُ".^ب من هو نسل المرأة هذا الذي سيتحدى ويغلب الشيطان؟ هو عيسى المسيح الذي ولدته عذراء، لذلك يُدعى نسل المرأة. فيقول عنه الكتاب: "وَلَمَّا حَانَ الْوَقْتُ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ، فَجَاءَ مِنْ أَمْرِهِ".^ت إن المسيح سيتحقق رأس الشيطان، والشيطان يلدغ كعب المسيح. هذا هو أول حديث عن الصليب، وأول وعد به، ولو عن طريق الإشارة والتلميح.

نعم، إنه من رحمة الله على آدم ونسله، دبر القدير للإنسان وسيلة النجاة. ففي حكمه على الحياة، وعد الله تعالى الإنسان الأول بإرسال منقذ للبشر يخلصهم وينجيهم من اللعنة والخطيئة والموت. كان عيسى هو ذلك المنقذ الذي بموته كفَّ عن ذنبنا. معنى التكفير عن الذنب هو أنه بموت المسيح على الصليب دفع ما كان علينا من

^أ تك 3:15

^ب تك 3:15

^ت غل 4:4

دين، وبذلك أصبح ممكناً لنا أن نحصل على غفران ذنبينا، وعلى شفاء عقولنا وأرواحنا وأجسامنا، كما نحصل أيضاً على السلام التام مع الله. المسيح يسحق رأس الشيطان لأنّه بتضحيته على الصليب يقهر الشيطان. والشيطان يلدغ كعب المسيح، أي أنّ موت المسيح على الصليب هو لدغة الشيطان لکعب المسيح. هذا هو كل ما يمكن للشيطان أن يعمله.

ولا شك أنّ هذا الكلام وقع كالصاعقة على الشيطان. هذه هي نهاية المحتملة، تأتي عن طريق نسل المرأة. كما أنّ هذا النبأ لا شك جلب الفرح لأبوبينا آدم وحواء، هذا الإعلان هو نبوة ووعد وعهد، هذا كلام الله الذي يحفظهما من اليأس والقنوط والفشل. هناك رجاء. نسل المرأة سيأتي. نسل المرأة سيسحق رأس الحياة. لله العظمة! لله الحمد! لله العبادة!

عن طريق الرمز

يتحدث الوحي الكريم كثيراً عن الصليب بطريقة الرمز. الحمل الذي قدمه إبراهيم بدل ابنه إسحاق هو أحد الرموز الكثيرة التي تشير إلى الصليب في كتاب الله.⁴

أين الحمل يا أبي؟

أمر الله تعالى إبراهيم بأن يقدم ابنه ضحية. يقول الكتاب الشريف:

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ، إِخْتَبَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ فَتَادَاهُ: "يَا إِبْرَاهِيمُ، أَجَابَهُ: "لَكَيْكَ!" فَقَالَ لَهُ: "خُذْ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، إِسْحَاقَ الَّذِي تُحِبُّهُ، وَادْهَبْ إِلَى مِنْطَقَةِ الْمُرَيَا، وَقَدَّمْهُ ضَحْيَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ عَنْهُ". فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ وَأَسْرَجَ حِمَارَهُ، وَأَخْدَى اثْنَيْنِ مِنْ خُدَامِهِ وَابْنَهُ إِسْحَاقَ. وَبَعْدَمَا قَطَعَ حَطَبًا لِإِحْرَاقِ الضَّحْيَةِ، ذَهَبَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللَّهُ عَنْهُ. وَفِي الْيَوْمِ الْقَالِثِ، تَطَلَّعَ إِبْرَاهِيمُ فَرَأَى الْمَكَانَ

مِنْ بَعْدِهِ. فَقَالَ لِخَادِمِيهِ: "اُنْتَطِرَا هُنَا مَعَ الْحَمَارِ، بَيْنَمَا أَدْهَبُ أَنَا وَالْوَلَدُ إِلَى هُنَاكَ لِتَعْبُدُ اللَّهَ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَيْكُمَا". وَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ الْحَطَبَ لِلضَّحِيَّةِ وَوَضَعَهُ عَلَى كَتِفِ ابْنِهِ إِسْحَاقَ، أَمَّا هُوَ فَحَمَلَ النَّارَ وَالسَّكِينَ. وَبَيْنَمَا هُمَا ذَاهِبَانِ مَعًا، تَكَلَّمُ إِسْحَاقُ وَقَالَ لِأَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ: "يَا أَبَّي! فَأَجَابَهُ إِبْرَاهِيمُ: "نَعَمْ يَا أَبِي!" قَالَ إِسْحَاقُ: "مَعَنَا الثَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلَكِنْ أَيْنَ الْحَمْلُ لِلضَّحِيَّةِ؟" أَجَابَهُ إِبْرَاهِيمُ: "اللَّهُ يُدَبِّرُ لِنَفْسِهِ الْحَمْلُ لِلضَّحِيَّةِ يَا أَبِي". وَتَابَعَ الْأَثْنَانِ سَيْرَهُمَا مَعًا. وَلَمَّا وَصَلَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللَّهُ عَنْهُ، بَيْنَ إِبْرَاهِيمِ هُنَاكَ مَنَصَّةً لِتَقْدِيمِ الضَّحِيَّةِ، وَرَتَبَ الْحَطَبَ ثُمَّ رَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَنَصَّةِ فَوْقَ الْحَطَبِ. وَمَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ السَّكِينَ لِيُذَبِّحَ ابْنَهُ، فَنَادَاهُ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: "إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!" فَأَجَابَ: "لَبَيْكَ!" فَقَالَ: "لَا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْوَلَدِ، وَلَا تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا! الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَتَقَبَّلُ اللَّهَ، فَلَمْ تَمْنَعْ إِبْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي". وَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ فَرَأَى كُبْشًا اشْتَبَكَ بِقَرْنَيْهِ فِي شَجَرِ الْغَابَةِ. فَذَهَبَ وَأَخَذَهُ وَقَدَّمَهُ ضَحِيَّةً بَدَلَ ابْنَهِ، فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذَاكَ الْمَكَانِ: اللَّهُ يُدَبِّرُ".

هذه هي قصة فداء ابن إبراهيم، وهي بطريقة رمزية قوية تشير إلى فداء المسيح لنا. فكما أن الله تعالى قدم لإبراهيم كبشًا ليذبحه عوضًا عن ابنه، كذلك قدم لنا حمل الفداء عيسى المسيح حتى يكفر بموته عن ذنبنا ومعاصينا.

تعال معي يا أخي نلاحظ بعض الأمور الهامة في هذه الحادثة:

تقديم الضحية كان يتطلب أن إبراهيم يذبح ابنه ثم يحرقه تماماً. وهذا يقول الكتاب أن إبراهيم قطع حطباً "لإحراق الضحية". إلى هذا الحد كان امتحان إبراهيم صعباً. كان اختباراً قاسياً. كانت تجربة أليمة.

ذهب الأب وأبنه وحدهما إلى نهاية الطريق. بقي الخادمان مع الحمار، ولم يعرفا شيئاً، ولم يريا شيئاً بشأن الفداء. ربما يذكرنا هذا ب الرجال الدين قاوموا المسيح

وذهبوا قتلهم. هل أدرك رؤساء الدين، ورجال السياسة ما كان يجري وراء الأحداث التي كانوا يظنون أنهم يتحكمون فيها؟ هل أدركوا أن الأب وابنه كانوا يقumen بفداء البشرية بينما هم، القادة، كالخدمين والحمار لا يفهمون ولا يعرفون ما يحدث؟ وهذا يتوجه تفكيرنا إلى أمر آخر. لو قام رؤساء الدين اليهود بإعدام عيسى، لنفذوا الإعدام وفقاً لشريعتهم. وشرعيتهم كانت تقضي بأن يتم الإعدام بالرجم. وهذا ما فعله الذين أعدموا اصطfan فيما بعد. ^b لكن عيسى تنبأ بأنه سيموت مصلوباً. إن رؤساء الدين لم يدركوا في ذلك الوقت أنهم كانوا ينفذون نبوة عيسى على الرغم منهم ودون علم بما كانوا يعملونه، تماماً كالخدمين والحمار في قصة فداء إسحاق. لقد رفضوا أن يقوموا بإعدامه وأخذوه إلى الحاكم الروماني، والإعدام عند الرومان كان بالصلب لا بالرجم!

قال إبراهيم للخدمين: "أذهب أنا والولد... لنعبد الله ثم نرجع إليكما". أي كان عنده ثقة في الله أنه سيقيم ابنه! وهذا يقول الكتاب: "بِإِيمَانٍ إِبْرَاهِيمُ، لَمَّا اخْتَبَرَ اللَّهُ، فَدَمِ إِسْحَاقَ كَصَحِّيَّةً. فَالَّذِي نَالَ الْوَعْدَ كَادَ أَنْ يَدْبَغَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ. مَعَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ قَدْ قَالَ لَهُ: 'عَنْ طَرِيقٍ إِسْحَاقَ يَأْتِي نَسْلُكَ الَّذِي يَحْمُلُ اسْمَكَ'. فَاثَّكَلَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُقْيِمَ الْمَيِّتَ. وَبِطَرِيقَةٍ رَمْزِيَّةٍ، فَعْلَا رَجَعَ إِلَيْهِ ابْنُهُ مِنَ الْمَوْتِ".^c

الله هو الذي قدم الكبش لإبراهيم. وهو الذي، بعد ذلك بعده قرون، قدم لنا الحمل لفدائنا. سأله إسحاق أباه: "مَعَنَا الثَّارُ وَالْحَظْبُ، وَلَكِنَّ أَيْنَ الْحَمْلُ لِلصَّحِّيَّةِ؟" أجابه إبراهيم: "اللَّهُ يُدَبِّرُ لِتَقْسِيهِ الْحَمْلَ لِلصَّحِّيَّةِ يَا ابْنِي". سؤال إسحاق كان عن حمل: "أَيْنَ الْحَمْلُ لِلصَّحِّيَّةِ؟" وجواب أبيه كان أيضاً بشأن

^a 16-10:24

^b بـأعـ7:57

^c متـ20:18-19؛ 26:2

^d عـ11:17

حمل: "اللَّهُ يُدَبِّرُ لِتَفْسِيهِ الْحَمْلَ لِلصَّحِّيَّةِ يَا ابْنِي". ولكن ابراهيم وجد كبشًا! والكبش ليس كالحمل، لكنه يؤدي الغرض الآن، لتقديم الضحية مؤقتاً لفداء إسحاق. أما الحمل الحقيقي فلا بد أن ننتظر وصوله ما يقرب من 2000 سنة أخرى. الحمل الذي قدمه الله لفدائنا جميعاً هو عيسى المسيح القدس الصالح.

عن طريق النبوة

توجد في الوحي الكريم نبوات عديدة تتحدث عن موت المسيح. إن حاولنا أن نعطيها كلها، فإننا نملأ عدة مجلدات، لذلك نورد هنا مثالين فقط، واحداً من إشعيا النبي والآخر من يحيى بن زكريا^٥.

بسبب معاصينا... بسبب آثامنا

تحدث النبي إشعيا عن سيدنا المبارك عيسى المسيح فادينا ومنقذنا له الجلال والعبادة. وفي وصفه لصلبه ومותו بالذات قال:

مَنْ آمَنَ بِرِسَالَتِنَا، وَلِمَنْ ظَهَرَتْ فُوَّهَ ذِرَاعُ اللَّهِ؟ نَمَّا (عيسى الفادي) قُدَّامَ اللَّهِ كَعْصِنِ، وَكَجِدْرِ فِي أَرْضِ يَابِسَةٍ. لَا جَمَالَ لَهُ وَلَا جَلَالٌ يَلْفِثُ ائْتِيَاهُنَا، لَا شَيْءٌ فِي مَنْظَرِهِ يَبْذِبُنَا إِلَيْهِ. مُخْتَقَرٌ وَمَنْبُودٌ مِنَ النَّاسِ، حَزَنٌ كَثِيرًا وَعَرَفَ الْأَلَمَ، احْتَقَرَنَاهُ وَلَمْ نَعْمَلْ لَهُ حِسَابًا، وَغَطَّيْنَا عَيْوَنَتَا لِيَنِ لا تَرَاهُ.

لَكِنَّهُ حَمَلَ أَمْرَاضَنَا وَتَحْمَلَ أَحْرَانَنَا. وَنَحْنُ كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ ضَرَبَهُ وَأَذَلَّهُ عِقَابًا لَهُ.

لَكِنَّهُ جُرَحَ بِسَبَبِ مَعَاصِينَا، سُحِقَ بِسَبَبِ آثَامِنَا، تَرَأَ عَلَيْهِ التَّأْدِيبُ لِتَحْصُلَ نَحْنُ عَلَى السَّلَامِ، وَجِبْرُ وَجْهِ شُفِينَا. كُلُّنَا ضَلَلْنَا كَعْنَمِ، إِنْحَرَفْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَاللَّهُ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَانَا كُلُّنَا. ضَرَبُوهُ وَأَذَلُوهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَفْتَحْ فَمُهُ.

كَانَ كَحَمَلٍ يُسَاقُ إِلَى الذَّبْجِ، وَكَشَاءٍ

^أرج مثلاً مت 16: 21؛ يو 3: 14؛ 12: 33-32.

صَامِتَةٍ بَيْنَ يَدَيِّ مَنْ يَجْرُهَا، فَلَمْ يَفْتَحْ فَمُهُ. حَكَمُوا عَلَيْهِ ظُلْمًا وَأَخْدُوْهُ. وَمَنْ يَصْفُ
مَا جَرَى لَهُ؟ فَإِنَّهُمْ قَتَلُوهُ! كَالْعِقَابِ مَعْصِيَةٌ شَعْبِيٌّ. وُضُعَ في قَبْرٍ مَعَ الْأَشْرَارِ، وَمَعَ
الْأَغْنِيَاءِ عِنْدَ مَوْتِهِ. مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ شَرًّا، وَلَمْ يَكُذِّبْ أَبَدًا.

وَمَعَ ذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ أَنْ يَسْحَقَهُ بِالْأَلْمِ، فَجَعَلَ حَيَاتَهُ ضَحِيَّةً لِلشَّكَافِيرِ عَنِ الدَّنْبِ.
لِذَلِكَ يَرَى أُولَادَهُ، وَتَطْلُوْلُ أَيَّامُهُ، وَيُحَقِّقُ مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ مِنْهُ. وَبَعْدَ هَذَا الْعِذَابِ الَّذِي
احْتَمَلَهُ، يَرَى نُورَ الْحَيَاةِ وَيَقْرَأُ. وَعَبْدِي الصَّالِحُ يُمَعِّرِفُهُ يَجْعَلُ الْكَثِيرِينَ صَالِحِينَ،
لَأَنَّهُ يَحْمِلُ آثَامَهُمْ. لِذَلِكَ أُعْطِيَهُ نَصِيبًا بَيْنَ الْعُظَمَاءِ، فَيَقْسِمُ عَيْنِيَةً مَعَ الْأَقْوَيَاءِ، لَأَنَّهُ
بَذَلَ لِلْمُوْتِ نَفْسَهُ، وَحُسِبَ مَعَ الْأَشْرَارِ. حَمَلَ خَطِيئَةً كَثِيرِينَ، وَسَقَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ!

قال إشعيا هذا الكلام بوجي الله قبل مجيء المسيح بـ 700 سنة، وكأنه يرى الأحداث أمام عينيه! هل يمكن لإنسان أن يتمنى بمثل هذه المعلومات المفصلة الدقيقة الصحيحة عن موت شخص سيأتي بعده بـ 700 سنة، إلا بروح الله القدير؟
ما يلفت انتباها هنا هو الاحتقار والذل الذي اختبره المسيح. إن الكلمات التي يصف بها النبي حالة المسيح يوم صلبه تذيب القلب: لا جمال له ولا جلال، محترق، منبوذ، حزن كثيراً، عرف الألم، احتقرناه، لم نعمل حساباً له، غطينا عيوننا لكي لا نراه، الله ضربه وأذله، جُرح، سُحق، نزل عليه التأديب، ضربوه، أذلوه، قتلوه... لماذا كل هذا الاحتقار والذل؟ الجواب ببساطة هو أنهم احتقروه لأنه جاء بطريقة لم يتوقعوها. كان من عائلة فقيرة. لم يكن على درجة عظيمة من التعليم العالي كالفلاسفة العظام. لم يكن لديه جيش يقهرون به العدو كما كان الناس يتوقعون. وأيضاً احتقروه بسبب تعاليمه. ماذا قال لنا في تعاليمه؟ قال: هنيئاً للمساكين في الروح، بينما العالم يقول: هنيئاً لأصحاب المراكز العليا! قال: هنيئاً للحزاني، والعالم يقول: هنيئاً للفرحانيين! قال: هنيئاً للوداعاء، والعالم يقول: هنيئاً للعظماء! قال: أحبوا أعداءكم، وادعوا

بالخير للذين يضطهدونكم، بينما العالم يقول: اكره عدوك وحطمه وتخلص منه! ^أ
 هذا هو الفادي الذي جُرح بسبب معا�ينا نحن، لا معااصيه هو. فهو غير مذنب،
 بل ظاهر ومعصوم. هو الفادي الذي سُحق بسبب آثامنا نحن، لا آثامه هو. فهو غير
 خاطئ. إنما "نَزَلَ عَلَيْهِ التَّأْدِيبُ لِتُحْصُلَ تَحْنُنٌ عَلَى السَّلَامِ، وَبِجُنُوحِهِ شُفِّيَّنَا".^ب
 كما يقول إشعيا أيضا إن المسيح في أثناء حماكمته أمام القادة لم يفتح فمه، أي
 لم يحتاج على الطريقة التي عاملوه بها ولم يدافع عن نفسه بسب الظلم الذي أوقعوه
 به.⁷ لماذا رضي الله أن يسحرقه بالألم؟ لأن هذه هي الطريقة الوحيدة لفادتنا، لذلك بذل
 للموت نفسه. أما البديل الآخر، فهو أننا كلنا نهلك في الجحيم إلى أبد الآبدين، كلنا
 بلا استثناء. بسبب الخطيئة صار كل البشر كغم ضالة، كخراف ضائعة تائهه، وبلا
 راع. "كُلُّنَا ضَلَّلْنَا كَغْنَمٍ، الْخَرَقْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَاللَّهُ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَنَا كُلُّنَا".^ت

حَمْلُ الْفِدَاءِ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ⁸

بعد إبراهيم وإسحاق بقرون عديدة قال يحيى الم Gus (يعيي بن زكرياء) متحدثاً
 إلى بعض أتباعه ومشيراً إلى سيدنا عيسى المسيح: "أَنْظُرُوا! هَذَا هُوَ حَمْلُ الْفِدَاءِ الَّذِي
 أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِيُرْفَعَ خَطِيئَةَ النَّاسِ".^ث وكأن يحيى هنا يرد على سؤال إسحاق الرد الكامل
 الشافي والنهائي. قال إسحاق لأبيه: "أين الحمل للضحية". ويحيى هنا يشير إلى عيسى
 ويقول: "هذا هو الحمل!". هنا نجد أن الأب هو العاطي، والابن هو العطيه.

يحيى وصف المسيح بأنه حمل الفداء. وفي كتاب الرؤيا الذي هو آخر جزء من
 الإنجيل الشريف أشار الوحي الكريم إلى عيسى أيضاً بأنه حمل الفداء 33 مرة. لماذا؟

^أ مت 12:5

^ب إش 5:53

^ت إش 6:53

^ث يو 29:1

لماذا يوصف عيسى في الكتاب الشريف بأنه حمل الفداء؟ ربما لم نكن نتوقع أن يُدعى عيسى حملا. ربما يدهشنا هذا أو ربما لا نحب هذه التسمية. لو ثُرَك الأمر لنا كبشر لاختار كائنا ليكون رمزاً للمسيح، ربما كنا نختار كائنا يتميز بالقوة والسلطان. بريطانيا مثلاً اختارت الأسد ليكون رمزاً لها، وروسيا اختارت الدب، وفرنسا النمر، والولايات المتحدة النسر. كل هذه كائنات مفترسة تتميز بالقوة. أما مملكة الله فاختارت لنفسها الحمل لوداعته وبراءته ولطفه وصبره!

أين وكيف ولد عيسى؟ يقول الإنجيل إن الملك في ذلك الوقت أصدر أمراً بعمل إحصاء في جميع أنحاء البلاد. وكان على كل واحد أن يذهب إلى بلدته الأصلية ليُسَجَّل هناك. كانت مريم حبلى بعيسى وهي عذراء لم تتزوج بعد من يوسف خطيبها. كانت حبلى من الروح القدس أي روح الله تعالى.

حسب العادة في ذلك الوقت، كان الناس يسافرون في مجموعات ليحموا بعضهم بعضاً من قطاع الطرق ومن مخاطر السفر. أخذ يوسف خطيبه مريم في جمٍّ وسافرا إلى قرية بيت لحم ليسجلاً هناك في الإحصاء. وبينما هما في بيت لحم، جاء وقتها لتلد. فولدت عيسى ولقته في قطعة من القماش، وأنامته في معلم للبهائم، لأنَّه لم يكن لهما مكان في الفندق.

إذن ولد عيسى كحمل، ووضع في معلم للبهائم. اختار الله تعالى معلم البهائم لولادة هذا الزائر الملكي العظيم، هذا الرسول الإلهي الكريم، عيسى المسيح ابن الله بالحق والمحبة! لو كنت أنا أعمل وقتها مديرًا لـ«فندق بيت لحم» (لو كان هناك شيء من هذا القبيل في ذلك الوقت)، لكنت اخترت أحسن غرفة في أعظم وأرق فنادق المدينة لاستقبال عيسى وميلاده. لو كنت أعمل وقتها كرئيس تشريفات مجلس المدينة، لكنت اخترت أفخر قاعة في أفحى قصر موجود فيها لولادة عيسى، ولكنني اتصلت بمجموعة من أحسن وأشهر أطباء الولادة ليكونوا تحت أمر هذه العائلة

لولادة صاحب الجلاله الذي جاء لينقذ الناس. ولو أعلموني مقدماً عن ولادة عيسى، لكنت جهزت له هناك غرفة أطفال بها سرير لهذا الوليد وفرشٌ وثير وأغطية دافئة مزينة، ولعب في الغرفة مع كل وسائل الراحة!

ولكن الله تعالى، جل جلاله، علا شأنه، وسمت قدرته وحكمته، هو الذي اختار وقرر سير الأمور والأحداث، وحدد الأماكن والأشخاص، لكي يولد هذا الملك العظيم. فالقدير الذي هو أعظم مني حكمة بما لا يقاس، وأعجب مني تدبيراً بما لا يقاس، اختار أكثر الأماكن تواضعاً، لولادة ابنه القدير الجليل: معلفاً للبهائم! فإن سألنا، لماذا؟ لماذا يولد ابن ملك الملوك، الغني المبارك في معلم للبهائم؟ كان الجواب هو، لأنّه حمل الفداء، والحمل يولد في الحظيرة، وليس في قصر كما لو كان الأمر قد ثُرِكَ لي! وهذا أيضاً، ظهر الملاك للرعاة في تلك الليلة، وأنبأهم بالخبر السعيد، بولادة المخلص المسيح ربنا. فذهب الرعاة بسرعة إلى بيت لحم، ووجدوا مريم ويوسف والطفل نائماً في المعلم! عيسى ولد كحمل.

كما أنّ عيسى أيضاً عاش كحمل. وعلى الرغم من قوته الإلهية المعجزية، وقدرته السمائية، تصرف وتكلم وعلم بوداعة وتواضع.^a لم يستل السيف ضد أحد. لم يسلب أحداً، ولم ينهب أملك أحد، ولم يغتصب مال أحد. لم يعتد على أحد، ولم يتسبّب في ضرر أحد. لم يمسخ أعداءه إلى كلاب وقدرة. لم يقتل عدواً. عاش كحمل وديع. ثم إنّ عيسى أيضاً مات كحمل. كان علماء الدين اليهود يكرهونه وفي نفس الوقت يخافونه، بسبب أعماله العظيمة وأقواله الجريئة. وأخيراً قبضوا عليه وأخذوه للمحاكمة. ومع أنه لم يرتكب جريمة ولم يفعل إثما ولا شراً، لكنهم لفقوا له شهود زور يقولون إنه على وشك أن يهدم بيت الله أو يقوم بثورة ضد قيسار. رأى رئيس

المحكمة وهو نائب قيسر روما وحاكم البلاد، رأى بثاقب نظره وبخبرته في الحكم والقضاء، أن الشهادة مزورة فقال: "أَنَا لَا أَجِدُ فِي هَذَا الرَّجُلِ أَيَّ أَسَاسٍ لِلشَّكُوكِ ضِدَّهُ".¹⁴ وطوال فترة المحاكمة، رفض عيسى أن يدافع عن نفسه، لأنه حمل الفداء. ولما كان معلقاً على الصليب في عذاب وكانوا يشتمونه، لم يرد على شتائمهم، كحمل. وكما يقول الكتاب: "شَمُوْهْ فَأَنْمَ يَرُدُّ بِالشَّتِيمَةِ، عَدَّبُوهُ فَأَنْمَ يُهَدَّدُهُمْ، بَلْ سَلَّمَ أَمْرَهُ لِلَّهِ الَّذِي يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ".¹⁵

هذا هو الحمل الذي قدمه الله تعالى في حنانه ومحبته ورحمته، هذا هو حمل الله الذي يرفع خطيئة الناس! عيسى هو الأمل، هو الرجاء، هو يرفع عنك ذنبك ويملا قلبك بالسلام. آمن به وأسلم له، فترى ما يحدث لك من تغيير وتجديد وفرح وهدوء وطمأنينة!

الحمل الذي هو الأسد!

يقول الوحي الكريم في كتاب الرؤيا إن يوحنا رأى واحداً جالساً على العرش في السماء وفي يده كتاب. وهنا قال أحد الملائكة: "مَنْ يَسْتَحِقُ أَنْ يَقُلَّ خُتُومُ الْكِتَابِ وَيَفْتَحَهُ؟" فلم يقدر أي واحد أن يفعل ذلك. فأخذ يوحنا يبكي بكاء شديداً. فقال له واحد من الشيوخ الذين رآهم في الرؤيا: "لا تبكي. لأنَّ الأَسَدَ الَّذِي مِنْ قَبِيلَةِ يَهُودًا، سَلِيلٌ دَاؤُدَ، قَدْ غَلَبَ وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْتَحَ الْكِتَابَ وَخُتُومَهُ السَّبْعَةَ".

فلما التفت يوحنا لينظر إلى الأسد إذا به يجد حمل الفداء واقفاً في وسط العرائش... وشَكُلُهُ كَانَهُ ذُبَحَ... فَتَقَدَّمَ وَأَخَذَ الْكِتَابَ... فَلَمَّا أَخَذَهُ، رَكَعَتِ الْكَائِنَاتُ الْأَرْبَعَةُ، وَرَكَعَ الشُّعُوبُ الْأَرْبَعَةُ وَالْعُشْرُونَ قُدَّامَ حَمَلِ الْفِدَاءِ. وَكَانَ مَعَ كُلِّ

وَاحِدٍ مِنْهُمْ قِيَارَةً... وَعَنْوَا أَغْنِيَةً جَدِيدَةً". وبعد ذلك سمع يوحنا ترتيل الملائكة من الملائكة تقول بصوت عال: "حَمْلُ الْفِدَاءِ الَّذِي ذُبِحَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَنَالَ الْقُوَّةَ وَالثَّرَوَةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْقُدْرَةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْجَلَالَ وَالْحَمْدَ". فرددت كل المخلوقات التي في السماء وعلى الأرض وفي البحر؛ كل المخلوقات في الكون كلها وهتفت: "الْحَمْدُ وَالْكَرَامَةُ وَالْجَلَالُ وَالْقُدْرَةُ لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ، وَلِحَمْلِ الْفِدَاءِ، إِلَى أَبْدِ الْأَبِدِينِ".^١

فهذا الحمل هو أيضاً أسد! لماذا يدعوه الوحي أسد؟ لأنه سينزل غضبه القاسي وعقابه الشديد على الأشرار والظالمين وعلى الكفار والآثمين وعلى كل من لم يؤمن به. هذا الأسد سيفترس ولا من ينقذ منه، سينتقم ولا من يخلص من يده. لذلك يقول كتاب الله أيضاً في رؤيا يوحنا إنه بسبب رفض الناس إيمانهم وتمردتهم عليه، ستتحل بهم مجاعات وأوبئة، وتنزل بهم مصائب وبلايا، وضيقات وشدائد، وعذاب وألم، وقتل

وموت، وحروب وقلاقل واضطربات وثورات لا مثيل لها من قبل:

تَرْزَلَتِ الْأَرْضُ، وَاسْوَدَتِ الشَّمْسُ مِثْلَ الْحَيْثِينَ، وَاحْمَرَّ الْقَمَرُ كُلُّهُ مِثْلَ الدَّمِ. وَسَقَطَتِ الْجُنُومُ السَّمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ، كَمَا يَسْقُطُ التَّنِّيُّنُ عِنْدَمَا تَهُزُّ الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ شَجَرَةَ التَّنِّيِّنِ. وَطَوَيَتِ السَّمَاءُ مِثْلَ لُفَافِهِ وَانْقَلَعَتْ كُلُّ الْجِبَالِ وَالْجُزُرِ مِنْ مَوَاضِعِهَا. وَمُلُوكُ الْأَرْضِ وَالْعُلُومَاءُ، وَالْقَادِهُ وَالْأَغْنِيَاءُ وَالْعَمَاءُ، وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرٍّ، إِخْتَبَأُوا فِي الْمَغَارَاتِ وَيَئِنَّ صُخُورِ الْجِبَالِ، وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ، "أُسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِنَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ عَضَبِ الْحَمْلِ". لَأَنَّ يَوْمَ غَصِّيَ الْعَظِيمَ قَدْ جَاءَ، وَمَنْ يَبْقَى أَمَاهُ؟^٢^٣

إذن هو اليوم حمل الفداء الوديع، الذي ينتظر بصير لكي يرجع إليه التائب ويؤمن به ويتوكل عليه. أما فيما بعد، سيكون أسدًا شديد البأس وغضبه مخيفاً مرعوباً لا يُحتمل!

١ رؤ 5:13

٢ رؤ 6:12 - 17

ثانياً

الصلب كما حدث

إلى الصليب

نحن الآن وصلنا إلى أخطر أسبوع في حياة المسيح على الأرض. هذا هو الوقت الذي من أجله ترك عرش السماء. هذا هو الهدف الذي من أجله جاء إلينا.

أعلن أنه سيموت ويقوم

أعلن المسيح في مناسبات عديدة أنه سيموت ثم يقوم. سنتحدث هنا عن مرتين من هذه.¹⁰

في بيت عنيا

وَقَبْلِ الْفُصُحِ بِسْتَةِ أَيَّامٍ، جَاءَ عِيسَى إِلَى بَيْتِ عَنِيَا، حَيْثُ كَانَ يَسْكُنُ لَعَازِرُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْمَوْتِ. فَعَمِلُوا لَهُ عَشَاءً هُنَاكَ . وَكَانَتْ مَرْثَا تَخْدِمُ، وَكَانَ لَعَازِرُ أَحَدُ الْجَالِسِينَ مَعَهُ إِلَى الْمَائِدَةِ . فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ قَارُورَةً عِطْرٍ غَالِيَ الشَّمْنِ مِنَ التَّارِدِينِ النَّقِيِّ، وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ عِيسَى، ثُمَّ مَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِهَا . فَامْتَلَأَتِ الدَّارُ مِنْ رَاحِحَةِ الْعِطْرِ . فَقَالَ أَحَدُ تَلَامِيذهِ وَهُوَ يَهُوذَا الْقَرِيبُوتِيُّ، الَّذِي خَانَهُ فِيمَا بَعْدُ: "لِمَاذَا؟ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُبَاعَ هَذَا الْعِطْرُ بِمَبْلَغٍ يُعَادِلُ مُرَتَّبَ سَيِّدِ وَيُعَطَى لِلْفُقَرَاءِ!" قَالَ هَذَا، لَا لَأَنَّهُ كَانَ يَهُمُّهُ الْفُقَرَاءُ، بَلْ لَأَنَّهُ لِصٌّ، وَكَانَ صُنْدُوقُ التَّقْوِيدِ مَعَهُ فَكَانَ يَسْرُقُ مِمَّا يُوضَعُ فِيهِ . فَقَالَ عِيسَى: "اثْرُكُهَا، إِنَّهَا حَفِظَتْ هَذَا الْعِطْرَ لِلْيَوْمِ، يَوْمٌ إِعْدَادِيٌّ لِلنَّدْفَنِ . الْفُقَرَاءُ عِنْدَكُمْ

دَائِمًا، أَمَّا أَنَا فَلَا أُبْقِي عِنْدَكُمْ دَائِمًا^أ.

رأَتْ مَرِيمَ أَنَّهُ مِنَ الْمَنَاسِبِ أَنْ تَدْهَنَ الْمَسِيحَ بِعَطْرٍ ثُمَّ يَعْدَلَ مَرْتَبَ سَنَةِ، أَمَّا يَهُوذَا الْخَائِنُ فَرَأَى أَنَّ ثَلَاثَ هَذَا الْمَبْلَغَ، أَيْ 30 عَمَلاً مِنَ الْفَضْلَةِ كَانَ يَكْفِي لِيَبْيَعَ بِهِ حَيَاةَ سَيِّدِهِ!

فِي مَتِّي وَمَرْقُسَ يَقُولُ الْوَحْيُ الْكَرِيمُ إِنْ مَرِيمَ دَهَنَتْ رَأْسَ الْمَسِيحَ بِالْعَطْرِ، وَلَكِنْ فِي يَوْحَنَّا دَهَنَتْ قَدْمِيهِ. مِنْ هَذَا نَفْهُومُ أَنَّهَا بَدَأَتْ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَيْضًا دَهَنَتْ قَدْمِيهِ. كَانَ الْمَؤْلُوفُ هُوَ أَنْ يَدْهَنُوا قَدْمِيَّ الصَّيْفِ الَّذِي جَاءَ مِنْ سَفَرٍ. لَكِنَّهَا هُنَا دَهَنَتْ رَأْسَهُ أَيْضًا. لِمَاذَا؟ حَسْبَ الْكِتَابِ، كَانُوا يَدْهَنُونَ رَأْسَ الْحَبْرِ وَالنَّبِيِّ وَالْمَلَكِ بِالْزَّيْتِ. وَعِيسَى هُوَ كُلُّ هُؤُلَاءِ الْثَّلَاثَةِ مَعًا، فَهُوَ حَبْرٌ وَنَبِيٌّ وَمَلَكٌ، بَلْ رَئِيسُ الْأَحْبَارِ، وَعَظِيمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَلَكُ الْمَلُوكِ! بَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ بِأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ وَقَفَ عِيسَى أَمَامَ قِيَافَةِ رَئِيسِ الْأَحْبَارِ، فَسَأَلَهُ قِيَافَةُ إِنْ كَانَ هُوَ الْمَسِيحُ (الْمَلَكُ) ابْنُ اللَّهِ. بَأَجَابَهُ عِيسَى: نَعَمْ. وَهُنَا كَانَ مِنْ وَاجْبِ قِيَافَةِ أَنْ يَعْلَمَ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَأَنْ يَقُومَ بِوَاجْبِهِ وَيَدْهَنَ رَأْسَ عِيسَى بِالْزَّيْتِ. وَلَكِنْ قِيَافَةُ شَقِّ ثِيَابِهِ بِسَبِّبِ رَدِّ عِيسَى وَاعْتِبَرَهُ كَافِرًا. لَقَدْ فَشَلَ رَئِيسُ الْأَحْبَارِ فِي الْقِيَامِ بِوَاجْبِهِ وَلَمْ يَدْهَنْ رَأْسَ الْمَسِيحِ.

وَلَا أَخْذُوا عِيسَى إِلَى بِيَلَاطِسِ الْحَاكِمِ، سَأَلَهُ بِيَلَاطِسُ إِنْ كَانَ هُوَ الْمَلَكُ، فَأَجَابَهُ عِيسَى أَيْضًا: نَعَمْ. وَمَرَةً أُخْرَى فَشَلَ رَئِيسُ الْأَحْبَارِ بِالْقِيَامِ بِوَاجْبِهِ وَلَمْ يَدْهَنْهُ. فَمَنْ قَامَ بِدَهْنِهِ؟ امْرَأً؟ وَمَنْ أَعْلَمَ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ عِيسَى هُوَ الْمَسِيحُ الْمَلَكُ؟ الْحَاكِمُ الرُّومَانِيُّ حِينَ قَالَ: هَذَا هُوَ مَلِكُكُمْ! وَمَنْ أَعْلَمَ أَنَّهُ هُوَ ابْنُ اللَّهِ؟ قَائِدُ الْحَرْسِ الرُّومَانِيُّ حِينَ قَالَ: حَقًا كَانَ هَذَا ابْنُ اللَّهِ. إِذْنُ امْرَأَ وَرَجُلَانِ وَثَنِيَانِ قَامُوا بِالْعَمَلِ الَّذِي كَانَ مِنْ وَاجْبِ رَئِيسِ الْأَحْبَارِ أَنْ يَقُومَ بِهِ!

^أ يو 12:8 وَكَذَلِكَ مَت 26:13-14 وَمَر 14:3-9

^ب مَت 26:63

كيف عرفت مريم أنه حان الوقت أن ينفذ المسيح كلامه الذي قاله من قبل في مناسبات عديدة؟ كيف عرفت أنه سيموت؟ كيف أحسست في نفسها بذلك؟ كيف جاءها النور الساطع بهذه المعرفة بينما التلاميذ الاثنا عشر، وهم رجال أقوباء، وقادة، ونادوا بالبشرى، وعملوا المعجزات، لم يقبلوا هذه الفكرة، بل ورفضوا مجرد الانتباه إليها! هذا مع أن المسيح نفسه أعلن لهم مرارا وتكرارا أنه سيموت ويدفن وفي اليوم الثالث يقوم حيا.

والجواب هو: بروحها الحساسة، ونفسها القريبة من قلب المسيح، وقلبه الذي فيه نور إلهي من السماء. كانت تحب أن تجلس عند قدمي المسيح وتصفي إلى أقواله، وتحصل على لمسة من نفسه الطاهرة النقية. سمعت كلامه. انتبهت إلى تعليمه. كانت نفسها تتشرب ما يقول. كانت أسرع من غيرها لقبول كلامه. فأحسست في داخل نفسها بأمور لم يحس بها غيرها. أدركت أن عيسى سيموت. أدركت في أعماقها ما قاله في أكثر من مناسبة. صدقت أنه سيموت لأنه قال إنه سيموت. فهمت ما لم يفهمه الآخرون. آمنت بما لم يؤمن به التلاميذ. شعرت بما لم يشعروا به، وتأكدت من أمور لم يعرفوها، فأعلنت ما آمنت به... دهنته بالعطر لكي تكشفه! كان عملها هذا الذي قامت به يدل على مزيج من الإيمان والحزن واللوعة. لقد أظهرت إيمانها وحزنها وولاءها بعمل كريم بالغ السخاء. ويبدو أنها فهمت أنه ربما تكون هذه آخر فرصة لها لتقوم نحوه بهذا الواجب، لتكرمه وتظهر عرفانها بالجميل نحوه.

قلنا إن عيسى هو حبر ونبي وملك. ولكن مريم دهنته لسبب أهم من كل هذه الأسباب، إنها أدركت أنه سيموت. إنها مسحته بالزيت من أجل أخطر مهمة في تاريخ البشر ألا وهي موته لفدائنا.

لقد قامت بعمل جليل كريم، وفي الوقت المناسب. ربما كان يبدو للآخرين أن الوقت غير مناسب، لأن التكفين يكون بعد الموت. لكن من مجرى الأمور ظهر أن

توقيتها كان فعلاً أنساب وأفضل من توقيت غيرها. لأنه لما جاءت 4 نساء فيما بعد ومعهن عطور التكفين كانت الفرصة قد راحت، والسيد غير موجود في القبر، لأنه قام! كان القبر فارغاً والميت قد خرج منه!

إن عملاً بسيطاً أقدمه لأخي وهو حي، أفضل من خطبة رائعة أقدمها في جنازته. وإن وردة واحدة أقدمها لأختي وهي حية، أحسن بكثير من باقات من زهور كثيرة أضعها على قبرها!

ومع أن عيسى في حدیثه كان يُدافع عن مریم وعما قامت به من عمل جليل، لكنه في نفس الوقت أعلن عن موته حين قال:

1. اليوم هو يوم إعدادي للدفن.
2. أنا لا أبقى عندكم دائماً.

في الطريق إلى القدس

في يوم الأحد السابق للصلب، اتجه المسيح وتلاميذه من بيت عانيا إلى القدس. وفي الطريق، قال لهم: ""إِنَّتُمْ هُوَا نَحْنُ فِي الظَّرِيقَةِ إِلَى الْقُدْسِ، وَسَيَتَحَقَّقُ كُلُّ مَا كَتَبَهُ الْأَنْبِيَاءُ عَنِ الَّذِي صَارَ بَشَرًا، أَنَّهُ سَيُسَلَّمُ إِلَى الْأَجَانِبِ، فَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيَكْسِبُونَ عَلَيْهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَقْتُلُونَهُ، وَلَكِنَّهُ يَقُولُ حَيَا فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ". أَمَّا التَّلَامِيدُ فَلَمْ يَفْهُمُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، بَلْ كَانَ هَذَا الْكَلَامُ غَامِضًا عَلَيْهِمْ، وَأَمْ يَعْرِفُوا مَعْنَاهُ."^أ

ويقول الوحي أيضاً إنهم في أثناء سيرهم كان: "الْتَّلَامِيدُ مُتَحَرِّرُونَ، وَالنَّاسُ الَّذِينَ تَبِعُوهُ كَانُوا خَائِفِينَ."^ب

نَحْنُ فِي الظَّرِيقَةِ إِلَى الْقُدْسِ. هنا تصميم أكيد وعزز ثابت. إنه جاء بهذه المهمة.

^أ لو 31:18

^ب مر 10:32

لهذا القصد، وهذه الساعة، كما أشار الإنجيل إلى ذلك من قبل حين قال: "لَمَّا حَانَ وَقْتُهُ لِيُرْفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، خَرَجَ مُصَمًّا أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْقُدُسِ".^{١٠}

سَيَتَحَقَّقُ كُلُّ مَا كَتَبَهُ الْأَئِبَّاءُ. هنا يؤكد صدق كلام الله. كل الكلام الذي أوحى به الله إلى الأنبياء الصالحين سوف يتحقق. لن تقع كلمة واحدة على الأرض.

سَيُسْلَمُ إِلَى الْأَجَانِبِ، فَيَهْرَأُونَ بِهِ وَيَشْتَمُونَهُ وَيَصْفُونَ عَلَيْهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَقْتُلُونَهُ. عرف عيسى هذا، ومع ذلك ذهب بإرادته إلى مدينة القدس. كان يعرف أنهم سيقبضون عليه ويصلبوه هناك.

يَقْتُلُونَهُ: كان يعرف كل التفاصيل. مَنْ مِنَ الْبَشَرِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْرِفَ موعد وتفاصيل موته؟ هل تعرف أنت متى ستموت؟ هل يمكنك أن تعرف كيف ستموت؟ وبأي وسيلة وفي أي ظروف؟ أما المسيح فعرف كل هذه التفاصيل. كيف؟ بقدرتة الإلهية ولأنه جاء لهذا القصد.

أَمَّا التَّلَامِيدُ فَلَمْ يَفْهَمُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، بَلْ كَانَ هَذَا الْكَلَامُ غَامِضًا عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَعْرِفُوا مَعْنَاهُ، إِنْ قلنا هذا الكلام لطفل صغير، فإني لا أشك أنه سيفهم معناه. أما هؤلاء الرجال، فلم يعرفوا معنى هذا الكلام. أعتقد لأنهم لم يريدوا أن يفهموه. لم يريدوا أن يصدقوا أن سيدهم سيموت. عيسى نبي طيب صالح، فكيف يموت من أجل ذنوب لم يرتكبها؟ هل أنت مثل هؤلاء التلاميذ؟ هل مهما تحدثت معك تظل لا تفهم معنى الصليب؟ هل تظل ترفض حقيقة الصليب؟ للأسف هناك كثيرون لا يفهمون حقيقة الصليب لأنهم لا يريدون أن يفهموا. لذلك أدعوك أن تفتح قلبك يا أخي. كفاك عنادا! كفاك قساوة قلب وعقلية مغلقة لا تقبل إلا ما ورثته من الآخرين.

افتح قلبك. افتح ذهنك. فيملاً حياتك النور والدفء والحب والسلام والفرح. كان "الْتَّلَامِيدُ مُتَحَبِّرِينَ، وَالثَّائِسُ... خَائِفِينَ". بما أنه أعلن لهم أنه سيموت في

القدس، فلماذا هو ذاهب إليها؟ هذا أمر محير ومخيف! وإن كان حقاً سُيُصلب، فهذا شيءٌ خطير. وباعتبار من هو الذي سُيُصلب، عيسى ابن الله العزيز، فهذا حقاً أمر محير ومزعج ومخيف!

دخول القدس

وَلَمَّا افْتَرَبَ مِنْ بَيْتَ فَجَّ وَبَيْتَ عَنْيَا عِنْدَ الْجَبَلِ الْمَعْرُوفِ بِاسْمِ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ، وَقَالَ لَهُمَا: "إِذْهَا إِلَى الْقُرْيَةِ الَّتِي أَمَّا مَكُمَا، وَعِنْدَمَا تَدْخُلَا نَحْنَا، تَحْدَانِ جَحْشًا مَرْبُوْطًا لَمْ يَرْكِبْهُ أَحَدٌ أَبْدًا، حَلَاهُ وَأَحْضِرَاهُ إِلَى هُنَا. فَإِنْ سَأَلُكُمَا أَحَدُ: لِمَاذَا تَحْلَانِيهِ؟ فَقُولَا لَهُ: السَّيِّدُ مُحْتَاجٌ لَهُ". فَذَهَبَ الْمُرْسَلَانِ وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا تَمَاماً. وَبَيْنَمَا هُمَا يَحْلَانِ الْجَحْشَ، قَالَ لَهُمَا أَصْحَابُهُ: "لِمَاذَا تَحْلَانِ الْجَحْشَ؟" فَقَالَا: "السَّيِّدُ مُحْتَاجٌ لَهُ". فَأَحْضَرَاهُ إِلَى عِيسَى، وَطَرَحَا ثِيَابَهُمَا عَلَيْهِ، وَأَرْكَبَا عِيسَى عَلَيْهِ.

وَفَرَّشَ جُمُهُورٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَآخَرُونَ قَطَّعُوا أَعْصَانًا مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ. وَكَانَ النَّاسُ الَّذِينَ أَمَّا مَهُ وَالَّذِينَ وَرَاءَهُ يَهْتَفُونَ: "الْجَلَلُ لَابْنِ دَاؤِدِ! تَبَارِكَ الْأَيْتِي بِاسْمِ اللَّهِ. الْجَلَلُ فِي الْأَعْالَى!" وَلَمَّا دَخَلَ الْقُدْسَ، هَاجَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا وَقَالَتْ: "مَنْ هَذَا؟" فَأَجَابَتِ الْجَمَاهِيرُ: "هَذَا هُوَ التَّيِّي عِيسَى الدِّي مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ بِالْجَلِيلِ."^{بـ}

الجحش. من كان صاحب الجحش؟ لا نعلم. ولا نعرف اسمه. ولماذا سمح للتلמידين بأن يأخذاه مجرد قولهما: "السيد محتاج له"؟ لا نعلم. يبدو أن ذلك الرجل كان يعرف عيسى. وربما كان هذا باتفاق بين المسيح وصاحب الجحش. ربما كان من أتباع عيسى وكان يعتبر أن كل ما يملكه هو في الحقيقة في خدمة المسيح. عيسى هو

صاحب الكل بما في ذلك صاحب الجحش نفسه. وب مجرد أن قال التلميذان: "السيد محتاج له"، انتهى الأمر. لا تردد، ولا أسئلة أخرى مثل: "من سيرجعه؟" أو: "هل سترجعانه إلى هنا؟" أو: "أي رهن ترkan لي لأضمن أن الجحش سيرجع إلي؟" لا شيء من هذا.

هذا ليس أمراً تافهاً أو بلا قيمة. كان المسيح يحتاج إلى الجحش في ذلك الوقت بالذات. والرجل قدم ما عنده لخدمة المسيح. وأنت يا ترى ماذا أعطيت لخدمة المسيح سيدك وفاديك وربك؟ أم أنك تبدد الهدايا والمواهب التي أعطاها لك؟ ما هو الجحش الذي عندك والذي يجب أن تقدمه لخدمة المسيح؟ لقد أعطاك الله الكثير، فهل تستخدم ما أعطاه الله لك في خدمته؟ وما هو موقفك ومشاعرك وأفكارك بشأن خدمته؟

لقد استعار المسيح أشياء كثيرة من الناس. أكثر من مرة استعار قارباً، وهنا استعار حماراً، ولما مات دفنه في قبر يملكه واحد آخر. حتى الصليب الذي مات عليه، لم يكن له هو أصلاً، بل كان صليبي أنا وصليبيك أنت. وتابع الشوك الذي غرسوه في جبينه، كان حقاً أجرتي أنا وأجرتك أنت لشرنا وفسادنا. ولكنه لبسه عنا وبدلنا. ثم لاحظ القيمة الشمينة التي وصل إليها هذا الجحش. لقد كان أداة مهمة لحمل المسيح في سفره إلى القدس ليقوم بأخطر مأمورية: فداء البشر. وبذلك أيضاً أصبح جزءاً مهماً في تحقيق النبوة التي جاءت قبل ذلك بمئات السنين! لقد أوحى الله تعالى للنبي زكريا بقوله: "إِنْرُحُوا جِدًا يَا أَهْلَ الْقُدْسِ، إِهْتِفُوا يَا شَعْبَ الْقُدْسِ! هَذَا مَلِكُكُمْ يَأْتِي إِلَيْكُمْ صَالِحًا وَمَنْصُورًا، وَدِيعًا وَرَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ وَجَحْشٍ ابْنَ دَابَّةٍ."¹ الآن تحققت هذه النبوة. لقد جاء ملك العالمين الغني القدير متواضعًا يركب، لا في

مركبة مذهبة تجدها أحسن الحجات، ولا حتى على حصان، بل على حمار. يا له من تواضع وتنازل! يا لها من وداعه!

لما اقترب من المدينة التفت حوله الناس وساروا في موكب غفير. ثُرِي ماذا كان يجهول بخاطره؟ هل يمكنك أن تتخيّل أو تتصرّف ما كان في قلب هذا الفادي المحب من مشاعر وعواطف وهو في طريقه إلى الصليب ليموت عن البشر؟

فرش كثير من الناس ثيابهم في الطريق، وآخرون فرشوا أغصان شجر، وذلك للترحيب به وإكرامه. وأخذوا يلوحون بأغصان الزيتون وسعف النخيل في أيديهم، والهتاف يتتصاعد من أفواههم وحناجرهم: "الجلال لابن ذاود! تبارَكَ الآتي بِاسْمِ اللَّهِ. الجلال في الأعلى!" وهنا لأول مرة يقبل عيسى أن يحتفي به أتباعه والمعجبون به بهذه الطريقة. في الماضي كان يرفض. ولكن خدمته الآن وصلت إلى نهايتها، والصلب اقترب ولاح، ولذلك فهو على استعداد لأن يعلن أنه الملك الآتي باسم المولى القدير، ويسمح لهم بأن يعلنو ذلك جهاراً، وأيضاً يقبل هذا التكريم منهم!

لاحظ معي أن أتباع عيسى لم يفرضوا على هؤلاء الناس أن يحضرروا جماعات تملأ السيارات والحافلات والشاحنات كما يفعل بعض القادة اليوم، لكي يهتف الناس لهم. لا! بل جاء هؤلاء طوعاً بإرادتهم الحرة. سمعوا أنه قادم إلى القدس فقرروا أن يستقبلوه بحفاوة ويرحبوا به بإكرام.

لكن كل هذه الشعبية التي كان يتمتع بها، والمعجزات التي كان يعملها، والتعاليم التي كان يلقاها، جعلت فئة معينة من أهل بلاده يضمرون له العداء والكراهية. نعم، إن شعبيته الجارفة، وقوتها التي كانت بلا سيف ولا حرب، جعلت رؤساء الدين يكرهون عيسى كراهيّة مطلقة، فأخذوا يدبّرون طريقة ليقضوا بها عليه ويخلصوا منه. ومع أنه كان يعرف أنهم يدبّرون ذلك ضده، جاء إلى القدس لا سراً تحت ستار الليل، بل علنا وفي وضح النهار!

هنا تغيرت علاقة عيسى بمدينة القدس. في الماضي كان يأتي إليها كعايد، ولكن هذه المرة يدخلها باعتبار أنه هو مركز العبادة وهدفها! سابقاً كان يأتي إليها كواحد من الرعية، أما هذه المرة فهو يدخل كملك، بل وكملك منتصر. الملك الآن يدخل إلى عاصمه. هذا هو الوارث الشرعي لعرش داود، وهناك سيضعونه على عرشه! فماذا كان عرشه؟ الصليب!

أعلن الأنبياء أن المولى سيعود إلى القدس^أ. كان قد تركها لفسادها وبعدها عن عبادة القدير ومحافته^ب. ولذلك حلت بها اللعنة وملأها العار. والآن جاء المسيح لا ليعلن ما أعلنه الأنبياء من لعنة، بل ليتم النبوة عن رجوع القدير إلى مدينته. الآن المولى يأتي إلى القدس، ليديها، ليظهرها، لا كمدينة ومبانٍ، بل كشعب ونفوس خالدة. وعد الله بواسطة عبيده الأنبياء، والآن ينفذ وعده بواسطة عيسى ابنه.

لما اقتربوا من القدس ورآها، بكى حسرة عليهات لأنها لم تعلم ولم تفهم أن الله نفسه جاءها في عيسى لمعونتها وعزائتها. لقد رضوه. ونتيجة لهذا الرفض، سيلقي أهلها الخراب والعذاب والهلاك. ترى ماذا ظن الجمهور حين رأوه يبكي؟ إن شر أهلها أحزنه حزناً شديداً، وأنه يعلم بالعقاب الذي سيحل بهم على هذا الشر، تأثر قلبه الرقيق فبكى¹¹.

يطرد التجار من بيت الله

ثُمَّ وَصَلُوا إِلَى الْقُدْسِ، وَذَهَبَ عِيسَى إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، وَأَخَذَ يَطْرُدُ الَّذِينَ يَبِيعُونَ وَيَشْرُونَ هُنَاكَ. وَقَلَبَ مَنَازِدَ الصَّيَارِيفَ وَمَقَاعِدَ تُجَارِ الْحَمَامِ، وَلَمْ يَسْمَحْ لِأَحَدٍ بِإِنْ يَمْرُّ فِي سَاحَةِ الْبَيْتِ وَهُوَ يَحْمِلُ مَتَاعًا. وَعَلَّمَهُمْ وَقَالَ: "يَقُولُ كِتَابُ اللَّهِ: بَيْتِي يُدْعَى

^أ إش 20:52، 8:59

^ب إش 13:59

^ت لو 44-41:19

بَيْتُ الصَّلَاةِ لِكُلِّ الشُّعُوبِ، لَكِنْ أَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةً لُصُوصٍ.^أ

يتحدث الوحي بالنبوة في كتب الأولين عن دخول المسيح إلى القدس يوم الأحد الذي سبق صلبه، ويقول للناس: "إِبْدَأُوا الْمَوْكِبَ وَالْأَغْصَانُ فِي أَيْدِيكُمْ، حَتَّى تَصْلُوا إِلَى مَنَصَّةِ الْقُرْبَانِ."^ب فـ"فـأـيـنـ هـيـ منـصـةـ القـربـانـ الـقـيـ اـنـتـهـيـ عـنـدـهاـ موـكـبـ مـسـيـحـ؟ـ الصـلـيبـ!¹²"ـ صحيحـ،ـ فيـ يـوـمـ الأـحـدـ وـصـلـ موـكـبـ إـلـىـ بـيـتـ اللهـ،ـ وـلـكـنـ كـانـتـ هـذـهـ "ـمـحـطةـ"ـ قـصـيرـةـ لـأـنـ موـكـبـ أـكـمـلـ مـسـيـرـتـهـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ حـتـىـ اـنـتـهـيـ عـنـدـ الصـلـيبـ.ـ الصـلـيبـ هوـ منـصـةـ القـربـانـ،ـ وـابـنـ اللهـ الطـاهـرـ كانـ الضـحـيـةـ الـقـيـ قـدـمـتـ عـلـىـ تـلـكـ الـمنـصـةـ!

هـنـاـ يـجـبـ أـنـ نـفـهـمـ أـمـرـيـنـ:

أولاً، قـامـ عـيسـىـ بـطـردـ التـجـارـ مـنـ بـيـتـ اللهـ مـرـتـيـنـ،ـ المـرـةـ الـأـوـلـىـ فـيـ بـدـءـ خـدـمـتـهـ^ت.ـ وهـذـهـ هـيـ المـرـةـ الثـانـيـةـ وـذـلـكـ قـبـلـ موـتـهـ بـأـيـامـ قـلـيلـةـ.

ثـانـيـاـ،ـ عـمـلـ عـيسـىـ هـذـاـ فـيـ مـكـانـ معـيـنـ فـيـ بـيـتـ اللهـ اـسـمـهـ "ـدـارـ الـأـمـمـ"ـ أـوـ "ـدـارـ الشـعـوبـ".ـ كـانـ هـذـهـ الدـارـ مـخـصـصـةـ لـأـيـ شـخـصـ مـنـ غـيرـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ،ـ لـكـيـ يـعـبدـ اللهـ فـيـهـاـ.ـ كـانـ مـكـانـاـ كـبـيرـاـ مـتـسـعـاـ.ـ وـكـانـ لـهـ نـظـامـ معـيـنـ وـقـوـاعـدـ لـدـخـولـهـاـ وـاستـعـماـلـهـاـ،ـ فـمـثـلاـ أـيـ وـاحـدـ بـأـقـدـامـ قـدـرـةـ مـتـرـبةـ كـانـ يـمـنـعـ مـنـ دـخـولـهـاـ.ـ وـكـذـلـكـ مـنـعـ استـعـماـلـهـاـ كـطـرـيقـ عـموـيـ لـلـمـرـرـ،ـ أـوـ كـمـكـانـ يـرـقـدـ فـيـ الـمـرـضـ.ـ كـانـ الـمـقصـودـ مـنـهـاـ أـنـ تـكـونـ جـزـءـاـ مـنـ بـيـتـ اللهـ خـاصـاـ بـالـأـمـمـ غـيرـ الـيـهـودـ.ـ لـكـنـ اـعـتـادـ الـيـهـودـ مـنـ تـجـارـ وـصـيـارـفـ وـغـيـرـهـمـ أـنـ يـحـتـلـوـ ذـلـكـ المـكـانـ قـبـلـ عـيـدـ الـفـصـحـ بـثـلـاثـةـ أـسـبـيعـ،ـ لـلـتـجـارـ وـالـمـعـاـمـلـاتـ الـمـالـيـةـ،ـ وـذـلـكـ تـحـتـ حـمـاـيـةـ رـؤـسـاءـ الـأـحـبـارـ،ـ حـيـثـ كـانـ يـعـودـ ذـلـكـ عـلـيـهـمـ بـدـخـلـ كـبـيرـ.ـ فـكـانـوـ هـنـاكـ بـيـعـونـ الـبـقـرـ وـالـغـنـمـ وـالـحـمـامـ،ـ وـيـصـرـفـونـ الـعـمـلـاتـ وـكـأنـهـ سـوقـ!

^أ مر 11:15

^ب مز 118:27

^ت يو 14:16

أي كانت دار الأمم هي المكان الوحيد في بيت الله الذي يُسمح لغير اليهود أن يدخلوه، ليعبدوا الله فيه، ولكن حتى هذا المكان احتله التجار. لم يقبل عيسى هذا الوضع فطرد التجار من بيت الله مع غنهم وبقرهم، وبعثر نقود الصيارف وقلب مناضدهم. وبذلك أعاد دار الأمم لتكون مكاناً للعبادة بأن طرد منها اليهود الذين حولوها إلى سوق!

كان بيت الله هو عاصمة ملك العالمين، مكان عبادته. لذلك لما جاء عيسى إلى القدس، لم يتجه الموكب الملكي إلى قصر هيرودس، أو إلى الدار الإمبراطورية التي كان يحتلها بيلاتس الحاكم، بل سار حتى وصل إلى بيت الله. لقد جاء المولى إلى بيته. وأول شيء عمله هو أنه نظف ذلك البيت ونقاه من اغتصاب اليهود وغشاوتهم وظلمهم للأمم. كانت جريمتهم هي أنهم لم يعملوا حساب الآخرين، فاحتلوا المكان الذي كان غير اليهود يعبدون الله فيه. اليهود جعلوا بيت الله مغارة لصوص.

بعدما طرد عيسى الناس الذين حرموا غيرهم من العبادة في بيت الله، علم الناس وقال لهم: "يَقُولُ كِتَابُ اللَّهِ: أَبْيَقِيْ يُدْعَى بَيْتُ الصَّلَاةِ لِكُلِّ الشُّعُوبِ، لَكِنْ أَنْتُمْ جَعَلْتُمُهُ مَغَارَةً لِصُوصِينَ".

لكل الشعوب! إذن ما عمله عيسى هنا، لم يكن في الحقيقة تحسيناً للعبادة الروحية في بيت الله، ولا تغييراً في نظام تقديم القرابين والضحايا، بل كان الهدف منه هو إرجاع المكان الذي كان مخصصاً لغير اليهود ليتحقق القصد منه، أي ليأتي إليه الذين ينتمون للشعوب الأخرى ويعبدوا الله فيه.

بعد هذه الحادثة بستين قليلة، وفي إجتماع عُقد في القدس بشأن إيمان هذه الشعوب بال المسيح، اقتبس يعقوب من كتاب النبي عاموس كلام الله الذي قال: "سَأَرْجِعُ وَأَبْيِنِ خَيْمَةً دَاؤِدَ الْمُنْهَدَمَةَ، أَبْيِنِ أَنْقَاصَهَا وَأَقِيمُهَا. فَيَطْلُبُ بَاقِي الْبَشَرِ الْمُؤْلَى، وَأَيْضًا

كُلُّ الشُّعُوبِ الَّتِي تَتَنَمَّى لِي.^أ فالفكرة هنا هي أن الله قصد أن يأتي إليه آخرون من غيربني إسرائيل ليؤمنوا به ويتمتعوا بنعمته وفادائه وحبه.

لقد تراخي بنو إسرائيل في تحقيق هدف الله من وجودهم، وهذا يدعو للحزن عليهم والأسى لأنهم لم ينفذوا مشيئة الله في اختيارهم ودعوتهم. لقد نسوا أن الله دعاهم ليكونوا نورا للأمم، ليكونوا حبرا للشعوب. لقد أهملوا مسئوليتهم وفشلوا فشلا ذريعا في توصيل معرفة الله لمن لم يعرفوه. لا شك، كان هذا سببا هاما لتفاعل المسيح بحجة وقسوة تجاه المتدينين الغارقين في تحسين مظهرهم الخارجي بينما قلوبهم عديمة الرحمة نحو الآخرين الذين في طريق الهالاك بلا معرفة الله.

ثم إن ما عمله المسيح كان يعتمد على سلطانه باعتبار أنه الله جاء كبشر. لأنه بأي حق يطرد الباعة والتجار؟ باعتبار أنه صاحب البيت. وهذا أيضا يبين أن عهد الله لكل البشر يفوق كل الحواجز البشرية والجنسية بين مختلف الناس، ويعيسى بعمله هذا يؤكّد للجميع أن الكل في نظره سواء.

والآن، وقد أرجع عيسى للشعوب مكانهم لعبادة الله، حان الوقت أن يحطّم الحائط الذي يفصل بين اليهود وغير اليهود. فالإيمان بال المسيح يعني الحياة الجديدة، والوحدة والرابطة والشركة والسلام.^ب كان اليهود الذين التفوا حول المسيح ليستمعوا إليه يتوقعون أن ينادي بأن إسرائيل ستنتصر على أمم العالم، ولكن المسيح لم يُقلُّ هذا الكلام أبدا! بل نادى بمجيء مملكة الله في حياة الناس وإلى كل الشعوب. وفي نفس الوقت حاول أن يُفهّم بنى إسرائيل أن الله لا يتحيز مع شعب ضد شعب فشهد سيدنا المسيح شهادة عظيمة لرجل روماني آمن به حين قال: "أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ، لَمْ أَجِدْ وَاحِدًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَهُ مِثْلُ هَذَا الإِيمَانِ". أُوَكِدُ لَكُمْ أَنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ

^أ أع 15:16-17؛ عا 9:11

^ب أف 2:14

الشَّرْقِ وَالْغَربِ، وَيَجْلِسُونَ إِلَى الْمَائِدَةِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَمْلَكَةِ اللَّهِ.
أَمَّا مَنْ لَهُمُ الْمُمْلَكَةُ فَيُطْرَحُونَ خَارِجًا فِي الظَّلَامِ، هُنَاكَ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ.^{١٠}
كما شهد عيسى لامرأة ليست من بني إسرائيل بأن إيمانها عظيم. ^ب ثم اهتم بأمرأة سامرية تعيسة ليقدم لها رسالة الأمل والحياة. ^ت كما أنه ذات مرة شفى 10 رجال من البرص، تسعه منهم كانوا يهودا والعasher سامياء. فرجع السامي ليشكر عيسى لأنه شفاه. وهنا مدح عيسى هذا الأجنبي وتعجب من أن التسعة اليهود لم يكن لديهم ما عند هذا الغريب من عرفان بالجميل. ^ث

إن المسيح ليس لشعب دون آخر، ولا لأمة دون أخرى. بل عن طريق فدائه،
الذين كانوا بعيدين أصبحوا قريبين، وأيضاً "بِوَاسِطةِ الْمَسِيحِ نَحْنُ جَمِيعًا نَسْتَطِيعُ أَنْ
نَتَقَرَّبَ إِلَى الَّذِي يُرُوحُ وَاحِدِي". ^ج

لذلك لا غرابة في رد المسيح على اندراؤس وفيليب عندما جاء بعض الأجانب
وعبروا عن شوقهم ورغبتهم أن يروا عيسى ويتحدثوا إليه. قال المسيح في رده إن
طلبهم دليل واضح على أن إرساليته في الأرض قد بلغت هدفه سامياء، لأن حق الغرباء
قد جاءوا يطلبونه! ولذلك فقد حان الوقت ليجذبهم إلى الله بعملية الفداء على
الصلب: "جَاءَتِ السَّاعَةُ الَّتِي فِيهَا يَتَمَجَّدُ الَّذِي صَارَ بَشَرًا... إِنْ كَانَتْ حَجَةُ الْقُمُحِ لَا
تَقْعُ فِي الْأَرْضِ وَتَنْتُوْتُ، فَإِنَّهَا تَبْقَى حَبَّةً وَاحِدَةً، أَمَّا إِنْ مَاتَتْ فَإِنَّهَا تُنْتَيْجُ حَبَّاً كَثِيرًا". ^{ح ١٣}
هذا إذن هو السبب أن عيسى طرد التجار من بيت الله، ليكون بيت الصلاة

لكل الشعوب!

أ مت 12:8

ب مت 15:28

ت يو 4

ث لو 17:11-19

ج أف 2:13، 18

ح يو 12:24-23

تحذير خطير

في يوم الاثنين بعد دخوله الانتصاري إلى القدس، خرج عيسى من بيت عنينا.

وفي الطريق أحس بالجوع.

فرأى من بعيد شجرة تين علىها ورقة، فذهب إليها لعله يجد فيها بعض التين، فلما وصل إليها لم يجد فيها إلا الورقة، لأنَّه لم يكن موسم التين. فقال لها: "لن يأكل أحد ثمرة مثلك أبداً". وسمع تلاميذه هذا الكلام.

الليس من الغريب أن عيسى ذهب إلى الشجرة ليجد فيها بعض الشمر، مع أنه لم يكن موسم التين؟ لماذا ذهب؟ ما القصد من القصة؟ نحن نعرف وداعه المسيح وهدوءه وتواضعه، فهو ليس الشخص المتغطرس الذي يصر على ما يوفر راحته. لا！ فلماذا إذن يتوقع التين في غير موسمه؟ يبدو أنه بهذا التوبیخ كان يتحدث إلى واحد من تلاميذه على وشك الوقوع في هوة سخيفة خطيرة وينحدر إلى الهلاك الأبدى! نعم، يبدو أن عيسى في حديثه إلى شجرة التين كان حقاً يتحدث إلى يهودا. إن عيسى أعطى يهودا عدة فرص لكي يتوب ويشرم ثمار التوبة، ولكن يهودا ضيع فرصة بعد فرصة. بـ اختار يهودا لنفسه الهلاك،^ت وأنهى حياته بالانتحار!

احتفل بالفصح

ولما حانَتِ السَّاعَةُ، جَلَسَ عِيسَى وَرَسُولُهُ إِلَى الْمَائِدَةِ. وَقَالَ لَهُمْ: "إِشْتَقْتُ مِنْ قَلْبِي أَنْ آكُلَ هَذَا الْفِضْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأْلَمَ". لَأَنِّي أُؤْكِدُ لَكُمْ أَنِّي لَنْ آكُلَ مِنْهُ مَرَّةً أُخْرَى، حَتَّى يَتَحَقَّقَ مَعْنَاهُ الْمَقْصُودُ فِي مَمْلَكَةِ اللَّهِ...". وَأَخَذَ... خُبْرًا وَشَكَرَ اللَّهَ وَقَسَّمَ

^أ مر 11:13-14 وأيضاً مت 21:18-20

^ب مت 21:20-24، مر 11:13-14، 14:21، 22:22

^ت يو 17:12

وَأَعْظَاهُمْ، وَقَالَ: "هَذَا هُوَ جِسْمِي الَّذِي يُعْطِي مِنْ أَجْلِكُمْ. إِعْمَلُوا هَذَا تَدْكَارًا لِي". وَبِئْقَسِينَ الْطَّرِيقَةَ، أَخْذَ الْكَأْسَ بَعْدَ العَشَاءِ وَقَالَ: "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ، يَعْمَلُهُ اللَّهُ مَعَكُمْ بِدِي الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِكُمْ".^{١٠}

في الليلة السابقة للصلب، تناول المسيح مع أصحابه عشاء عيد الفصح . كان ذلك يتكون من حمل الفصح المشوي مع فطير وشراب. وبعد ذلك قدم لهم خبزا وقال: "هَذَا هُوَ جِسْمِي". ثم قدم لهم كأس شراب وقال: "هَذَا هُوَ دَيْ". كان الوقت قد حان ليموت الفادي الكريم نيابة عن البشر. لذلك قصد أن يؤسس فريضة مباركة للاحتفال بموته، هي فريضة عشاء السيد المسيح. إذن أكلوا عشاء الفصح أولاً، ثم بعد ذلك عشاء السيد المسيح. نتأمل الآن في هذين العشاءين.

جمع عيسى أتباعه الأقربين ليتناولوا عشاء الفصح معاً لآخر مرة. هذا العيد هو للاحتفال بذكرى خروجبني إسرائيل من مصر، ونجاتهم من سيطرة فرعون، وتحريرهم من الذل والعبودية. هنا يتذكرون أن الله هو فادي شعبه، وهو الغالب المنتصر على فرعون وجيوشه، فهو الملك الحق والسيد الوحيد. وفي نفس الوقت كان الفصح رمزاً لحقيقة أشمل وأكمل. كان رمزاً لفداء الله للناس من الخطيئة، وليس من مصر؛ من عبودية الشيطان لا من عبودية فرعون؛ لفداء كل الناس من كل أمة وشعب، من كل دين وطائفة! إذن كان الفصح يرمز إلى الصليب.

تمَّ احتفال تلك الليلة لأن الساعة حانت ليموت الفادي المبارك على الصليب. الظلال القاتمة تسود الجو. جاءت اللحظة التي فيها هذا الطاهر القدس يحمل ذنوب البشر. أي الذي بلا ذنب، يُعتبرُ مذنبًا. حان الوقت الذي فيه، وبسبب حمل ذنوبنا، ينفصل عن الأب. لا شك أنه كان وقتاً مخيفاً رهيباً! كانت ساعات مشحونة بالمشاعر والتوقعات التي تقبض النفس! كانوا يختلفون بالعيد، عيد الفصح، وهذا

ما يدعو للسرور والفرح والبهجة. ولكن في داخل نفسه كان قلبه يعتصر بالألم. قال أحد الكتاب: "من الواضح أنهم يُعيّدون معاً وهو سيعانى الحزن في البستان وحده. هم يأكلون ويشربون كأس الفرح معاً، وهو بعد ساعات قليلة سيشرب وحده كأس العقاب والموت من أجلهم. هم الآن في فرح معاً، وهو بعد فترة وجيزة سيكون في ألم وحده. لا أحد يقدر أن يحمل ذنبهم غيره. لا أحد يقدر أن يكفر عن معصيتهم غيره. وليس عن ذنبهم ومعاصيهم هم فقط بل عن كل الناس، عن كل العالم. هم يُعيّدون وهو في الداخل يتآلم. هم يفرحون وهو في الداخل يحزن. هم سيحيون لأنهم سيموتون من أجلهم!"¹⁴ ومن الواضح أيضاً أنهم في ذلك الوقت لم يعرفوا ولم يفهموا كل هذا. يا له من أمر غريب يثير الدهشة والعجب! إنها محبة بلا حدود، إنها رحمة لا توصف!

تخيل معي جماعة تحفل بعيد. لا شك أنهم يستحمون ويتنفسون ويتعطرون ويلبسون أجمل ما عندهم من ملابس. ولكن تأمل في هذه الجماعة الجالسة حول المسيح. ربما كانوا فعلاً قد استعدوا للعيد بأن ذهبو إلى الحمام العام ولبسوا ملابس جديدة أو نظيفة. لكن دقة النظر معي في داخل قلوب هذه الجماعة. يبدو أن كل واحد منهم فيه عيب ما وكأنه بناء متهدّم! يبدو أنهم كلهم مرضى بهم إصابات وتشوّيه. كلهم سيتخلون عن سيدهم ويهرّبون ويتركونه وحيداً حين يُتحقق به الخطر! بطرس يمكن وصفه بأنه متسرع. ثم إنه في أخطر اللحظات، بعد ساعات قليلة من هذا الاحتفال الجميل، سينكر أية علاقة بينه وبين المسيح. يعقوب ويونا، قبل ذلك بفترة، يرغبان في إزالة قرية من الوجود لأنها لم تقبل السيد. سمعان الغيور ومتى جابي الضرائب يختلفان الواحد عن الآخر تماماً في البيئة والتفكير، يهذا خلال ساعة أو ساعتين سيخون المسيح. وبعد قيامة المسيح من الموت، توماً يشك أنه قام حقاً ولا يصدق كلام زملائه! هذه هي نوعية الجماعة. الوحيد الذي بلا عيب هو عيسى!

هل كنت تظن أن جماعة المؤمنين بال المسيح اليوم ستكون أفضل حالاً من تلك الجماعة التي التفت حول المسيح في تلك الليلة؟ إن ذلك الوصف ليس فقط لأولئك التلاميذ في ذلك الوقت، بل هو وصف لحالتي أنا وحالتك أنت اليوم! نحن أيضاً فينا عيوب وشوائب. فينا تجاعيد في الوجه ولدينا مشاكل. نحن أيضاً غير كاملين، لأن الله ما زال في مرحلة إعدادنا. لم ينته من العملية بعد! وهذا هو العجيب في الأمر أن المسيح الطاهر القدس يرضى أن يتعامل معنا، أن يجذبنا إليه، ويعتبرنا أصحابه، ويعلمنا ويدربنا ويقومنا ويقوينا ويطلق اسمه علينا! وهذا يشجعني ويعطيني الأمل والرجاء، لأنني أنا مسكون، قليل في إمكانياتي وقدراتي، محدود في معرفتي، وعيسي اختار جماعته من ناس عاديين مثلـي، وليس من كبار القوم وعظماء القادة والرؤساء! هذه هي الجماعة التي اختارها عيسى لتنوب عنه في غيابه وتنشر رسالته وترعى أمته. جماعة، حتى ذلك الوقت، بلا اسم ولا تاريخ في سجلات الإمبراطورية. جماعة بلا سيف ولا رمح، بلا حسان ولا مركبة ملوكية. بلا خبرة في أمور السياسة والحكومة. بلا مهارة في معاملاتهم مع السلطة، بلا ملك، بلا أراضٍ شاسعة ومتلكات!

يقول النبي على لسان الرسول بولس: تَذَكَّرُوا يَا إِخْوَتِي كَيْفَ كُنْتُمْ لَمَّا دَعَكُمُ اللَّهُ فَلَمْ يَكُنْ يَنْتَكُمْ كَثِيرُونَ حُكَمَاءٌ حَسَبَ حِكْمَةَ الْبَشَرِ، وَلَا كَثِيرُونَ عُظَمَاءٌ أَوْ مِنْ أَصْلِ شَرِيفٍ. بَلِ اخْتَارَ اللَّهُ الَّذِينَ يَعْتَبِرُهُمُ الْعَالَمُ جُهَلَةً لِيُخْجِلَ الْحُكَمَاءَ، وَالَّذِينَ يَعْتَبِرُهُمُ الْعَالَمُ ضُعَافَاءً لِيُخْجِلَ الْأَقْوَيَاءَ. وَاخْتَارَ اللَّهُ الْوَضِيعِينَ وَالْمُحتَقِرِينَ وَمَنْ هُمْ لَا شَيْءٌ فِي نَظَرِ الْعَالَمِ، لِيَبْيَدَ مَنْ يَعْتَبِرُهُمُ الْعَالَمُ أَنَّهُمْ شَيْءٌ، لِيَكُنْ لَا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ أَمَامَ اللَّهِ.

ومع ذلك وهذه هي أمة المسيح، عروسه حمل الفداء، وحين تتم عملية إعدادنا للعرش، يقدمـنا المسيح ربـنا وسـيدـنا وفادـينا وملـكـنا لنفسـه "أَمَّةً رَائِعَةً الْجَمَالِ، وَلَيْسَ

فِيهَا عَيْوَبٌ أَوْ تَجَاعِيدُ أَوْ أَيُّ نَقْصٍ، بَلْ صَالِحَةٌ وَبِلَا خَطَاً^أ هذا بقعة مفعول الصليب الذي يظهر حياتنا، ويقدس قلوبنا، ويسمو بآمالنا، ويصلحنا ويُحْمِلنا.

ومن ناحية أخرى، ربما تظن أنك بلا قيمة كبيرة لأنك تفتقر للمواهب العظيمة والإمكانيات التي يتميز بها غيرك. لكن هذا خطأ فالكتاب يقول: "اللَّهُ لَا يَنْهَا إِلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَنْهَا إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ، لَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْهَا إِلَى الْمَظْهَرِ، أَمَّا اللَّهُ فَيَنْهَا إِلَى الْقَلْبِ".^ب أنت لك أهمية كبيرة في نظر المسيح. أنت غالى الشمن عنده. أنت عزيز عليه. وللأسف كثيرون أصابوا قدرًا كبيرًا من النجاح لكنهم في قعر البؤس واليأس.

فمن يعتبره العالم عظيما قد يكون حقيرا في نظر الله. ومن تصفق له الجماهير، قد يشعر في داخل نفسه بالضياع! ومن هو ذائع الصيت ولو اسم وشهرة وثروة، قد يكون فاقد السعادة! فالشهرة لا تعني الراحة، والمركز لا يعني الحكمة، والغنى لا يعني كرامة النفس، والمالي لا يعني السلام والأمان والسعادة. أما هذه الجماعة التي التفت حول المسيح تلك الليلة، الجماعة التي فيها عيوب ونقص، هي التي بقعة الروح القدس ملأت البلاد برسالة الإنجيل وأشاعت الأمل والراحة والسلام والسعادة الحقيقية في قلوب عشرات الآلاف، فانتشر الإنجيل وانهارت الإمبراطورية الرومانية بغير سلاح! وهي الجماعة التي تسير اليوم إلى الأمم بنشاط وهمة ونجاح وتقدم طول هذه الـ20 قرنا من تاريخها.

"إِشْتَأْتُ مِنْ قَلْبِي أَنْ آكُلَ هَذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ."

أراد أن يُعيَّدَ هذا العيد معهم. أراد أن يحتفل به وهم معه. لماذا؟

1. ليعلن لهم أن الوقت حان لتقى الحقيقة التي كان يرمز إليها الفصح.
2. ليقضي آخر ليلة له قبل الفداء مع أقرب أتباعه.

3. ليوصيهم أن يمارسوا فريضة عشاء المسيح تذكاراً لموته وقيامته.

إذن معنى هذا العشاء هو الصليب.

كانت العادة هي أن رب العائلة يجلس على رأس المائدة وحوله أفراد عائلته، فيقودهم في الصلاة والبركة. ونحن نعلم أن أم عيسى وإخوته كانوا موجودين في القدس في ذلك الوقت. فأين كانوا وقت هذا الاحتفال؟ أين كانت زوجة بطرس؟ أين عائلاتهم كلهم؟ هل احتفلوا بالفصح في مكان آخر؟ يبدو أن مولانا عيسى قرر أن يحتفل بهذا الفصح مع تلاميذه وحدهم. ربما لأنه أراد أن يبين المكانة العليا التي وهبها لرسله، وأنه رغب في أن ينفرد بهم وحدهم في هذا الاحتفال الأخير في حياته على الأرض وقبل صلبه بساعات قليلة.

"لَنْ آكُلْ مِنْهُ مَرَّةً أُخْرَى، حَتَّى يَتَحَقَّقَ مَعْنَاهُ الْمَقْصُودُ فِي مَمْلَكَةِ اللَّهِ. بِأُؤْكِدُ لَكُمْ أَيْنَ لَنْ أَشْرَبَ مِنْ عَصِيرِ الْكَرْمَةِ هَذَا مَرَّةً أُخْرَى، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَشْرَبُهُ جَدِيدًا مَعَكُمْ فِي مَمْلَكَةٍ أَيِّ."^ت

كيف ومتى يتحقق معناه؟ في اليوم التالي، يوم الجمعة، حين يتم الصليب ويموت من أجل الجميع، وبعد ما يقوم في اليوم الثالث، يأكل من هذا العشاء معهم مرة أخرى. ثم هناك أيضاً معنى آخر محتمل ومعقول لهذه الآية وهو أن عصير الكرمة، أي الحمر، يشير إلى الفرح والسرور والبهجة. وهنا يقول عيسى إننا في مملكة الله سنتناول معه من هذا العصير الجديد بمعنى روحي سمائي لا بمعنى حرفي مادي. سيكون هناك نوع جديد من الفرح الذي يغمر القلب والكيان في مملكة الله حين نلتقي نحن أتباعه مع فادينا وحبيبنا الذي ضحى بنفسه من أجلنا. ويا له من يوم سعيد، يوم مجید!

^أ يو 19:25؛ أع 14:1

^ب لو 22:16

^ت مت 26:29

أَخَذَ... خُبْرًا وَشَكَرَ اللَّهَ... أَخَذَ الْكَأسَ وَشَكَرَ.

لماذا شكر؟ أراد أن يذكر أتباعه أنه عندما نتناول من خير الأرض، يجب أن نشكر رب السماء الذي هو المعطي الكريم. كان بنو إسرائيل قبل تناول هذه الوجبة يشكرون الله بهذا الدعاء: "مبارك أنت يا الله ملك العالم، الذي تخرج لنا من الأرض خبزاً والذي تعطينا ثمر الكرمة".

وشكر لأن الله في رحمته صمم أن ينقذ المذنبين الهالكين عن طريق الصليب. الله من فضله ونعمته دبر أن يحيي الميتين عن طريق الصليب. "أشكرك يا أبي لأنك تعطي الناس حياة عن طريق موتي".

ولأنه قد حان الوقت ليحدد الفادي القدير الضربة القاضية للشيطان. "أشكرك يا أبي لأن الوقت جاء لاعطي العدو الضربة القاضية".

ولأن النصر المجيد قد حل ميعاده. "أحمدك يا أبي لأن ساعة النصر قد حانت". ومع أن هذه لحظات صعبة، لكن المسيح لم يحتاج ولم يتذمر. لا يوجد تذمر هنا، بل شكر. هل تشكر الله في كل حال وعلى كل حال؟ كثيرون يجلبون على نفسهم المؤس والحزن والكآبة لأنهم لا يشكرون ولا يعترفون بالجميل.

قَسْمَ الْخَبْز

لماذا قسم الخبز؟ إشارة إلى جسده الذي يُمزَّق ويُكسر على الصليب. هنا يصور لتلاميذه موضوع موته على الصليب.

الْكَأس

كان ما في هذه الكأس هو نتيجة عصر العنبر. مَرَ العنبر في معصرة قاسية لُتُخْرِجَ منه العصير. هذا رمز لما فيه المسيح. معصرة الصليب المريءة. لقد شرب

كأس الغضب ليقدم لنا كأس البركة، وعن طيب خاطر سَلَّمَ نفسه في أيدي أعدائه،
لينقذنا نحن من أخطر أعدائنا: الشيطان والخطيئة والدنيا والذات.
"خُدُوا وَكُلُوا... إِشْرَبُوا".

هنا أفعال أمر: خدوا، كلوا، اشربوا. لقد أمرنا الفادي الكريم بأن نختلف
بذكرها. نشأت وسط جماعة من المؤمنين بعيسيٍّ، بعضهم من المتعلمين، وبعضهم من
غير المتعلمين، ولكنهم كلهم كانوا يحبون المولى من قلوبهم ويعيشون له. إنما من
الغريب أنهم لم يكونوا يمارسون هذا الاحتفال بطريقة منتظمة. كنا نحن الشباب
صغار السن والأقل خبرة ومعرفة منهم، نحاول كثيراً أن نلفت انتباهم إلى ضرورة
ممارسة الفريضة ذات المعنى العميق والأهمية الكبرى!

ليس من حقنا أن نحرم أنفسنا وإخوتنا من الالتفاف حول مائدة المسيح
لنختلف بعيد موته. هذا عيد، وهو يربينا أن نفرح بما عمله من أجلنا. أنا أدرك أن
ذلك ليس من السهل للمؤمن الوحيد الذي يعيش في مدينة أو قرية ولا يعرف إن كان
هناك مؤمنون آخرون بال المسيح أم لا. ماذا تفعل إن كنت في هذا الوضع؟

أقترح أن تقوم بهذا لوحدك حتى تجد من تشاركه هذا العيد السعيد والاحتفال
المبارك. ولكي تعمل هذا أعد لنفسك كسرة من الخبز وقليلًا من عصير العنب. ثم اقرأ
فصلاً مناسباً من كلمة الله مثل لوقا 22 أو 1 كورنطوس 11، وافحص قلبك في محضر
سيدنا ومولانا الفادي الكريم. وإن كنت ارتكبت ما يُحزن قلب المسيح، عليك أن
تتوب في الحال وتطلب منه الصفح. ثم تناول كسرة الخبز رمز جسم المسيح الذي كسر
من أجلك، ثم تناول عصير العنب رمز دم المسيح الذي أراقه من أجلك. وبعد ذلك
سبح الله وعظمته واشكره لأنه اختارك لتكون ابنا له، وتابعاً أميناً لعيسيٍّ.

"هَذَا هُوَ جِسْمِي... هَذَا هُوَ دَمِي".

فكرة أن يأكل شخص لحم إنسان كانت وما زالت تعتبر عملاً فظاً بشعاً، لا بالنسبة لليهود فقط بل لكل الناس. أضعف إلى ذلك أنه كان محراً على اليهود أن يأكلوا لحم حيوان بدمه. لا بد أن السامعين صدموا من كلام المسيح. ربما اقشعروا من الفكرة. عيسى يقول لهم أن يأكلوا جسمه ويشربوا دمه. ولكن عيسى يقصد هنا، لا أكلًا حرفياً من جسمه البشري، ولا شرباً حرفياً من دمه الذي يجري في عروقه، إنما يُنشئ جسمه بالخبز ودمه بالشراب، ويتحدث عن أكل روحي وشرب روحي بالإيمان. أن يتغذى المؤمن روحياً على منافع موت المسيح من أجلنا على الصليب (جسمه ودمه). بمعنى آخر، هذا الخبز يشير إلى جسمه، وهذا الشراب يشير إلى دمه.

الدم هو موضوع له أهمية كبيرة في كتاب الله الشريف. نرى هذا بدءاً من قربان هابيل الذي قبله الله مع أنه رفض قربان أخيه الذي لم يكن يحتوي على دم. وبعد ذلك نرى ضحايا أخرى قدمها كثيرون، حتى نصل إلى موسى ونظام القرابين الذي كان يعتمد إلى درجة كبيرة على ضحايا يُسفك دمها كرمز للدم الشمين، دم حمل الفداء الذي بلا لوم ولا عيب^أ الذي هو جالس الآن مع أصحابه ويفكلهم.

الدم هو الذي يحمل الغذاء والأوكسجين إلى جميع أعضاء الجسم المختلفة، كما يأخذ الفضلات ليطردها من الجسم. الدم هو سر الحياة. إذا فقد واحد دمه يفقد حياته. والناس يتبرعون بالدم لينقذوا حياة من هم في خطر. وفي حالات كثيرة كان نقل الدم إلى مريض سبب نجاته من موت محقق. قرأت عن رجل أعطى 90 لترًا من دمه في أوقات متفرقة، فأنقذ كثيرين. غير أن المسيح قدم دمه لينقذنا من الموت الأبدي.

^أ راجع أيضاً يو 6:35.

^ب بط 19:1

ويقول الكتاب إنه "لا عُفْرَانٌ بِدُونِ إِرَاقَةِ دَمٍ".^أ

المسيح هنا يختلف معهم بفصح جديد. ^{بـ} الملائكة سيأتي في الليل، ولكنه لن يقتل من عليهم علامة الدم. ذات مرة أخذ عيسى ^{جـ} 3 من تلاميذه إلى جبل، وهناك تغير منظر وجهه وصارت ثيابه بيضاء لامعة، وظهر موسى وإلياس في جلال وكانا يتکلمان معه. ^{ثـ} كان موضوع حديثهم هو "رحيله" الذي سيتتمه في القدس. الكلمة اليونانية المترجمة "رحيله" تعني أيضاً "خروجه" وهي تشير إلى آلام المسيح وموته على الصليب. ويستعمل الوجي كلمة "رحيل أو خروج" ليجذب انتباها إلى رحيل بنى إسرائيل من مصر وتحررهم من العبودية والذل. فعن طريق موت المسيح الفدائي يتم رحيل جديد؛ خروج جديد، هو خروجنا نحن من العبودية والذل تحت سلطان الشيطان والخطيئة. إذن هنا، في هذا الفصح الجديد، يختلف السيد المسيح مع أتباعه بخروج جديد، بعبور جديد للبحر الأحمر. في هذه المرة ليس بحراً من ماء، يفصل بين مصر وسيناء، بل عبور إلى أرض الموعد الحقيقة وكنعان السماوية. ومن هنا يسير عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً لقيادتهم. المسيح نفسه هو عمود السحاب وعمود النار الذي يرشدنا ويقودنا إلى الحرية الحقيقة، الحرية التي يتمتع بها حقاً أبناء الله. ^{ثـ} لقد سمع الله صرخ الشعب في ذلهم وعبوديتهم، وجاء لينقذهم ويحررهم. وبموت ابنه الوحيد على الصليب، تتم النجاة وتتأتي الحرية.

معنى وجودنا عند مائدة المسيح

عند مائدة المسيح نكون في محضر الله القدس الجليل. هذا هو الإله العظيم

^أ عب 22:9

^{بـ} اقرأ آخر 12

^{جـ} مر 4:9

^{ثـ} رو 8:21-15

العجب الذي يقبل أن خاطئاً مذنبًا مثله يأتي إلى محضره المبارك. يا لها من معاملة كريمة أنا لا أستحقها.

وهنا نحن نتعبد للإله الذي ضحى بأغلى ما عنده من أجلنا، نحتفل بذكرى هذه التضحية، ونقدم له السجود والعبادة والشكر والعرفان بالجميل على معروفة معنا وإحسانه علينا.

ونحن هنا نتناول من مائدة ملك الملوك ورب الأرباب، لأن لنا رابطة معه. علاقة قوية. أتينا إلى مائدة لنشاركه. يا له من إكرام لا نستحقه! يا لها من بركة نحن غير جديرين بها!

أيضاً عند مائدة المسيح، لنا رابطة بعضنا مع بعض. هنا نحن كلنا على قدم المساواة. غير المتعلّم كالمتعلّم. الفقير كالغني. الصغير كالكبير. الرجل كالمرأة. نأتي بيد فارغة وهو يملأها، بيد مفتوحة لتأخذ من وافر نعمته. لتأخذ بركة منه.

هدف وجودنا عند مائدة المسيح

لَأَنِّي تَسْلَمْتُ هَذَا مِنْ مَوْلَانَا، وَقَدْ سَلَّمْتُهُ لَكُمْ، وَهُوَ أَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَىٰ فِي الْلَّيْلَةِ الَّتِي قَبْضُوا عَلَيْهِ فِيهَا، أَخَذَ حُبْرًا وَشَكَرَ اللَّهَ وَقَسَّ وَقَالَ: "هَذَا هُوَ جِسمِي مِنْ أَجْلِكُمْ، إِعْمَلُوا هَذَا تَذَكَّرًا لِي". وَبِنَفْسِ الظَّرِيقَةِ، أَخَذَ الْكَأْسَ بَعْدَ الْعَشَاءِ وَقَالَ: "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللَّهُ مَعَكُمْ بِدَمِي. فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَشَرِّبُونَ مِنْهَا إِعْمَلُوا هَذَا تَذَكَّرًا لِي". إِذْنُ إِلَيْهِ أَنْ يَجِيءَ الْمَسِيحُ، كُلَّ مَرَّةٍ تَأْكُلُونَ فِيهَا هَذَا الْحُبْرَ وَتَشَرِّبُونَ هَذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِهِ.

(1) نذكر حبه (آ41-25)

نتذكر تضحيته من أجلنا. نتذكرة موت المسيح وقيامته. قال: "اعملوا هذا لذكري"، لأنه يريد أن نتذكرة تضحيته العظمى وانتصاره المجيد. أي إنه احتفل بموته قبل موته! وكأنه يقول لنا هنا: "يقيم الناس معاهد ومؤسسات وتماثيل ليخلدوا أسماء ملوكهم وعظامائهم وقادتهم لما حققوه من أعمال عظيمة في حياتهم، أما أنا فإن الطريقة التي تتذكروني بها هي أن تختلفوا بهذا العشاء، لا ليذكركم بعمل عملته في حياتي بل ليذكركم بموتي من أجلكم!" وبذلك أعطانا السيد معنى جديداً للموت. موته لا يفصله عنا، فهو يقول إننا سنحتفل بهذا الموت معه في مملكته لتذكرة أمانة الله خونا وقدرته الفائقة لفدائنا. هنا، عند مائدة المسيح نتذكرة قوة وفاعلية الصليب الذي بواسطته تم فدائنا!

في سنة 1919، أصيبت زوجة جراح مشهور¹⁵ في حادث سيارة. لم يكن الطب متقدماً كاليوم. ومع أنها نجت من الموت إلا أن الجرح في ساقها كان كبيراً وتلوث بعد فترة من الوقت فأصيبت بتسمم في ساقها. اضطر الأطباء إلى إزالة جزء كبير من عضلة الساق، ثم رأوا أنهم يحتاجون إلى قطعة من اللحم الآדי لكي يضعوها مكان الجزء التالف. تطوع الزوج الطبيب أن يأخذوا عضলته ليضعوها في رجل زوجته، ولكن لم يوافقه زملاؤه الأطباء على رأيه على أساس أن احتمالات نجاح العملية كانت ضعيفة جداً، ولذلك قرروا ألا يفعلوا ذلك.

ولكن الزوج الجراح، بمنتهى الشهامة والتضحية والحب، أمسك بمسارطه وأخذ يقطع من ساقه قطعة من اللحم ليضعها في ساق زوجته الحبيبة. وهكذا أجرى العملية بدون مخدر وهو يكتم كل آنة وكل آهة حق لا يُظهرَ ألمه، واستطاع بذلك أن يقدم جزءاً من جسمه لزوجته.

نحن نتعجب من هذه المحبة القوية ونقدرها في هذا الزوج المحب الشهم، ولكن محبة عيسى لنا وتضحيته من أجلنا، كم كانت أعظم وأجمل! بكل تأكيد كانت هناك أسباب دعت هذا الزوج أن يضحي بجزء من لحم رجله من أجل زوجته لأنه ببساطة يحبها، وهي زوجته التي تحبه وتقدره وتخدمه. لكن في حالتنا نحن، حين مات المسيح من أجلنا لم يكن هناك مثل هذه الدواعي والأسباب التي تجعله يُضحي من أجلنا. بل مات لأنه أحبنا ونحن لا نحب. أحبنا حين كنا عصاة متمردين. إن عيسى بموته على الصليب أظهر أسمى درجات الحب.

وحين نتذكر موت المسيح، نشكر الله. هذه مائدة نشارك فيها لنشكر الله على صنيعه معنا. لقد فدانا، حررنا، أنقذنا، غيرنا، جعلنا له. نحن نحيا لأن جسم الفادي المحب كُسر ودمه سُفك من أجلنا.

مرة كنت أخاطب سيدنا عيسى المسيح في تأملاتي ودعائي. كنت أتعجب من محبته وتضحيته فسألته: "يا سيدي عيسى الحبيب، أنا أظهرت لك العداء بأعمالي وذنبي وشرقي. لم أكن أهتم بوصاياتك وشريعتك وكلامك الصالح، فلماذا ضحيت من أجلي؟" فهمس في قلبي بكلمات لا تسمعها الأذن إنما رن صداتها في فؤادي وقال بحنان: "أَحِبْكَ حَبَّةً تَدُومُ إِلَى الْأَبْدِ، لِذَلِكَ سَأَسْتَرِئُ أَرْجُونَكَ".^أ

قلت: "أنا كنت عاصياً ومتمراً. ومع آني في ذلك الوقت، لم أكن قد ولدت بعد، لكنني برفضي إليك طول هذه السنين أرى نفسي وكأنني اشتراك فعلاً مع الرعاع الأشرار الذين ضربوك ولطموك، وأيضاً وافقت على أعمالهم المشينة. فهل تغفر لي يا رب؟" قال: "حَوْنُتْ ذُنُوبَكَ كَعِيَّةً، وَخَطَايَاكَ كَسَحَابَةً. إِرْجِعْ إِلَيَّ لَأَنِّي فَدَيْتَكَ."^ب قلت: "رأيت نفسي أيضاً بين الذين وضعوا تاج الشوك على رأسك فانغرز في

^أ إر 3:31

^ب إش 22:44

جبينك الظاهر وجعل الدم يسيل من رأسك القدس. فهل تنسى لي كل هذا؟" قال:
 "كُنْ أَمِينًا حَتَّى الْمَوْتِ، وَأَنَا أُغْطِيكَ إِلَكْلِيلَ الْحَيَاةِ" إِلَكْلِيلَ جَمَالٍ وَمَجَدٍ وَجَلَالٍ.
 وهنا لم أحتمل كُلَّ هذا، فرميت نفسي عند قدميه والدموع تجري من عيّني
 وأنا أصرخ: "يا سيدِي، فماذا عن الصليب والمسامير التي سمرتُك بها والخللُ والمرّ
 الذي قدمته لك؟" ولم أكمل سؤالي إلا وقد ادَّيَ الروح القدس إلى كلمات واحد من
 صحابة عيسى كان يستند على صدره الحبيب ويسمع نبضات الحب في دقات قلبه. قال
 ذلك الخواري بوجي الله: "هُوَ أَحَبُّ الدِّينِ يَنْتَمُونَ لَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى أَفْصَى
 الْحُدُودِ."^{اب}

قال رجل شجاع من أتباع المسيح: "الله الذي في يده مُلكُ كل العالمين، في قلبه
 حب لكل الناس".¹⁶

في لحظة قاتمة في حياة خادم المسيح جورج ماشسون، أخبره الطبيب أن المرض
 الذي في عينيه سيقود إلى فقدان بصره تماماً. ولما أعلم جورج خطيبته بهذا، أرجعت
 له خاتم الخطوبة وقالت إنها لا تريد أن ترتبط برجل أعمى بقية حياتها. وحين قارن
 جورج حب خطيبته الضعيف الذي غير المضحي مع حب المسيح الذي ضحى بحياته
 من أجلنا أخذ القلم وكتب:

يا أيها الحب الذي من بابه لا أُبرح
 لأن نفسي في سوى مرعاه ليست تسرح
 وفيه تستريح
 إليك أُرجع حياتي التي وهبت لي

¹ تم 4:8؛ يع 12:1؛ أم 4:9؛ رؤ 2:10؛ بط 4:5
 ب يو 13:1

فستقي من بحرك الطامي وفيه تمثلي
من نعمة المسيح¹⁷

عند مائدة المسيح نذكر حبه وتضحيته وموته من أجلنا.

(2) خبر بموته (آ2)

لسنا فقط نتذكر موتة، بل أيضاً نخبر بموته، أي نتحدث وننادي للآخرين عن موت الفادي الكريم من أجلنا. هذا هو قلب الإنجيل. هذا هو أساس العمل المرسلي، أن القدير العزيز ضحى بأغلى ما عنده لينقذ البشر الضالين المساكين. لا توجد طريقة أخرى لنجاة الناس. لا توجد وسيلة أخرى لفدائهم من الذنب والشر.

ونحن نعلن هذا ليس فقط للناس بل أيضاً لقوات الظلام ولشياطين الجحيم ونقول نفس الشيء: المسيح مات من أجلنا وفداانا وقام منتصراً وأحياناً وحررنا من سلطان إبليس ومن قيود الخطية.

(3) ننتظر مجئه (آ26)

هذا هو رجاء أمة المسيح، هذا هوأملنا الغالي من يوم إلى يوم: عيسى سيأتي ثانية عن قريب. قد تنشق السماء في أي يوم، في أي لحظة، ويظهر الفادي آتياً بجلال. **بغير استحقاق (آ27)** هذا التعبير يعني بـ "طريقة لا تليق". وهذا واضح من توبیخ بولس لهم في الآيات السابقة بسبب الطريقة غير اللائقة التي كانوا يتقدمون بها إلى عشاء السيد المسيح. إذن "بغير استحقاق" لا تشير إلى استحقاقنا الشخصي أو مؤهلاتنا البشرية. فالواقع هو أنه لا أحد منا يستحق في شخصه أن يتقدم إلى هذه

المائدة المقدسة. لا أحد منا يستحق أن يكون من أتباع المسيح. لا أحد منا يستحق أن ينال حياة الخلود.

بل المقصود هنا هو الطريقة التي نتقدم بها. فنحن يجب أن يكون لدينا دائماً شعور عميق بأننا خطة عصاة نجينا بنعمته المجانية، وأن ندرك دائماً حاجتنا إلى هذا الفادي المنقذ، والمحب الغفور. لا يقول الكتاب هنا إذا كنت تتناول من مائدة المسيح بدون استحقاق فإنك تموت لأنك بطريقة ما تحتاج إلى الغفران والكمال قبل ما تقدم، لا، الكتاب لا يقول هذا. بل يقول إنك إن كنت تقدم إلى هذه المائدة المباركة بطريقة لا تليق، لتتناول من فيض هذه البركة وعظمي هذه النعمة التي يقدمها المسيح لك، فإنك تجلب على نفسك الضعف والمرض وربما الموت! نحن يجب أن نتقدم لأننا محتاجون، ونتناول معترفين بفضله وقوته. وهو يمدنا بالقوة والاستحقاق والشفاء عند هذه المائدة؛ مائدةه. إنه عن طريق مائدة المسيح دبر الله القدير لنا شفاء لأجسادنا المريضة، وإصلاحاً لنفسينا المكسورة، وعزاء لقلوبنا الكئيبة. يجب أن ندرك كل هذا ونسمح لولانا وسيدنا المسيح أن يلمسنا ويقوينا عند مائدةه المباركة.

سيخونه واحد منهم

وَلَمَّا كَانُوا جَالِسِينَ إِلَى الْمَائِدَةِ يَأْكُلُونَ، قَالَ عِيسَى: "أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: وَاحِدٌ مِنْكُمْ سَيَخُونُنِي، وَهُوَ يَا كُلُّ مَعِي الآن". فَحَرَبُوا وَأَخْدَوا الْوَاحِدَ بَعْدَ الْآخِرِ يَسْأَلُهُ: "هُلْ أَنَا؟" فَقَالَ لَهُمْ: "هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْاُنْتَيْ عَشَرَ وَهُوَ يَعْمِلُ مَعِي فِي الصَّحْنِ. الَّذِي صَارَ بَشَرًا سَيَمُوتُ كَمَا قَالَ عَنْهُ الْكِتَابُ، لَكِنِ الْوَيْلُ لِذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي يَخْوُنُهُ ! كَانَ خَيْرًا لَهُ لَوْلَمْ يُؤْلَدْ!"

وَكَانَ أَحَدُ التَّلَامِيذِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ عِيسَى يُحِبُّهُ، جَالِسًا إِلَى جَوَارِ عِيسَى. فَأَشَارَ

إِلَيْهِ سَمِعَانُ بُطْرُسُ أَنْ يَسْأَلَهُ مَنْ هُوَ الْمَقْصُودُ. فَمَا لِلْوَرَاءِ عَلَى صَدْرِ عِيسَى وَقَالَ لَهُ: "يَا سَيِّدُ، مَنْ هُو؟" أَجَابَ عِيسَى: "هُوَ الَّذِي أُعْطِيَهُ هَذِهِ الْقُوَّةَ بَعْدَمَا أَغْمَسْهَا". فَعَمَسَ الْقُوَّةَ وَرَفَعَهَا وَأَعْطَاهَا لِيَهُوذَا بْنِ سَمِعَانَ الْقَرْبُونِيِّ. فَلَمَّا أَخْدَهَا، دَخَلَهُ الشَّيْطَانُ. فَقَالَ لَهُ عِيسَى: "مَا نَوْيَتِ أَنْ تَعْمَلَهُ إِعْمَلْهُ بِسُرْعَةٍ". فَلَمْ يَفْهَمْ أَحَدٌ مِّنْ الْمَوْجُودِينَ فِي الْعَشَاءِ لِمَاذَا قَالَ لَهُ ذَلِكَ!

كان يهودا الخائن واحداً من أتباع عيسى. كان واحداً من التلاميذ الاثني عشر. في مظهره كان يشبه الآخرين. وقد سمع تعاليم المسيح ومواعظه وخطبه مثل الآخرين. رأى معجزاته. سافر معه في رحلاته. أكل وشرب معه. ولكن كان يهودا غير مخلص. امتلاً قلبه بالخيانة. يقول الكتاب إن الشيطان دخله. هذا أمر مخيف ومرعب. كيف دخله الشيطان؟ نحن لا نعلم، إنما نعلم أن يهودا كان سارقاً ولصاً. كان هو أمين صندوق الجماعة، وكان يسرق من مال الجماعة. ربما بهذا فتح يهودا باب حياته وقلبه للشيطان ليدخل ويتملك منه ويسطير عليه. وهنا أصبح هذا التلميذ عبداً للشيطان، يأتمر بأوامره، ويعمل كما يقول له. ولهذا كان يبحث عن طريقة ليخون عيسى ويسلمه إلى الأعداء. هل يمكننا أن نتخيل هذا؟ هل يمكننا أن نفهم هذا العمل الخسيس؟ حين دخل الشيطان يهودا، طرد من حياته كل خوف الله، وكل محبة للمسيح، وكل نور رباني كان فيه، وكل شعور بالخشمة والخجل.

احذر أيها الرجل! احذر من أن تسمح للشيطان أن يدخلك ويسطير على حياتك. ربما تبدو أنت من الخارج كالآخرين، ولكنك من الداخل خائن وغادر. ربما يعرف الناس عنك أنك تقي تحلى بالورع وتقوم بالصلوة وتصوم وتزكي، ولكن في حقيقتك أنت وحش كاسر في الداخل. هل أنت مثل يهودا، سارق ولص وخائن وتتظاهر بأشياء ليست هي الحقيقة؟ ربما قرأت كلام المسيح. ربما سمعت أشياء كثيرة عن المسيح.

ولكن قلبك مملوء بالقساوة والشر والمعصية. أخاف عليك. تعال إلى سيدنا عيسى تائياً نادماً على شرك وهو يغفر لك.

ثم يقول الكتاب إن يهودا ترك محضر المسيح "وَخَرَجَ بِسُرْعَةٍ، وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَظْلَمَ".^أ هذه العبارة الأخيرة: كان الليل قد أظلم، لها مدلول روحي أبعد من المعنى الحرفي. صحيح، كان الظلام قد حل، لأن الشمس غربت وجاء الليل، ولكنها تعني أيضاً أن الظلام كان قد ملأ نفس يهودا وضميره. غابت الشمس عن قلبه وحياته وعالمه. لأنه "فِي الظَّلَامِ، وَفِي الظَّلَامِ يَتَحَبَّطُ، وَلَا يَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ هُوَ ذَاهِبٌ لِأَنَّ الظَّلَامَ أَعْمَى عَيْنَيْهِ".^ب أظلم الليل وببدأ التلميذ الضال ينزلق إلى آخرة أكثر ظلاماً وتعاسة وعداً. لقد "سقط إلى عمق الخسنة والدناءة والخبث والقسوة والكفر والرياء والقباحة والعار... سقط من النعيم إلى الجحيم... لأنَّه استسلم للطمع والرياء والأنانية".¹⁸ ذهب يهودا إلى قادة الدين ليتساوم معهم بشأن المبلغ الذي يمكن أن يحصل عليه منهم.^ث إلى هذه الدرجة انحط يهودا ليبيع سиде بشمن زهيد هو ثمن عبد في تلك الأيام.

مع أن يهودا باع عيسى بـ30 عملة من الفضة، لكن الحقيقة هي أن يهودا، بهذا المبلغ، باع نفسه الحالدة إلى الملائكة في الجحيم إلى أبد الآبدية، كما يقول الإنجيل إنه "اختار لنفسه الهاق".^ث لاحظ الفرق بين يهودا وبطرس. بطرس أنكر المسيح ويهودا باع المسيح. لكن بطرس تاب وندم وبكي ورجع، فقبله المسيح ورده إلى مكانته كتلميذ له. أما يهودا فأصابه اليأس والقنوط والفشل ولم يتبع، بل شنق نفسه وراح إلى الجحيم. هذا التلميذ، اختاره عيسى كما اختار بقية التلاميذ، بعد الصلاة.

^أ يو 13:30

^ب يو 11:2

^ث مت 26:14-16؛ مر 14:10-11؛ لو 22:6-3

^ث يو 17:12

لا شك أن المسيح كان يرشده وينصحه ويحذرها كما كان يفعل مع الآخرين. ثم إن المسيح عامله بالمحبة كصديق وتلميذ وتتابع، كما عامل الآخرين. لقد وضع ثقته فيه واختاره أميناً لصدقogn الجماعة. ولكن يهودا سار في طريق الخيانة، ولما استيقظ ضميره وصحا، كان الوقت قد ضاع والفرصة أفلتت. فذهب وشنق نفسه!

غسل أرجل تلاميذه

وَاقْرَبَ عِيدُ الْفُصْحَىٰ . وَكَانَ عِيسَىٰ يَعْلَمُ أَنَّ وَقْتَهُ حَانَ لِيَرْحَلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الْأَبِ . فَهُوَ أَحَبُّ الدِّيَنَ يَتَّمُونَ لَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ ، أَحَبَّهُمْ إِلَى أَقْصَى الْخُدُودِ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَعَشَّوْنَ مَعًا ، كَانَ الشَّيْطَانُ قَدْ وَضَعَ فِي قَلْبِ يَهُودَا بْنِ سَمْعَانَ الْقَرْبُوْيِتِيِّ أَنْ يَخُونَ عِيسَىٰ . وَكَانَ عِيسَىٰ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَبَ وَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ سُلْطَتِهِ هُوَ ، وَأَنَّهُ جَاءَ مِنَ اللَّهِ ، وَإِلَى اللَّهِ يَرْجِعُ . فَقَامَ عَنِ الْعَتَاءِ ، وَخَلَعَ عَبَائِتَهُ ، وَأَخْدَ مِنْشَفَةً وَرَبَطَهَا حَوْلَ وَسَطِهِ . وَصَبَّ مَاءً فِي مَغْسِلٍ ، وَبَدَا يَعْسِلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيدِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي عَلَى وَسَطِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى سَمْعَانَ بُطْرُوسَ قَالَ سَمْعَانُ لَهُ : " يَا سَيِّدِي ، أَنْتَ تَعْسِلُ رِجْلَيَّ ؟ أَجَابَهُ عِيسَىٰ : " أَنْتَ الآنَ لَا تَفْهَمُ مَا أَعْمَلُهُ ، لَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ ". قَالَ بُطْرُوسُ : " لَنْ تَعْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَدًا ". أَجَابَهُ عِيسَىٰ : " إِنْ لَمْ أَغْسِلُكَ ، فَلَنْ يَكُونَ لَكَ نَصِيبٌ مَعِيِّ ". قَالَ لَهُ سَمْعَانُ بُطْرُوسُ : " يَا سَيِّدِي ، لَا رِجْلَيَّ فَقْطُ ، بَلْ يَدَيَّ وَرَأْسِي أَيْضًا ". قَالَ لَهُ عِيسَىٰ : " مَنْ اسْتَحَمَ صَارَ نَقِيًّا بِحُمْلَتِهِ ، فَلَا يَخْتَاجُ إِلَى غَسْلٍ رِجْلِيهِ . وَأَنْتُمْ أَنْقِيَاءُ ، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ فِيْكُمْ ". فَإِنَّ عِيسَىٰ كَانَ يَعْرِفُ مَنِ الَّذِي سَيَخُونُهُ ، لِهَذَا قَالَ : " لَسْتُمْ كُلُّكُمْ أَنْقِيَاءً ".

فَلَمَّا غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ لَيْسَ عَبَائِتَهُ وَجَلَسَ وَقَالَ لَهُمْ : " هَلْ تَفْهَمُونَ مَا عَمِلْتُهُ لَكُمْ ؟ أَنْتُمْ تَدْعُونِي الْمُعَلَّمَ وَالسَّيِّدَ ، وَأَنْتُمْ عَلَى حَقٍّ لَأَنِّي فِعْلًا كَذَلِكَ . فَإِنْ كُنْتُ ، وَأَنَا سَيِّدُكُمْ وَمُعَلَّمُكُمْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ ، فَيَرِبُّ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْسِلُوا بَعْضَكُمْ أَرْجُلَ

بعضٍ. لَأَنِّي جَعَلْتُ مِنْ نَفْسِي قُدْوَةً لَكُمْ، إِتَّعْمَلُوا أَنْتُمْ أَيْضًا كَمَا عَمِلْتُ مَعَكُمْ أَقْوْلُ لَكُمُ الْحَقَّ: لَيْسَ الْعَبْدُ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلَا الرَّسُولُ أَعْظَمَ مِنَ الَّذِي أَرْسَلَهُ، فَإِنْ عَلِمْتُمْ هَذَا، هَنِئُنَا لَكُمْ إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ".

يقول الكتاب: "وَاقْرَبَ عِيدُ الْفِصْحَةِ، وَكَانَ عِيسَى يَعْلَمُ أَنَّ وَفْتَهُ حَانَ لِيَرْجِلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الْأَبِ، فَهُوَ أَحَبُّ الَّذِينَ يَنْتَمُونَ لَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى أَقْصَى الْحُدُودِ".

توجد 3 مواضع بارزة في هذه الآية: عيد، رحيل، حب! مع أن المناسبة هنا هي الاحتفال بالعيد، لكن يتوجه الحديث فورا إلى الآلام التي سيعانيها هذا المنقد الفريد. يتحدث الوحي عن رحيله من هذا العالم، ورجوعه إلى الأب السماوي. والسبب هو حبه الذي لا يعرف نهاية ولا حدا، حبه للذين ينتمون له. إنه أحبهم إلى أقصى الحدود.

ماذا يعني هذا: إلى أقصى الحدود؟ يعني لدرجة أنه بذل نفسه من أجلهم. تروي قصة أنه ذات يوم، شب النار في شجرة وأخذت تلتهمها. رأى الناس في الأغصان عشا فيه طيور صغيرة لا تقدر أن تطير بعد. حاولوا إسقاط العش من الأغصان المشتعلة فلم يمكنهم. وهنا ظهرت الأم تطير وتحلق حول الأغصان وتصرخ بلهفة. ويبدو أنها كانت تفكير في طريقة الإنقاذ صغارها. ولكن لما اقتربت النيران أكثر من العش، نزلت الأم محاولة أن تنقذ صغارها على جناحيها، ولكن للأسف التهمتها النيران مع صغارها! هذه هي المحبة إلى أقصى الحدود. المحبة المضحية. نيران التضحية التهمت المسيح من أجلنا.

سلطة المسيح

وَكَانَ عِيسَى يَعْلَمُ أَنَّ الْأَبَ وَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ سُلْطَتِهِ هُوَ. كَانَ عِيسَى يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَاضَعٌ لِهِ، فَهُوَ الْمَلِكُ صَاحِبُ السُّلْطَانِ. وَيَبْيَنُ لَنَا الإِنْجِيلُ أَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى تَبَنِّأَ عَدَةً مَرَاتٍ أَنَّهُ سَيِّمُوتُ وَيَقُولُ. فَهُوَ، كَمَا قَلَّنَا مِنْ قَبْلِ أَكْثَرِ مَرَةٍ، لَمْ يُؤْخِذْ عَلَى حِينَ غَرَّةٍ. لَمْ يَفْاجِأْ بِتَطْوِيرِ الْمَوْقِفِ عَلَى غَيْرِ مَا كَانَ يَتَوقَّعُ. لَا. بَلْ كَانَ يَعْرِفُ مَا سَيْحَدُثُ، وَكَانَ يَتَوَقَّعُ لِأَنَّهُ جَاءَ هَذَا الْقَصْدِ. كَانَ هُوَ سَيِّدُ الْمَوْقِفِ. كَانَ يُسَيِّرُ الْأَمْرَوْرِ كَمَا يَرِيدُ هُوَ. كَانَ الْمُتَسْلِطُ عَلَى سِيرِ الْأَحْدَاثِ لَمْ يُرْغِمْهُ أَحَدٌ عَلَى شَيْءٍ.

جَاءَ مِنَ اللَّهِ، وَإِلَى اللَّهِ يَرْجُعُ

كَانَ يَعْلَمُ هَذِهِ الْحَقْيَقَةَ. لَا شَكَّ عَنْهُ فِيهَا. "لَأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ، يَسْكُنُ اللَّهُ بِكَامِلِ الْأُوهَبَيَّةِ فِي جَسْمِ بَشَرِّيٍّ."^أ "هُوَ ضِيَاءُ جَلَالِ اللَّهِ، وَالْتَّعْبِيرُ الصَّادِقُ عَنْ جَوْهَرِهِ."^{بِ اللَّهِ} هُوَ أَبُوهُ وَالْمَسِيحُ "هُوَ التَّعْبِيرُ الصَّادِقُ عَنْ طَبِيعَةِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُرَى".^ت عِيسَى هُنَا فِي مُهِمَّةٍ خَطِيرَةٍ، فَمَقْتَلُهَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ!

تواضع المسيح

"فَقَامَ عَنِ الْعَشَاءِ، وَخَلَعَ عَبَائِتَهُ، وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَرَبَطَهَا حَوْلَ وَسَطِهِ. وَصَبَّ مَاءً فِي مَغْسِلٍ، وَبَدَأَ يَعْغِسُلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيزِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي عَلَى وَسَطِهِ."

قام عيسى عن العشاء بينما التلاميذ ما زالوا جالسين. خلع عبائه. أخذ منشفة وربطها حول وسطه. صب ماء في مغسل. أخذ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها

^أ كو 2:9

^{بِ} عب 1:3

^ت كو 15:1

بالمنشفة. وهنا نرى عن طريق الرمز ما عمله المسيح حين تنازل وجاء إلى أرضنا. فهو قام عن العشاء، عن العيد، عن عرشه. ثم خلع العبابة، تشير العبابة هنا إلى مجده وجلاله باعتبار أنه الله. لقد خلع عنه جلاله الإلهي. ثم تشير المنشفة إلى طبيعته البشرية. إنه صار إنساناً، صار عبداً. فقد خلع العبابة أولاً، لكي يربط المنشفة ويخدم، خلع عبابة المجد والمجلال والعظمة، ليربط منشفة الاتضاع والعبودية. الله تواضع وجاء إلى أرضنا. لكن يجب أن ندرك أنه كان دائماً، حتى وهو يغسل أرجل التلاميذ، هو بعينه الله الأزلي، إله كل الكائنات، صانع كل المخلوقات، ورب السماء وما فيها والأرض وما عليها.

في المعتاد كان صاحب الدار يطلب من الخادم أن يقوم بهذا العمل. لكن هذا لم يحدث هنا. ربما لأن عيسى نفسه طلب من صاحب الدار مقدماً أن لا يرسل الخادم ليغسل أرجل الضيوف، لأن المسيح قصد أن يقوم بذلك هو بنفسه، أي يقوم بعمل الخادم.

كيف كان يغسل ويجهف؟ لا بد وهو راكع على ركبتيه! إنه قام بواجبات العبد، بواجبات الخادم. يا له من أمر غريب! ضيف الشرف يقوم عن العشاء ويغسل أرجل الذين معه على المائدة! صاحب السلطان وسيد الكل يقوم بعمل العبد! وهذا يذكرنا بما قاله من قبل: "الَّذِي صَارَ بَشَرًا، جَاءَ لَا لِيَكُونَ سَيِّدًا بَلْ حَادِمًا، وَلِيَبْدُلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنِ الْكَثِيرِينَ".¹⁹

نحن أتباع المسيح، لا نرفع مكانة إنسان، بشر، زائل، ونجعله إليها ومعبوداً. معاذ الله، بل كلاً وألف كلاً! إنما الحقيقة هي أن الله تعالى الواحد القدير، الخالق الحكيم، تنازل وجاء كبشر. نحن نعبد الله ولا إله إلا الله.¹⁹ هو في حكمته وصلاحه وحبه

^أ في 2: 8-5

^ب مر 45: 10

وتضحيته، قرر أن يفدي الإنسان المسكين الصائغ، فمن أنت حتى تقف في طريق الله، أو تتهمنه بعدم الحكمة، لأنه عمل شيئاً لا يتفق مع تفكيرك ولا يناسب توقعاتك؟ إذن من هو عيسى؟ هو أعظم شخص سارت قدماه على الأرض. هو محور التاريخ البشري. هو أكثر شخص أثراً في الناس وفي مصيرهم. جاء إلى العالم بطريقة لم تحدث أبداً، لا من قبله ولا من بعده: ولد من عذراء! وترك العالم بطريقة غير معهودة ولم تحدث مع غيره: قام من الموت وصعد إلى السماء! هو منقذ العالم. هو فادي البشر. هو غافر الذنوب. هو واهب الحياة. هو نبع الفرح والسلام. هو رب العالمين. هو ليس إنساناً أظهر الله ذاته فيه، لا! بل هو الله جاء إلينا كإنسان. الله صار بشراً. نحن لا نعبد غير الله. نعم، هو في واسع رحمته، وعظيم فضله، وعميق محبته، وكبير حمилه، جاء ليفدينا. هذا هو الإله المحب، المضحي. الإله الذي يفدي. الإله الذي تواضع وجاء إلينا.

الله تواضع وجاء إلى أرضنا. يمكن أن نفهم هذه الفكرة إذا تصورنا تواضع ملك من الملوك العظام. لنأخذ مثلاً مملكة بريطانيا. دعونا نتصور أن مملكة بريطانيا تركت عرșها وقصورها وراحـت إلى بلدـك لتعيشـ في أفقـ قـرية عندـكم، وتـسكنـ في أفقـ دـارـ في تلكـ القرـيـةـ! ربماـ هيـ غـرـفةـ وـاحـدةـ منـ الصـفـيـحـ. لاـ يـوجـدـ فـيـهاـ شـيءـ يـذـكـرـ، لاـ أـثـاثـ وـلـاـ حـتـىـ كـرـسيـ. لاـ يـوجـدـ فـيـهاـ المـاءـ الـجـارـيـ. الأـرـضـ مـنـ طـيـنـ وـتـرـابـ. لاـ يـوجـدـ مـطـبخـ وـلـاـ مـرـاحـاضـ!

حتى ولو تم هذا فعلاً وعملت مملكة بريطانيا كل هذا، تكون الصورة ناقصة وغير كاملة، لأن تواضع الله يفوق بكثير تنازل الملكة بهذه الطريقة! يحيي المغضض قال إنه لا يستحق أن ينحني ويجل رباط حذاء المسيح! لكن المسيح بين لنا هنا تواضعـاـ لـاـ مـشـيلـ لـهـ، فـهـوـ قـدـ اـخـنـىـ وـحلـ رـبـاطـ حـذـاءـ تـلـامـيـذـهـ، وـأـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ غـسلـ أـرـجـلـهـمـ!

نتعلم درسين من غسل أرجل التلاميذ

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى سَمْعَانَ بُطْرُسَ قَالَ سَمْعَانُ لَهُ: "يَا سَيِّدِي، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلَيْ؟" أَجَابَهُ عِيسَى: "أَنْتَ الآنَ لَا تَقْهِمُ مَا أَعْمَلُهُ، لَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ." قَالَ بُطْرُسُ: "لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَ أَبَدًا." أَجَابَهُ عِيسَى: "إِنْ لَمْ أَغْسِلْكَ، فَلَنْ يَكُونَ لَكَ نَصِيبٌ مَعِي." قَالَ لَهُ سَمْعَانُ بُطْرُسُ: "يَا سَيِّدِي، لَا رِجْلَيْ فَقَطْ، بَلْ يَدَيْ وَرَأْسِي أَيْضًا." قَالَ لَهُ عِيسَى: "مَنِ اسْتَحَمَ صَارَ نَقِيًّا بِجُمْلَتِهِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى غَسْلِ رِجْلِيهِ. وَأَنْتُمْ أَنْقِيَاءُ، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ وَاجِدٍ فِيهِمْ." فَإِنَّ عِيسَى گَانَ يَعْرِفُ مَنِ الَّذِي سَيَحْخُونُهُ، لَهَذَا قَالَ: "لَسْتُمْ كُلُّكُمْ أَنْقِيَاءً."^۱

الدرس الأول: تنقية سلوکنا في الحياة من يوم إلى يوم

في القديم كان الناس يستخدمون الحمامات العامة.²⁰ لم يكن عندهم حمام في الدار كما هو الحال اليوم في أماكن كثيرة. فكان الواحد يذهب إلى الحمام العام حيث يغتسل ويتنظف ويلبس ملابسه النظيفة ويوضع نعليه في رجليه ثم يرجع إلى الدار. ولكن الطرق لم تكن معبدة، بل كانت الشوارع متربة وغير نظيفة مما يجعل الرجلين تتتسخان في الطريق. لذلك حين يصل الشخص إلى الدار، يأتي الخادم بوعاء من الماء ويفسل رجلي سيده. هذا هو الذي عمله عيسى هنا، كعبد غسل أرجل تلاميذه.

ويستخدم المسيح هذه الحقيقة هنا ليشرح هذا الدرس الهام لبطرس. من استحم لا يحتاج إلا إلى غسل رجليه. أنت من أتباع المسيح لأنك آمنت به. هو غسلك من الشر بدمه الطاهر. هو نظف قلبك، فصرت نظيفاً كواحد راجع من الحمام. هو جعلك خليقة جديدة، فصرت طاهراً. كتب اسمك في كتاب الحياة، والآن بدأت تسير معه.

لكن الطريق في هذه الحياة فيها تراب وأشياء غير نظيفة تعلق بك. أنا لا أقصد بهذا ممارسة الخطيئة كشيء طبيعي. لأن من يمارس الخطيئة هو عبد للخطيئة. ومن هو عبد للخطيئة فليس ابنا لله. "أَبْنَاءُ اللَّهِ لَا يُمَارِسُونَ الْخَطِيئَةَ، لَأَنَّ فِيهِمْ طَبِيعَةَ اللَّهِ. بَلْ إِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُذْنِبُوا، لَأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَبُوهُمْ".^١ بل أتكلم هنا عن الواقع في الخطيئة عن غير قصد. عمل الأشياء التي لا تسر الله والتي تعلق بنا لمجرد سيرنا في هذه الحياة. يقول بولس بمحبي الله: "أَيُّهَا الْأَجَبَاءُ، بِمَا أَنَّ هَذِهِ الْوُعْدَةِ هِيَ لَنَا، إِذْنَ يَحْبُّ أَنْ نُظَهِّرَ أَنفُسَنَا مِنْ كُلِّ مَا يُنَجْسُ الْجِسْمَ وَالرُّوحَ، وَنَحْيَا حَيَاةً صَالِحةً فِي مَخَافَةِ اللَّهِ".^٢ ويقول يعقوب: "نَحْنُ كُلُّنَا نَعْمَلُ أَخْطَاءً كَثِيرَةً".^٣ ويقول يوحنا: "إِنْ قُلْنَا إِنَّا بِلَا ذَنْبٍ، فَتَحْنُنْ نَحْدَعُ أَنفُسَنَا... إِنْ اعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا، فَهُوَ أَمِينٌ وَيُمْكِنُنَا أَنْ نَتَكَلَّ عَلَيْهِ لِيَعْفُرَ لَنَا ذُنُوبَنَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍ".^٤ هذا الغفران ليس للحصول على النجاة من الهالك الأبدى، بل لرد العلاقة المتينة والرابطة المباركة مع ربنا وسيدنا.

نحن نحتاج أن نتظر ونتنقى ونتنظف يوميا في هذه الحياة. نعم، لأننا نتعرض لقاذورات الطريق التي نسير فيها. تراب الطريق يعلق بأقدامنا. العالم مملوء بأشياء غير نظيفة.

فأنت تحتاج أن تنظف سلوكك. وبطريقة رمزية، أنت تحتاج أن تغسل قدمايك من يوم إلى يوم. كن ساهرا لكي لا تعلق القاذورات بسلوكك. ولكن إن حدث ذلك، فيجب أن تغسلهما حالا! هل توَسَّخ ضميرك بصور قبيحة؟ هل تنجس قلبك بأفكار ردية قذرة؟ هل تعلق بيديك تراب رشوة أو مال حرام؟ هل قلت لشخص كلمات لا تصح؟ أنت تحتاج أن تغسل "رجليك".

^١ يوم 3:9

^٢ كور 1:7

^٣ يع 3:2

^٤ يوم 1:8-9

كيف ذلك؟

- * اعترف لله بأنك أخطأت واطلب منه الصفح.
- * تب حالاً عن الخطيئة التي ارتكبها. التوبة تساعدك وتقويك لكي لا تقع في الخطيئة مرة أخرى.
- * ثق أن الله سمع دعاءك وغفر لك ذنبك. بـ هو أمين في مواعيده، وصادق فيما يقول.
- * إن كان ما ارتكبته هو في حق شخص آخر، فيجب أن تعذر لذلك الشخص وتطلب منه أن يسامحك.
- * اتكل على دم المسيح ليطهرك. بتضحية المسيح وموته على الصليب من أجلنا، نحصل على النقاء والطهارة في القلب والضمير والفكير. "دَمُ عِيسَى ابْنِهِ يُظْهِرُنَا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ."^ت
- * خل كلمة الله تنظفك. اقرأ كلمة الله. تأمل فيها. افهم معناها. استمع لما يقوله الله لك كل يوم عن طريق كتابه الكريم المعموم. كَلِمَةُ اللَّهِ حَيَّةٌ وَقَعَالَةٌ، وَهِيَ حَادَةٌ أَكْثَرُ مِنْ كُلِّ سَيِّفٍ بِحَدَّيْنِ، وَتَنْفُذُ إِلَى الْعُمُقِ، إِلَى مَا بَيْنَ النَّعْسِ وَالرُّوحِ، وَمَا بَيْنَ الْمَفَاصِلِ وَالثُّخَاعِ، وَهِيَ قَادِرَةٌ أَنْ تَفْحَصَ أَفْكَارَ الْقُلُوبِ وَنَيَّاتِهِ. فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ فِي الْحَلِيقَةِ كُلُّهَا يَخْفِي عَلَى اللَّهِ. بِلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْسُوفٌ أَمَامَ عَيْنِيهِ، هُوَ الَّذِي سُنُودَى لَهُ حِسَابٌ أَنْفُسِنَا.^ث كلمة الله تنقي النفس وتسمو بالتفكير والعواطف. قال المسيح لتلاميذه: "أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِياءٌ يُفَضِّلُ الْكَلَامُ الَّذِي قُلْتُهُ لَكُمْ."^ج إن كلمة الله

^أ مز 51:3-4؛ لو 15:21

^{بـ} إش 44:22؛ يو 12:2؛ أسف 4:32

^ت يو 1:7

^ث عب 4:12-13

^{جـ} يو 3:15

تنقيك وتنظيفك من القذارة والنجاسة والدنس.

* ثم أيضاً الجأ إلى روح الله لينقيك. حين يملأ الروح القدس قلبك يطرد الخطيئة والقادورات التي تعلق بك.

في الحقيقة هذا موضوع مهم، تطهير السلوك والحياة باستمرار. كان هذا قصد المسيح من غسل أرجل تلاميذه ومن حديثه مع بطرس بهذا الشأن. إنه أراد أن يبين لهم خطورة الأمر.²¹

مَنْ يَحِيقُّ لَهُ أَنْ يَصْبَعَ جَبَالَ اللَّهِ، وَيَقِفَ فِي بَيْتِهِ الْمُقَدَّسِ؟ الَّذِي هُوَ ظَاهِرُ الْيَدَيْنِ
وَقَنْقَعُ الْقَلْبِ، لَا يَعْبُدُ إِلَهًا بَاطِلًا وَلَا يَحْلِفُ كَذِبًا.

يوجد فارق كبير بين الشخص المؤمن بعيسي الذي يقع في الذنب، وبين الشخص غير المؤمن بعيسي الذي يعيش في الذنب والخطيئة والشر والفساد. شَبَّهَ أحدهُمْ هذين الشخصين بولدين. الأول، عَوَدَتْهُ أُمُّهُ على النظافة. ملابسه نظيفة، والدار التي يعيش فيها نظيفة. لكنه لا يزال ولداً، يتعرض في لعبه ونشاطه وجريه ومرحه أن يقع في الطين أو أن يوشخ ملابسه بطرق أخرى. لكن متى حدث هذا له، لا يطيق أن يرى نفسه على هذه الحال، فيجري إلى أمه، وأمه تنظفه. هذا الولد ربما يوشخ ملابسه كل يوم، لأنها ولد. وأمه تفرج بتنظيفه كل يوم، لأنها أمه! هذا الولد يمثل الشخص المؤمن بعيسي. فهو معرض للوقوع في الخطيئة لأنها إنسان. لكنه آمن بعيسي، فأصبح عضواً في عائلة نظيفة مقدسة تتصرف بتقوى الله ومخافته. إنه تظهر بفعل فداء المسيح، وتقدس بعمل الروح القدس في قلبه، فهو لا يطيق الخطيئة. يقع في الذنب ولا يطيقه، فيجري للله تعالى ويطلب منه أن ينظفه ويظهره من الذنب وأن يصفح عنه ويعذر له. أما الولد الثاني، فهو يعيش في عائلة لا تهمها النظافة. الدار قذرة، والملابس قذرة، والوسط كله قذر، والأم لا تبالي بالقذارة. هذا الولد أيضاً معرض للوقوع في

الطين، وأن يوسر ملابسه ، لأنه ولد. ولكن في هذه الحالة تراكم عليه القذارة دون أن يحس بها. والأم لا يهمها. والذين حوله يظنون أن هذا أمر عادي. والولد نفسه لا يدرك أنه يحتاج أن يكون نظيفا. هذا الولد يمثل الشخص غير المؤمن بعيسى. في أي وقت نظر إليه نجده قدراً يعيش في القذارة، قذارة الخطيئة والنجاسة والفساد. في مناسبة قبل ذلك قال بطرس للمسيح: "لا سَمَحَ اللَّهُ يَا سَيِّدُ هَذَا لَنْ يَجْرِي لَكَ!" أي: يا سيد عيسى، لا يصح أن تموت على صليب! وهنا قال بطرس: لن تغسل رجلي أبداً! مع أنه في كلتا الحالتين، بغير ما عمله المسيح (الفداء وتطهير السلوك)، لا توجد نجاة ولا حياة!

الدرس الثاني: التواضع تجاه بعضنا البعض

فَلَمَّا غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ لَيْسَ عَبَائِتَهُ وَجَلَسَ وَقَالَ لَهُمْ: "هَلْ تَفْهَمُونَ مَا عَمِلْتُمْ لَكُمْ؟ أَنْتُمْ تَدْعُونِي الْمُعَلَّمَ وَالسَّيِّدَ، وَأَنْتُمْ عَلَى حَقٍّ لَأَنِّي فِعْلًا كَذَلِكَ. فَإِنْ كُنْتُ، وَأَنَا سَيِّدُكُمْ وَمُعَلِّمُكُمْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ، فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْسِلُوا بَعْضَكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ. لَأَنِّي جَعَلْتُ مِنْ نَفْسِي قُدْوَةً لَكُمْ، لِتَعْمَلُوا أَنْتُمْ أَيْضًا كَمَا عَمِلْتُ مَعَكُمْ أَفْوُلَ لَكُمُ الْحَقَّ: لَيْسَ الْعَبْدُ أَعَظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلَا الرَّسُولُ أَعَظَمَ مِنْ الَّذِي أَرْسَلَهُ.

فَإِنْ عَلِمْتُمْ هَذَا، هَبِّنِيَا لَكُمْ إِنْ عَيْلَتُمْ بِهِ."

تحدث المسيح مع تلاميذه في موضوع التواضع عدة مرات قبل ذلك، فقال لهم ألا يعتبروا أنفسهم سادة أو عظماء، بل أن يتواضعوا ليكونوا كالأطفال، ويكون الواحد خادماً للآخر.^ب والآن هو على وشك أن يتركهم ويرجع إلى الأب في السماء، وفي فكره، يحتل التواضع مكاناً كبيراً مُهِمّاً. فأراد أن يصور لهم بطريقة عملية الدرس الذي

قدمه لهم مرار وتكلاما من قبل. فقرر أن يغسل أرجلهم! خادم المسيح الذي يتمثل بسيده لا يسعى إلى الارتفاع في هذه الدنيا، بل إلى الانخفاض. لا إلى الطموح نحو العظمة بل إلى السير في طريق الصليب. نعم، خادم المسيح الأمين هو الذي يستخدم الضعف لا القوة، والتواضع لا الالام، والخضوع لا السيطرة. هذا هو الطريق الذي سار فيه القديس الذي صار بشرا، الخالق الذي صار عبدا، صاحب الكون الذي تعرى!

ذات مرة جاء الدين يأخذون ضريبة بيت الله إلى بطرس وسألوه إن كان عيسى سيدفع الدهريمين أم لا. في الأصل، كان المقصود أن المال الذي يجمع لهذه الضريبة يكون لتجديد بيت الله وتحسينه. ولكن يبدو أن الرومان قرروا أن يستولوا على هذا المال. كان الأخبار، بحكم مركزهم وعملهم، غير مطالبين بدفع هذه الضريبة. فلما سأله رجال الضريبة بطرس، لم ينتظر حتى يستشير عيسى في الأمر، بل قال إن عيسى سيدفع الدهريمين. وبمجرد أن دخل بطرس إلى الدار، فاجأه عيسى بالسؤال: من يدفع الضريبة، ابن أم العبد؟ كان جواب بطرس هو: العبد. معنى هذا الكلام هو أن عيسى يقول هنا: أنا الحبر الأعلى وأنا ابن الله، فأنا معفٍ من دفع الضريبة، لكنني سأدفعها. ولكن يبدو أن صندوق الجماعة كان فارغا، وإلا كان عيسى يوجه بطرس ليطلب من يهودا أن يدفع الضريبة. فما الحل؟ وجه عيسى بطرس أن يأخذ صناته للصبيد. وكان كما قال عيسى أن أول سمسكة طلعت كان في فمها قطعة نقد قيمتها 4 دراهم. ترى من الذي فقد هذه العملة؟ وكيف وصلت إلى فم السمسكة؟ أربعة دراهم كانت أجرة العامل مدة أسبوع. ثم كانت العملة في فم السمسكة أي إن السمسكة لم تبلغها إلى المعدة! هذه المعجزة تشير بوضوح إلى تواضع المسيح. يقول عيسى: مع أنني غير محبر أن أدفع الضريبة، مع أنني حر لا يصح أن أدفعها، لكنني سأدفع.

التواضع هو أني أضع احتياج الآخرين وراحتهم قبل راحتني أنا واحتياجي أنا. ليس أن أطالب بحقوقي وبما يجب على الآخر أن يقوم به نحوه، بل أضحي بهذا وأبحث عن طريقة لأساعد بها الآخر، وأسعده، وأباركه. التواضع هو أن نقبل المسؤولية لخير الآخرين ومنفعتهم. التواضع هو انكسار القلب. التواضع هو بحر هادئ يملأ القلب، العمل البسيط الصغير الذي نعمله هو أحيانا في نظر الله أهم من الأشياء الكبيرة التي نقوم بها. إن الطريق إلى القوة هو أن أدرك أني ضعيف. والطريق إلى الاستقلال هو أن أتوك على الله. الطريق إلى الحرية هو أن أستسلم للمسيح. الطريق إلى البركة التي لا يمكن للعالم أن يأخذها مني هو أن أدرك أن يدي فارغة.²²

التواضع هو الفضيلة الكتابية التي تجعل الواحد لا يظن في نفسه أكثر من حقيقته. بهذا نرى أنفسنا بغير استحقاق أمام الله، ونعامل الآخرين كأنهم أفضل منا. ولكن هذا لا يعني تخفيض الذات أو أن أتبيني أفكارا سلبية عن نفسي تحطم شخصيتي. لا! بل أن أتحرر من الكبriاء والعجرفة والخيال وأتذكر دائما أن كل ما حصلت عليه وتوصلت إليه إنما هو نعمة من الله.²³

إذن ليس التواضع ضعفا ولا خنوعا ولا مذلة، بل قوّة في الأخلاق، وشدة في العصب الروحي تجعلني أعتبر الآخر أفضل مني. هل من الصعب عليك أن تصل إلى هذا المستوى الروحي والأخلاقي؟ هذا صعب على أي إنسان. لكن عيسى قادر أن يعينك ويساعدك لتكون متواضعا بحق.

ليس عبایته

بعدما أكمل عيسى عمله كخادم، بعدما أنجز مهمته كعبد، حل المنشفة ولبس عبایته مرة أخرى. وهنا إشارة إلى أنه لما أتم الفداء على الصليب وقام في اليوم الثالث

منتمراً، صعد إلى السماء وجلس على عرشه مرة أخرى. فقد حل المنشفة وخلعها عنه ولبس العباية. خلع بشرتيه ولبس الوهبيه. رجع إلى السماء لابسا ثياب البهاء والجلال والخلود والمجد. إنه سيد الكل ورب العالمين.

خطبة الوداع^أ

لَا تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ . أَمِنُوا بِاللَّهِ وَآمِنُوا بِي . فِي دَارِ أَيِّ مَسَاكِنٍ كَثِيرَةً .^ب
 انتهت الجماعة من الاحتفال بالعشاء. والآن لا يوجد غير كلمات الوداع الأخيرة، وصلاة التشعف فيهم، قبل أن يتوجه السيد المبارك إلى الصليب ليموت من أجلهم ومن أجلنا جميعاً. في هذه الكلمات الأخيرة، وبينما يعتصر قلبه من الألم وهو في حاجة إلى معونة، يحاول المسيح أن يطمئن تلاميذه ويعدهم بمكان في الجنة.^ث ثم يقول لهم إنه هو الطريق الوحيد إلى الأب.^ث وإنه هو التعبير الصادق عن جوهر الله، فإن كنا نريد أن نرى الله، ننظر إلى عيسى، وإن كنا نريد أن نسمع ما يقوله الله لنا، فلنصح إلى كلمات المسيح. فالابن هو الله صار بشراً.^ج

وبعد هذا الكلام يعودهم بإرسال المعين؛ الروح القدس.^ح²⁴

ثم بعد ذلك يحدثهم عن أهمية أن يثبتوا فيه، فهو الكرمة وهم الأغصان، ومن يثبت فيه يُثمر ثمراً كثيراً.^ث ثم يحذرهم من أنهم سيقابلون مصاعب كثيرة في هذا العالم؛ فسوف يضطهدون الناس ويكرهونهم ويعذبونهم، حتى إن كل من يقتلهم

^أ يو 14-16

^ب يو 14:1-2

^ث 14:1-4

^ث 14:5-7

^ج 14:8-14؛ عب 1:3

^ح 14:15-31

^خ 15:1-17

يظن أنه يقدم خدمة لله. وأخيراً يبين لهم أهمية وجود الروح القدس في حياتهم. ثم يختتم خطابه لهم بنفس الفكرة التي بدأ بها، لكنه يبعث في قلوبهم السلام لأنّه هو الغالب المنتصر.^{بـ}

لاحظ أنه في بداية هذه الخطبة يشجعهم أن يؤمّنوا بالله ويؤمّنوا به. وفي نهاية الخطبة أعلنوا أنّهم يؤمّنون أنه حقاً جاء من الله^{ثـ}. عند هذا أنّى الخطبة وصلت إلى الشفاعة في فـ 17 وبعدّها مباشرة راح إلى البستان حيث قُبض عليه. ومن هناك أخذوه إلى المحاكمة ثم إلى الصليب.

الصلوة الشفاعية من أجل أتباعه

بعد كلمات الوداع، رفع عيسى دعاء لله، فيه تشفع لأجل أتباعه. هنا يقول السيد: "أَنَا مَحْدُثٌ عَلَى الْأَرْضِ، بِإِنْي أَخْبُرُ الْعَمَلَ الَّذِي كُلْفَتِي بِهِ". ثم يقدم تفاصيل عمله على الأرض:

1. أَنَا أَخْلَهْرُثُ اسْمَكَ لِلَّذِينَ أَعْظَيْتُهُمْ لِي مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْعَالَمِ (آـ 6).
 2. أَنَا بَلَغْتُهُمُ الرِّسَالَةَ الَّتِي أَعْطَيْتُهَا لِي... أَنَا بَلَغْتُهُمْ كَلِمَتَكَ (آـ 14).
 3. لَمَّا كُنْتُ مَعَهُمْ، حَافَظْتُ عَلَيْهِمْ وَحَرَسْتُهُمْ بِقُوَّةِ اسْمَكَ الَّذِي أَعْطَيْتُهُ لِي (آـ 12).
 4. وَكَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ، أَنَا أَيْضًا أَرْسَلْتُهُمْ إِلَى الْعَالَمِ (آـ 18).
 5. أَنَا أَكْرَمْتُهُمْ بِنَفْسِ إِكْرَامِكَ لِي، لِكَيْ يَكُونُوا وَاحِدًا، كَمَا أَنَّنَا أَنَّنَا وَاحِدٌ
- .(آـ 22)

^{أـ} 4:16-18:15

^{بـ} 33-5:16

^{تـ} 2-1:14

^{ثـ} 30:16

^{جـ} 17: يو

6. أَنَا عَرَّفْتُهُمْ بِشَخْصِكَ، وَسَأَعْرَفُهُمْ بِهِ (آ٢٦).

لعلنا نلاحظ هنا أن الفادي الكريم لم يذكر في قائمة أعماله المعجزات التي قام بها وكيف أنه أحيا الميت وأبراً الأبرص، وشفى الأعمى والآخرين والأطرش والأعرج والمسلول والمحموم، وطرد الشياطين من الملبسين! ولا ذكر العظات والتعاليم التي قدمها وكيف أن الآلاف كانت تأتي لتسمعه. إنما هنا يتحدث عن أصحابه، تلاميذه، أتباعه الذين أحبهم ورعاهم وعلمهم وتلمذهم. إذن عمله كان، لا المعجزات ولا العظات، بل تلاميذه! إنه جاء من أجلهم، وعاش من أجلهم، ومات من أجلهم. أنت عمل المسيح، أنت صناعته.

الأغنية

"لَمْ عَنَّوا أُغْنِيَةً وَخَرَجُوا إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ".^أ

لا شك كان الجو مشحونا بالخوف والخيرة. ظلال قائمة وغموض وتوّقع. وعلى الرغم من هذا غنو! عيسى وحده يعرف تفاصيل الساعات القادمة ومع ذلك هنا أغنية تسنده وتشجعه. فالمسيح غنى في هذا الظرف الصعب. تعلم بولس وسيلا هذا الدرس، فكانا يغنينا ويسبحان الله في السجن بعد ليلة قاسية من الضرب المبرح الذي عاناه الرسولان. بـ

هل أنت حزين؟ هل تتألم بسبب مرض أو بسبب موقف صعب؟ هل يضطهدونك ويحتقرونك ويضربونك؟ إن كنت في ضيق، حدثه عن ذلك بأغنية! توجد موسيقى عذبة في قلبك، والمسيح مشتاق أن يسمعها تنبع من داخلك وتخرج من شفتيك. أنا عارف أن هذا ليس سهلا، لكن مولانا وسيدنا أعطانا المثال. نعم، حياتك يمكنها

^أ مت 26:30؛ مر 14:26

بـ 16

أن تنتج أعزب الموسيقى لجد اسم المسيح.

الله خلق لنا الأحساس والمشاعر والصوت لعبر عما يدور في قلبا من حب لإلهنا واعجاب بصنعيه. والكتاب يوصينا بأن نغنى لله مولانا^ب، ويقول كذلك أن نغنى لله ليس فقط حين تكون الأحوال طيبة وقلوبنا فرحانة، ولكن أيضا حين نقابل المتابع والألم وظلم الليل.^ت

عَبْر عن محبتك للmessiah بأن تغنى وتنشد له بكلمات ظاهرة وموسيقى نقية، ول يكن هدفك هو إجلال عيسى وتسييحه وتعظيمه! لما قاد موسى شعبه إلى النصر والخروج من العبودية في مصر، توقفوا في الطريق وسبحوا الله بالغناء.^ث وغنت دبورة بعد ما منح الله شعبه النصر العظيم على الأعداء^ج. وكان النبي داود دائماً يغنى، وأغانيه هو وغيره التي نجدها في كتاب المزامير والتي هي من وحي الله تعالى، كانت وما زالت سبب بهجة وعزاء للنفس في كل ظروف الحياة لمليين المؤمنين على مر العصور والأجيال.

يحتوي الكتاب الشريف على كتابين بأكملاهما هما عبارة عن أغاني وأناشيد وتسابيح وترانيم (المزامير ونشيد الأناشيد). ويطلب منا الوحي الكريم أن نسبح الله ونغنى له^ج. ويقول الوحي: "هَلْ فِي كُمْ وَاحِدٌ فَرْحَانٌ؟ فَيَرْجِبُ أَنْ يُسَيِّدَ اللَّهُ".^خ ويقول أيضاً: "يَا حَمِيعَ الْأُمَمِ صَفَّقُوا بِالْأَيَادِي. اهْتَافُوا لِلَّهِ هُتَافَ الْفَرَجِ... إِرْتَفَعَ اللَّهُ وَسَطَ الْهُتَافِ، إِرْتَفَعَ رَبُّنَا وَسَطَ ذَوِي الْبُوقِ. غَنُّوا لِلَّهِ، غَنُّوا. غَنُّوا لِمَلِكِنَا، غَنُّوا. هُوَ مَالِكُ

^أ كوك 16:5، بيع 16:3.

^ب بخر 15:21؛ قض 3:5؛ آخ 16:23؛ مز 7:17؛ 9:11؛ 96:2؛ 95:1؛ 92:1؛ 1:17؛ 33:104؛ إش 42:10؛ إش 33:1.

^ت بيع 14:5؛ أي 10:35.

^ث خر 15:18-1.

^ج قض 5.

^ح أق 5:18؛ كوك 16:3.

^خ بيع 14:5.

الْمُلْكِ، عَنُوا لَهُ قَصِيْدَة حَمْدٍ. أَعْنُوا لِلَّهِ أَغْنِيَةً جَدِيدَةً، لِأَنَّهُ صَنَعَ عَجَائِبَ. أَحْرَزَ التَّصْرِ
بِيَسِّينِيَّة، بِذِرَاعِهِ الْمُقَدَّسَة.^ب كَمَا أَنَا لَا شَكْ طُولَ الْخَلُودِ سَنْفِي وَنَشَدَ لِلَّهِ الْقَدِيرِ
بِاسْمِ الْمَسِيحِ الْفَادِي.^ت "وَقَدْ وَقَفَ ... الَّذِينَ غَلَبُوا الْوَحْشَ وَتَمَاثَلَهُ وَرَقَمَ اسْمِهِ، وَهُمْ
مَا سِكُونَ قِيَثَارَاتٍ أَعْظَاهَا لَهُمُ اللَّهُ، وَيُغَنُونَ أَغْنِيَةً مُوسَى عَبْدُ اللَّهِ، وَأَغْنِيَةً حَمَلَ
الْفِدَاءِ. فَيَقُولُونَ: "عَظِيمَةٌ وَعَجِيْبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ أَيُّهَا الْمَوْلَى إِلَهُ الْقَدِيرِ، عَادِلَةٌ وَحَقِيقَةٌ
هِيَ طَرُفُكَ يَا مَلِكَ الدُّهُورِ. مَنْ لَا يَخَافُكَ يَا رَبُّ؟ مَنْ لَا يُسَبِّحُ اسْمَكَ؟ لِأَنَّكَ أَنْتَ وَحْدَكَ
قُدُوسٌ. كُلُّ الْأَمْمَ تَأْتِي وَتَسْجُدُ قَدَامَكَ، لِأَنَّ أَعْمَالَكَ الصَّالِحةَ ظَهَرَتْ."^ث

ما زالت الأغنية التي ترنم بها سيدنا المسيح وتلاميذه في تلك الليلة التاريخية
العصيبة؟ ربما غنوًا معاً مزمور 118. أشجعلك يا أخي أن تقرأ هذا المزمور الآن.

في الطريق إلى البستان

بعد العشاء والأغنية، نزلوا من الغرفة وتركوا الدار واتجهوا إلى البستان. وفي
الطريق حدثهم عيسى عن عدة أمور خطيرة. قال لهم: "هَذِهِ اللَّيْلَةَ كُلُّكُمْ تَرَاجُونَ
عَيْنِي، فَالْكِتَابُ يَقُولُ، أَضْرِبُ الرَّاعِي فَتَنَشَّتَ خِرَافُ الْقَطِيعِ. لَكِنْ بَعْدَمَا أَفْوَمُ مِنْ
الْمَوْتِ، أَسْيِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ". فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: "حَتَّى وَلَوْ تَرَاجَعَ عَنْكَ الْكُلُّ فَأَنَا لَنْ
أَتَرَاجَعَ". أَجَابَهُ عِيسَى: "أَقُولُ لَكَ الْحَقَّ: هَذِهِ اللَّيْلَةَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدَّيْكُ، تُنْكِرُنِي
تَلَاثَ مَرَاتٍ". فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: "وَلَوْ لَزِمَ الْأَمْرُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ، فَلَا أُنْكِرُكَ أَبَدًا". وَقَالَ
الشَّلَامِيْدُ كُلُّهُمْ نَفْسَ هَذَا الْكَلَامِ.

^أ مز 47: 1-5

^ب مز 98: 1

^ت رو 5: 9

^ث رو 15: 2-4

^ج مت 26: 31-35؛ مر 14: 27-31

وَحَدَّثَ جِدَالُ أَيْضًا بَيْنُهُمْ بِشَانٍ مَنْ فِيهِمْ هُوَ أَعْظَمُ وَاحِدٍ. فَقَالَ لَهُمْ عِيسَى: "مُلُوكُ الشُّعُوبِ يَتَسَيَّدُونَ عَلَيْهِمْ، وَأَصْحَابُ السُّلْطَةِ عِنْدَهُمْ يُعْظَمُونُ لَقَبَ "الْمُحْسِنِ" أَمَّا أَنْتُمْ فَلَا يَحِبُّ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا مَعْكُمْ. بَلْ أَعْظَمُ وَاحِدٍ فِيهِمْ يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ كَأَصْغَرِ وَاحِدٍ، وَالرَّئِيسُ يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ كَالْخَادِيمِ. لَأَنَّ مَنْ أَعْظَمُ، هَلِ الَّذِي يَجْلِسُ إِلَيْهِ الْمَائِدَةَ أَمَّا الَّذِي يَخْدِمُ؟ طَبْعًا الَّذِي يَجْلِسُ إِلَيْهِ الْمَائِدَةِ! وَلَكِنَّنِي أَنَا بَيْنَكُمْ كَالَّذِي يَخْدِمُ! "وَأَنْتُمُ الَّذِينَ وَقَفْتُمْ مَعِي فِي مَحْيَيِّي، سَاعَطْتُكُمُ السُّلْطَةَ لِتَعْمَلُوكُمْ كَمَا أَعْطَانِي أَنِّي السُّلْطَةُ لِأَمْلَكَ، لِيَكُنْ تَأْكُلُوا وَرَشَّرُبُوا عَلَى مَائِدَتِي فِي مَمْلَكَتِي، وَتَجْلِسُوا عَلَى عُرُوشِ لِشَحَاسِبُوا قَبَائِلَ إِسْرَائِيلَ الْاثْنَيْ عَشَرَةً.

"يَا سَمْعَانُ، يَا سَمْعَانُ، طَلَبَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَمْتَحِنَّكُمْ كَمَا يُعْرِبُ الْفَلَاحُ الْقَمْحَ. لَكِنِي دَعَوْتُ اللَّهَ مِنْ أَجْلِكَ يَا سَمْعَانُ، لِيَكُنْ لَا يَفْشِلَ إِيمَانَكَ. فَمَتَّ رَجَعْتَ إِلَيَّ يَحِبُّ أَنْ تُقْوَىٰ إِخْوَتَكَ". فَقَالَ: "يَا سَيِّدِي، أَنَا مُسْتَعِدٌ أَنْ أَذَهَبَ مَعَكَ إِلَى السُّجْنِ وَإِلَى الْمَوْتِ".

وَقَالَ لَهُمْ: "لَمَّا أَرْسَلْتُكُمْ بِلَا مَحْفَظَةٍ وَلَا مِزْوَدٍ وَلَا حَدَاءٍ هَلِ احْتَجْتُمْ إِلَى شَيْءٍ؟" قَالُوا: "لَا". فَقَالَ لَهُمْ: "أَمَّا الآنَ فَمَنْ عِنْدَهُ مَحْفَظَةٌ فَلْيَأْخُذْهَا، وَمَنْ عِنْدَهُ مِزْوَدٌ فَلْيَأْخُذْهُ". وَمَنْ لَيْسَ مَعَهُ سَيْفٌ، فَيَحِبُّ أَنْ يَبِيعَ ثُوَبَهُ وَيَشْتَرِي سَيْفًا. أُوكِدُ لَكُمْ، يَحِبُّ أَنْ يَتَمَّ فِي قَوْلِ الْكِتَابِ: حُسِبَ مَعَ الْأَشْرَارِ، لَأَنَّ مَا يَقُولُهُ الْكِتَابُ عَنِّي سَيَّئَمُ". فَقَالَ التَّالِمِيدُ: "أُنْظُرْ يَا سَيِّدُ هُنَا سَيَّقَانِ". فَقَالَ لَهُمْ: "كَفَاكُمْ!"^{اب}

هنا نجد المسيح ومعه 11 فقط من تلاميذه، يسرون نحو البستان. هل فكر هؤلاء التلاميذ في أنفسهم أو سألوا بعضهم بعضاً لماذا يهودا ليس معهم؟ ربما اعتبروا أن ما قاله السيد ليهودا: ما نويت أن تعمله اعمله بسرعة^ت هو سر بين الاثنين، وأنه

ليس من حقهم أن يسألوا.

وفي الطريق أخبر المسيح تلاميذه بالخطة التي دبرها الشيطان والتي كان العدو على وشك أن يستخدمها ضدهم. رأى المعلم أنه لا بد من أن يحذرهم. أرادهم أن يكونوا على علم بما سيواجهونه خلال الساعات القليلة القادمة. لم يرغب في أن يكون هذا الأمر مخفياً عنهم لثلا يُهزموا بالهجوم المفاجئ. ففي الطريق إلى البستان: أأنبأهم بأنهم سيتراجعون عنه. وبأنه سيقوم من الموت. ويسبّقهم إلى الجليل.

أصر بطرس أنه لن يتراجع عنه ولن يتنكر له أبداً حتى ولو فعل ذلك باقي التلاميذ.

أجابه عيسى بأنه في تلك الليلة هو (بطرس) سينكره 3 مرات. قام جدال بينهم بشأن من هو أعظم واحد فيهم. رداً على ذلك أوصاهم عيسى بأن يتواضعوا، الواحد تجاه الآخر، لا أن يتعظموا بعضهم فوق بعض.

أأنبأهم بأنه سيعطيهم السلطة ليملكونا، وبأنهم سيكونون على مائدة، وسيجلسون على عروش ليحاسبوا قبائل بني إسرائيل.

حدث جدال بينهم بشأن من فيهم هو أعظم واحد! هل تضطرب مثل حين تقرأ أن التلاميذ بعد أقل من ساعة من الدرس الذي قدمه عيسى عن التواضع، يحدث هذا بينهم؟ ما السبب؟ ببساطة، الطبيعة البشرية التي تغذى الأنانية وحب الذات. لكن الصليب غير حياتهم بعد ذلك.

في البستان

وَذَهَبُوا إِلَى مَكَانٍ اسْمُهُ جَسِيمَانِيٌّ^أ

عبر المسيح والذين معه وادي قدرون وهو شرق المدينة، ويقع بين سورها الشرقي وجبل الزيتون. وفي البستان ذهبوا إلى مكان اسمه جسيمانى.^ب معنى الكلمة جسيمانى هو "معصرة".²⁵ يبدو أنه كانت هناك معصرة لعمل الزيت من الزيتون. هنا في هذا المكان بعد لحظات قليلة سيتعصر قلب المسيح حزنا على خطيئة الناس.

في بستان آخر، هو جنة عدن، حيث عاش آدم الأول، جرى صراع بين الشيطان وأدم. في تلك المرة انتصر الشيطان، وهزم آدم ونحن معه! أما الآن، في هذه الليلة، فمع أن الصراع أقسى وأخطر، لكن ابن الله، آدم الأخير انتصر، وضمن النصر لنا.

الصلا

فَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ: "إِنْتَظِرُوا هُنَا بَيْنَمَا أُصْلِيٌّ". وَأَخَذَ مَعَهُ بُطْرُوسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَبَدَأَ يَشْعُرُ بِالْحُوْفِ وَالْحُرْنِ الشَّدِيدِ. وَقَالَ لَهُمْ: "نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًا إِلَى دَرَجَةِ الْمَوْتِ. إِنْتَظِرُوا هُنَا، وَاسْهُرُوا". ثُمَّ ابْتَعَدَ قَليلاً، وَرَمَيَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَكَانَ يُصْلِي لِكَيْنَ تَعْبَرَ عَنْهُ تِلْكَ السَّاعَةِ إِنْ أَمْكَنَّ. وَقَالَ: "يَا بَابَا! يَا أَيَّ! أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أَبْعِدْ عَنِي هَذِهِ الْكَأسَ. لَكِنْ لَتَكُنْ إِرَادَتُكَ أَنْتَ لَا إِرَادَتِي أَنَا". ثُمَّ رَجَعَ إِلَى التَّلَامِيذِ فَوَجَدَهُمْ نَائِمِينَ، فَقَالَ لِبُطْرُوسَ: "يَا سَمْعَانُ! أَنْتَ نَائِمٌ؟ أَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَسْهَرَ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ إِسْهُرُوا وَصَلُّوا لِيَلَا تَقْعُوا فِي مُحْنَةٍ، تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا الصَّوَابَ، لَكِنَّ الطَّبِيعَةَ الْبَشَرِيَّةَ ضَعِيفَةٌ!" وَذَهَبَ وَصَلَّى مَرَّةً أُخْرَى نَفْسَ هَذِهِ الصَّلاةَ. وَرَجَعَ مَرَّةً أُخْرَى، فَوَجَدَهُمْ

^أ مر 14:32

^ب مت 26:36

^ت كور 15:45

نَائِيْنَ لَأَنَّ عُيُونَهُمْ كَانَتْ ثَقِيلَةً، فَلَمْ يَعْرِفُوا مَاذَا يَقُولُونَ لَهُ. ثُمَّ رَجَعَ مَرَّةً ثَالِثَةً وَقَالَ لَهُمْ: "تَأْمُوا وَاسْتَرِيجُوا! كَفَى! جَاءَتِ السَّاعَةُ! أُنْظِرُوا! الَّذِي صَارَ بَشَرًا يُسْلِمُ إِلَى أَيْدِي الْأَشْرَارِ، قُومُوا لِنَدْهَبَ. أُنْظِرُوا! جَاءَ الَّذِي حَانَى".^أ

كانت الشمس قد غابت وحل الظلام. فلما وصلوا إلى البستان، ترك ثمانية من تلاميذه في بقعة ما وأخذ الثلاثة الباقين ليكونوا بالقرب منه. أخذ هؤلاء الثلاثة معه، ربما لأنه أراد أن يكون هناك شهدان عيان لجهاده وصراعه في الصلاة لخير أمته في المستقبل، ليتمثل به أتباعه في الصلاة. وربما أيضا لأنه شعر أنه كان يحتاج إلى من يشجعه. كان يحتاج إلى رفقتهم وتشجيعهم في هذا الوقت العصيب. كان يرغب في أن يسهروا ويصلوا. نحن عندما نصل معا نشجع بعضنا البعض. هذه درجة كبيرة من التواضع. خالق البشر يحتاج إلى البشر ليساعدوه. وتقدم قليلا ورمي نفسه على الأرض يتضرع لله ليعينه في هذه الساعة الصعبة.

ماذا جرى معه وما هي المشاعر والأحساس التي اختبرها السيد المبارك في ذلك الوقت؟ يقول الوحي إنه:

بَدَأَ يَشْعُرُ بِالْكَآبَةِ وَالْحُزْفِ وَالْخُزْنِ الشَّدِيدِ. بـ

قَالَ لَهُمْ: "نَفْسِي حَزِينٌ جِدًّا إِلَى دَرَجَةِ الْمَوْتِ".^{ات}

وَكَانَ فِي صِرَاعٍ شَدِيدٍ. ثـ

فَأَخَذَ يُصْلِي بِحَرَارةٍ أَكْثَرَ.^{ثـ}

وَصَارَ عَرَقُهُ مِثْلَ نُقَطٍ دَمٌ نَازِلٌ عَلَى الْأَرْضِ.^{جـ}

^أ مر 14:32-42

^{بـ} مت 14:37؛ مر 14:33

^{تـ} مت 14:38؛ مر 14:34

^{ثـ} لو 22:44

^{جـ} لو 22:44

^{حـ} لو 22:44

ما السبب في كل هذا؟ ما سبب الخوف والكآبة والحزن الشديد والصراع والعرق الذي تصيب مثل نقط دم؟

1. فَرِعَ من الخطيئة. كان المسيح يعرف أنه خلال ساعات قليلة سيحمل كل ذنوب البشر على الصليب. هنا يتصور في ذهنه بشاعة هذا الموقف وهو له وفظاعته. فهو القدس الطاهر النقي ونفسه ترتعب لمجرد هذا الفكر.

2. حَزِنَ لأن الله سيحجب وجهه عنه. كان يعرف أنه سيموت كبديل عن العصاة الأشرار. ولا بد أن الأب القدس يحتجب عن نائب الخطاة المذنبين بسبب بشاعة الخطيئة. كانت فكرة الانفصال عن الأب وعن حضوره واحتمال مرارة المجر، ثم أيضا الوقوع تحت أهوال غضب العدل الإلهي، كل هذه كانت مخيفة، محزنة، ومرهقة بحق. حين قال: "نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًا إِلَى دَرَجَةِ الْمَوْتِ". لم تكن هذه كلمات فيها مبالغة، بل كان حزنه الشديد يكاد أن يقتله فعلا.

3. صارع قوات الشر. أشار المسيح إلى ذلك أثناء احتفاله بالفصح حين قال إن: "سَيِّدُ هَذِهِ الدُّنْيَا قَادِمٌ، وَلَيْسَ لَهُ أَيُّ سُلْطَانٍ عَلَيْهِ".^أ كما أن تحذيره المتكرر للتلاميذ الذين غلبهم النوم في البستان هو: "إِسْهَرُوا وَصَلُوا لِئَلَّا تَقْعُوا فِي مِحْنَةٍ".^ب انطلقت قوات الشر الروحية لتهاجم ابن الله بلا هوادة. لقد جاء المنقذ لهذه الساعة، فلا بد أن العدو يركز كل مجده ليمنع الفادي من القيام بأعظم عمل في التاريخ. أدرك عيسى خطورة هذه الساعة، وسهر وجاهد وصارع وانتصر.

أما هم فنعوا وناموا! طلب منهم أن يسهروا معه. لكنهم ناموا. في مناسبة سابقة أخذ عيسى هؤلاء الثلاثة ليكونوا معه لما ظهر له موسى وإلياس، ولكنهم في تلك المرة ناموا، وفي هذه المرة أيضا ناموا! يبدو أنه من الصعب علينا نحن البشر أن

ندرك وأن تستوعب عقولنا وقلوبنا أمرين في غاية الأهمية: جلال المسيح، وألام المسيح.

من هم هؤلاء الثلاثة؟ هناك بطرس الذي أكد للمسيح أنه على استعداد لأن يموت معه. فمنذ ساعة أو ساعتين فقط كان بطرس قد قال للمسيح: "يا سيد، أنا مُستعدٌ أن أذهب معك إلى السجن وإلى الموت".^أ ولكنـه الآن نائم! وهناك يعقوب ويوحنا اللذان في مناسبة سابقة قالا إنـهما على استعداد لأن يتحملـا معـه كلـ ألم وعـذابـ. سـألهـما عـيسـى: "هل تـقدـرـانـ أن تـشـرـبـا الكـأسـ الـقـيـ أـشـرـبـهاـ أـنـاـ، أـو تـنـزـلـاـ إـلـىـ أـعـماـقـ الـأـلـمـ الـذـي سـأـقـسـيـهـ أـنـاـ؟"^{بـ} فـقاـلاـ لـهـ: "نعمـ، تـقدـرـ".^{بـ} ولـكـنـ لما جاءـتـ الكـأسـ الـمـرـ، لما جاءـ الـأـلـمـ الـقـاسـيـ، نـامـ يـعقوـبـ ويـوحـنـاـ! كـلـهـ نـامـواـ لـأـنـهـ لمـ يـفـهـمـواـ خـطـورـةـ المـوقـفـ وـالـأـحـدـاتـ الـقـيـ ستـلـاحـقـ بـسـرـعـةـ.

فسـهـرـ المـسـيـحـ وـحـدهـ، فـي صـرـاعـ روـحـيـ عـنـيفـ وـهـوـ يـصـليـ وـيـتـضـرـعـ لـهـ وـيـطـلـبـ مـنـهـ أـنـ يـبعـدـ عـنـهـ هـذـهـ الـكـأسـ إـنـ أـمـكـنـ. كـيـفـ يـسـأـلـ هـذـاـ؟ وـمـاـ معـنـيـ سـؤـالـ؟

إـنـ المـقـصـودـ بـهـذـاـ الدـعـاءـ هوـ: "لوـ كـانـتـ تـوـجـدـ طـرـيـقـةـ أـخـرىـ لـفـدـاءـ النـاسـ وـإـنـقـاذـهـمـ

مـنـ مـصـيرـهـمـ الرـهـيـبـ، إـذـنـ لـيـتـكـ تعـفـيـنـيـ مـنـ هـذـهـ الـعـلـمـيـةـ الـمـرـيـرـةـ الـقـاسـيـةـ. لـوـ أـمـكـنـ

فـدـاءـ الـبـشـرـ دـوـنـ أـنـ أـنـفـصـلـ عـنـكـ يـأـبـيـ خـلـالـ هـذـهـ السـاعـاتـ الـمـظـلـمـةـ الـقـادـمـةـ، فـلـيـتـكـ

تـأـخـذـ عـنـيـ بـعـيـداـ هـذـاـ العـذـابـ الـمـرـ". لـكـنـ الـحـقـيقـةـ هـيـ أـنـهـ لـمـ تـوـجـدـ طـرـيـقـةـ أـخـرىـ. نـعـمـ

لـاـ يـمـكـنـ إـنـقـاذـ النـاسـ بـغـيـرـ فـدـاءـ، وـالـفـادـيـ الـوـحـيدـ هـوـ اـبـنـ اللهـ الـكـرـيمـ.

قـبـلـ ذـلـكـ قـالـ عـيسـىـ لـلـتـلـامـيـدـ: "قـلـيـ إـلـآنـ مـضـطـرـبـ. فـهـلـ أـقـوـلـ: أـنـقـذـنـيـ يـأـبـيـ

مـنـ هـذـهـ السـاعـةـ؟ لـاـ، فـأـنـاـ جـتـنـتـ لـهـذـهـ السـاعـةـ."^{تـ} لـقـدـ كـانـ ذـلـكـ قـصـدـهـ الـذـيـ جـاءـ مـنـ

أـجـلـهـ.

^{أـ} لو 22:33

^{بـ} مـرـ 10:38-39

^{تـ} يـوـ 27:12

في هذه الصلاة علمنا درساً مهما، ثم تقدم إلى الصليب ونفذ الدرس. عمل بما علم! في الصلاة قال الله: "لَتَكُنْ إِرادَتُكَ". وفي الصليب نفذ إرادة الله بأسمى طريقة، بأعظم تضحية.

وَظَهَرَ لَهُ مَلَائِكَةٌ مِّنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. وَكَانَ فِي صَرَاعٍ شَدِيدٍ، فَأَخَذَ يُصْلِي بِحَرَارَةٍ أَكْثَرَ،
وَصَارَ عَرَقُهُ مِثْلُ نُقَطٍ دَمَ نَازِلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ.

ظهر له ملائكة من السماء يقويه! هذه درجة أخرى من التواضع! رب السماء والأرض، خالق العالمين، سيد الناس والملائكة، أصبح في حاجة إلى ملاك ليساعده. ووصلت به الحالة، بسبب الصراع الشديد في الصلاة، والخوف والرهبة مما هو قادم عليه، إلى ضعف جسماني شديد لدرجة أن يأتي إليه ملاك ليقويه، ليعينه، ليشده! هو رب الملائكة أجمعين، ولكنه هنا يحتاج لمساعدة ملاك! نام البشر فجاء الملاك ليقويه.

يقول الوحي المبارك عن ذلك الدعاء في تلك الليلة: "وَالْمَسِيحُ، فِي أَثْنَاءِ وُجُودِهِ
كَإِنْسَانٍ هُنَا عَلَى الْأَرْضِ، قَدَّمَ صَلَواتٍ وَّصَرْعَاتٍ بِصُرَاجٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ، إِلَى اللَّهِ الْقَادِيرِ
أَنْ يُنْقَذَهُ مِنَ الْمَوْتِ فَاسْتَجَابَ لَهُ لِتَقْوَاهُ."¹

والمقصود بهذا هو أنه أثناء تلك الصلاة وذلك الصراع الروحي وال النفسي الشديد، كاد عيسى أن يموت من شدة الحزن. فطلب من الله أن ينقذه من موت يداهمه قبل الصليب. لأنّه جاء وقصده أن يموت على الصليب ليفدي البشرية، لا ليموت قبل الصليب ك مجرد شهيد مات حزنا على البشرية. استجاب الله له فمات على الصليب، فداء لنا جميعاً. وأيضاً استجاب الله له وأنقذه من الموت بمعنى أنه بعد ما صُلب عيسى ومات ودفن، أقامه الله حياً في اليوم الثالث.

قبلة الخائن

وَكَانَ الَّذِي خَانَهُ قَدْ أَعْطَاهُمْ عَلَامَةً وَقَالَ: "الَّذِي أَقْبَلَهُ هُوَ الْمَطْلُوبُ، إِفْتَضُوا عَلَيْهِ". فَدَهَبَ مُبَاشِرًا إِلَى عِيسَى وَقَالَ لَهُ: "السَّلَامُ يَا مُعَمْ". وَقَبَلَهُ. فَقَالَ لَهُ عِيسَى: "يَا صَاحِبِي لِمَاذَا أَنْتَ هُنَّا؟ فَتَقَدَّمُوا وَأَلْقُوا الْقُبْضَ عَلَى عِيسَى وَأَمْسَكُوهُ أَوْ افْتَرَبَ (يَهُودًا) مِنْ عِيسَى لِيُقْبَلَهُ". فَقَالَ لَهُ عِيسَى: "يَا يَهُودًا، هَلْ بِقِبْلَةٍ تَخُونُ الَّذِي صَارَ بَشَرًا؟" ^{اب}

لكي يرتكب هذا الخائن فعلته القبيحة، اختار أقدس ليلة: ليلة عيد الفصح، وأقدس مكان: حيث كان المسيح يصلي ويناجي الله، وأقدس رمز: القبلة! وأبغض وأحرق ثمن؛ ثمن عبد (30 عملة من الفضة)!

كان عيسى يعلم ما سيحدث، وأن يهودا سيخونه، لذلك قال بروح النبوة على فم داود قبل ذلك بمئات السنين: "حَتَّى صَدِيقِي الْحَمِيمُ، الَّذِي وَثَقْتُ بِهِ، الَّذِي أَكَلَ مِنْ خُبْزِي، إِنْقَلَبَ صِدِّي". ^ت

كما تحدث النبي داود أيضا عن يهودا وقال:

إِنَّكُنْ أَيَّامُهُ قَلِيلَةً، وَلَيَأْخُذُ وَظِيفَتَهُ وَاحِدٌ آخَرُ . لِيَكُنْ بَنُوهُ يَتَائِي، وَرَوْجَتُهُ أَرْمَلَةً . لِيَتَشَرَّدَ بَنُوهُ وَيَتَسَوَّلُوا، مَطْرُودِينَ عَنْ دِيَارِهِمُ الْحَرِبَةِ . لِيَأْخُذُ الْمُدَائِنُ كُلَّ مَا عِنْدَهُ، وَيَنْهِي الْغَرَبَاءَ تَعْبَهُ . لَا يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يَرْحَمُهُ، وَلَا مَنْ يَتَحَثَّنُ عَلَى أَيْتَامِهِ . لِيَنْفَرِضْ نَسْلُهُ، وَيُمْسِحَ اسْمُهُمْ مِنَ الْجِيلِ الْقَادِمِ . لِيُذْكَرِ الْمَوْلَى شَرَّ آبَائِهِ، وَلَا يَغْفِرْ حَطِيقَةً أَمَّهِ، بَلْ تَبْقَى دُنُوبُهُمْ دَائِمًا أَمَامَ الْمَوْلَى . لِيَقْطَعْ مِنَ الْأَرْضِ ذِكْرُهُمْ . لَأَنَّهُ لَمْ يَنْخُطْرْ عَلَى بَالِهِ أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا، بَلْ اضْطَهَدَ الْمِسْكِينَ وَالْفَقِيرَ وَكَسِيرَ الْقُلُبِ حَتَّى

الْمَوْتِ. أَحَبَّ أَنْ يُلْعَنَ فَحَلَّتْ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ، وَكَرِهَ أَنْ يُبَارِكَ فَأَبْتَعَدَتْ عَنْهُ الْبَرَكَةُ. لَيْسَ اللَّعْنَةُ كُرَدَاءً، فَدَخَلَتْ إِلَيْ جَسْمِهِ كَالْمَاءِ، وَإِلَى عَظَامِهِ كَالزَّيْتِ.

أخي احذر من أن تقع في شرك الشيطان كما وقع يهودا. احذر من أن تخون المسيح كما خانه يهودا. نعم، أحذر أيها الإنسان، من أن تخون عيسى ربك وسيدك وفاديك. ربما هناك اغراءات يُقدمونها لك. ربما يعرضون عليك أشياء جذابة، لكن تَنْدَسَ في جماعة المؤمنين بعيسى الذين يتلقون سرا خوفاً من السلطات التي تلاحقهم ولا تعطيهم الحرية الدينية. ربما قدموا لك عروضاً مغربية؛ ربما وظيفة أو زوجة أو داراً أو مالاً! دعني أقول لك إنك إن كنت تدخل وتَنْدَسَ في جماعة المؤمنين لكي تحطّمهم وتخرّبهم وتضرّهم، سيكون مصيرك كمصير يهودا الخائن! بـ لذلك أنصحك أن ترفض إغراءاتهم وعروضهم. أو ربما هناك تهديدات يتوعدونك بها. لا تخف منهم. اتق الله. كن أميناً لسيدك عيسى المسيح الذي أحبك وضحى بنفسه من أجلك. هل كثير عليك أن تضحي بنفسك من أجله؟

وهنا لي كلمة إلى جماعات المؤمنين باليسوعيين، على الرغم من ضغط السلطات الظلمة، يلتقيون معاً لعبادة الله الحق، في الخفاء وفي أماكن نائية ومعزولة: لا تخافوا! إن المسيح القدير معكم. هو الذي أحبكم وضحى بنفسه من أجلكم وسيكون معكم إلى النهاية. لذلك يقول لكم: "أَنَا أُرْسِلُكُمْ مِثْلَ خَرَافٍ وَسُظْنَاتٍ، فَكُوئُنُوا حَذِيرَيْنَ كَالْحَيَّاتِ، وَلُطْفَاءَ كَالْحَمَامِ."^ت

كانت جماعة المؤمنين في إحدى العواصم في شمال إفريقيا تجتمع في دارنا في ظروف صعبة. كنا دائمًا نحاول أن نكون بعيدين عن عيون السلطات. وفي البداية، كان لا بد أن أتخذ قراراً هاماً يهم سلامة أفراد الجماعة باعتبار أنني خادمهم والراعي

18-8 : 109

باع 15-20

ت مت 16:10

الروحي لهم. هذا القرار هو بشأن الأشخاص الذين يأتون إلينا ويقولون إنهم يرغبون في دراسة الإنجيل معنا. هل نقبلهم أو لا نقبلهم؟ هل نشق فيهم أم لا؟ والقرار الذي توصلنا إليه هو هذا: إنه من الأفضل أن نعمل خطأ ضد أنفسنا لا ضد الشخص الذي يريد الالتحاق بنا. ما معنى هذا؟ أقصد أنه إن جاءنا شخص وطلب أن يدرس كلمة الله معنا، ونحن بدورنا سألنا القدير الإرشاد، لكن لم يكن الجواب واضحًا لنا، فمن الأفضل أن نقبل هذا الشخص لا أن نرفضه. أي أن نقبل شخصا حتى ولو كان غير أمين معنا، لدرجة أنه يعرضنا للخطر. هذا أفضل من أن نرفضه بينما هو أمين ويبحث عن الحق، لئلا نعرضه هو خطر الملاك في الجحيم! وذات مرة، وكنا نعبد المسيح معا، طرق الباب زائر غريب لا نعرفه. قال الرجل:

"أنا اسمى المولدي نوري، أصلًا مسلم، ولكني آمنت باليسوع بينما كنت أزور فرنسا منذ أسابيع قليلة. وهناك أعطاني زميل لك اسمك وعنوانك وقال لي لا بد أن أزورك."

هنا كان عليه أن أتخذ قرارا سريعا وخطيرا. إما أن أرفض الرجل لأنني غير متأكد من صحة كلامه، أو أن أقبله في داري وفي اجتماع المؤمنين معا ونحن لا نعرفه، وبذلك قد نعرض أنفسنا جميعا للخطر، لأننا قد اجتمعنا معا لنعبد المسيح في بلد لا يسمح بذلك. ووفقا للسياسة التي تتبعها، رفينا صلاة سريعة للقدير أن يهبنا الإرشاد والهدایة وينحننا القرار السريع السليم. وفعلا قبلنا الرجل ليينضم معنا إلى اجتماعنا في تلك اللحظة! ويا له من قرار حكيم بروح الله القدس، فقد تقدم المولدي جدا في ولائه للمسيح وصار فيما بعد من خدام الجماعة ومن القادة الأمانة الأوفياء في خدمة المسيح على مدى سنين طويلة إلى آخر يوم في حياته.

ومن الناحية الأخرى، ذات مرة جاءت فاطمة، وبدأت تحضر اجتماعنا. ولكنها فجأة انقطعت. وما سألنا عن السبب، قالت لنا فتاة أخرى تعرفها: "لماذا تقبلون فاطمة معكم؟ ألا تعلمون أنها تعمل في المخابرات في الأمن الوطني، وربما أرسلوها

لتتجسس عليكم؟ ولكن لا تخافوا، فقد كانت فاطمة على علاقة بشاب، واكتشفت مؤخرا أنها حبت منه في الحرام، فخافت من أهلها لغلا يقتلوها، وهربت إلى أوروبا!"
ما أعظم الفادي الكريم الذي يحرسنا ويحفظنا ويرعاينا في كل خطوة من أمثال
يهودا الخائن!

بطرس يحاول أن يحميه

وَهُنَا مَدْ وَاحِدٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَ عِيسَى يَدُهُ وَأَخْرَجَ سَيِّفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْأَحْبَارِ، فَقَطَعَ أَذْنَهُ . فَقَالَ لَهُ عِيسَى: "أَرْجِعْ سَيِّفَكَ إِلَى مَكَانِهِ، فَكُلْ مَنْ يَسْتَعْمِلُ السَّيِّفَ، بِالسَّيِّفِ يَهْلِكُ. هَلْ تَظْلُمُ أَيِّ لَا أَقْدِرُ أَنْ أَظْلِبَ مِنْ أَيِّ، فَيُرْسِلُ لِي فِي الْحَالِ أَكْثَرَ مِنْ أُنْيَى عَشَرَ جَيْشًا مِّنَ الْمَلَائِكَةِ؟ إِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا لِيَتَمَّ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ ." ^أ

فَلَمَّا رَأَى أَتْبَاعَ عِيسَى مَا سَيَحْدُثُ، قَالُوا: "هَلْ نَضْرِبُ بِالسَّيِّفِ يَا سَيِّدُ؟" وَضَرَبَ وَاحِدٌ مِّنْهُمْ عَبْدَ رَئِيسِ الْأَحْبَارِ، فَقَطَعَ أَذْنَهُ الْيُمْنَى . فَقَالَ عِيسَى: "كُفَّ عَنْ هَذَا!" وَأَمْسَ أُذْنَ الرَّجُلِ وَشَفَاهُ . ثُمَّ قَالَ عِيسَى لِرُؤَسَاءِ الْأَحْبَارِ وَقَادَةِ حَرَبِنَ بَيْتِ اللَّهِ وَالشُّیُوخِ الَّذِينَ جَاءُوا عَلَيْهِ: "هَلْ أَنَا لِصُّ، حَتَّىٰ خَرَجْتُمْ عَلَيَّ بِسُيُوفِ وَعَصَمِيِّ؟ كُنْتُ مَعَكُمْ فِي بَيْتِ اللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ، فَلَمْ تَقْبِضُوا عَلَيَّ. هَذِهِ هِيَ سَاعَتُكُمْ، حَيْثُ يَسَّلَطُ الظَّلَامُ ." ^ب

...

وَكَانَ مَعَ سَمْعَانَ بُطْرُسَ سَيِّفُ، فَأَخْرَجَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ الْحُبْرِ الْأَعْلَى، وَقَطَعَ أَذْنَهُ الْيُمْنَى . وَكَانَ اسْمُ الْعَبْدِ مَلْخَسٌ . فَقَالَ عِيسَى لِبُطْرُس: "صُبِّعْ سَيِّفَكَ فِي غَمْدِيَهِ. الْكَاسُ

الَّتِي أَعْطَانِي الْأَبُ أَلَا أَشْرَبُهَا؟^١

ظن بطرس أن بإمكانه أن يجمي المسيح بالسيف. لم يكن حق ذلك الوقت يدرك أو يفهم أن المسيح لا يحارب أعداءه بسلاح أو سيف. لم يعرف بطرس حتى ذلك الوقت أن عيسى يقف بقامة طويلة أعلى وأسمى وأنبل من أن يستخدم سفك الدم ليقهر أعداءه.

لم يسمح عيسى لأتباعه بأن يستخدمو العنف. لما ضرب بطرس عبد رئيس الأخبار، أمره المسيح بأن يتوقف عن هذا. ولبس الجريح وشفاه بمعجزة.

القبض عليه

وَكَانَ يَهُوذَا الَّذِي خَانَهُ، يَعْرِفُ ذَلِكَ الْمَكَانَ، لَأَنَّ عِيسَى اجْتَمَعَ مَعَ تَلَامِيذِهِ هُنَاكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ. فَأَخَذَ يَهُوذَا فِرْقَةً مِنَ الْعَسْكَرِ وَجَمَاعَةً مِنَ الْحَرَسِ الَّذِينَ أَرْسَلُهُمُ رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ، وَرَاحَ إِلَى الْبَسْتَانِ. وَكَانَ مَعَهُمْ مَصَابِيحُ وَمَسَايِعُ وَسِلَاحٌ. وَكَانَ عِيسَى يَعْلَمُ كُلَّ مَا سَيَحْدُثُ لَهُ، فَخَرَجَ وَقَالَ لَهُمْ: "مَنْ تَظْلِبُونَ؟" فَاجَابُوا: "عِيسَى النَّاصِرِيِّ". قَالَ لَهُمْ: "أَنَا هُوَ". وَكَانَ يَهُوذَا الَّذِي خَانَهُ وَاقِفًا مَعَهُمْ. فَلَمَّا قَالَ عِيسَى لَهُمْ: "أَنَا هُوَ،" رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَرَفَعُوا عَلَى الْأَرْضِ. فَسَأَلَهُمْ عِيسَى ثَانِيَةً: "مَنْ تَظْلِبُونَ؟" قَالُوا: "عِيسَى النَّاصِرِيِّ". أَجَابَ عِيسَى: "قُلْتُ لَكُمْ أَنَا هُوَ، فَإِنْ كُثُرْتُ ثُرِيدُونِي أَنَا، خَلُوا هُؤُلَاءِ يَدْهَبُونَ." وَبِهَذَا تَمَّتِ الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا: "لَمْ أَفْقِدْ أَحَدًا مِنَ الَّذِينَ أَعْطَيْتُهُمْ لِي."^٢

أرسل قادة الدين عصابة إلى البستان ليقبضوا على عيسى. من كان في هذه العصابة؟ قائدتها: يهودا القريوتي. أعضاؤها: رؤساء الأخبار، وفرقة من العسكر

^١ يو 18:10

² يو 18:9-2

الروماني، وقادة حرس بيت الله، وشيوخ الشعب. أَمَا كَانَ مَعْهُمْ؟ مَصَابِحٌ وَمَشَاعِلٌ وَسَلاَحٌ. ^ث وَكَانَ السَّلَاحُ هُوَ سَيْفٌ وَعَصِيٌّ. عَجَباً، خَرَجُوا لِيُفْتَشُوا وَيُبَحِّثُوا عَنْ نُورِ الْعَالَمِ بِمَصَابِحٍ وَمَشَاعِلٍ! خَرَجُوا بِسَيْفٍ وَعَصِيٍّ لِيُقْبِضُوا عَلَى مَلْكِ السَّلَامِ وَيُخْضِعُوهُ! لَمَّا سَأَلَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ: "مَنْ تَطْلُبُونَ؟" أَجَابُوكُمْ: "عِيسَى النَّاصِريُّ". فَقَالُوكُمْ بِشُجَاعَةٍ: "أَنَا هُوَ." فَرَجَعُوكُمْ إِلَى الْوَرَاءِ وَوَقَعُوكُمْ عَلَى الْأَرْضِ. إِذْنَ فِي الْحَقِيقَةِ، قَبْلَةِ يَهُوذَا لَمْ تَكُنْ لَازِمَةً! هُنَّا يُعْرِفُ عِيسَى بِنَفْسِهِ، وَيَعْلَمُ لَمْ جَاءُوكُمْ لِيُقْبِضُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ هُوَ الشَّخْصُ الْمَطَلُوبُ.

لَمَّا رَجَعُوكُمْ إِلَى الْوَرَاءِ وَوَقَعُوكُمْ عَلَى الْأَرْضِ؟ إِنْ جَوَابَهُ لَكُمْ كَانَ صَدْمَةً كَبِيرَةً. لَقَدْ اسْتَخْدَمَ الْمَسِيحُ عِبَارَةً "أَنَا هُوَ" الَّتِي عَرَّفَ بِهَا اللَّهُ الْقَدِيرُ نَفْسَهُ لِمُوسَى عَنْدَ الْعِلِيقَةِ الْمُشْتَعِلَةِ حِيثُ قَالَ لَهُ: "أَنَا اللَّهُ الَّذِي أَسْمَيْتَ: أَنَا هُوَ." ^ث إِذْنَ هَذَا التَّعْبِيرِ يَعْنِي أَكْثَرَ مِنْ الْقَوْلِ: أَنَا عِيسَى. أَكْثَرَ مِنْ: أَنَا الْمَعْلُومُ وَصَانِعُ الْمَعْجزَاتِ. الْمَعْنَى هُوَ: أَنَا هُوَ الْكَائِنُ، أَنَا هُوَ الدَّائِمُ، الَّذِي أَظْهَرَ نَفْسِي لِمُوسَى فِي الْعِلِيقَةِ. أَنَا هُوَ الْجِيِّ الْقَدِيرُ صَاحِبُ السُّلْطَانِ فَوْقُ النَّاسِ وَالْكَوْنِ. وَمَهْمَا دَبَرَ الْإِنْسَانُ مِنْ خَطْطٍ وَمَؤَامَرَاتٍ، فَالْكُلُّ يَظْلِمُ تَحْتَ نَفْرُودِي وَسُلْطَانِي. إِذْنَ لَمْ يَكُنْ الْمَسِيحُ ضَعِيفًا أَمَامَ أَعْدَائِهِ، بَلْ قَوِيًّا قَدِيرًا يَتَحَكَّمُ فِي الظَّرُوفِ وَالْأَحْوَالِ وَفِي سِيرِ الْتَّارِيخِ وَالْأَحْدَادِ!

لَعْلَهُ هَذَا يَذَكُرُنَا بِحَادِثَةِ جَرْتُ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ صَمَوْئِيلَ. فَقَدْ هَزَمَ الْفَلَسْطِينُونَ بْنِ إِسْرَائِيلَ، وَاسْتَولُوا عَلَى صَنْدُوقِ الْعَهْدِ الْمَغْشَى بِالْذَّهَبِ، وَأَخْذُوهُ وَوَضَعُوهُ فِي مَعْبُدِ إِلَهِهِمْ فِي أَشْدُودِ. لَكِنَّهُمْ فِي الصَّبَرِ وَجَدُوكُمْ تَمَثَّلًا إِلَهَهُمْ سَاقِطًا عَلَى وَجْهِهِ عَلَى الْأَرْضِ أَمَامَ

^أ لو 22:52، يو 18:3

^ب يو 18:3

^ث مت 26:47؛ لو 22:52

^ث خر 3:14

صندوق عهد المولى! ولما تكرر هذا في اليوم التالي، أدرك أهل أشدود أن المولى القدير رب بنى إسرائيل هو الذي أسقط التمثال وكسره وحطمه.^{بـ}
لكن هؤلاء الذين جاءوا ليقبضوا على عيسى وسقطوا أمامه، لم يتذكروا هذه الحادثة في تاريخهم القديم، ولم يتعظوا كما اتعظ أهل أشدود!^{ات}
وهنا يجب أن نفهم أنه في الليلة التي قبضوا فيها على عيسى في البستان، كان أمام سيدنا المسيح اختياران آخران غير تسليم نفسه لمن قبضوا عليه، وكان له مطلق الحرية أن يختار أي واحد منهم.

أولاً، كان في إمكانه أن يطلب من الله تعالى فيرسل له اثنين عشر جيشاً من الملائكة لتنقذه ما كان ينتظره تلك الليلة واليوم الذي بعدها.^{ثـ} وفي هذه الحالة كان يمكن أن يلتف حول عيسى الآلاف من الذين جاءوا إلى القدس ليحتفلوا بالعيد، وكان من الممكن أن يستخدموا سيفهم وخناجرهم لبدء ثورة جارفة ليرموا بالروماني في عرض البحر ويحرروا البلاد منهم ويعوسوا مملكة حرة. في الحقيقة كان هذا هو توقع الشعب. كان هذا مفهوم الشعب لمعنى التعبير: المسيح الملك. فمن ناحية كانت هناك إمكانية مساعدة الملائكة له، ومن الناحية الأخرى إمكانية انضمام الشعب إليه.

ولكن تعال أخي نسأل هذا السؤال الخطير: على أي شيء كانت تقوم هذه المملكة؟ هل على محبة الأعداء التي نادي بها عيسى؟ طبعاً لا! هل على الدعاء من أجل الذين يضطهدوننا، والإحسان إلى الذين يسيئون إلينا كما أمرنا هو؟ طبعاً لا! لو حدث ذلك فعلاً وقامت مملكة المسيح على الشورة والسيف، وكانت مثل أي مملكة

^{أـ} 4-1 ص 5

^{بـ} 12-1 ص 5

^{تـ} 6 ص 1

^{ثـ} مت 53:26

أخرى، وحكومتها مثل حكومات الأرض، وتستند على الحرب والعنف وسفك الدم، ويشوبها الفساد والظلم.

وثانياً، أي الاختيار الثاني الذي كان أمّام عيسى، هو أن ينسحب من البستان قبل ما جاءوا ليقبضوا عليه. كان يمكنه أن يهرب من ذلك المكان تحت ستار الظلام، أو حتى لما جاءوا ليقبضوا عليه وسقطوا على الأرض أمامه. كان يمكنه أن يتركهم ساقطين ويهرب منهم. أي كان من الممكن له أن يستغل هذا الموقف ويهرب. كان فعلاً بإمكان عيسى أن يهرب في تلك الليلة من البستان ومعه تلاميذه، ويصعد جبل الزيتون، ثم يعبر قرية بيت عنبا، ومنها يتجه إلى نهر الأردن ويعبره إلى الضفة الأخرى. الملك داود قبل ذلك بألف سنة عمل هذا في ليلة واحدة ومعه مئات وربما آلاف من معاونيه، وبذلك هرب من أبشلوم الذي ثار ضده.

لو كان المسيح قد فعل ذلك، لكن قد ابتعد عن الخطير تماماً. ثم هناك في الصحراء كان يمكنه أن يقيم مملكته ورؤسها على قواعد وقوانين وشائع دينية ومبادئ اجتماعية، ويأمر جماعته بالقيام بفرايض وصوم وصلوة. وبذلك يكونون كلهم في أمان، وينتظرون حتى يعمل الله شيئاً!

لكن لا. لم يكن هذا هو الطريق الذي اختاره المسيح. إنه جاء ليغدي، جاء لينقذ. ولكي يتم هذا كان لا بد أن يموت. لذلك اختار أن يبقى في البستان وينتظر حتى يأتي أعداؤه ويقبضوا عليه ويأخذوه لمحاكمة شكلية جائرة باطلة، ويصلبوه ويقتلوه.

للأسف أن بعض المسيحيين الذين يطلق عليهم اسم عيسى المسيح الطاهر، اختاروا في بعض الأوقات الاختيار الأول، بعكس المسيح سيدهم. فتحولوا سيف الإنجيل الكريم إلى سيف من حديد يقطع الرقاب ويطعن القلوب ويسفك الدماء.

والصلب الذي هو رمز المحبة والتضحية والفاء، حوله إلى رمز الجهاد المسلح وال الحرب والقتال. إن المسيح من هؤلاء براء! إنهم لا ينتمون إليه. هذه ليست أمة عيسى الحقيقة. هذه ليست جماعة الأنبياء المؤمنين باليسوع.

ثم في أوقات أخرى، انسحبت أمة المسيح من المجتمع، وظلت أن الدين هو أمر بين الفرد وبين الله تعالى فقط، وأن أمة عيسى لا يجب أن تتدخل في شؤون المجتمع أو الدولة أو العالم. الذين يجذبون هذا الموقف يتبنون سياسة الفصل بين الدين والدولة. مثل هؤلاء تركوا الجبل على الغارب للشر لينتشر ويستشرى دون مانع أو رادع. تركوا إدارة دفة أمور الناس في يد قادة لا يعرفون التقوى ولا يخافون الله، وفي يد ساسة لا يدركون في أي اتجاه يسيرون.

والذي نحتاج إليه اليوم هو أن تسلك أمة عيسى الطريق الذي سلكه سيدنا نفسه. نحتاج أن نكون هناك في وسط العالم المحتاج ونقدم أنفسنا بمحبة وتضحية وقوى.

Herb التلاميذ

فَقَبَضَ الْعَسْكَرُ وَالْقَائِدُ وَحَرَسُ الْيَهُودِ عَلَى عِيسَى وَقَيَّدُوهُ وَسَاقُوهُ... ثُمَّ تَرَكُهُ التَّلَامِيذُ لَكُلِّهِمْ وَهَرَبُوا.

هنا الذي أرسله الله ليطلق المظلومين أحرازاً نراه مقيداً، والذي سيحاكم كل البشر بالعدل، نراه واقفاً أمام ظالمين يحاكمونه، ومانح الحياة حكموا عليه بالموت!

تبغه شاب

وَتَبَيَّنَ شَابٌ لَّيْسَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ غَيْرُ عَبَايَةٍ مِنَ الْكَتَانِ. فَأَمْسَكُوهُ لِكِنَّهُ تَرَكَ الْعَبَايَةَ وَهَرَبَ عُرْيَانًا!

لا نعرف من هو هذا الشاب، لكن يقول بعض المفسرين ربما هو مرقس الذي أوحى الله إليه فيما بعد بالبشرارة التي تحمل اسمه. فهو هنا يتحدث عن نفسه ولذلك لم يذكر اسمه اتضاعاً وتأديباً. المهم هو أنه أراد أن يتبع المسيح بعد القبض عليه. يبدو أن ذلك الشاب كان لا يلبس ثوب الليل المعتاد في داره، وأنه سمع أصوات العسكر والضجة. فخرج من الدار وأخذ يتبع المسيح إما حباً له أو لحب الاستطلاع لأنّه أراد أن يشاهد ما يحدث. لكن لما رأى أن حياته في خطر، هرب عرياناً تاركاً ثوبه الوحيد الذي كان يغطي به عرته.

وقف أمام القضاة

بعدما قبضوا عليه، ساقوه إلى سلسلة من المحاكمات. أولاً أمام قادة الدين اليهود، حيث حاكموه على 3 مراحل. وثانياً أمام الحكم الرومان، حيث حاكموه أيضاً على 3 مراحل.

أمام قادة الدين²⁶

حضر قادة الدين عيسى ليمثل أمامهم كمتهم. لم يدركوا في ذلك الوقت أنّهم سيقفون أمامه في يوم الدين ليحاكمهم.

أمام حنا

فَقَبَضَ الْعَسْكُرُ وَالقَائِدُ وَحَرَسُ الْيَهُودِ عَلَى عِيسَى وَقَيْدُوهُ وَسَاقُوهُ أَوَّلًا إِلَى حَنَّا، وَهُوَ حَمُو قِيَافَا الْحُبْرِ الْأَعْلَى فِي تِلْكَ السَّنَة... فَسَأَلَ رَئِيسُ الْأَحْبَارِ عِيسَى عَنْ تَلَامِيذهِ وَعَنِ التَّعْلِيمِ الَّذِي يُنَادِي بِهِ فَأَجَابَهُ عِيسَى: "أَنَا كَلَمَتُ الْعَالَمَ عَلَّنَا، وَدَائِمًا عَلَّمْتُ فِي بُيُوتِ الْعِبَادَةِ وَفِي بَيْتِ اللَّهِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ كُلُّ الْيَهُودِ، وَلَمْ أَفْلُ شَيْئًا فِي السَّرِّ إِذْنَ لِمَادَا تَسْأَلُنِي أَنَا؟ إِسْأَلِ الدِّينَ سَمِعُوا، عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَلَمْتُهُمْ بِهَا، فَهُمْ يَعْرِفُونَ مَا قُلْتُ." فَلَمَّا قَالَ عِيسَى هَذَا، لَظَمَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَاحِدٌ مِنَ الْحَرَبَسِ كَانَ يَجَانِبُهُ وَقَالَ لَهُ: "أَيَّهُذِهِ الظَّرِيقَةِ تَرُدُّ عَلَى رَئِيسِ الْأَحْبَارِ؟" أَجَابَهُ عِيسَى: "إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فِي كَلَامِي، فَبَيْنَ الْأَخْطَأْ وَإِنْ كُنْتُ تَكَلَّمْتُ بِالصَّوَابِ، فَلِمَادَا تَضَرِّبُنِي؟" فَأَرْسَلَهُ حَنَّا مُقَيَّدًا إِلَى قِيَافَا الْحُبْرِ الْأَعْلَى.

كان حنا كبير السن، وقد عرله الرومان من أن يكون رئيس الأبحار وأعطوا المركز بالتناوب لخمسة من أولاده وزوج بنته قيافا. ومع ذلك بقي حنا القوة المحركة وصاحب النفوذ.

لاحظ هنا أن هذا الرجل سأل عيسى عن أمرتين: عن تلاميذه، وعن التعليم الذي ينادي به. لكن عيسى رد على السؤال بشأن تعليمه، ورفض أن يرد على السؤال بشأن تلاميذه. لماذا؟ لأن الكلام هنا يعني أن رئيس الأبحار كان يريد أن يعرف: من هم، وما أسماؤهم، وما هو عددهم، وما هي عناوينهم، وما هي وظائفهم. أراد المسيح أن يحتميهم من خطر السلطات.

في هذا الوقت الذي كان عيسى فيه يحمي تلاميذه، أنكره بطرس! فإنه بعد لحظات قليلة من هذا، سأله الناس بطرس إن كان من تلاميذ عيسى، لكن بطرس كذب وقال إنه لا يعرفه! لاحظ أن هناك فرقاً كبيراً بين طريقة عيسى في الرد، وطريقة

بطرس. عيسى لم يرد، أما بطرس فاستعمل القسم والشتائم، لأنه كان ينكر حقائق ثابتة ومعروفة!

في محاكمة بولس أمام المجلس ذاته، ولكن بعد هذا بعده سنين أمر رئيس الأباء خدامه بأن يضربوا بولس على فمه. فقال له بولس: "يَضْرِبُكَ اللَّهُ أَعْلَمُهَا الْحَاطِطُ الْمُبِيَّصُ!"^أ هل تشعر في بعض الأوقات بأن تعمل مثل بولس، أم مثل المسيح الذي يقول عنه الوحي: "شَتَّمُوهُ قَلْمَ يَرُدُّ بِالشَّتِيمَةِ، عَدَّبُوهُ قَلْمَ يُهَدِّدُهُمْ، بَلْ سَلَّمَ أَمْرَهُ اللَّهُ الَّذِي يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ".^ب

كان قانونهم ينص على أن أية محاكمة يجب أن تتم في النهار، وفي ساحة المحكمة التي هي جزء من بيت الله. إذن كانت هذه محاكمة غير شرعية وغير عادلة، لأنها تمت في منتصف الليل، وفي دار حنا. ثم إنه لم يكن هناك شهود! ولذلك لما لم يمكن لحنانا أن يلصق تهمة بالمسيح، قرر أن يرسله مقيدا إلى قيافا، لعله يقدر أن يدينه.

أمام قيافا

فَالَّذِينَ قَبَضُوا عَلَى عِيسَى سَاقُوهُ إِلَى قَيَافَا رَئِيسَ الْأَحْبَارِ حَيْثُ كَانَ الْفُقَهَاءُ وَالشُّيوخُ مُجْتَمِعِينَ عِنْدَهُ.ت

هذا يعني أن قادة الدين كانوا مجتمعين فعلاً وبيدو أنهم كانوا يتوقعون وصول عيسى للملوك أمامهم. وهنا أيضا نرى أنها محاكمة غير قانونية وغير عادلة، لنفس الأسباب التي ذكرناها في محاكمته أمام حنا.

^أ آع 23:1-5

^ب بط 2:23

^ت مت 26:57

أمام المجلس

ولَمَّا ظَلَعَ النَّهَارُ، اجْتَمَعَ مَجْلِسُ شُيوخِ الشَّعْبِ، وَهُمْ رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ وَالْفُقَهَاءُ، وَسَاقُوا عِيسَى إِلَيْ مَجْلِسِهِمُ الْأَعْلَى. وَقَالُوا: "إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ، فَقُلْ لَنَا". أَجَابُوهُمْ: "إِنْ قُلْتَ لَكُمْ لَا تُصَدِّقُونَ، وَإِنْ سَأَلْتُكُمْ لَا تُحِيطُونَ. لَكِنْ مِنَ الْآنِ يَجْلِسُ الَّذِي صَارَ بَنَرًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ الْقَدِيرِ". فَقَالُوا لَهُمْ: "هَلْ أَنْتَ إِذْنَ ابْنِ اللَّهِ؟" أَجَابَ: "قُلْتُمُ الصَّوَابَ". فَقَالُوا: "لِمَادِّا نَحْتَاجُ إِلَى شَهَادَةٍ أَكْثَرَ؟ تَحْنُ سَمِعْنَاهَا مِنْ فِيهِ هُوَ!"^أ يَبْدُو أَنَّ رُؤَسَاءَ الْأَحْبَارِ دَعُوا هَذَا الْاجْتِمَاعَ سَرًا وَعَلَى وَجْهِ السَّرْعَةِ وَاخْتَارُوا أَنْ يَحْضُرَهُ فَقْطَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْرَضُونَ عِيسَى وَلَا يَتَعَاطِفُونَ مَعَ رَسَالَتِهِ. أَقُولُ هَذَا لِأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ إِنَّ أَعْصَاءَ الْمَحْكَمَةِ كُلُّهُمْ حَاوَلُوا أَنْ يَجْدُوا شَهَادَةً زُورَ ضَدَّ عِيسَى.^ب ثُمَّ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الْقَرْرَارَ بِقَتْلِهِ بِالْإِجْمَاعِ.^ت

لَذِكْرِي مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ نَقُولُ إِنَّ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ وَالَّذِي كَانَ مِنْ تَلَامِيذِ عِيسَى^ث لَمْ يَكُنْ مُوجُودًا فِي ذَلِكَ الْاجْتِمَاعِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ عَضُوًّا فِي الْمَجْلِسِ.^ج كَذَلِكَ نَقُولُ إِنَّ نَقْدِيمُوسَ لَمْ يَكُنْ مُوجُودًا. وَقَدْ كَانَ هُوَ أَيْضًا عَضُوًّا فِي الْمَجْلِسِ^ح وَفِي مَنْاسِبَةِ سَابِقَةِ أَصْرَرَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ لَا تَحْكُمُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ الْقَضَاءُ مِنْهُ.^خ لَمَّا ذَرَّا نَقْدِيمُوسَ إِنَّ يُوسُفَ وَنَقْدِيمُوسَ لَمْ يَكُونَا مُوجُودِيْنَ فِي الْاجْتِمَاعِ؟ لِأَنَّهُ مِنْ غَيْرِ الْمَعْقُولِ أَنْ يَحْكُمَا بِصَلْبِ عِيسَى. كَمَا أَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ إِنَّ يُوسُفَ "لَمْ يُوَافِقْ عَلَى قَرَارِهِمْ وَلَا

^أ لو 71-66:22

^ب مت 59:26؛ مر 14:55

^ت مت 14:1؛ مر 27:1

^ث مت 27:57

^ج لو 23:23-50

^ح يو 7:50

^خ يو 7:51

عَلَى تَصْرُّفِهِمْ^أ. لَقَدْ قَصَدْ رُؤْسَاءُ الدِّينِ أَنْ يَعْقُدُوا هَذِهِ الْجَلْسَةَ غَيْرَ الْعَادِيَةَ لِلْمَحْكَمَةِ عَلَى وِجْهِ السُّرْعَةِ وَدُونَ إِخْتَارِ الْمُتَعَاطِفِينَ مَعَ عِيسَى، لَأَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَصْدِرُوا ضَدَهُ حَكْمًا سَرِيعًا لِإِزْالَتِهِ فُورًا.

سَكَتْ عِيسَى وَرَفَضَ أَنْ يَدَافِعَ عَنْ نَفْسِهِ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِي إِمْكَانِهِ أَنْ يَفْعُلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ الْإِنْجِيلُ إِنَّ رُؤْسَاءَ الدِّينِ وَالْقَادِهِ كَانُوا يَقْدِمُونَ تَهْمَهُ ضَدَهُ، فَلَا يَرِدُ بِكَمَا أَنَّهُ رَفَضَ أَنْ يَرِدَ فِيمَا بَعْدِهِ عَلَى بَعْضِ أَسْئَلَةِ بِيَلاطِسِ وَعَلَى هِيرَوْدِسِ!

نَعَمْ، كَانَ فِي إِمْكَانِهِ أَنْ يَرِدَ عَلَيْهِمْ، وَيَفْحَمُهُمْ وَيُظْهِرُ لِلْجَمَاهِيرِ جَهْلَهُمْ وَكَذْبَهُمْ. فَهُوَ الَّذِي فِي سَنَّ الثَّانِيَةِ عَشَرَةَ كَانَ يَطْرَحُ الْأَسْئَلَةَ عَلَى عُلَمَاءِ الدِّينِ فِي حِيرَهُمْ، وَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنْ فَهْمِهِ وَإِدْرَاكِهِ^ث. وَبَعْدَ ذَلِكَ أَثْنَاءَ خَدْمَتِهِ وَسَطِ الْجَمَاهِيرِ، كَمَا كَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ بِسُؤَالٍ أَوْ بِمَوْضِعٍ مَا وَقَصَدُهُمْ أَنْ يَوْقِعُوهُ فِي الْكَلَامِ، كَانَ يَفْحَمُهُمْ وَيَذْهَلُهُمْ بِرَدَدِهِ، وَيَرْسِلُهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ خَائِبِينَ خَاسِرِينَ! فَعِيسَى لَمْ تَكُنْ تَعْوِزَهُ الْكَلَامُ لِكَيْ يُسْكِتَ مَعَارِضِيهِ وَيُسْدِدَ أَفْوَاهِهِمْ. كَانَتْ مَهَارَتُهُ فِي الْحَدِيثِ لَا مُثِيلَ لَهَا. كَانَتْ لَهُ مَقْدِرَةٌ عَجِيبَةٌ لِإِقْنَاعِ الْمُسْتَمِعِ وَالْوَصْلُ إِلَى قَلْبِهِ وَلِبِهِ.

وَلَكِنْ مَاذَا حَدَثَ حَتَّى نَرَاهُ هُنَا أَثْنَاءَ مَحاكِمَتِهِ سَاكِنًا صَامِتًا، لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ؟ لَمَاذَا لَمْ يَجْتَعِ عَلَى الظُّلْمِ؟ لَمَاذَا لَمْ يَقْاتِمْ أَعْدَاءَهُ؟ لَمَاذَا لَمْ يَجْهَرْ بِهِمْ وَيَهْزِمْهُمْ؟ كَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَزْيِلَهُمْ مِنَ الْوُجُودِ بِكَلْمَةٍ أَوْ بِنَفْخَةٍ. كَانَ يُمْكِنُ لِعِيسَى أَنْ يَدَافِعَ عَنْ نَفْسِهِ. لَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا. ثُمَّ أَيْضًا كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَرْفَعَ دُعَوَاهُ إِلَى قِيسَرِ كَمَا عَمِلَ بِوُلْسِ فِيمَا بَعْدِ وَكَمَا عَمِلَ غَيْرِهِ. لَكِنَّ ابْنَ اللَّهِ الْقَدِيرِ لَمْ يَفْتَحْ فَمَهُ. لَمَاذَا؟ أَوْلًا، لَأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَنْتَالَ قَصَاصَ ذُنُوبِنَا. أَوْ بِمَعْنَى آخَرَ أَنْ يَصْبِحَ مَذْنَبًا مَكَانَنَا! أَيْ يَصْبِحَ مَذْنَبًا بِذُنُوبِنَا نَحْنُ وَلَيْسَ بِذُنُوبِهِ هُوَ.

^أ لو 23:51

^ب مت 27:12

^ث لو 46:47

وثانياً، كان يعرف أن الحكم عليه قد صدر قبل أن يأتي أمام المحكمة! فمهما قدم من دفاع، لن يؤخذ كلامه في الاعتبار. ثم إنهم أحضروا شهود زور. أي إنهم قرروا إزالته قبل أن يسمعوا منه!

وثالثاً، لم يرد عليهم لأنّه هو الحمل الذي أرسله الله ليرفع خطيئة الناس. هو حملُ والحمل وديع. ولهذا قال النبي إشعيا عن عيسى بروح الله: "صَرِبُوهُ وَأَذْلُوهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَفْتَحْ فَمَهُ". كانَ كَحَمَلٍ يُسَاقُ إِلَى الدَّبْجِ، وَكَشَاءٍ صَامِتَةٍ بَيْنَ يَدَيِّ مَنْ يَجْرِهَا، فَلَمْ يَفْتَحْ فَمَهُ".¹

وكان رؤساء الأحبار والمجلisy الأعلى كُلُّهُ يَظْلُبُونَ شَهادَةً ضِدَّ عِيسَى لِيَغْتَلُوْهُ، فَلَمْ يَجِدُوهُ. وَمَعَ أَنَّ كَثِيرَيْنَ شَهِدُوا ضِدَّهُ بِالرُّورِ، لَكِنَّ لَمْ تَنْفِقْ شَهادَاتُهُمْ ثُمَّ قَامَ بَعْضُهُمْ، وَشَهِدُوا ضِدَّهُ بِالرُّورِ وَقَالُوا: "لَهُنْ سَمِعَنَا يَقُولُ: اسْأَهِدْمُ بَيْتَ اللهِ هَذَا الَّذِي صَنَعَهُ النَّاسُ، وَفِي 3 أَيَّامٍ أَبْنِي غَيْرَهُ لَمْ يَصْنَعْهُ النَّاسُ". وَحَتَّىٰ فِي هَذَا لَمْ تَنْفِقْ شَهادَاتُهُمْ. فَوَقَفَ رَئِيسُ الْأَحْبَارِ فِي وَسْطِ الْمَجْلِسِ وَسَأَلَ عِيسَى: "هَلْ عِنْدَكَ رَدٌّ عَلَى التَّهَمَّ الَّتِي يُقَدِّمُهَا ضِدَّكَ هُؤُلَاءِ الشُّهُودُ؟" لَكِنَّهُ سَكَتَ وَلَمْ يَرُدْ. بَسَأَهِدْمُ بَيْتَ اللهِ. هذه تهمة باطلة، لأنّه لم يحدث أبداً أن عيسى قال هذا الكلام. وفي ثلاثة أيام أبْنِي غَيْرَهُ لَمْ يَصْنَعْهُ النَّاسُ". أي أحسن منه. هذا تحريف فاضح للكلام الذي قاله المسيح. فهو قد قال: "إِهْدِمُوا هَذَا الْبَيْتُ، وَأَنَا أُقِيمُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ". فَقَالُوا: "هَذَا الْبَيْتُ بُنِيَ فِي سَتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَكَيْفَ تُقْيِمُهُ أَنْتَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؟" لَكِنَّهُ كَانَ يَعْنِي بِالْبَيْتِ، جِسْمَهُ هُوَ.

هل صدقوا فعلاً أنه سيهدم بيت الله؟ هذه تهمة مزورة وقد قتلوه على أساسها. ولكن الغريب في الأمر هنا هو أنه بسبب موته، هُدم بيت الله في القدس بعد

¹ إش 53:7

بـ 14: 61-55

تـ 19: 21-19

حوالي 40 سنة من هذا التاريخ. إسرائيل رفضت ملكها، ولذلك رفضها الله. إسرائيل حكمت على أقدس من دامت قدماء الأرض، لذلك حكم الله عليها بإزالة أقدس مكان تعزز به وتتفخر به - البيت الذي كانوا يعبدون فيه!

كانوا يخافون جداً على بيت الله. في اجتماع لقادة الدين بسبب المعجزة التي أجرتها عيسى بإقامة لعاذر من الموت، عقد رؤساء الأخبار والفرسانيون اجتماعاً، فيه عبروا عن هذا الخوف، فقالوا: "هَذَا الرَّجُلُ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً، فَمَاذَا نَعْمَلُ؟ إِنْ تَرْكَنَاهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ يَؤْمِنُ بِهِ الْجُمِيعُ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيُدْمِرُونَ بَيْتَ اللَّهِ وَيَأْخُذُونَ أُمَّتَنَا".¹ لذلك قرروا أن يقتلوه. ومرة أخرى أقول، ومع أنهم قتلوه، جاء الرومان ودمروا البيت الذي كان اليهود على استعداد لأن يحرسوه بدمائهم، وحطموا الأمة وداسوها في التراب!

في وقت سابق حدثهم عيسى بمثل، هو في نفس الوقت نبوة عن هذا. المثل هو عن واحد صاحب أملاك أجر بستانه إلى فلاحين. ولكنه لما أرسل ليحصل على نصيه منه، ضربوا عبيده وأهانوهم وجرحوهم وقتلوا بعضهم. وأخيراً قرر أن يرسل ابنه لأنه قال إنهم سيخافون ابنه. ولكنهم قتلوا ابنه ورموه خارج البستان. وهنا يسأل عيسى المستمعين ويقول: ماذا يعمل صاحب البستان؟ ويرد عيسى بنفسه على سؤاله ويقول: يأتي ويقتل الفلاحين ويعطي البستان لغيرهم.²

وهنا أدرك اليهود أنه كان يتحدث عنهم ويقول، لأنهم رفضوه هو ابن الله، فلذلك رفضهم الله. ولا شك أن هذا المثل زاد من كراهيتهم الشديدة له.

فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْأَحْبَارِ: "هَلْ أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟" أَجَابَ عِيسَى: "تَعَمْ، أَنَا هُوَ، وَسَرَرُونَ الَّذِي صَارَ بَشَرًا جَالِسًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ الْقَدِيرِ، وَآتَيَّ عَلَى

سَحَابِ السَّمَاءِ! فَشَقَّ رَئِيسُ الْأَحْبَارِ ثِيَابَهُ وَقَالَ: "لِمَاذَا أَخْتَاجُ إِلَى شُهُودٍ؟ أَنْتُمْ سَمِعْتُمُ الْكُفَرَ فَمَا رَأَيْتُمْ؟" فَحَكَمَ عَلَيْهِ الْجَمِيعُ بِأَنَّهُ يَسْتَحْيِي الْمَوْتَ. فَأَخَذَ بَعْضُهُمْ يَيْضِيقُ عَلَيْهِ، وَعَطَّلُوا وَجْهَهُ وَلَكَمُوهُ، وَهُمْ يَقُولُونَ لَهُ: "تَبَّاً". وَأَخَذَ الْحَرْسُ يَلْطِمُونَهُ.

مع أن عيسى سكت ولم يرد على بعض الأسئلة السابقة، نراه هنا لا يسكت أمام هذا السؤال الخطير. فهو إن سكت، ربما يظن الموجودون أنه تراجع عن تصريحاته التي أعلنها من قبل، أو خاف من هؤلاء القادة أصحاب المراكز العالية.

لما كنت صغيراً وكنت أقرأ قصة صلب المسيح، كنت دائماً أتضاعف حين أصل إلى هذا الجزء الذي فيه يستجوب رئيس الأحبار سيدنا عيسى، كنت كصبي أقول في نفسي: "ليت سيدنا عيسى لم يَقُلْ كل هذا، بل ليته أجاب بطريقة أخرى لكي لا يصلبوه!" كنت صغيراً أجهل معنى الصليب! لأنه ماذا يكون حالياً الآن لو لم يتم المسيح من أجي! يا تعاستي لو لم يقدم المسيح نفسه ضحية من أجي! بل إنني اليوم أakhir بالصلب.

سأل قيافاً سيدنا عيسى: "هُلْ أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟" هذا سؤال يدل على مكر شديد. هنا نجد مؤامرة من جانب رئيس الأحبار لقتل عيسى! لماذا؟ لأن هذا السؤال يعني: هل أنت هو الملك؟ فإن أجاب عيسى بنعم، يجعل نفسه مغتصباً لمركز القىصر، وهنا لا بد للرومأن أن يتدخلوا ويقوموا بمحاكمته وصلبه. أما إن قال: "لا" فإنه بذلك يُسدد للشعب لطمة، لأنه يُخيب آمالهم، وهم الذين ظنوا أنه هو المسيح الذي سيحررهم وينحهم الرخاء والسلام. وبذلك يصبح عيسى في أعين الناس مسيحاً كاذباً، لا يمكن أن يُرجى منه خير. وهذا يسبب ثورة الشعب ضده والمطالبة بإعدامه.

جواب المسيح على هذا السؤال يدل على حكمة وصدق وقلب محب. فهو يقول

نعم إنه المسيح، ولكن بمعنى مختلف عما يظنه قيافا وعما يظنه الشعب. فهو المسيح بالمعنى الكتابي، جاء لا ليحمل سيفا ويقتل، بل ليموت ويفدي. لا ليأخذ، بل ليعطى، وعطيته هي حياة الخلود.

ربما كان قيافا يعني بهذا السؤال: كيف تتجروا وتقول إنك المسيح الملك بينما نحن قبضنا عليك، وأنت الآن تحت رحمتنا؟ هل قبضنا على الملك؟ هل ابن الله واقف أمامانا الآن مهانا مذلولا ونحن نحاكمه؟ كان رئيس الأخبار المعظم، صاحب أعلى مركز ديني في البلاد، يحتقر هذا التجار الجليلي. لم يكن قيافا قد سمع الملائكة يهتف للرعاة بشأنه من قبل ويقول: "لَا تَخَافُوا، فَإِنَّ أَبْشَرُكُمْ بِخَيْرٍ يُفَرِّحُ كُلَّ النَّاسِ جِدًا. الْيَوْمَ وُلِدَ لَكُمْ مُّفْقِدٌ فِي مَدِينَةٍ دَاؤُهُ هُوَ الْمَسِيحُ سَيِّدُ الْكُلِّ".^أ لم يكن قيافا قد سمع الأب يقول: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي يُفَرِّحُنِي".^ب لم يسمع قيافا إقرار نثنيل وشهادته لعيسي حين قال: "يَا مُعَلِّمُ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ، أَنْتَ الْمَلِكُ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ هَذَا الشَّعْبُ".^ت ولا اعتراف أتباع المسيح بعد ما هدأ العاصفة حين قالوا: "حَقًا أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ".^ث ولا شهادة بطرس له حين قال: "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْجَيِّ"^ج ولا شهادة مرثا له: "أَنَا أُؤْمِنُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الَّذِي نَتَوَقَّعُ أَنْ يَأْتِي إِلَى الْعَالَمِ".^ح قيافا لا يقدر أن يسمع هتاف الملائكة، ولا صوت الله، ولا شهادة تلاميذ المسيح.

كان قيافا، باعتبار أنه الخبر الأعلى، يدخل مرة واحدة في السنة إلى القدس الداخلي في بيت الله ليقدم دم ضحية ليُكَفَّرَ عن ذنبه وعن ذنب شعبه. هناك كان يرى غطاء الكفار رمز حضور الله. لكن حين وقف عيسى أمامه في تلك اللحظة،

^أ لو 2:10-11

^ب مت 3:17؛ 17:5؛ مر 9:7؛ لو 9:35؛ 2 بط 1:17

^ت يو 1:49

^ث مت 14:33

^ج مت 16:16

^ح يو 11:27

لم يدرك قيافاً أن هذا الشخص هو الذي كان يرمي غطاء الكفار له. نعم، لم يدرك قيافاً في عماه الروحي أن ما كان يعمله سرياً هو الرمز، أما الآن فهذه هي الحقيقة ذاتها. صحيح، كان هو رئيس الأخبار أما الآن فهو أمام رئيس الأخبار الأعظم. الآن هو في محضر الله ذاته. وهذا يعني أن قيافاً هو مجرد خادم أمام سيده!

لم يكن قيافاً يتوقع أن يرد عليه المسيح بالإيجاب. ربما كان رئيس الأخبار يظن أن عيسى سيقول: "لا سمح الله! أنا لا أدعني لنفسي هذه النسبة العالية ولا هذه المكانة السامية!" لكن المسيح فاجأه برد أكمل وأشمل من السؤال ذاته. قال عيسى: "قُلْتَ الصَّوَابَ، وَأَوْكَدْ لَكُمْ جَمِيعًا، أَنَّهُ مِنَ الْآنِ سَرَّوْنَ الَّذِي صَارَ بَشَرًا جَالِسًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ الْقَدِيرِ، وَآتَيَا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ".^أ

كانت الأوضاع مقلوبة في هذه المحكمة. فهنا الخبر الأعلى الحقيقى واقف مُقيد اليدين، يحاكمه رئيس أخبار مزيف حصل على منصبه لأن الرومان عينوه في ذلك المركز. فإن هنا وزوج بنته قيافا عينهما الرومان. أما عيسى فقد اختاره الله، ويصفه الكتاب بأنه حبرنا الأعلى العظيم، وهو رحيم وأمين ويخدم الله، لم يخطئ أبداً، ويُكفر عن ذنوب الناس، وهو قادر أن يفهم ضعفنا ويعين من هم في محنـة.^{بـ}

جواب المسيح عليه يعني: أنت يا قيافا تحاكمني وتظن أن سعادتي ومصيري وحياتي هي في يدك. لكنك على خطأ كبير، فأنا الديان، وأنت ستقف أمامي يا قيافا في يوم الدين!

وكلام المسيح بشأن جلوسه عن يمين القدير ومجيئه على سحاب السماء يشبه إلى حد كبير ما قاله النبي دانيال قبل ذلك بـ400 سنة. في تلك المناسبة قال دانيال: "وَنَظَرْتُ فِي الرُّؤْيَا فِي اللَّيْلِ، فَرَأَيْتُ وَاحِدًا يُشْبِهُ الْبَشَرَ قَادِمًا مَعَ سَحَابِ السَّمَاءِ".

^أ مت 26:64

^{بـ} عب 2:17؛ 3:1؛ 4:15-14

وَجَاءَ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَرَبُوهُ مِنْهُ. فَأَعْطَيَ سُلْطَةً وَجَلَالًا وَقُوَّةً مَلَكِيَّةً، لِيَعْبُدُهُ كُلُّ النَّاسِ مِنْ مُخْتَلِفِ الشُّعُوبِ وَالْأَمَمِ وَاللُّغَاتِ. سُلْطَانٌ سُلْطَانٌ أَبْدِيٌّ لَا يَرُولُ، وَمَمْلَكَتُهُ لَا تَقْفَى".²⁷

وكأن سيدنا المسيح العظيم يقول هنا: "يا قيافا أنت تسألني هنا إن كنت المسيح ابن الله، وجوابي هو نعم. أنت تحاكمني هنا أمام محكمة أرضية بشرية ملتوية في منطقها، وجائرة في حكمها. أنت يا قيافا، في الحقيقة، حكمت عليَّ بالموت منذ أيام، وقبل أن آتي إلى محكمتك. قبل أن أظهر أمام قضاتك، أنت أصدرت حكمك عليَّ. أنت بنفسك قلت إنه يجب أن أموت أنا بدلاً من أن تهلك الأمة كلها".^b

"لكن المهم ليس ما تقوله هذه المحكمة البشرية الظالمة، بل محكمة السماء، محكمة الله العادلة. في محكمة السماء، أعلن الله براءتي يا قيافا. أعلن الله أنني أعمل كل هذا حسب خطته الصالحة ومشورته الحسنة. لذلك فإني قريباً سأكون عن يمين جلالته. سيكون لي مكان في عرشه تعالى. سيكون لي الجلال الذي لله وحده، والعظمة والمكانة التي لله وحده. ليس ذلك فقط، بل سأتي أيضاً على السحاب، لا تكون الديان العادل لكل نسمة عاشت على هذه الأرض، بما في ذلك أنت. أنت ستقف أمامي للمحاكمة، أنت ستقف أمام كرسي القضاء وأنا سأكون القاضي العادل!"

رد عيسى على قيافا بالإيجاب: "نعم، أنا المسيح ابن الله تبارك وتعاليٰ"، ولكن بمعنى يختلف كثيراً عن المعنى الذي يفهمه قيافا وأمثاله. بالنسبة إلى قيافا، وفي فهم جيله ومعاصريه، كما قلنا من قبل إن التعبير: "المسيح ابن الله تبارك وتعاليٰ" يعني أنه ملك يظهر بعظمة وأبهة، والجيوش تتبعه وتحارب وراءه، فيحارب الأعداء وينتصر عليهم، ويرمي بهم في عرض البحر، ويحرر البلاد من سلطتهم.

أما بالنسبة لعيسى، فهذه العبارة: "المسيح ابن الله تبارك وتعالى" تعني أنه جاء خادماً للناس. جاء ليُضحي بنفسه من أجلهم لينقذهم من عبودية الشيطان والذنب. جاء ليموت على الصليب، في عار وهزء وسخرية، ليُفديهم. ثم يقوم مُنتصراً ليُنحthem الحرية الحقيقية، والنجاة والسلام والأمان والنور والأمل إلى أبد الآدبين.

أنكر بطرس أنه يعرفه

وَلَمَّا كَانَ بُطْرُسُ تَحْتُ فِي سَاحَةِ الدَّارِ، جَاءَتْ وَاحِدَةٌ مِنْ حَادِمَاتِ رَئِيسِ الْأَحْبَارِ.
وَرَأَتْ بُطْرُسَ يَتَدَافَعُ، فَتَطَلَّعَتْ فِيهِ وَقَالَتْ: "أَنْتَ أَيْضًا كُنْتَ مَعَ عِيسَى التَّاصِرِيِّ."
لَكِنَّهُ أَنْكَرَ وَقَالَ: "أَنَا لَا أَعْرِفُ وَلَا أَفْهَمُ مَا تَقُولِينَ! ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَدْخَلِ الدَّارِ،
وَصَاحَ الدِّيْكُ. قَرَأَتْ الْحَادِمَةُ هُنَاكَ، وَأَخْدَثَتْ تَقُولُ لِلْمُوْجُودِينَ: "هَذَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ!"
لَكِنَّ بُطْرُسَ أَنْكَرَ مَرَّةً أُخْرَى. ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ، قَالَ بَعْضُ الْوَاقِفِينَ أَيْضًا لَهُ: "بِالْكَيْدِ
أَنْتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، لَأَنَّكَ جَلِيلٌ فِعْلًا." فَأَخَذَ يَعْنُ نَفْسَهُ وَيَخْلُفُ لَهُمْ وَيَقُولُ: "أَنَا لَا
أَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي تَقُولُونَ عَنْهُ."

وَبَيْنَمَا هُوَ مَازَالَ يَتَكَلَّمُ، صَاحَ الدِّيْكُ. فَالْتَّفَتَ عِيسَى وَنَظَرَ إِلَى بُطْرُسَ، فَتَدَكَّرَ
بُطْرُسُ كَلَامَ عِيسَى وَكَيْفَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: "قَبْلَ أَنْ يَصْبِحَ الدِّيْكُ الْيَوْمَ، تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ." فَخَرَجَ وَبَكَى بِحُرْقَةٍ أَ.

هنا جاءت إلى بطرس فرصة عظيمة ليشهد للمسيح ويدافع عنه. ولكنه للأسف

أنكر سيده، وأقسم أنه لا يعرفه!

ما هي الدروس التي نتعلمها من إنكار بطرس للمسيح؟

أول كل شيء يجب أن نفهم أن بطرس راح إلى دار رئيس الأخبار ليتابع أخبار المعلم وليكون بالقرب منه. ومع أن بطرس منذ دقائق تهجم بالسيف على عبد الحبر الأعلى وقطع أذنه، لكنه تجرأ ودخل مع أن في ذلك خطراً عليه. هذا يبين حبه الشديد لعيسى، كما يبين شجاعته ورجلولته. ومن هنا نلاحظ الآتي:

1. صاحب المركز العالي والمرتفع هو أيضاً معرض للسقوط مثل أقل واحد فينا. مركز بطرس كتلميذ للمسيح، ومقرب للفادي الكريم، لم يكن سبباً لإعفائه من المحنـة. إذن مهما كانت مكانـتك الروحـية ومركزـك القياديـ، احـذر لأنـك قد تواجه محنة صعبة!

2. لا تتكل على ذاتك. ربما أنت تعتقد أنك صاحب إيمان عميق، وأنك قوي الإرادة. هنا كلمة تحذير لك من الرسول بولس الذي قال: "مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ ثَابِتُ، فَيَحِبُّ أَنْ يَنْتَهِي لِيَلَا يَسْقُطُ".¹ يجب أن يكون اتكالك على المسيح لا على قوتـك أنتـ. سيدنا وفادينا هو الذي يعطـينا المقدرة لـنتغلـب على المـحنـ والـاخـتـبارـات الصـعبـةـ التي تـقـابـلـنا فيـ الـحـيـاـةـ.

3. بطرس أنكر المسيح 3 مرات. حين يسقط الإنسان في الخطيئة مرة، يكون من السهل بعد ذلك السقوط مرة ثانية وثالثة ورابعة. بدأ بطرس بأن تظاهر بالجهل. قال للخادمة: "أنا لا أعرف ما تقولين". وبعد ذلك انحدر إلى القسم والكذب والإـنـكـارـ، فقال: "أـنـا لا أـعـرـفـ الرـجـلـ". وفي المـرـةـ الثـالـثـةـ، هـبـطـ إلىـ اللـعـنـ وـالـقـسـمـ وقال مـرـةـ أـخـرىـ: "أـنـا لا أـعـرـفـ الرـجـلـ". إـحـذرـ أـخـيـ منـ أنـ تـجـلبـ العـارـ عـلـىـ اـسـمـ المـسـيـحـ الكـرـيمـ. هوـ فـادـيـكـ، لاـ تـنـكـرـهـ.

4. المسيح نظر إلى بطرس. أَهذا يعني أن عيسى حَوَّل عينيه عن الذين يحاكمونه لينظر إلى بطرس، فلاحظ بطرس ذلك. ماذا كان في تلك النظرة؟ ماذارأى بطرس في عيني عيسى؟ هل الغضب والكراهية والحدق لأن هذا التلميذ أنكره؟ لا. لا بل من معرفتي بعيسى، أنا متأكد أن نظرته كانت نظرة الشفقة والحنان والمحبة. لا شك كان فيها ألم وعتاب وتأنيب: كيف تعلم هذا يا بطرس؟ كيف تنكرني؟ لماذا تقول إنك لا تعرفي؟ لقد أكلنا وشربنا معاً أكثر من 3 سنين. أنت سمعت تعليمي ورأيت معجزاتي وختبرت محبي لك ولا أصحابك! من الذي شفى حماتك لما كانت مريضة في دارك يا بطرس؟ من الذي مد يده وأنقذك من الغرق لما كنت تمشي معي على ماء البحيرة يا بطرس؟ عمن شهدت وقلت: "أنت هو المسيح ابن الله الحي" يا بطرس؟

كانت نظرة مقتنة بالحزن، نظرة جعلت بطرس يندم ويبيكي. وهنا يظهر حنان المسيح مرة أخرى. بنظرة فقط يعاتب صاحبه. يا له من منقد رقيق القلب وحنون وشفوق! غيره استخدم السيف ليطعن به من تنكروا له وارتدوا عنه. غيره استخدم العنف. أما عيسى فسلاحه الحب والرحمة.

5. بطرس تاب توبة حقيقة. كان من علامات توبته أنه تذكر كلام عيسى، وأنه بكى بحرقة. كانت هذه الخطوة مهمة ليرجع بطرس إلى مكانه كتابع للمسيح، كتلמיד لعيسى. كان عيسى قد قال له من قبل: "يَا سَمْعَانُ، يَا سَمْعَانُ، طَلَبَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَمْتَحِنَكُمْ كَمَا يُعَرِّبُ الْفَلَاحُ الْقَمْحَ. لَكِيَّ دَعَوْتُ اللَّهَ مِنْ أَجْلِكَ يَا سَمْعَانُ، لِيَنْ لَا يَفْشِلَ إِيمَانَكَ".^أ هنا ندرك أن الله تعالى استجاب لدعاء المسيح، ولم يفشل إيمان بطرس!

^أ لو 22:61

^ب لو 22:31-32

6. كان بطرس قد رأى جلال المسيح على الجبل قبل هذه الأحداث بفترة. كان ذلك اختباراً مجيداً أثّر في بطرس تأثيراً كبيراً لدرجة أنه رغب في أن يقيّم هناك بعض الوقت ليتمتع ببروعة جلال معلمه وسديده، وأيضاً بفرصة ملاقة موسى وإلياس. ومع ذلك نجد بطرس هنا ينكر أنه يعرف عيسى. ربما أنت تقول: إن ظهر المسيح لي في حلم أو رؤيا أو بصوت أسمعه، فإني سأتبعه! لا شك أن الله في رحمته وإحسانه قادر أن يعطيك هذا الحلم أو هذه الرؤيا. لكن أهم من الحلم والرؤيا عندك كلمة الله المقصومة، الإنجيل الشريف الذي يهديك ويقودك في نور المسيح.

7. لم يكن بطرس يعلم وقتها أنه بعد 50 يوماً سينزل الروح القدس من السماء في يوم الخمسين ويملاً أتباع عيسى، وبطرس من ضمنهم. فماذا لو كان اليأس قد حطمه كما حطم يهودا؟

وكذلك لم يكن بطرس يعلم أنه بعد 50 يوماً سيقف أمام جمهور غفير من الناس في مدينة القدس ويخطب فيهم بشجاعة وجراعة وبقوة الروح القدس يعلن لهم كلام الله، فيقبل 3000 منهم عيسى المسيح سيداً وفادياً ومنقذاً وملكاً على حياتهم. فماذا لو كان بطرس قد ذهب في طريق يهودا تلك الليلة ولم يرجع إلى المسيح ولم يندم ولم يتوب؟

أخي، ربما أنت أيضاً غارق في حالة تعيسة من اليأس، بسبب مشاكل الحياة، أو بسبب ذنوبك، أو بسبب تصرفات غبية حمقاء. واليوم أمامك الاختيار بين طريق يهودا وطريق بطرس! أن ترفض المسيح أو أن تتوب وتقبله! أن تقتل نفسك أو أن تؤمن بعيسى مانح الرجاء والحياة. ربما بعد أيام قليلة أو أسبوعين قليلة سينفتح لك باب الفرج، باب الفرح والبهجة والأمل! احذر من أن تعمل ما عمله يهودا! بل تب وتعال إلى المسيح المحب الصبور الغفور.

يهودا شنق نفسه

فَلَمَّا رَأَى يَهُوذَا الْخَائِنُ أَنَّ عِيسَى قَدْ حُكِمَ عَلَيْهِ، نَدِمَ وَأَرْجَعَ الْثَّلَاثِينَ عَمْلَهُ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْأَحْبَارِ وَالشُّيوخِ، وَقَالَ: "أَخْطَأْتُ لَأَنِّي حُنْتُ إِنْسَانًا بَرِيئًا." فَقَالُوا لَهُ: "مَاذَا يَهُمُّنَا! دَبَّرْ أَنْتَ شَأْنَكَ!" فَرَمَى الْفِضَّةَ فِي بَيْتِ اللَّهِ وَخَرَجَ. ثُمَّ ذَهَبَ وَشَنَقَ نَفْسَهُ. فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ الْفِضَّةَ وَقَالُوا: "لَا يَحْكُلُ أَنْ تَصْعَهَا مَعَ أَمْوَالِ بَيْتِ اللَّهِ لَأَنَّهَا ثَمَنْ دَمِ إِنْسَانٍ." فَتَشَاءُرُوا مَعًا وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَارِيِّ، لِيَكُونَ مَقْبَرَةً لِلْأَجَانِبِ. لِهَذَا فَإِنَّ هَذَا الْحَقْلُ إِلَى الْيَوْمِ اسْمُهُ حَقْلُ الدَّمِ. فَتَمَّ مَا قَالَهُ التَّيُّبُ إِرْمِيَا: "وَأَخْدُوا الْثَّلَاثِينَ عَمْلَةً مِنَ الْفِضَّةِ، الْمُبَاعَ الَّذِي اتَّقَى عَلَيْهِ بُنُو إِسْرَائِيلَ لِيَكُونَ ثَمَنَهُ، وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَارِيِّ كَمَا أَمْرَنِي اللَّهُ."^أ

نحن لا نعلم في أي وقت ذهب يهودا وشنق نفسه، هل في نفس تلك الليلة أم بعد ذلك بعده ساعات. ليس هذا هو المهم في الأمر، بل المهم هو أن نتأمل قليلا في ما أصاب هذا التلميذ. لقد تسلط عليه إبليس، ونمّت وترعرعت الخيانة في قلبه، وأظلمت نفسه، فباع سيده ومعلمه!^ب

قبل هذا بحوالي سنة، أبناء المسيح تلاميذه بهذا لما قال لهم: "أَنَا أَخْرَثُكُمْ أَنْتُمُ الْأَئْنَى عَشَرَ، وَمَعَ ذَلِكَ وَاحِدٌ مِنْكُمْ شَيْطَانٌ!" قال هَذَا عَنْ يَهُوذَا بْنِ سَمْعَانَ الْقَرْيُوتِيِّ، فَمَعَ أَنَّهُ وَاحِدٌ مِنَ الْأَئْنَى عَشَرَ، لِكِنَّهُ خَانَهُ فِيمَا بَعْدُ.^ب

ثم قبل الصليب بساعات، وفي أثناء احتفال العشاء الأخير أشار إلى خيانة يهودا عدة مرات فمثلا، لما كان يغسل أقدامهم أشار إلى هذا حين قال: "أَنْتُمْ أَنْقِيَاءُ، لِكِنْ لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ فِيْكُمْ."^ت وأيضا لما قال: "الَّذِي أَكَلَ مِنْ خُبْزِي اتَّقَلَبَ ضِدِّي."^ث وحين

^أ مت 10-3:27

^ب يو 6:70

^ت يو 10:13

^ث يو 13:18

أعلن وهو مضطرب جدا وقال لهم: "أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ، وَاحِدٌ مِنْكُمْ سَيِّخُونِي".^أ
وأيضا حين بين لهم أنه سيغمس اللقبة ويعطيها للشخص الذي سيخونه.^ب وحين قال
ليهودا: "مَا نَوَيْتَ أَنْ تَعْمَلَهُ إِعْمَلْهُ بِسْرُعَةٍ".^ت

كل هذه كانت إشارات لخيانة يهودا، وكنا نتوقع أن هذا التلميذ يتوقف قليلا
ليفكر في نفسه أنه على وشك أن يرتكب عملاً فظيعاً. لكنه مضى في طريقه وأتم ما
أراده، وباع سيده، وحصل على المال. والآن السيد في يد قادة ظالمين قساة، والمال في يد
يهودا فماذا يعمل به؟

وهنا استيقظ ضميره على حين غفلة. نعم، هذا الضمير الذي نعس ونام بل
ومات، الآن ينتفض. ولكن ضاعت الفرصة، وراح يهودا وشنق نفسه. هنا تتعقد
المشكلة أكثر وينتحر المجرم ويختتم حياته التعيسة بمحنة أليمـة.

ما راح إلى قادة الدين وأقر لهم بأنه أخطأ لأنـه خان رجلاً بريئاً، كان ردهم هو
أنـ هذا لا يهمـهمـ. لاحظـ هناـ أنـ هـدـفهمـ كانـ إـزـالـةـ عـيـسـىـ سـوـاءـ كانـ بـرـئـاـ أوـ مـجـرـماـ،
سوـاءـ كانـ عـلـىـ حـقـ أوـ مـخـطـئـاـ. هـدـفهمـ هوـ القـضـاءـ عـلـىـ عـيـسـىـ. فـكـانـ اـعـتـرـافـ يـهـودـاـ لـهـ
بـأنـ أـخـطـأـ اـعـتـرـافـاـ فـارـغاـ لـاـ يـنـفـعـ. تـرـىـ مـاـذـاـ لـوـ اـعـتـرـفـ يـهـودـاـ أـمـامـ اللهـ وـقـالـ: \"يـاـ ربـ،
أـخـطـأـ اـعـتـرـافـاـ فـارـغاـ لـاـ يـنـفـعـ. تـرـىـ مـاـذـاـ لـوـ اـعـتـرـفـ يـهـودـاـ أـمـامـ اللهـ وـقـالـ: \"يـاـ ربـ،
أـخـطـأـ لـأـنـيـ خـتـ إـنـسـانـاـ بـرـئـاـ. سـاحـنـيـ يـاـ ربـ. أـنـاـ مـجـرـمـ فـيـ حـقـ المـسـيـحـ، فـاغـفـرـ لـيـ يـاـ
ربـ\". أـعـتـقـدـ لـوـ كـانـ يـهـودـاـ تـصـرـفـ بـهـذـهـ الطـرـيـقـةـ، لـكـانـ اللهـ غـفـرـ لـهـ فـيـ رـحـمـتـهـ، وـنـجـاهـ مـنـ
النـهـاـيـةـ التـعـيـسـةـ.

ثم هناك أمر آخر يلفت انتباـهـناـ، وهوـ عـمـقـ تـدـيـنـ رـؤـسـاءـ الـأـحـبـارـ! أـقـولـ هـذـاـ
بـشـيـءـ مـنـ السـخـرـيـةـ. بـعـدـمـاـ رـمـيـ يـهـودـاـ الفـضـةـ لـهـمـ، فـكـرـوـاـ فـيـماـ هـوـ حـلـالـ وـحـرـامـ. فـقـرـرـوـاـ
أـنـ لـيـسـ حـلـالـاـ أـنـ يـضـعـواـ الفـضـةـ فـيـ خـزـانـةـ بـيـتـ اللهـ! هـذـاـ حـرـامـ! فـهـلـ حـلـالـ أـنـ يـدـبـرـوـاـ

أ 21:13

ب 27-22:13

ت 27:13

قتل أ Nigel وأسمى شخص في الدنيا وفي التاريخ؟ هل حلال أنك تصوم وتصلي وفي نفس الوقت تدبر الأذى لشخص آخر لأنه لا يتفق معك؟

أمام المحاكم

وَسَاقُوا عِيسَى مِنْ عِنْدِ قَيَافَا إِلَى قَصْرِ الْوِلَايَةِ. وَكَانَ الصُّبْحُ قَدْ طَلَعَ، فَلَمْ يَدْخُلِ الْيَهُودُ إِلَى الْقَصْرِ، لِئَلَا يَتَنَجَّسُوا فَلَا يَأْكُلُوا مِنَ الْفِصْحَ. لِذَلِكَ خَرَجَ بِيَلَاطِسُ إِلَيْهِمْ.

انتقلت المحاكمة إلى دار الحكم الروماني. ويذكر يوحنا، في بشارته، من قادة الدين ومن اليهود عموماً، لأنهم رفضوا أن يدخلوا قصر الحكم لشأن يتوجسوا، إنهم على وشك ارتكاب أفعى جريمة عرفها التاريخ، وفي نفس الوقت يحرصون على تنفيذ شرائع الدين!

أمام بيلاطس

(و) خَرَجَ بِيَلَاطِسُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: "بِمَاذَا تَتَهْمُونَ هَذَا الرَّجُلُ؟ أَجَابُوهُ: "لَوْ لَمْ يَكُنْ مُجْرِمًا لَمَّا كُنَّا سَلَمْنَاهُ لَكَ". فَقَالَ لَهُمْ بِيَلَاطِسُ: "خُذُوهُ أَنْتُمْ وَحَاكِمُوهُ حَسَبَ شَرِيعَتِكُمْ". فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: "نَحْنُ غَيْرُ مَسْمُوحٍ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا". وَبِدَلِكَ تَمَّ مَا قَالَهُ عِيسَى عَنِ الظَّرِيقَةِ الَّتِي سَيَمُوتُ بِهَا.

هنا نرى أنهم قصدوا فعلًا قتلها، إعدامها. حين قالوا: "نحن غير مسموح لنا أن نقتل أحداً" أوضحوا عن نيتهم أن يزيلوه من الوجود، وأيضاً على أنه ليس من حقهم ولا في سلطتهم الحكم بالإعدام على أحد. لماذا؟ لأنهم فقدوا حقهم في إعدام أي

شخص لأنهم ليسوا سادة أنفسهم. صار الإعدام من حق الرومان فقط. وهنا يشرح لنا يوحنا بالوحي أن هذا إتمام ما قاله عيسى أنه سيموت مصلوباً. ولقد أشرنا إلى ذلك من قبل. فلو كان اليهود هم الذين أعدموه لكان ذلك يتم بالرجم حسب شريعتهم. أما الصلب فهو طريقة الرومان في الإعدام.

فَدَخَلَ بِيَلَاطِسُ إِلَى الْقُصْرِ، وَدَعَا عِيسَى وَقَالَ لَهُ: "هَلْ أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟" أَجَابَهُ عِيسَى: "هَلْ تَقُولُ هَذَا بِحَسَبِ تَفْكِيرِكَ أَنْتَ، أَمْ بِحَسَبِ كَلَامِ الْأَخْرِينَ عَنِّي؟" أَجَابَ بِيَلَاطِسُ: "هَلْ أَنَا يَهُودِيٌّ؟ شَعْبُكَ وَرُؤْسَاءُ الْأَحْبَارِ سَلَمُوكَ لِي. مَاذَا عَمِلْتَ؟" أَجَابَ عِيسَى: "مُلْكِي لَا يَنْتَشِي إِلَى هَذَا الْعَالَمَ، لَوْ كَانَ مُلْكِي يَنْتَشِي إِلَى هَذَا الْعَالَمَ، لَكَانَ خُدَّا يُخَارِبُونَ عَنِّي لِيَ كُوْنِي لَا يَقْبِضُ الْيَهُودُ عَلَيَّ، وَلَكِنَّ مُلْكِي لَا يَنْتَشِي إِلَى هَذَا." قَالَ لَهُ بِيَلَاطِسُ: "إِذْنُ فَانَّتَ مَلِكُ؟" أَجَابَ عِيسَى: "قُلْتَ الصَّوَابَ، أَنَا مَلِكُ." وَقَدْ وُلِئْتُ وَجْهِتُ إِلَى الْعَالَمِ لَهَذَا: لَا شَهَدَ لِلْحَقِّ. فَكُلُّ مَنْ يَنْتَشِي إِلَى الْحَقِّ يَسْمَعُ لِي." قَالَ لَهُ بِيَلَاطِسُ: "مَا هُوَ الْحَقُّ؟" وَلَمَّا قَالَ هَذَا خَرَجَ ثَانِيَةً إِلَى الشَّعْبِ وَقَالَ لَهُمْ: "لَا أَجِدُ فِيهِ أَيَّ ذَنْبٍ. لَكِنْ تَعَوَّذُتُمْ أَنْ أُظْلِقَ لَكُمْ وَاجِدًا فِي الْفَصْحَاجِ، فَهَلْ تَرْغَبُونَ فِي أَنْ أُظْلِقَ لَكُمْ مَلِكَ الْيَهُودِ؟" فَأَجَابُوهُ بِالصَّرَاجِ وَقَالُوا: "لَا تُظْلِقْ هَذَا! بَلْ ابْنَ عَبَّاسٍ." وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِصَادِرًا.

كان بيلاطس هو الحاكم الروماني على منطقة السامرة ومنطقة يهودا. وكان يخضع لقيصر روما ولمجلس الشيوخ الروماني. ومن المعروف عنه أنه كان عنيداً متكبراً وقاسياً بلا رحمة. وهناك قصة في التاريخ، شبه أكيدة تقول إنه بعد فترة وجيزة من حكمه على المسيح بالصلب، هجم على أهل السامرة وقتل كثريين منهم. فاشتكوا ضده، فأمره رئيسه في سوريا بأن يرجع إلى روما ليستجوهه القيسار في ذلك. ولكن بينما بيلاطس في الطريق، مات القيسار. ولما وصل بيلاطس إلى روما أمره مجلس

الشيوخ بأن يقتل نفسه!²⁸

طلب اليهود من بيلاطس أن يحكم على المسيح بالإعدام. سألهم بيلاطس عن جريمته، فكان ردهم: لو لم يكن مجرما لما كنا أحضرناه لك. أي: أنت لا تحتاج أن تسألنا عن جريمته. نحن قررنا أنه يستحق الإعدام، وما عليك إلا أن تصدر الحكم باعتبار أنك السلطة الحاكمة هنا.

وهنا رفض بيلاطس أن يمنحهم طلبهم وقال لهم: خذوه أنتم وحاكموه بحسب شريعتكم. قصد بيلاطس بهذا عقابا عاديا، مثل الضرب أو الجلد أو الحبس. ولكن اليهود أصرروا أنهم لن يقبلوا أقل من إعدام عيسى.

وهنا أدرك اليهود أيضا أنهم لكي يبلغوا قصدهم، يجب أن يقدموا اتهامات سياسية رسمية ضد المسيح. لذلك من المهم أن نلاحظ أنه أمام محكمة الدين اتهمه القادة بالكفر، ولكن لما أخذوه إلى الحاكم الروماني الذي لم يكن يُعير اهتماما كبيرا للدين، غير القادة سياستهم واستراتيجيتهم واتهموا عيسى بثلاثة أشياء: أولا، قالوا إنه يحرض الشعب على الثورة^أ. هو الذي كان ينادي بالسلام والمحبة، ويشفي المرضى، ويعزي الحزانى، ويقيم الموتى، ويعطي الرجاء للبائسين، والفرح للبائسين، والحياة الجديدة للتعساء، اتهموه بأنه يحرض الناس على الثورة!

ثانيا، قالوا إنه يعارض دفع الضريبة لقىصر.^ب في مواجهة سابقة بين القادة وبين عيسى، حاولوا أن يوقعوه في فخ. فسألوه إن كان يجب دفع الضريبة للملك أم لا. رفض عيسى فكرة التمرد والتهرب من دفع الجزية للحكومة الأرضية وقال: "أَعْطُوا مَا لِقِيَصَرَ لِقِيَصَرَ، وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ".^ت ومع ذلك هم هنا يتهمونه بأنه يحرض الشعب ألا يدفعوا الضريبة لقىصر! اتهام كاذب!

^أ لو 2:23

^ب لو 2:23

^ت لو 20:21-26

ثالثاً، قالوا إنه يزعم أنه هو نفسه ملك! لم يحدث أبداً أن عيسى نادى في الناس وقال إنه ملك. بل قال إنه جاء خادماً للناس لا رعياً.

لم يكن من السهل أن يخدعوا بيلاطس بهذه التهم. فمثلاً، هل من المعقول أن الحاكم الروماني يصدقهم حين يقولون إن يهودياً منهم قام بمحرضهم ألا يدفعوا الجزية للملك، فيعترضون ضد هذا الشائر ولا يتباينون معه؟ بل كان بيلاطس يعلم أنه إن قام واحد منهم بهذا، لكانوا يلتفون حوله ويتهافتون بحياته! أدرك بيلاطس أنهم جاءوا بعيسى عن حسد وعن غيرة.

ما هو الحق؟ الرد الشافي الكامل على سؤال بيلاطس هذا هو قول المسيح من قبل: "أَنَا هُوَ الْحَقُّ".^ث

"لَا أَجِدُ فِيهِ أَيَّ دَنْبٍ". هنا تحول بيلاطس من كونه القاضي الذي يحاكم المتهم إلى المحامي الذي يدافع عنه! ولكنه للأسف كان ضعيفاً أمام ضغط الجمهور عليه.

أمام هيرودوس

فَلَمَّا سَمِعَ بِيَلَاطِسُ ذِكْرَ الْجَلِيلِ، سَأَلَ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ هُنَاكَ. فَلَمَّا أَدْرَكَ أَنَّ عِيسَى تَابِعٌ لِقَضَاءِ هِيرُودِسَ، أَرْسَلَهُ إِلَى هِيرُودِسَ الَّذِي كَانَ هُوَ أَيْضًا فِي الْقُدُسِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. فَلَمَّا رَأَى هِيرُودِسَ عِيسَى، فَرَحَّ جِدًا فَقَدْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَرَاهُ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ لِأَنَّهُ سَمِعَ عَنْهُ، وَكَانَ يَتَمَنَّ أَنْ يَعْمَلَ عِيسَى مُعْجِزَةً فُدَّامَهُ. فَأَلْقَى عَلَيْهِ أَسْتِنَةً كَثِيرَةً، لَكِنَّ عِيسَى لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ. فَتَقَدَّمَ رُؤَسَاءُ الْأَخْبَارِ وَالْفُقَهَاءُ وَاحْدُوا يَسْتَكْوُنُ ضِدَّهُ بِشَدَّةٍ. فَاحْتَقَرَهُ هِيرُودِسُ وَجُنُودُهُ وَهَزَأُوا بِهِ. ثُمَّ أَلْبَسَهُ رِداءً فَاخِرًا وَأَرْجَعَهُ إِلَى

^أ 2.23

^ب مر 10:44؛ يو 6:15

^ت مت 27:18

^ث يو 14:6

بِيَلَاطْسَ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَصْبَحَ هِيرُودُسُ وَبِيَلَاطْسُ صَدِيقَيْنِ، لَأَنَّهُمَا قَبْلَ ذَلِكَ كَانَا عَدُوَّيْنِ^أ.

لم يرغب بيلاطس في أن يُصدر حكما ضد المسيح. أدرك أن المتهم بريء، ولكنه في نفس الوقت خاف ثورة الجمhor الذي تجمع وطالب بقتل عيسى. فلما عرف بيلاطس أن عيسى من الجليل، ظن أن فرصة عظيمة جاءته ليتخلص من المشكلة، وذلك بأن يُرسل عيسى إلى هيرودس.

كان هيرودس هو حاكم الجليل في ذلك الوقت، وكان قد جاء إلى القدس بمناسبة العيد. لما مات هيرودس الكبير في سنة 4 ق.م. عين الرومان ابنه هذا، أي هيرودس انتيباس، حاكما على منطقة الجليل وعلى منطقة بيرية. ولكن ذات مرة، في أثناء زيارة أخيه فيليب، وقع هيرودس في حب هيروديا زوجة أخيه! فتأمر الاثنان سرا وهربت هيروديا من فيليب وجاءت مع هيرودس إلى بلاده. كان يحيى بن زكريا المغطس يوبخ هيرودس على هذا الفعل القبيح، لأنها سرق زوجة أخيه. ولكن بدلاً من أن يتعظ هيرودس ويتبوب، أمر بقتل يحيى. بعد ذلك لما سمع هيرودس عن معجزات المسيح قال لا بد أنه هو يحيى قام من الموت، وكان يرغب في أن يرى المسيح. وفي أواخر خدمة سيدنا عيسى جاء البعض إليه وحدروه من أن هيرودس كان يدبر أن يقتله. تقول القصة:

وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ، جَاءَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْفَرَّيَسِيَّنَ وَقَالُوا لَهُ: "أُخْرُجْ مِنْ هُنَا وَاهْرُبْ، لَأَنَّ هِيرُودَسَ يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَكَ". فَأَجَابَهُمْ: "إِذْهِبُوا وَقُولُوا لَهُدَا الشَّعْلِ، إِنِّي أَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ وَأَشْفِي النَّاسَ الْيَوْمَ وَغَدَاء، ثُمَّ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أَنْتَهِي مِنْ عَمَلِي! لَكِنْ يَجِبُ أَنْ أَوْاصلَ سَفَرِي الْيَوْمَ وَغَدَاء، لَأَنَّهُ لَا يُقْتَلُ نَيٍّ إِلَّا فِي الْقُدُسِ."^ب

ترى لماذا كان الملك هيرودس يريد أن يقتل المسيح؟ نحن لا نعلم لماذا. ولكننا هنا نجد أن الملك قد فرح لما رأى عيسى. ماذا سأله هيرودس؟ هذه أول مرة يتقابل فيها الاثنان. ماذا قال هيرودس لعيسى؟ هل سأله عيسى لماذا تجرأت أن تدعوني ثعلباً؟ لكن المسيح لم يجاوب على هيرودس. كانت الفرصة متوفرة لهيرودس من قبل ليتوب عن شره ويصلح أحواله لكنه رفض في ذلك الوقت، والآن ضاعت الفرصة. لا بد أن سيدنا عيسى عرف أن الكلام لن ينفع مع الملك، الكلام لن ينفع مع هيرودس. إذن لماذا يَرُدُّ المسيح عليه؟ النقاش لن يؤدي إلى فائدة مع هذا الرجل، فلماذا يَرُدُّ عليه؟

ثم إن هيرودس كان يتمنى أن يعمل المسيح معجزة قدامه. وكأن المسيح هو لاعب يُسلِّي المشاهدين بألعابه السحرية! لكن المسيح رفض أن يتصرف وكأنه يعمل المعجزات لتسلية الناس. رفض أن يستخدم قوته المعجزية، لإرضاء الملك المستهتر. لو عمل المسيح حتى معجزة واحدة أمام الملك، لكن يفرح الملك جداً، وربما كان يطلق سراح المسيح. لكن عيسى رفض أن يَرُدَّ على الملك ولو بكلمة واحدة! غضب الملك من هذا. رأى أن المسيح يحتقره ولا يَرُدُّ على أسئلته. لذلك قرر هيرودس ألا يطلق المسيح، بل أراد أن يعبر عن احتراره الشديد لعيسى بأن ألبسه رداء فاخراً.

ثم أرجع الملك عيسى إلى بيلاطس. لهذا صار هيرودس وبيلاطس صديقين! كانوا عدوين، والآن تحولت العداوة إلى صداقة. بيلاطس أكرم هيرودس بأن أرسل له عيسى ليحاكمه، وهيرودس أكرم بيلاطس بأن أرجع إليه عيسى. تصالح الاثنان. تكونت بينهما صدقة مبنية على قرار شرير، وعلى أساس الظلم والمعاملة السيئة لعيسى.²⁹

هذان الحكمان جاءتهما فرصة عظيمة للوقوف في صف العدالة والصلاح، والحكم ببراءة عيسى. ولكنهما للأسف ضيغا الفرصة. احذر يا أخي من الوقوع في هذا الخطأ الفاحش. أنت أمامك الآن فرصة عظيمة لا يمتن بها كثيرون غيرك لأنها غير متوفرة لهم. أنت تقرأ كلام الله الحق. أنت تقرأ رسالة المسيح معطي الأمل والحياة. لديك فرصة ثمينة عظيمة لتتخذ قراراً إيجابياً بشأن عيسى. لا تضيعها.

أمام بيلاطس للمرة الثانية

وَلَمَّا كَانَ بِيلَاطِسُ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ الْقَضَاءِ، أَرْسَلَتْ لَهُ رَوْجَتُهُ تَقُولُ: "إِيَّاكَ وَهَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ، لَأَنِّي الْيَوْمَ تَأَلَّمُتُ جِدًا بِسَبِيلِهِ فِي حُلْمٍ." فَأَخَذَ بِيلَاطِسُ عِيسَى وَأَمَرَ بِأَنْ يُجْدَدَ. وَصَفَرَ الْجُنُودُ تَاجِاً مِنَ الشَّوْكِ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً لَوْنَهُ أَرْجُوانيٌّ. وَأَخْدُوا يَتَقَدَّمُونَ إِلَيْهِ وَيَقُولُونَ: "أَهْلًا بِكَ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!" وَهُمْ يَلْطِمُونَهُ عَلَى وَجْهِهِ. وَخَرَجَ بِيلَاطِسُ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ لِلْيَهُودِ: "أُنْظِرُوهُ، سَأُخْرِجُهُ إِلَيْكُمْ لِتَعْرِفُوا أَنِّي لَا أَجِدُ فِيهِ أَيَّ ذَنْبٍ". فَخَرَجَ عِيسَى، وَعَانِيهِ تَاجُ الشَّوْكِ وَرِدَاءُ الْأَرْجُوانيِّ. فَقَالَ لَهُمْ بِيلَاطِسُ: "هَذَا هُوَ الرَّجُلُ". فَلَمَّا رَأَهُ رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ وَالْحَرْسُ صَرَخُوا: "إِصْلَبُهُ، إِصْلَبُهُ". فَقَالَ لَهُمْ بِيلَاطِسُ: "خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاصْلِبُوهُ لَأَنِّي لَا أَجِدُ فِيهِ أَيَّ ذَنْبٍ". أَجَابَهُ الْيَهُودُ: "لَئَا شَرِيعَةُ، وَحَسَبَ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ يَحْبُّ أَنْ يَمُوتَ لَأَنَّهُ يَدَعِي أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ". فَلَمَّا سَمِعَ بِيلَاطِسُ هَذَا الْكَلَامَ، خَافَ جِدًا. فَرَجَعَ إِلَى دَاخِلِ الْقُصْرِ وَسَأَلَ عِيسَى: "مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟" فَلَمْ يَرُدْ عِيسَى عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ بِيلَاطِسُ: "هَلْ تَرْفُضُ أَنْ تُكَلِّمَنِي؟ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ لِي السُّلْطَةَ أَنْ أُظْلِقَكَ وَالسُّلْطَةَ أَنْ أَصْلِبَكَ؟" أَجَابَهُ عِيسَى: "لَيْسَ لَكَ سُلْطَةٌ عَلَيَّ لَوْلَمْ يَكُنْ أَعْطَاهَا اللَّهُ لَكَ". لِذَلِكَ فَالَّذِي سَلَّمَنِي

إِلَيْكَ ذَنْبُهُ أَعْظَمُ.^١

فَدَعَا بِيَلَاطِسُ رُؤُسَاءَ الْأَحْبَارِ وَالْقَادِهَ وَالشَّعْبَ مَعًا. وَقَالَ لَهُمْ: "أَنْتُمْ أَحْضَرُتُمْ لِي هَذَا الشَّخْصَ وَقُلْتُمْ إِنَّهُ يُخْرِضُ الشَّعْبَ عَلَى التَّوْرَةِ، وَأَنَا حَقَّقْتُ مَعَهُ قُدَّامَكُمْ فَلَمْ أَجِدْ أَيَّ أَسَاسٍ لِلشَّكْوَى الَّتِي تُقَدِّمُونَهَا ضِدَّهُ. وَلَا هِيَرُودُسُ وَجَدَ أَيَّ شَيْءٍ، لَأَنَّهُ أَرْجَعَهُ إِلَيْنَا. فَهُوَ لَمْ يَفْعُلْ مَا يَسْتَحِقُ الْمَوْتَ. إِذْنْ سَاجِلُدُهُ وَأَطْلِقُ سَرَاحَهُ". وَكَانَ عَلَى بِيَلَاطِسَ أَنْ يُطْلِقَ لَهُمْ سَاجِنَاهُ وَاحِدًا فِي الْعِيدِ. فَصَرَخَ الْجَمْهُورُ كُلُّهُ مَعًا: "أَفْتَنْهُ وَأَطْلِقْ لَنَا ابْنَ عَبَّاِسٍ". وَكَانَ ابْنُ عَبَّاِسٍ هَذَا، قَدْ أَلْقَيَ فِي السَّجْنِ بِسَبِبِ تَوْرَةٍ حَدَّثَتْ فِي الْمَدِينَةِ وَلِجَرِيمَةٍ قَتْلٍ. لَكِنَّ بِيَلَاطِسَ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُطْلِقَ سَرَاحَ عِيسَى، فَخَاطَبَ الْجَمْهُورَ مَرَّةً أُخْرَى، لَكِنَّهُمْ رَدُوا عَلَيْهِ بِالصَّرَاخِ: "إِصْلِبْهُ! إِصْلِبْهُ! فَكَلَّمُهُمْ مَرَّةً ثَالِثَةً وَقَالَ: "لِمَآذَا؟ مَا هُوَ الدَّنْبُ الَّذِي ارْتَكَبَهُ؟ أَنَا لَا أَجِدُ فِيهِ مَا يَسْتَحِقُ الْمَوْتَ، لِذَلِكَ سَاجِلُدُهُ وَأَطْلِقُ سَرَاحَهُ". لَكِنَّهُمْ أَصْرُوا عَلَى ظَلَبِهِمْ، وَصَرَخُوا بِأَعْلَى صَوْتِهِمْ أَنْ يَصْلِبَهُ. وَغَلَبَ صُرَاخُهُمْ. فَقَرَرَ بِيَلَاطِسُ أَنْ يَمْنَحُهُمْ ظَلَبَهُمْ. أَطْلَقَ سَرَاحَ الرَّجُلِ الَّذِي ظَلَّبُوهُ، أَيِّ الَّذِي كَانَ فِي السَّجْنِ بِسَبِبِ الشَّوْرَةِ وَالْقَتْلِ، وَأَعْطَاهُمْ عِيسَى لِيَعْمَلُوا بِهِ مَا شَاءُوا. بَصَرَ الغوغاءِ والعامَةَ بِأَنَّهُ يَسْتَحِقُ أَنْ يَمُوتَ، وَطَالَبُوا الْحَاكِمَ بِأَنْ يَصْلِبَهُ. لَكِنَّ كَانَ الْحَاكِمَ يَدْرِكُ جِيدًا أَنَّ عِيسَى بَرِيءٌ وَأَنَّ رُؤُسَاءَ الدِّينِ أَحْضَرُوهُ إِلَيْهِ بِسَبِبِ الْحَسْدِ.

كان من عادة الحاكم في العيد أن يطلق للشعب واحداً من المسجونين. وكان هناك مسجون اسمه ابن عباس يؤدي عقوبة قتل وثورة، وربما كان سيلافي الإعدام بالصلب فيما بعد لجرائمها. اقترح بيلاطس على الجمهور أن يطلق لهم عيسى. ربما ظن بيلاطس أنه إن هددتهم بإطلاق ابن عباس سيخافون، أي سيخافون من إطلاق

مُجْرَمٌ خَطِيرٌ. رَبَّما كَانَ يَظْنُ أَنَّهُمْ سِيَخْتَارُونَ إِطْلَاقَ عِيسَى.

لَكِنْ رُؤْسَاءِ الدِّينِ حَرَضُوا الشَّعْبَ لِيَطَالِبُوا بِإِطْلَاقِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتْلِ عِيسَى. طَلَبُوا إِطْلَاقَ سَرَاحِ ابْنِ عَبَّاسٍ بَدْلًا مِنْ عِيسَى! يَا لِلْعَجْبِ! اتَّهَمُوا عِيسَى بِالتَّمَرُّدِ وَأَنَّهُ يَحْرُضُ النَّاسَ عَلَىِ الْثُورَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ هُمْ هُنَّا يَطْلُبُونَ إِطْلَاقَ سَرَاحِ سَجِينٍ مُحْكُومٍ عَلَيْهِ بِسَبِّ التَّمَرُّدِ وَالثُّورَةِ. وَهُنَّا نَسْأَلُ: أَيِّ مَنْطَقَ هَذَا؟^أ

قَالَ الْيَهُودُ لِبِيلَاطِسُ: "لَئِنْ شَرِيعَةً، وَحَسَبَ هَذِهِ التَّشْرِيعَةِ يَحْبُّ أَنْ يَمُوتَ لَأَنَّهُ يَدَعِي أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ." فَلَمَّا سَمِعَ بِيلَاطِسُ هَذَا الْكَلَامَ، خَافَ جِدًّا. فَرَجَعَ إِلَىِ الدَّاخِلِ الْقَصْرِ وَسَأَلَ عِيسَى: "مَنْ أَيْنَ أَنْتَ؟" فَلَمْ يَرُدَّ عِيسَى عَلَيْهِ بِـ

إِذْنِ إِحْدَى التَّهَمِ الَّتِي قَدَّمَهَا الْيَهُودُ ضَدَّ عِيسَى هِيَ أَنَّهُ "يَدَعِي أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ". لَمْ سَمِعْ بِيلَاطِسْ هَذَا، خَافَ. لِمَذَا؟ لِأَنَّهُ باعْتِبَارِ أَنَّهُ رُومَانِيًّا كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْآلهَةَ تَأْتِي أَحْيَا إِلَىِ الْأَرْضِ، وَتَسْكُنُ مَعَ الْبَشَرِ. رَبَّما قَالَ فِي نَفْسِهِ: "لَعَلَّ هَذَا الشَّخْصُ هُوَ إِلَهٌ، فَكَيْفَ أَحْكُمُ بِإِعْدَامِهِ؟" وَهُنَّا سَأَلُ بِيلَاطِسْ عِيسَى: "مَنْ أَيْنَ أَنْتَ؟" لَمْ يَكُنْ الْحاَكِمُ يَعْنِي بِهَذَا السُّؤَالِ: "مَنْ أَيْ بَلْدَةَ أَنْتَ؟ أَيْنَ تَقِيمُ وَفِي أَيِّ مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ؟" لَا. لَأَنَّا رَأَيْنَا أَنَّ بِيلَاطِسْ أَدْرَكَ أَنَّ عِيسَى مِنِ الْجَلِيلِ، وَلَذِكَ أَرْسَلَهُ مِنْذُ سَاعَةٍ تَقْرِيبًا إِلَىِ هِيرُودِسِ مَلِكِ الْجَلِيلِ. بَلْ كَانَ الْحاَكِمُ يَعْنِي: "هَلْ أَنْتَ مِنْ هَنَا؟ مِنِ الْأَرْضِ، أَمْ مِنِ السَّمَاءِ؟" وَهُنَّا لَمْ يَرُدَّ عِيسَى عَلَيْهِ. الرَّدُّ هُنَّا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَجْدِي وَلَا يَغْيِرُ شَيْئًا.

فَأَعْلَمَ بِيلَاطِسُ أَنَّ الْمَتَهَمَ بِرِيَءٌ. وَلَكِنَّهُ قَالَ إِنَّهُ سِيَاعَقِبَهُ وَيَطْلُقُهُ! كَيْفَ يَا هَذَا! يَا لَهُ مِنْ مَنْطَقَ أَعْوَجَ! كَيْفَ تَعَاقِبُ الْبَرِيءِ؟ أَنْتَ أَعْلَمَتَ أَنَّ عِيسَى لَمْ يَرْتَكِبْ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ الْعَقَابَ، فَكَيْفَ تَعَاقِبُهُ، وَعَلَى أَيِّ جَرْمٍ تَعَاقِبُهُ؟ وَبَنَاءً عَلَىِ هَذَا الْمَنْطَقَ الْمُلْتَوِيُّ الْغَرِيبُ، مِنْهُمْ الْحاَكِمُ مَرَادُهُمْ وَحْكَمَ بِأَنَّ يَقْتَلَ عِيسَى مَصْلُوبًا، وَأَطْلَقَ

ابن عباس حرا. الشوري الذي حاول قلب نظام الحكم أصبح حرا، والبريء الوديع صاحب السلام، أُعدم مكان المجرم.

وبذلك صدر الحكم تحت ضغط رؤساء الدين وصراخ الناس. لقد تعاونت قوة الاحتلال الروماني مع القيادة الدينية اليهودية ضد شخص واحد أعزل لتصفيته! كان هو الإنسان الوحيد الكامل الذي عاش في أرضنا، وقرروا إزالته.

وكما طالب الجمهور بصلبه وإطلاق سراح ابن عباس القاتل، نحن أيضاً، بحياتنا غير القوية وسلوكنا غير الصالح، بطريقة معنوية طالبنا بصلب عيسى وإعطاء الحرية والحياة لمن لا يستحقون! فهل نتعجب اليوم في مجتمعنا حين نواجه أو نسمع عن أنظمة قضائية غير عادلة وعن اتهامات ظالمة ومنطق أعوج ملتوٍ في الدفاع؟

وهنا حاول بيلاطس بطريقة أخرى أن يعلن للجماهير أنه بريء من قتل هذا الرجل الصالح، لذلك: "أَخَذَ مَاءً وَغَسَلَ يَدِيهِ قُدَّامَ النَّاسِ وَقَالَ: "أَنَا بَرِيءٌ مِّنْ دَمَ هَذَا الرَّجُلِ، دَبَّرُوا أَنْتُمْ شَأْنَكُمْ!"^أب لقد أظهر الحاكم ضعفاً لا يليق بقائد روماني، ولا ندري كيف أمكنه أن يعيش مع نفسه بعد هذا التصرف المخجل الذي يدل على جبنه! ولكن الشعب رد على هذا بأن أعلن بجهل وغباء: "دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا".^ت أي: نحن مسئولون عن قتيله، نحن وأولادنا! هذه كلمات خطيرة. إنهم يرفضون التور ويختضنون الظلم، يرفضون الصلاح ويفضلون الظلم. ويحكمون على أنفسهم بهذه اللعنة الفظيعة، وليس على أنفسهم فقط بل أيضاً على أولادهم. ترى هل تخلصوا من هذا الحكم الذي قصوا به على أنفسهم وأولادهم؟ بعد فترة من هذه الحادثة وبعد قيامة المسيح من الموت وصعوده إلى السماء، وبينما كان رئيس الأخبار يستجوب الرسل بسبب معجزاتهم التي كانوا يعملونها باسم المسيح، قال هذا القائد الديني

^أأع 14:3

^ب مت 24:27

^ت مت 25:27

للرسل: "أَنْتُم مَلَائِمُ الْقَدْسِ بِتَعْلِيمِكُمْ، وَثَرِيدُونَ أَنْ تُنْقُوا عَلَيْنَا مَسْئُولِيَّةَ قَتْلِ هَذَا الرَّجُلِ! أَلَقْدَ بِدَأْ تَأْنِيبَ الضَّمِيرِ!

ثم حين قالوا ذلك الكلام، هل كانوا يدركون نتائج وعواقب هذا الحكم الذي قضوا به على أنفسهم وعلى أولادهم؟ يحدثنا التاريخ بأن عقايا شديدا حل بأهل القدس قبل انقضاء ذلك الجيل. فيقول المؤرخ يوسيفوس إنه لما تمرد اليهود في القدس في عام 70 م، انتقم الرومان منهم انتقاما رهيبا لدرجة أنه لكثره عدد اليهود الذين صلبهم الرومان، لم يعد يوجد خشب في مدينة القدس لعمل صلبان أخرى!

ثم أخرج بيلاطس عيسى إلى اليهود وقال: "هذا هو الرجل!"^ب بـ نحن اليوم نفهم معنى أعمق مما قصده بيلاطس. هنا هو الرجل، الكلمة صار رجلا، وهذا هو الله صار بشرا، وهذا هو! هذا هو الرجل، آدم الأخير^ث، الذي هو التعبير الصادق عن جوهر الله.^ث

ضربوه ولطموه وهزاوا به

وَالرِّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا يَحْرُسُونَ عِيسَى، كَانُوا يَهْزَأُونَ بِهِ وَيُضَرِّوْنَ وَجْهَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ: "تَنَبَّأَ، مَنْ صَرَبَكَ؟" وَوَجَّهُوا إِلَيْهِ شَتَّائِمَ أُخْرَى كَثِيرَةً.

أخذ الجنود والرعايع يهزأون بعيسى، فبعضهم يبصق عليه، وبعضهم يهزا به وي奚بر منه، وبعضهم يضربه بعصا على ظهره ورأسه وبعضهم يلطمه على وجهه، وبعضهم ينتف شعر لحيته فيمزق جلده ولحمه. ثم بعد ذلك جلدوه. كان الجلد من أقسى العقوبات في القانون الروماني. وكان كل من يجلد في ذلك الوقت، ينزعون عنه

^أاع 28:5

^بيو 19:5

^تكور 15:45

^ثعب 1:3

^جلو 22:63-65

ثيابه ما عدا السروال، ثم يربطون يديه مع رجليه، ويطرحونه على الأرض. وكان السوط يُصنع من الجلد المتبخر وله يد تتفرع منها عدة أطراف وفي نهاية كل طرف قطعة من الحديد أو العظم. كان السوط حين ينزل على الجسم يمزق اللحم ويفجر الدم. وكثيراً ما كان الإنسان يفقد عينيه وأسنانه في عملية الجلد.

بهذا السوط نزلوا على جسم المسيح الظاهر بلا شفقة، وبلا رحمة، وبلا إنسانية. تمزق ظهره وسال دمه. قال المسيح على لسان النبي إشعيا: "أَعْطِيْتُ لَهُمْ ظَهَرِي لِيَضْرِبُوْنِي، وَخَدَّيَ لِيَنْتَفُوا دَقْنِي، وَلَمْ أَحْجِبْ وَجْهِي عَنِ الإِهَانَةِ وَالْبَصْقِ".^أ أليس من الغريب أنهم يضربونه ويجلدون ابن الله الأزلي ويلطمونه ويلكمونه؟ الإله الأزلي السرمدي! الله نفسه، يتفلون على وجهه ويهازون به بهذه الطريقة! كل هذا بسبب ذنبنا؛ ذنبي أنا وذنبك أنت! نعم، ذنبنا جاءت به من عرش السماء إلى معلق البقر ثم إلى الصليب!

الذي "هُوَ ضِيَاءُ جَلَلِ اللَّهِ، وَالْتَّعِيْرُ الصَّادِقُ عَنْ جَوْهَرِهِ، وَالَّذِي يَحْفَظُ كُلَّ مَا فِي الْكَوْنِ بِكَلِمَتِهِ الْقَدِيرَةِ"^ب جلدوه وأهانوه واحتقروه وهزاوا به كما شاءوا. المسيح الكريم القدير الذي تسبح باسمه الملائكة وتسجد له كائنات السماء، تفلوا على وجهه ولطموه وضربوه!

تاج الشوك³⁰

وَضَفَرُوا تَاجًا مِنَ الشَّوْكِ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ.^ت
لم يكتفوا بكل هذا العذاب والسخرية، فضفروا تاجاً من الشوك وغرزوه في

^أ إش 6:50

^ب عب 3:1

^ت مت 27:29؛ يو 19:2

جبينه. كان الملوك يلبسون ثوباً لونه بنفسجي أو أرجواني. وضع العسكر هذا الثوب على عيسى ليبالغوا في احتقارهم له واستهزيائهم به. والملك يلبس تاجاً على رأسه، لذلك وضع العسكر تاجاً من الشوك على رأس المسيح، أيضاً ليسخروا منه ويهزأوا به. ولكن هذه الرأس التي توجوها بالشوك، والتي تفجّر الدم منها، من أجلنا، سيأتي اليوم الذي فيه تتوج بإكليل الجلال الذي يتلألأً بأروع من نجوم السماء وسط تسبيح الملايين من ملائكة وصالحين.³¹ نعم، في يوم من الأيام، سيكون عيسى هو قاضي العالمين فيقف أمامه جميع الخلق لكي يحاكمهم. لقد سمح لنفسه أن يحكم الناس عليه بالموت. لماذا؟ لكي يكون هو الفداء بدلاً عننا، وينحنا الحرية والسلام إذا آمنا به. رب الكون، صاحب الجلال والعظمة والجبروت والقوة، هزاً به العسكر، وضربوه بعصا على رأسه، وبصقوا عليه وسخروا منه. لماذا؟ لكي يكرمنا نحن ويعطينا الجلال والبركة في حياة الخلود إذا آمنا به. خالق العالمين الذي يكسو الطير والنباتات بأبهى لباسٍ وَيَمِنُ على الإنسان بما يكسو به عريه، المسيح عيسى نفسه، نزعوا عنه ثيابه وصلبوه عرياناً. مع أنه هو الذي يلبسنا نحن العرايا الآثمين ثوب الصلاح والتقوى والطهارة، وذلك إذا آمنا به. ملك الملوك وسيد الأسياد، المسيح عيسى، رفضه الناس وقالوا إنهم لم يريدوا أن يملك عليهم. لقد سمح هو بأن يجري هذا معه! لماذا؟ لكي يقبلنا هو في ملكه الأبدى، ويجلسنا على عروش معه، ويضع على رؤوسنا تيجاناً من البهاء والجلال لనملך معه، إذا آمنا به. عيسى المسيح، المعلم الرقيق المسامِل، والفادى المحب الرحيم، والهادى الحنون العطوف، والملك الوديع اللطيف، مات أشعّ وأحقر ميتة. لماذا؟ لكي يهزم الموت لنا وينير لنا الحياة والخلود، إذا آمنا به.

خرج إلى الجلجةة

وَخَرَجَ عِيسَى وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيبَةً إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي اسْمُهُ الْجُمْجُمَةُ، وَبِالْعِبْرِيَّةِ
الْجُلْجُثَةُ!

وَلَمَّا كَانُوا خَارِجِينَ، قَابَلُوا رَجُلاً مِنَ الْقَيْرَوَانِ اسْمُهُ سَمْعَانُ، فَأَجْبَرُوهُ أَنْ يَحْمِلَ
صَلِيبَ عِيسَى بْ.

كان مكان الإعدام خارج المدينة،³² وكان الشخص المحكوم عليه بالصلب مطالباً بأن يحمل صليبه إلى مكان الإعدام.³³ هذا للإمعان في إذلاله واحتقاره. كان حمل الصليب فضيحة وعاراً وعيّاً. كان تجربة قاسية للمشاعر الإنسانية. كان إضافة صعبة وزيادة رهيبة فوق العقاب نفسه. حمل عيسى الصليب وسار به. وقادوه إلى مكان اسمه الجلجةة أو الججمة. ربما دعي بهذا الاسم بسبب هاجم القتل الذين كانوا يُعدمون هناك.

لكن بعد فترة من حمل الصليب، يبدو أن المسيح سقط تحت الحمل الشقيль.³⁴ غلَّبَه التعب والإجهاد والإعياء الشديد. أحداث الساعات الأخيرة كانت صعبة للغاية. تأمل الألم الذي عاناه منذ العشاء في الليلة السابقة: لم يكن عشاء سهلاً، بل كانت الغرفة مشحونة بجو ثقيل مُتوتر. ثم جهاده وعراته في الصلاة في البستان، وشعوره بالضعف الشديد لدرجة أن ملاكا جاء ليساعده، ثم خيانة يهودا، وهجوم الحرس للقبض عليه، وهَجَرَ التلاميذ له وهو ربهم من حوله في أصعب ظرف يواجهه، والمحاكمة الجائرة على يد أعضاء مجلس الدين المنافقين المرائين، والساخرية منه والاستهزاء به في قصر قيافا، وإنكار أبرز أتباعه أنه يمت له بصلة أو حتى يعرفه

أيو 17:19

ب مت 32:27

ت خر 14:29، لا 14:12، 12:4، 11:21، 16:27، عد 15:35، 19:3، يو 19:20، عب 13:13-12

ث يو 17:19

مجرد معرفة سطحية، والمحاكمة أمام حاكم ظالم، وأمام ملك فاجر، ثم إلى الحاكم الظالم مرة أخرى، وإصدار الحكم ضده بالصلب، ثم الجلد والضرب وتأج الشوك، وما جاء مع كل هذا من عذاب جسماني رهيب وآلام نفسية وعاطفية فظيعة، ومعاملة العسكر له...

كل هذا كان له تأثير شديد في المسيح. أنا لا أدرى كيف أمكنه أن يحمل الصليب ويسيء به ولو بضع خطوات. لم يمكنه أن يستمر في سيره تحت ذلك الحمل الشقين. فسخروا رجلا آخر ليحمل صليبه.

وَكَانَ سَمْعَانُ الْقِيَرْوَانِيُّ، أَبُو إِسْكِنْدَرَ وَرُوفَا، فِي الطَّرِيقِ رَاجِعًا مِنَ الرِّيفِ،
فَأَجْبَرُوهُ أَنْ يَحْمِلَ صَلِيبَ عِيسَىٰ.
فَلَمَّا أَخْدُوهُ، أَمْسَكُوا سَمْعَانَ الْقِيَرْوَانِيَّ وَهُوَ رَاجِعٌ مِنَ الرِّيفِ، وَوَضَعُوا عَلَيْهِ
الصَّلِيبَ لِيَحْمِلَهُ وَرَاءَ عِيسَىٰ. ^أ

سمعان القيرواني. ماذا يقول عنه الكتاب؟

1. القيرواني. أي من القيروان، يقول البعض إنها مدينة القيروان الموجودة حاليا في تونس.

2. أسكوه. ربما لأنهم رأوا أنه قوي البنية. هل أدرك سمعان ما كان يحدث؟ هل كان يعرف تفصيلات القصة التي أصبح لاعباً مهما فيها لدرجة أن يذكر الوحي الكريم اسمه وقصته فتبقى معنا هذه القرون الطويلة والأجيال العديدة؟
أجبوه. أي بغير رغبته.

3. كان راجعا من الريف. ربما كان فلاحا وهو الآن راجع من حقله، أو كانت لديه مهمة في الريف.

^أ مر 15:21

^ب لو 23:26

5. وضعوا عليه الصليب ليحمله. ولفترة وجيزة مختصرة، حمل سمعان صليب عيسى. وبذلك عمل ما لم يعمله أحد في التاريخ كله. فقد أصبح بديلاً عن عيسى، يحمل صليبه! ويا له من شرف كبير حصل عليه هذا الرجل، لم يحصل عليه ملوك وعظاماء. سمعان حمل حبل حامل الأحمال!

6. وراء عيسى. سار سمعان وراء عيسى. أي حظ! أي بركة! ماذا قال عيسى لسمعان الذي كان يسير وراءه؟ هل تظن أنه فات على عيسى أن يشكره على مساعدته؟ لست أشك أن سمعان تقابل في ذلك الوقت مع عيسى بطريقة أعمق وأهم من مجرد حمل صليب الفادي. لست أشك أن هذا الرجل تقابل مع الفادي بطريقة أبدية فتحت للإفريقي أبواب السماء والخلود. وبالنسبة لعيسى، مع الألم الذي كان يُقطع نفسه البريئة، وجسمه المجروح، ورأسه الدامية، يقصد لحياة الخلود نفساً أخرى ثمينة، جوهرة غالية في تاج الفادي المبارك.

7. أبو اسكندر وروفا. اسكندر: ربما هو المذكور في أع 19: 33؛ روفا: ربما هو المذكور في رو 16: 13.

وَتَبِعَهُ عَدْدٌ كَبِيرٌ مِّنَ النَّاسِ مِنْ ضَمْنِهِمْ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَأْطِمْنَ وَيُولُولُنَّ عَلَيْهِ. فَالْتَّفَتَ عِيسَى إِلَيْهِنَّ وَقَالَ: "يَا بَنَاتَ الْقُدُّسِ، لَا تَبْكِينَ عَلَيَّ، بَلْ ابْكِينَ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ وَعَلَى أَوْلَادِكُنَّ. لَأَنَّهُ سَيَأْتِي وَقْتٌ جِينَ يَقُولُ النَّاسُ، 'هَنِيَّا لِلْعَوَاقِرِ، وَلِلنِّسَاءِ الَّتِي لَمْ يَحْبِبْنَ وَلَمْ يُرْضِعْنَ'. فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ، 'اسْقُطِي عَلَيْنَا'! وَلِلتَّلَالِ، 'غَصِّنَا'! لَأَنَّهُ إِنْ كَانَ النَّاسُ يَعْمَلُونَ هَذَا بِالشَّجَرَةِ الْحُضْرَاءِ، فَمَاذَا يَحْدُثُ عِنْدَمَا تَبَيَّبُسُ؟"

كانت النساء تبكي عليه وتلطم وتصرخ لأنه كان يتآلم. في يوم الأحد السابق

لهذا، يكىء هو على القدس لأنها رفضت أن تدرك وتفهم أن الله جاءها فيه لمعونتها! واليوم، يوم الجمعة، تبكي النساء عليه في حذرhen من أيام شديدة وصعبة وقاسية ستأتي على القدس. وكأنه يقول لهن: "ليس المهم هو البكاء عليه، بل التوبة والإيمان برسالتي. صحيح أنا في عذاب الآن، وعذاب الصليب الذي سأعطيه خلال الساعات القادمة سيكون أشد مما أنا فيه الآن، لكنني أتحمل كل هذا من أجلكم. فالمهم هو أن تؤمنوا بي وتكلوا على فدائِي لكم وعلى نعمة الله الغنية." في الحقيقة أرى هنا درسا خطيرا لنا. من المهم جدا أننا نلجم إلى المسيح بالتبعة الصادقة والإيمان الحق.

لكن كيف يمدح المسيح المرأة العاقر؟ كيف ينهيها بينما المجتمع يعتبر أن عدم القدرة على إنجاب الأطفال هو لعنة؟ كان هذا هو آخر إنذار منه لأهل مدينة القدس بما سيحدث لهم لرفضهم "الَّذِي يَجْلِبُ (لَهُمْ) السَّلَامَ" ³³ب والذى حدث هو أنه بعد أقل من 40 سنة تحقق هذا الكلام فعلا. اختار أهل القدس، لا طريق السلام بقبول عيسى المسيح الفادي، بل طريق الحرب بمواجهة روما، فخسر أهل القدس الحرب شرّ خسارة. رضوه هو الملك الحق، ورفضوا رسالته التي هي رسالة السلام والأمان. إذن المعنى هو، هنئنا للنساء اللاتي لم ينجبن أطفالاً يذبحهم الرومان ويقطمون جماجمهم ويعذبونهم أشد عذاب.

ولما وصلوا إلى مكان الإعدام، عروه من ثيابه. ^ت عَرَوَه وهو الذي كان أصلاً يلبس الجلال والبهاء. ساتر عيوبنا عروه! فوقف بينهم لا يغطيه سوى دمه الذي كان يسيل من جروحه!

نحن لا نحب أن يرانا الناس عريانا. في العري إهدار للكرامة. ارتكب حام بن نوح الحماقة حين دخل خيمة أبيه نوح ووجده عريانا، فرأى عري أبيه وخرج وأخبر

^أ لو 19: 41-44

^ب لو 19: 42

^ت يو 19: 23-24

أخويه. هذا التصرف كان السبب في أن تحل اللعنة على نسل حامٌ. كان جنود هتلر يسوقون المساجين من رجال ونساء عرايا إلى غرف الغاز. حدثت ضجة عالمية حين أصدر المسؤولون في أحد سجون العراق أمراً للمساجين بأن يتراكموا في غرفة السجن عرايا.

وهنا المسيح ابن الله، الكريم، الشريف، الظاهر، الذي خلقني وخلقك، عريان بلا ثياب، أمام الكل من رجال ونساء، ومن أقارب وأتباع وأصحاب ومعارف وعسكري ورعايع! يا له من موقف شديد الصعوبة! ويا لها من إهانة لا توصف، وتحقير بلا حدود! يقول الإنجيل الشريف: "ثَالِمَ عِيسَى خَارِجَ بَوَابَةَ الْمَدِينَةِ، لِكَيْ يُظْهِرَ الشَّعَبَ بِدَمِهِ. لِتَخْرُجَ إِذْنُ إِلَيْهِ خَارِجَ الْمُخِيمَ، وَتَحْمِلَ الْعَارَ مَعَهُ."^أ قلنا من قبل إنهم أخذوا المسيح خارج مدينة القدس وصلبوه هناك. واللوحي هنا يعمل مقارنة بين المكان الذي صلب فيه المسيح، والمنطقة التي كانت خارج مخيم شعب موسى أثناء سفرهم في صحراء سيناء.

كان المخيم نفسه منظماً، تحل القبائل المختلفة بترتيب حول خيمة العبادة المقدسة. ولكن خارج هذا المخيم النظيف المنظم المرتب كان يوجد كل شيء كريه. فهناك، في الخارج، تجد المرضى بالبرص. بما أن هذا المرض الجلدي خطيرٌ ومُعدٍ، كان لا بد من عزل المصابين به خارج مخيم الشعب لكي لا تنتشر العدوى به بين الأصحاء. ثم أيضاً خارج المخيم كان مكان إعدام المجرمين من زناة، ومن يكسرن شريعة يوم السبت، ومن يعبدون الأصنام، والقتلة، وغيرهم.^ب أي كان خارج المخيم مكاناً قذراً نجساً كريهاً.

واللوحي هنا يقول إنه بطريقة رمزية، مات المسيح على الصليب خارج المخيم.

^أ تك 9:22-25

^ب عب 13:12-13

^ت لا 14:24؛ عد 15:36-35؛ 3:19؛ 21:15؛ مل 13:21؛ قارن يو 19:20

نعم أخذوه إلى الجلجة، مكان الجمجمة، المكان النجس الكريه، وهناك مات على الصليب من أجلنا. أخذ مكاننا هناك، مكان العار واللعنة والمرض والقتل. لم يكن ذلك مكانه، لأن مكانه هو حيث الطهارة والقداسة والصلاح والجلال والمجد والبهاء. مكانه هو حيث تعبد الملائكة في السماء. بل كان ذلك المكان غريبا عليه، وهو نفسه كان غريبا في ذلك المكان! ولكن هناك دفع الشمن، ثمن فدائنا بأن مات من أجلنا. لما كان معلقا على الصليب خارج المخيم، كان نائبا عننا، وكأنه مرفوض ومنبوذ وأبرص ومطرود ومحروم محظوم عليه بالإعدام. كان هذا هو حكمنا نحن. كان هذا هو مكاننا نحن.

والدرس لنا هنا هو أن عيسى احتمل كل هذا من أجلنا، لذلك يجب أن نكون على استعداد لأن نخرج إليه خارج المخيم أيضا لتحمل العار معه.
 ثُمَّ قَدَّمُوا لَهُ حَمْرًا مَخْلُوْتَهُ بِمُرَّ، فَرَضَ أَنْ يَشْرَبَ! هذا عقار مخدر ومسكن للألم. رفض المسيح أن يشربه. أراد أن يعني الألم بكل قسوته وبلا تحفيف.

تنفيذ الصلب

وَصَلَبُوهُ هُنَاكَ. بـ

وصلبوه. من الذي صلبه؟ اليهود والرومان! اليهود أصحاب أسمى وأرفع دين حتى ذلك الوقت! والرومان أصحاب حكمة حتى ذلك الوقت! فالذين صلبوا عيسى وقتلوه لم يكونوا اللصوص وال مجرمين ولا حثالة المجتمع والتافهين. بل كانوا من القادة والحكام، والقضاة والمحامين، والأساتذة والسياسيين، والفقهاء ورجال الدين، من أعلى طبقات المجتمع وأكثراهم احتراما في نظر الناس!

أ مت 27:34؛ مر 15:23

ب يوم 19:18

ويا للعجب، الوحيد الذي يحق له أن يحييا، موتاً على صليب. الوحيد الذي لم يرتكب معصية ولا جرماً عاقبوه وقتلوا ك مجرم. لقد قرر الناس أن يقتلوا أفضل رجل عرفه التاريخ، وأظهر من داست قدماه الأرض، بأكثر وسائل الإعدام قسوة وشراسة، وأفظعها وحشية.

كان الصليب هو طريقة الإعدام الرومانية. فكانوا يسمرون يدي المجرم ورجليه إلى لوحين من الخشب مثبتين معاً على شكل صليب، ثم يُرفع الصليب ويُثبت في الأرض، ويترك الشخص معلقاً حتى الموت. كانت هذه أبغض طريقة للإعدام في ذلك الوقت وفي تلك البلاد. كانت هي طريقة إعدام المجرمين والمارقين والتمرددين. كانت طريقة وحشية للقتل بالتعذيب البطيء.

ألقوا عيسى أرضاً وشدوا إحدى يديه بعنف وسمروها من عند المعصم إلى ناحية من الخشبة الأفقية، وشدوا يده الأخرى إلى الناحية الأخرى وسمروها كذلك، ثم سمو رجليه إلى الخشبة العمودية. وضعوا المسامير في يديه وفي قدميه ونزلوا عليها بالطربة. انهالت ضربات المطرقة الثقيلة على المسامير فأخذت المسامير تغوص في جسده الطاهر تمزق عضلاته وتفجر دمه الطاهر من عروقه.

وبعد ذلك رفعوا الصليب وأنزلوه في حفرة ضيقة وثبتوه فيها. كان عيسى هناك معلقاً والدم ينزف منه وعضلاته تتمزق تحت ثقل جسمه، وعطشه يزداد. يداه الآن مسمرتان ليس فيما القدرة على القيام بأعمال الرحمة والإحسان كما كان يفعل من قبل. رجاله أيضاً مسمرتان فلا يقدر أن يسير من مكان إلى مكان ليشفي ويرثي ويعين ويساعد ويزرع ويعزي كما كان يعمل من قبل.

الصالح الطاهر رفعوه على صليب بين لصين! رب الخلقة وسيدها، مسمر على صليب! الذي خلق الماء والأمطار والأنهار، عطشان. حمل الفداء القدس، حمل ذنوبنا! والذي يشفي المضروبين، ضربوه! والذي يضمد الجروح، جرحوه!

لو كان قد مات كشهيد، لكان اليهود قد احترموه. لو كان قد مات لأنّه كان يعمل بالشريعة، ويحترم القواعد التي سنها شيوخهم، ويخلص إلى التوراة، لكنوا قد جعلوا منهنبيا لهم! ولكن الذي حدث هو أنّهم اتهموه ظلماً بعكس ذلك. في محكمته اتهموه بالكفر، أي بأنّه كسر بنود الشريعة ووصايا التوراة! وهنا هو معلق على خشبة، عريان أمام الجميع وفي عار وهوان، تحت لعنة الله وتحت لعنة الجميع! إنه مطرود من جماعة الله لأنّه مذنب. ويا لها من فضيحة!

كان هذا هو الموت الذي رضي به عيسى. ولكن في الحقيقة وقف صليبه ينتصب نحو السماء وكأنّه سُلَّمٌ نصعد عليها لنتقرب لله تعالى. نعم، عيسى على الصليب يصالحنا مع الله جل جلاله ويقربنا إليه.

أخي يا من تؤمن بعيسى، أخي يا من أسلمت نفسك وقلبك لهذا المنقذ الإلهي، نحن اليوم ننعم بالراحة والأمان على فراش سلام الله ومحبته، لأنّ عيسى وضع على ذلك الصليب الرهيب. أخي وأختي، نحن عندما نجتمع معاً في رابطة المؤمنين ونغنى أناشيد الرجاء، ليتنا لا ننسى أن سر هذا الفرج هو أنّ عيسى المسيح مُدّد على ذلك الصليب. عيسى المسيح مات من أجلّي ومن أجلك! حمل ذنبنا على الصليب لأنّه أحبابنا، وهذا ضحي بنفسه من أجلنا.

احتمل عيسى الصليب، لا كعبد مهزوم، بل كضحية ظاهرة من أجلنا. ولم تكن نهاية القصة على الصليب، ولا في القبر الذي وضعوه فيه! لأنّ عيسى قام في فجر يوم الأحد، أي في اليوم الثالث، قام منتصراً ظافراً.

وَصَلَبُوا مَعَهُ لِصَيْنِ، وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرَ عَنْ شِمَالِهِ.
سيأتي الحديث عن اللصين فيما بعد.

ملك اليهود

وَوَضَعُوا فَوْقَهُ لِفِتَّةً تَقُولُ: "هَذَا مَلِكُ الْيَهُودِ."^أ

وَكَتَبَ بِيَلَاطِسُ لِفِتَّةً تَقُولُ: "عِيسَى التَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ!" وَوَضَعُوهَا عَلَى الصَّلِيبِ. فَقَرَأَ الْلَّاْفِتَةَ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ، لَأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ عِيسَى كَانَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَدِيْرَةِ، وَكَانَتِ الْكِتَابَةُ بِاللُّغَاتِ الْعِرْبِيَّةِ وَاللاتِينِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ. فَقَالَ رُؤْسَاءُ الْأَحْبَارِ لِيَلَاطِسَ: "لَا تَكْتُبْ: مَلِكُ الْيَهُودِ، بَلْ اكْتُبْ: هَذَا الرَّجُلُ قَالَ أَنَا مَلِكُ الْيَهُودِ." فَأَجَابَ يَلَاطِسُ: "مَا كَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ."^ب

يبدو أنَّ الحاكم الروماني هنا كان يحاول أن ينتقم من اليهود الذين ضغطوا عليه واضطروه أن يصدر حكمه بقتل عيسى وهو بريء. فكان يلاطس يقول لليهود باحتقار وأيضاً بتهديده: هذا هو ملككم! هذا هو ملوككم مصلوب! هذا هو أحسن واحد فيكم، يموت بأفظع طريقة. ونفس المصير ينتظر أي واحد فيكم يحاول أن يتمرد ضدنا. أي واحد يحاول الثورة ضد القوات الرومانية يكون مصيره كمصير ملك اليهود!

لكن يلاطس لم يكن يدرك عمق معنى تصرفه. لقد كتب اللافتة بـ 3 لغات: أولاً بالعبرية، وهي لغة الدين. فهنا المسيح ابن داود وابن الله. وثانياً باليونانية، وهي لغة المعرفة والعلم والفلسفة، وهنا المسيح نور العالم، المسيح الحق الإلهي، المسيح حكمة الله. وثالثاً باللاتينية، وهي لغة السياسة والحكم، وهنا المسيح الحاكم الأعلى فوق كل ملك وسلطان، وصاحب النفوذ فوق كل سيد وحاكم ورئيس وعظيم.

احتاج قادة اليهود على هذه اللافتة، ولكن يلاطس قال لهم: ما كتبت قد كتبت. ونحن أيضاً نحتاج، لا لنفس السبب الذي جعل اليهود يعترضون، بل لأنَّ عيسى

هو أعظم من أن يكون ملك اليهود فقط. هو أعظم من أن يكون ملك شعب واحد أو أمة واحدة. هو ملك العالمين! هو ملك كل الملوك ورب كل الأرباب!

ماذا احتمل؟

ما هي الأشياء التي احتملها عيسى لما صُلب؟

1. العذاب الجسmani. تحدثنا عن هذا من قبل بشيء من التفصيل، لذلك نورد

هنا ما يذكره إشعيا عن العذاب الذي ذاقه الغادي القدوس على الصليب. يقول إشعيا بوجي الله: "كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَزَعُوا مِنْهُ، فَقَدْ تَشَوَّهَ مَنْظُرُهُ وَلَمْ يَعُدْ مَنْظَرٌ إِنْسَانٌ، وَتَشَوَّهَ شَكْلُهُ وَلَمْ يَعُدْ شَكْلًا بَشَرٍ... لَا جَمَالَ لَهُ وَلَا جَلَالَ يُلْفِتُ اِتْبَااهُنَا، لَا شَيْءٌ فِي مَنْظُرِهِ يَجْدِبُنَا إِلَيْهِ. مُخْتَرٌ وَمَنْبُوذٌ مِنَ النَّاسِ، حَزَنٌ كَثِيرًا وَعَرَفَ الْأَلَمَ، احْتَقَرَنَا وَلَمْ نَعْمَلْ لَهُ حِسَابًا، وَغَطَّيْنَا عُيُونَنَا لِكَيْ لَا تَرَاهُ".^ب

2. العار. احتمل عار الصليب. يكره الناس العار. ربما ليس هناك شيء

يكرهه الناس ويبغضونه جداً مثل العار والهوان والذلة والمهانة والحقارة. إن الشرف والكرامة والاحترام مهمة بالنسبة للناس، مهما كانوا، فقراء أو أغنياء، متعلمين أو غير متعلمين، كلهم يفهمون شرفهم وسمعتهم.

كثيرون يفضلون الموت على العار فيقولون: "مت ميتة الكرام ولا تعش عيشة الهوان". وما أتعس الملك المخلوع، أو الأمير المنزوع، أو الرئيس الذي انحطت مرتبته وانثر عنده شرفه وسقط في عيون الناس!

وهنا نرى ابن الله، ملك الملوك ورب الأرباب، مهانا مذلولا عريانا على صليب!

مهما حاولنا أن ندرك خطورة هذا، ومهما طال العمر بنا لن يمكننا أن نفهم حقا

معنى أن ابن الله الذي تعود على تسبيح الملائكة وسجودهم له، هو الآن على صليب العار. الكامل القدس الطاهر، احتقره الناس وسخروا منه وهزوا به. الكريم الشريف والجليل المجيد، أهانوه وعيروه وشتموه.

3. ذنبنا. الفادي الوحيد الفريد، الذي لا مثيل له ولا شبيه. حمل ذنبي وذنبك وذنب كل الناس. مع أنه الظاهر النقي الركي، لكنه رضي أن يحمل كل معاصينا ويموت من أجلنا. "وَنَحْنُ كُلُّنَا نَطْمَنُ أَنَّ اللَّهَ ضَرَبَهُ وَأَذَلَّهُ عِقَابًا لَهُ لَكِنَّهُ جُرْحٌ بِسَبَبِ مَعَاصِينَا سُحْقٌ بِسَبَبِ آثَامِنَا، نَزَّلَ عَلَيْهِ التَّادِيبُ لِتَحْصُلَ حَنْعٌ عَلَى السَّلَامِ، وَجَرْوِحَةٌ سُفِينَاتِنَا كُلُّنَا ضَلَّلَنَا كَغْنَمٍ، اخْرَفَنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَاللَّهُ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَانَا كُلُّنَا."¹ بـلقد رضي المسيح بأن يكون ضحية عن ذنبنا. قال عزرا في دعائه لله: "اللَّهُمَّ أَنَا حَجْلَانٌ وَخَرْزَيَانٌ أَنْ أَرْفَعَ وَجْهِي إِلَيْكَ يَا إِلَهِي، لَأَنَّ ذُنُوبَنَا زَادَتْ وَارْتَفَعَتْ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَمَعَاصِينَا وَصَلَّتْ إِلَى السَّمَاءِ."² فإن كانت ذنب جماعة واحدة من الناس ثقيلة وجسيمة بهذا المقدار، فكم تكون ذنب كل الناس التي حملها عيسى على الصليب؟ وإن كانت العقوبة لذنب فرد واحد لا تتحمل كما قال قابيل: "عَقَابِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ."³ فكم تكون عقوبة ذنب كل الناس أثقل وأقسى وأمراً!

على الصليب وضع الله تعالى ذنبي وذنبك على الفادي الكريم، عيسى المسيح. فهو قد رضي أن يحمل كل آثامنا ومعاصينا كما يقول الإنجيل الشريف: "فَالْمَسِيحُ الَّذِي لَمْ يَرْتَكِبْ ذَنْبًا، صَارَ ضَحِيَّةً عَنْ ذُنُوبِنَا، لِكَيْ نَكُونَ مَقْبُولِينَ عِنْدَ اللَّهِ بِوَاسِطَتِهِ."⁴ ويقول أيضا عن سيدنا عيسى: "الَّذِي ضَحَى بِنَفْسِهِ مِنْ أَجْلِ ذُنُوبِنَا لِيُنْقِذَنَا مِنْ هَذَا

¹ كور 5:21، بط 2:22، يو 3:5، بط 1:19

² إش 6:4-5:3

³ عز 6:9

⁴ تك 13:4

⁵ كور 21:5

الْعَالَمُ الشَّرِّيرُ.^أ

4. الانفصال عن الأب. هذا هو أصعب شيء. وهذا كان عيسى يخاف ذلك الصليب، كان يخاف الانفصال عن الأب القدس المحب. كثير من الشهداء والأبطال ساروا نحو الموت بشجاعة وبسالة، أما عيسى، عبد الله، العبد المتألم، الذي لم يكن يخاف من إنسان أو ألم أو خسارة، خاف لأنّه هو نفسه كان سيقف موقف المذنب ويواجه عدالة الله بنيابة عنه، وينال قصاص ذنبينا نحن. كان يعرف أن الله تعالى سوف يحجب وجهه عنه بينما هو يمثل البشر المذنبين، كان هذا هو ما لا يحتمل بالنسبة لعيسى الذي عاش طول حياته ظاهراً وبلا ذنب، وأرضى الله في كل شيء، واتكل على الله في كل شيء. وستتحدث في هذا أكثر في موضوع الكلمة الرابعة من كلمات المسيح على الصليب.

ماذا سمع؟

لما كان المسيح معلقاً على الصليب في أشد العذاب والهوان، كان اليهود يسخرون منه ويشتمونه. تعال معي نقرأ كلمات الإنجيل الشريف بهذا الصدد:

وَكَانَ الْمَارَةُ يَسْتِمُونَهُ، وَيَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ: "يَا مَنْ سَتَهْدِمُ بَيْتَ اللَّهِ ثُمَّ تَبْنِيهِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ! أَنْقُذْ نَفْسَكَ وَانْزِلْ عَنِ الْصَّلِيبِ إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللَّهِ". وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ يَهُزُّونَ بِهِ بِنَفْسِ الْطَّرِيقَةِ، وَمَعَهُمُ الْفُقَهَاءُ وَالشُّيوخُ وَيَقُولُونَ: "أَنْقُذْ عَيْرَةً وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ. هُوَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ! فَلْيَنْزِلْ الآنَ عَنِ الْصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ". كَانَ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ، فَلَعَلَّ اللَّهُ يُنْقِذُهُ الآنِ إِنْ كَانَ يَرْضَى عَنْهُ، لَأَنَّهُ قَالَ: "أَنَا ابْنُ اللَّهِ". وَكَانَ اللَّصَانِ الْمَضْلُوبَانِ مَعَهُ يَشْتِمَانِهِ بِنَفْسِ الْطَّرِيقَةِ. بـ

وَوَقَفَ النَّاسُ يَتَفَرَّجُونَ، وَكَانَ الْقَادِهُ يَهْرَأُونَ وَيَقُولُونَ: "أَنْقَدَ عَيْرَهُ، فَإِنْ كَانَ فِعْلًا الْمَلِكُ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ، فَلَيُنْقِدْ نَفْسَهُ!"^ا

"لَيُنْزِلَ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ، هَذَا الْمَسِيحُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ، فَقَرَى وَنُؤْمِنْ!"^ب

ما زال يعني هذا الكلام؟ ماذا قصدوا بكل هذه الشتيمة؟

1. هذا هجوم على سلطان المسيح. قالوا: "يَا مَنْ سَتَهِدُمْ بَيْتَ اللَّهِ ثُمَّ تَبْنِيهِ فِي تَلَاثَةِ أَيَّامٍ!" مع أنه لم ينطق بهذا الكلام، لكن كان له الحق والسلطان وعنه القدرة أن يهدم بيت الله الذي من حجارة ويبنيه في ثلاثة أيام، بل في لحظة واحدة!

2. هذا هجوم على الوهية المسيح. "أَنْقَدْ نَفْسَكَ وَأَنْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللَّهِ" ... لأنَّه قال: "أَنَا ابْنُ اللَّهِ".

3. هذا هجوم على إرسالية المسيح. "أَنْقَدَ عَيْرَهُ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُنْقِدَ نَفْسَهُ". إنه جاء ليموت فداء عنا ليرفع عنا ذنبينا. جاء ليغدي وينقذ البشر، لا لينقذ نفسه.

4. هذا هجوم على طاعة المسيح لله. "أَنْقَدْ نَفْسَكَ وَأَنْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ... فَلَيُنْزِلَ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنْ بِهِ". إنه جاء لا ليعمل مشيئة الناس بل مشيئة أبيه، ومشيئة أبيه هي أن يغدي البشر الماكين.

5. هذا هجوم على مركز المسيح. "فَإِنْ كَانَ فِعْلًا الْمَلِكُ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ، فَلَيُنْقِدْ نَفْسَهُ! ... هُوَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ! فَلَيُنْزِلَ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنْ بِهِ". إنهم يشكرون في أنه هو المسيح الملك الذي تنبأ عنه الكتاب، وأخبر به الأنبياء، والذي كان الناس يتوقعون مجئه.

6. هذا هجوم على علاقة المسيح بالله. "كَانَ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ، فَلَعَلَّ اللَّهُ يُنْقِدُهُ الآنَ إِنْ كَانَ يَرْضَى عَنْهُ"، لأنَّه قال: "أَنَا ابْنُ اللَّهِ".

"أَنْقَدَ غَيْرَهُ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُنْقِدَ نَفْسَهُ". هنا يتكلمون عنه وكأنه غائب وغير موجود! هذه مبالغة في احتقاره. ربما اعتبروه أقل وأحقر من أن يوجهوا كلامهم له مباشرة. لذلك تحدثوا بعضهم إلى بعض، وليس إليه هو مباشرة!

"أَنْقَدَ... وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُنْقِدَ". كان هذا منطقهم الأعوج غير الصحيح. إنما الحقيقة هي أنه أنقذ غيره ولا يريد أن ينقذ نفسه. نعم، أنقذ غيره لخانه عليهم وشفقتهم بهم، أنقذهم بمعجزاته، بقدرته العجيبة. أنقذهم من المرض والبرص والعمى والطرش والحمى، ومن الموت والقبر. ولكنه لا يريد أن ينقذ نفسه، لكي ينقذهم هم، بطريقة فريدة إلهية، من الخطيئة، من الشر، من برص النفس، من عمي القلب. ومرة أخرى نقول هنا، هذه أعظم تضحية!

ظنوا أنه لم ينقذ نفسه لضعفه! أما أنا فأقول إنه لم ينقذ نفسه بسبب قدرته الإلهية ومحبته السماوية. إنه جاء من السماء لينقذ غيره لا لينقذ نفسه. هذه القدرة غير المحدودة، هذه السلطة العظيمة، هذه المحبة الفائقة، تمنعه من النزول عن الصليب لينقذ نفسه.

معنى كلامهم هو: "إن كانت رسالتك من الله فانزل عن الصليب! إن كنت صادقاً وأنت حقاًنبيًّا فانزل عن الصليب. إن كان ما قلته حق، وإن كنت فعلاً حبيب الله، وابن الله، فأنقذ نفسك من هذا الموت الشنيع والهزيمة المنكرة! أنت عملت المعجزات وشفيت الناس فلماذا لا تعمل لنفسك معجزة وتتنقذ نفسك؟"³⁴ ثم بما أنك لا تقدر أن تنقذ نفسك، إذن إنقاذه للأخرين كان مجرد وهم، ونحن لا نصدق أنه حدث!"

إن كلامهم هذا يعني أن موت المسيح على الصليب هو برهان قاطع على أنه لا يستطيع أن ينقذ. هو معلق على الصليب ولا يقدر أن ينقذ نفسه، فكيف ينقذ الآخرين؟ إن كان لا يقدر أن ينقذ نفسه، فكيف يقدر أن ينقذهم من الرومانيين

المستعمرات. وإن كان لا ينقذهم من الرومانيين فهو ليس المسيح، ليس الملك الذي يتظرون له. لذلك يجب أن يتذمروا آخر! إنهم يستخدمون اسمه هنا بسخرية واحتقار وبطريقة لاذعة. إن اسمه عيسى يعني الله ينقذ. أَنْبَأَ الملاك قبل ولادته بأن هذا يكون اسمه لأنّه ينقذ شعبه من الخطيئة. ورؤساء الدين هنا يقولون: "يا من اسمك المنقذ، يا من أنقذت الآخرين، لماذا لا تنقذ نفسك؟" بمعنى أن كل ما رآه الناس في هذا الشخص المصلوب هو الضعف لا القوة، والهزيمة لا النصر، والموت لا الحياة! ثم هناك أمر آخر. قالت الشريعة: "مَلُوْنُونَ كُلُّ مَنْ يُصْلَبُ عَلَىٰ خَشَبَةٍ".^أ وهنا نجد هذا الشخص مصلوباً على خشبة، فكيف يكون هو المنقذ. كيف يكون الملعون منقذا؟

"إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللَّهِ". كان هذا هو كلام المارة وعابري الطريق ورجال الدين، كانت هذه هي السنة وأفواه الناس تتكلّم، ولكنها في الواقع هي كلمات الشيطان. في وقت سابق، في بدء خدمته، سمع مولانا عيسى المسيح مثلها. فقد جاء عيسى إلى يحيى بن زكريا ليغطسه يحيى. ولما طلع عيسى من الماء، سمع صوت المولى تعالى يُكلمه من السماء ويقول: "أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبِ الَّذِي يُفَرِّحُنِي".^ب لقد تكلم العلي القدير بصوته من السماء وشهد لعيسى، وأعلن لنا شخصيته وحقيقة وحبه له وفرحه به. وبعد ذلك مباشرة ذهب عيسى إلى الصحراء حيث امتحنه الشيطان. قال الشيطان: "إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللَّهِ، فَقُلْ لِهَذِهِ الْجِهَارَةِ أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَىٰ خُبْزٍ... إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللَّهِ، فَأَطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَىٰ تَحْتِهِ".^ت بمعنى: "أنت جائع، وإن كنت فعلاً حبيب الله، لماذا يتركك تجوع؟ أنت تقول إنك ابن الله فبِينَ هذا لنا بمعجزة فيها تطرح نفسك من ذلك المكان العالي فتحملك الملائكة ولا تصاب بضرر!"

^أ غل 13:3

^ب مر 1:11

^ت مت 6:34

والآن، يُعيد الشيطان المحاولة بكلمات تختلف قليلاً، فيقول على أفواه هؤلاء: "أنت تتَّلَمْ، وإن كنت فعلاً ابن الله، لماذا يتَّركك تتَّلَمْ؟ أنت تقول إنك ملك، ولم يحدث أبداً في التاريخ أن ملكاً عُلِقَ على صليب. أنت تقول إنكنبي، فهل من المعقول أن يُصلَبَ النبي؟ هل يسمح الله عز وجل بأن يُصلَبَ رسوله ونبيه؟ لا! لا! إذن إما أن تنزل من على الصليب لكي نصدق رسالتك ونؤمن بك، أو تبقى على الصليب ولا نؤمن بك!"

ولكنه كان قد بَيَّنَ لهم صدق إرساليته من قبل ولم يُؤْمِنُوا! بَيَّنَ لهم أنه العلي جاء في جسم بشر، بالنبوات التي تحققت فيه، وبالتعاليم الندية التي جاء بها، وبحياته الطاهرة التي عاشها، وبأخلاقه السامية التي لا مثيل لها، وبمعجزاته العظيمة التي أجرتها، ومع كل هذا لم يُؤْمِنُوا. فهل يُؤْمِنُون إن نزل من على الصليب؟ لست أطْنَأْ أبداً! في أثناء محاكمته كان منطقهم: هو قال إنه ابن الله، لذلك يجب أن يموت. والآن وهو على الصليب أصبح منطقهم: هو يموت، لذلك فهو ليس ابن الله!

كان من الممكن أن يرد عيسى على هذا الكلام ويدافع عن نفسه. كان بإمكانه أن يقول للمارة والمترججين: "أنا لا أموت بسبب ذنب ارتكبته، بل أُضْحى بنفسي من أجل الآخرين بسبب ذنبِهم. أنا أموت من أجل معصية الآخرين، لفائدهم وتحريرهم." كم من الناس كانوا يصدقونه لو قال هذا الكلام؟ إنه سكت ولم يدافع عن نفسه. كان المسيح في عذاب جسماني فظيع، وفي ألم رهيب. كان ظهره قد تششقق من الجلد بالسوط، ومزقت المسامير يديه ورجليه، ولكن العذاب النفسي بسبب كلام هؤلاء لا شك كان أَفْطَعَ وأَرْهَبَ وأَشَدَّ قسوة! السوط والمسامير والحربة مزقت جسمه، ولكن هذا الكلام يمزق القلب والنفس! لذلك يقول الإنجيل إنه: "احْتَمَلَ هَذِهِ الْعَدَاوَةَ مِنَ الْأَشْرَارِ."^١ هذا القدوس الطاهر والمحب المضي احتمل العداوة من

وكما قلنا من قبل، كان من السهل على المسيح في أثناء حاكمته أو في أثناء ضربه وتعذيبه أن يخرج من المكان دون أن يقدر أحد أن يوقفه. إنه فعل ذلك من قبل في مناسبة أخرى لما تناول اليهود حجارة ليرجموه لكنه اختفى من بينهم. عمل هذا أيضاً مرة أخرى في مدینته الناصرة حين أخذ الناس "يَدْفَعُونَهُ إِلَى خَارِج الْبَلْدَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ بَلْدَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ، لِيُطْرَحُوهُ إِلَى تَحْتِهِ". ولتكن مرّ من بينهم ومَضِي".^ب

وكان من السهل أيضاً أن ينزل المسيح عن الصليب وينقذ نفسه. كان ذلك ممكناً بلا أي صعوبة. لو كان عيسى قد أراد ذلك لكان قد نزل بقوته الإلهية. ولكن لم تكن هذه إرادته. لم تكن هذه هي رغبته. إنه جاء ليموت. وكان هو رب الموقف المتحكم في سير الأمور! جاء ليُفدي الناس. وكان يعلم أنه لا يوجد فداء بلا ألم، لا فداء بلا سفك دم، لا فداء بلا موت. فبقى على الصليب على الرغم من ذلك التحدى حتى بلغ قصده ونال مراده وقال: "تَمَّ كُلُّ شَيْءٍ". وتوفي.

إذن، لم ينزل عيسى عن الصليب! لأنّه لو كان فعل ذلك ما كان هناك فداء لنا. إنما لأنّه ابن الله لم ينزل عن الصليب. وأنّه المسيح ابن الله تبارك وتعالى بمعنى أعمق بكثير مما كان يقصده قيافاً، فكان يجب أن يموت على الصليب ولا ينزل عنه حياً! وذلك ليُفدي الناس. المسيح ابن الله تبارك وتعالى وحده هو الذي بإمكانه أن يفعل ذلك، أن يبقى على الصليب حتى النهاية، ليُفدي الناس.^ت

قد يأتي إليك الشيطان اليوم بمثل كلامهم وبمثل تحديهم لعيسى، لكي يبعث الشك في قلبك واليأس في حياتك. منذ فترة كنت في تايلاند لخدمة المسيح. وب مجرد

^أ يو 8:59

^ب لو 4:29-30

^ت إش 63:5-9

أن وصلت إلى الفندق أصابني مرض لم أعرف سببه. حُمَّى وإسهال وألم في المعدة. لازمت الغراش. وللأسف جاء زميل يعودني! أقول للأسف، لأن زيارته كانت للتأنيب والتقرير لا للتشجيع والتقوية. قال لي الصديق: "إن كنت فعلاً تؤمن بالله بهذه الطريقة، فلماذا أنت مريض؟"

ربما يقول إبليس لك: "إن كنت حقاً من أتباع المسيح الحقيقيين وحبيب الله ومن أوليائه المخلصين ومن أتباعه الأوفياء، فلماذا كل هذه المشاكل في حياتك؟ إن كنت فعلاً تؤمن بالله، فلماذا لا يشفيك من مرضك؟ ولماذا لا يعطيك عملاً كريماً ووظيفة، ولماذا لا يساعدك لتجد زوجة؟ أنت معذب وكأنك كالمسيح معلق على صليب، فإن كنت حبيب الله، انزل الآن! إن كنت ابن الله، فمن غير المعقول أن تُصلب بهذه الطريقة الرهيبة، من غير المعقول أن تكون في هذا العذاب الأليم!"

ماذا قال؟

ظل المسيح على الصليب 6 ساعات، لكننا إن تأملنا فيما قاله طول ذلك الوقت نتعجب لأن ما سجله الوحي لنا هو 7 جمل صغيرة مختصرة قالها السيد ونستطيع أن نقرأها كلها في أقل من دقيقة واحدة! ثم لعلنا نلاحظ نوعية الكلام الذي قاله مثل: "يا أبي اغفر لهم... اليوم ستكون معي في الجنة... يا أبي، هذا ابنك... يا يوحنا، هذه أمك..." كلمات تعبّر عن الصفح والغفران والحب والحنان والتضاحية والفاء.

لماذا لم يستنزل لعنة الله على بيلاطس، الحاكم الجبان الذي خضع لضغط الشعب وقاده الدين، وحكم على عيسى بالصلب مع أنه كان يعلم تماماً أنه بريء؟ لماذا لم يتحدث المسيح عن جريمة يهودا القريوطي الذي كان من أتباعه، ورأى أعماله العظيمة ومعجزاته القدرية، وليس أخلاقه الكريمة، وسمع تعاليمه المجيدة، ومع ذلك خانه وباعه كضاعة لرؤساء الدين؟ لماذا لم يهدد ويتوعد الجنود الرومانيين الذين

نزلوا بالمطرقة بكل قسوة وإجرام، على المسامير فمزقت يديه ورجليه الطاهرة؟ لماذا لم يشتم المارة الذين كانوا يهزاون به ويسخرون منه؟ كان يمكنه أن يعترض على الذين أخذوا ثيابه واقتسموها بينهم. كان يمكن أن يقدم موعظة قاسية للذين علقوا اللالفة فوق صلبيه محاولين أن يلصقوا به تهمة الشورة ضد قيسار روما. كان يقدر أن يقدم خطبة طويلة يدافع فيها عن نفسه ويعلن على الملأ جميعاً خداع رؤساء الدين والشيخ والفقهاء ونفاقهم! لا، لم يدافع عن نفسه ولم يلعن ولم يشتم.

الكلمة الأولى: لله

"يَا أَيُّهُ الْمُنَّاسِ، اغْفِرْ لَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُونَ".^أ

في وسط العذاب والألم دعا عيسى الله ليغفر لقاتليه. عجبًا! من هو هذا الذي يطلب الصفح والعفو عن قاتليه؟ من هو هذا الذي يستطيع في هذه اللحظة الحالكة ووسط هذا الظلم الغاشم والعدوان المقيت، أن يضرع إلى الله ليغفر للذين ظلموه وعدبوه وأهانوه وصلبوه وقتلوه؟ من هو هذا الذي في وسط الألم والعذاب، لم تعرف الكراهة سبيلاً إلى قلبه الطاهر، ولم تعرف المرارة طريقها إلى ضميره الحر النقي؟ من هو هذا الذي يطلب الرحمة ملئاً برحمة؟ لا شك أنه عملاق روحي! ولربما في تلك اللحظة تذكر بعض الموجودين هناك عبارة مأثورة نطق بها عيسى في مناسبة سابقة، حين قال لأتباعه: "أَحِبُّو أَعْدَاءَكُمْ، وَادْعُوا بِالْخَيْرِ لِلَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ".^ب وهنا ربما نسأل: لماذا قال عيسى، 'اغفر لهم'? في الماضي، حين كان يأتي إليه من يحتاج لمغفرة الذنوب، كان يمنحها له. لم يكن يطلب ذلك في دعاء أو تضرع. نعم، لقد غفر الذنوب من قبل، فلماذا لا يفعل ذلك الآن؟ لماذا لا يغفر للذين صلبوه ويقول

^ألو 34:23

^ب مت 44:5

لهم كما قال لغيرهم من قبل: 'مغفورة لكم ذنوبكم.'؟ وأيضاً كما قال متحدثاً عن نفسه: "الَّذِي صَارَ بَشَرًا عِنْدَ السُّلْطَةِ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ."^أ الجواب: عيسى الآن في موقف يمثل البشر الخاطئين المذنبين. إنه محسوب كواحد منهم، فهو معلق على الصليب نائباً عنهم ومثلاً لهم. إنه هنا تحت قصاصات الذنب، وتحت حكم الله ضد خطيئة الإنسان. فمركزه هنا هو أن يحتمل عقاب ذنبنا وأن يجني قصاصات خطيانا، وليس مركز من له السلطان ليغفر الذنوب.

إنه بقوله هذا، لم يُرئُهم من الذنب، بل اعتبر أنهم ارتكبوا جريمة فظيعة، وهو هنا يطلب لهم المغفرة. في هذا نرى انتصار المحبة على الكراهة، والصلاح على الطلاق، والخير على الشر، والمغفرة والرحمة على العقاب والتنة. كان بإمكان عيسى أن يحطم أعداءه، أن يمسحهم من الوجود، أن يرسلهم إلى نار جهنم، وأن ينتقم منهم بألف طريقة وطريق، لكن امتلاً قلبه بالمحبة والحنان والصفح والغفران، فطلب من الأب أن يغفر لهم.

هذه كلمات تعبّر عن الحب والرحمة. طلب من الله أن يغفر للذين صليبوه. كيف يتم ذلك؟ كيف يغفر الله لهم؟ أهـم شيء، بأن يتوبوا ويغيروا ويؤمنوا بالفادي القديـر. إذن هذا الطلب يعني: اللـهـ أرجوك أن تساعدـهم بفضلـكـ، وبنعمـتكـ الغـنيةـ المجـانيةـ، ليـتـوـبـواـ وـيـحـصـلـوـاـ عـلـىـ مـغـفـرـةـ الـذـنـوبـ. بهذا الدعاء حق المسيح النبوة التي وردت في إـشـعـياـ حيث يقول النبي عنه بالـوـحـيـ: "حـمـلـ خـطـيـةـ كـثـيرـينـ، وـشـفـعـ فـيـ الـذـنـبـينـ."^{بـ} اـغـفـرـ لـهـمـ. تعـنيـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ اـغـفـرـ لـهـمـ وـعـاقـبـيـ أـنـاـ. أـطـلقـهـمـ أـحـرـارـاـ وـاحـكـمـ عـلـيـ أـنـاـ. بـهـذاـ، كـماـ قـالـ أـحـدـهـمـ، غـطـىـ رـأـسـ قـاتـلـيهـ بـخـوذـةـ مـحـبـتـهـ، وـصـدـرـهـ بـدـرـعـ مـغـفـرـتـهـ لـيـحـمـيـهـمـ مـنـ زـوـبـعـةـ غـضـبـ اللهـ.

منذ بعض الوقت قرأت قصة عن قائد مشهور له مكانة عظيمة في التاريخ، كان يحارب أعداءه فأصابوه بجرح في وجهه. فما كان من ذلك القائد إلا أنه لعن الذين أصابوه، وتنى لهم الخراب والهلاك وبئس المصير. لما قرأت هذه القصة قلت في نفسي: "ماذا لو كان عيسى تصرف بهذه الطريقة، وفعل ما فعله ذلك القائد؟" لكن، لا! لا سمح الله! لم يعمل عيسى هذا. بل هو أعظم مثال لنا في الصفح. وربما هذا هو ما دفع أمير الشعراء أحمد شوقي ليقول:

وُلد الرفق يوم مولد عيسى، والمرءاءُ والهدى والحياة
وازدهى الكون بالوليد وضاءات، بسناء من الثرى الأرجاء
وسرت آية المسيح كما يسري، من الفجر، في الوجود، الضياء
تملاً الأرض والعوالم نوراً، فالثرى مائج بها وضاء
لا وعيid، لا صولة، لا انتقام، لا حسام، لا غزوة، لا دماء
ملِكٌ جاور التراب، فلما ملَّ نابت عن التراب السماء
وأطاعته في الإله شيخ، خُشّع، خُضّع له، ضعفاء
أذعن الناس والملوك إلى ما، رسموا، والعقول والعقلاء
فلهم وقفة في كل أرض، وعلى كل شاطئٍ إرساء³⁵

قال عيسى: "اغفر لهم." من؟ ليهودا القربيوتى الذي خانه وباعه بثلاثين عملة من الفضة! ولبطرس الذي أنكره وأقسم أنه لا يعرفه! ولأتباعه الآخرين الذين هربوا وتركوه وهجروه حين جاء العسكر ليقبضوا عليه! ولليهود الذين حسدوه وعandوه وكروه وطالبوه بإعدامه! ولهيرودس الذي هزا به. ولبيلاطس الذي حكم عليه. وللرومانيين الذين نفذوا الحكم ضده بلا عدل ولا رحمة. ولرجال الدين الظالين وللرعاع وللآخرين الذين كانوا يتفرجون عليه وهو مصلوب ويهزأون به ويضحكون

عليه ويشتمونه!

ثم بقوله هذا يجمعنا نحن أيضاً، أنا وأنت وكل البشر معاً، تحت مظلة هذه المغفرة العظمى. فحقن نحن اشتراكنا أيضاً في ذلك العمل المشين لأننا رفضنا أن نؤمن به وأن نتوكل عليه ونسلم له.

قال السيد المسيح: "اغفر لهم". فهل سمع الله هذا الدعاء؟ هل استجاب العلي لهذا التضرع؟ نعم، بكل تأكيد! حتى قبل أن يُنزل جسد المسيح من على الصليب، نجد الضابط المكلف بعملية الصلب، كما ذكرنا من قبل، يعلن أن ذلك المصلوب مختلف عن باقي الناس فيقول: "حَقًا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ ابْنُ اللَّهِ".^أ

كان الأثمار قادة الدين هم الذين حكموا بموته، وهم الذين أصرروا على صلبه، وهم الذين أظهروا له العداء والكراهة، وهم الذين كانوا يسخرون منه ويشتمونه وهو يعني سكرات الموت على الصليب. ولكن الله عز وجل استجاب له، فيقول الإنجيل الشريف إنه بعد فترة غير طويلة من الزمن، ربما أسبوع أو شهور قليلة، آمن بال المسيح عدد كبير من الأثمار وصاروا أتباعه الأمانة الاتقيناء بعد تلك العداوة الشديدة "فَيَلَمَّا آتَيْمَانَ عَدَدًا كَبِيرًا جَدًّا مِّنَ الْأَثْمَارِ".^ب عيسى دعا الله أن يغفر لهم، والمولى عز وجل أجاب دعاءه.

ربما كان بين هؤلاء، البعض من كانوا ضد المسيح وأصرروا على قتله وكأنوا عند الصليب يشتمونه ويعبرونه. نحن لا نقصد أن نقول إن كل الذين شاركوا في صلب المسيح، غفر الله لهم. لا! بل المغفرة موجودة ومتيسرة، وكل من طلبها وأمن بال المسيح نالها.

"لَا إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُونَ".

^أ مر 39:15
^ب أع 7:6

ونحن أيضاً، في الماضي، في جهلنا رفضنا المسيح حتى أنعم الله علينا بالإيمان الذي فتح عيوننا، وأنار ظلمات قلوبنا، وأزاح الجهل عن عقولنا. قال بطرس للشعب في إثر معجزة شفاء الرجل الكسيح: "رَفَضْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَ، وَطَلَبْتُمُ الْعَقُوْنَ عَنْ قَاتِلٍ! أَنْتُمْ قَتَلْتُمْ وَاهِبَ الْحَيَاةِ، لَكِنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَتَحْنُ شُهُودٌ بِدَلِيلٍ... وَالآن.. أَنَا عَارِفٌ أَنَّكُمْ أَنْتُمْ وَقَادْتُكُمْ عَمِلْتُمْ هَذَا عَنْ جَهَلٍ". إنهم عملوا ذلك عن جهل. كانوا لا يعلمون ما يفعلون. كانوا لا يدركون أنهم يصلبون ويقتلون المسيح واهب الحياة، مبدع الحياة، رب الحياة!

وبولس أيضاً يبين أنه لو كان الذين صلبووا المسيح قد فهموا حكمة الله، ما كانوا صلبووا صاحب الجلاله.^أ لكن هذا الجهل ليس عذرا، وإلا ما كان المسيح يتضرع لله بهذا الطلب "أَغْفِرْ لَهُمْ لَا نَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا يَعْمَلُونَ". فالجهل ليس عذرا لرفض المسيح، لكن الجهل يسامحنا الله عليه إن كنا نقبل المسيح ونسلم له ونؤمن به. إن الله في رحمته الواسعة ينقذنا من جهلنا كما فعل مع بولس. يقول بولس: "أَشْكُرُ الْمَسِيحَ عِيسَى مَوْلَانَا الَّذِي قَوَّانِي، وَاعْتَبَرَنِي أَمِينًا فَلَا خَتَارَنِي لِخِدْمَتِهِ، مَعَ أَنِّي فِي الْمَاضِ كَفَرْتُ بِهِ وَاضْطَهَدْتُهُ وَشَتَمْتُهُ. لَكِنَّ اللَّهَ رَحْمَنِي لَأَنِّي تَصَرَّفْتُ بِجَهْلٍ وَعَدَمِ إِيمَانٍ".^{بـ} ثم إن المسيح في دعائه للأب ليغفر ذنوب قاتليه، يجعل من نفسه مثالاً لنا لنتقدي به. هل أساء إليك واحد وجح شعورك وأحزن قلبك؟ اغفر له كما غفر المسيح. هل هناك واحد يسعى لتحقيرك؟ هل هناك واحد يتمني لك السوء والخساره؟ سامحه كما غفر المسيح لأعدائه وسامحهم. ليس هذا بأمر سهل أبداً. أنا أدرك ذلك، والمسيح الذي علمنا أن نحب أعداءنا يعرف أن هذا صعب. ولذلك أعطانا القوة لنغفر. هذه القوة أساسها أنه هو غفر لنا. ثم إنها تأتينا بالروح القدس الساكن فينا

^أ آع 14:3، 15:17

^{بـ} كور 2:8

^{تـ} تم 12:13

الذي يعلمنا كيف نعيش كالمسيح وللمسيح!

ثم هناك أمر آخر. إن كان المسيح قد طلب المغفرة لصالبه وقاتليه، فهذا يعني أنه لا يوجد شخص أبعد من أن يشمله غفران الله المحب! يا أخي، أنت تدعوا القديرين منذ سنين عديدة من أجل قريب أو صديق أو أي شخص آخر، لا تيأس من طلب وجه الله. داوم على الدعاء والصلاه، وثق أنه سيأتي اليوم الذي فيه يلين قلب ذلك الشخص ويؤمن بالمسيح فيشمله الله بنعمته وفضله وغفرانه.

الكلمة الثانية: للص المصلوب التائب

وَكَانَ أَحَدُ الْمُجْرِمِينَ مُعَلَّقًا يَشْتِمُهُ وَيَقُولُ: "أَنْتَ تَقُولُ إِنَّكَ الْمَسِيحُ! إِذْنُ أَنْقُذْنِي فَقْسَكَ وَأَنْقِذْنَا!" لَكِنَّ الْآخَرَ وَجَهَهُ وَقَالَ لَهُ: "أَلَا تَخَافُ اللَّهَ؟ أَنْتَ تَنْالُ نَفْسَ الْعِقَابِ مِثْلِهِ. لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لَنَا، عِقَابُنَا هُوَ بِالْعَدْلِ، لَأَنَّنَا نَتَالُ جَزَاءً مَا عَمِلْنَا. أَمَّا هَذَا الرَّجُلُ فَلَمْ يَرْتَكِبْ أَيِّ خَطَإٍ ثُمَّ قَالَ: "يَا عِيسَى، إِفْتَكِرْنِي عِنْدَمَا تَأْتِي فِي مُلْكِكَ". فَقَالَ لَهُ عِيسَى: "أَقُولُ لَكَ الْحَقَّ: الْيَوْمَ سَتَكُونُ مَعِي فِي الْجَنَّةِ".

صلبوه بين لصين. وكأنهم يقولون له: "أنت أحببت أن تكون مع غير المدينين، فكنت تأكل معهم وتدافع عنهم وتعلمهم وتبشرهم وتعزيهم وتطيب خواطيرهم وتحطم قلوبهم، والآن يجب أن تموت كواحد منهم، كচ، ك مجرم!"

حقا، أثناء حياته، حين كنت تبحث عنه، كنت تجده بين الذين سمعتهم سيئة والذين لا يحترمهم كبار القوم ورجال الدين، والآن في موته، تجده بينهم أيضا!

يقول الوحي الكريم: فَتَمَّ كَلَامُ الْكِتَابِ الَّذِي يَقُولُ: "حُسِبَ مَعَ الْأَشْرَارِ."^ب هذه العبارة هي من كلام الله في إشعيا حيث يتنبأ عن موت المسيح فيقول: "بَذَلَ لِلْمَوْتِ

نَفْسَهُ، وَحُسِبَ مَعَ الْأَشْرَارِ. حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ، وَتَسَقَّعَ فِي الْمُدْنِبِينَ.^١
 حُسِبَ مَعَ الْأَشْرَارِ، لَكِنَّهُ مِنْ قَذَّالِ الْأَشْرَارِ. حُسِبَ مَعَ الْمُجْرِمِينَ، لَكِنَّهُ هُوَ الَّذِي
 يَعْطِي الْمُجْرِمِينَ الْحَيَاةَ الْجَدِيدَةَ. فَلَيْسَ فِي إِمْكَانِ الْأَشْرَارِ أَوِ الْمُجْرِمِينَ أَنْ يَلْطُخُوهُ أَوْ
 يُؤْثِرُوهُ عَلَيْهِ بِذَنْبِهِمْ، بَلْ هُوَ يَعْطِيهِمْ مِنْ صَلَاحَهُ وَقَدَاستِهِ وَطَهَارَتِهِ.
 ذَاتِ مَرَّةَ كَانَ السَّيِّدُ مُسَيْحُ يَزُورُ مَدِينَةَ أَرِيحاً، وَأَرَادَ رَجُلٌ اسْمُهُ زَكِيٌّ أَنْ يَرَاهُ. كَانَ
 زَكِيٌّ يَعْمَلُ كَجَابِيَّ ضَرَائِبَ، وَكَانَ جَبَةُ الضَّرَائِبِ مُكْرَوِهِينَ لِأَنَّهُمْ يَجْمِعُونَ الضَّرَائِبَ مِنْ
 الْمُوَاطِنِينَ لِحَسَابِ حُكُومَةِ رُومَا، أَيِّ لِحَسَابِ سُلْطَةِ الْإِحْتِلَالِ.

كَانَ زَكِيٌّ قَصِيرُ الْقَامَةِ، فَتَسلَقَ شَجَرَةَ لِبِرِّ عِيسَى وَسَطَ جَمَاهِيرِ النَّاسِ. وَلَا وَصَلَ
 الْمُوكَبُ إِلَى الشَّجَرَةِ، تَوَقَّفَ عِيسَى، وَنَظَرَ بَيْنَ أَغْصَانِ الشَّجَرَةِ وَقَالَ: "يَا زَكِيٌّ، إِنِّي
 بِسُرْعَةٍ لَا يَنْبَغِي يَجِدُ أَنَّ أَرْوَارَكَ فِي دَارِكَ الْيَوْمَ."^٢ هَلْ تَتَخَيلُ يَا أَخِي فَرْحَةَ زَكِيِّ بِهَذِهِ الْمَفَاجَأَةِ
 الْعَظِيمَةِ وَاهْتِمَامِ عِيسَى بِهِ؟ لَقَدْ نَزَلَ بِسُرْعَةٍ وَاسْتَقْبَلَ الْمُسِيَّحَ فِي دَارِهِ بِسُرُورٍ وَكَرْمٍ.
 وَبَيْنَمَا كَانُوا يُعْدُونَ الْوَلِيمَةَ، وَالْمُسِيَّحُ جَالِسٌ فِي دَارِ زَكِيٍّ، وَالْفَرْحَةُ تَمْلَأُ الْمَكَانَ، عَبَرَ
 الْبَعْضُ عَنِ الدُّرُّ أَرْتِيَاهُمْ بَلْ وَنَفُورُهُمْ وَاشْمَئِزَازُهُمْ، فَتَذَمَّرُوا ضِدَّ عِيسَى وَقَالُوا:
 "ذَهَبَ لِيَكُونَ ضَيْفًا عِنْدَ وَاحِدٍ عَيْرِ مُتَدَبِّرٍ!"^٣ لَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ هُؤُلَاءِ الْمُعْتَرَضِينَ تَجْرِأُوا
 أَنْ يَدْخُلُوا دَارَ جَابِيِّ الضَّرَائِبِ غَيْرِ الْمُتَدِّينِ. لَا شَكَّ أَنَّهُمْ اعْتَبَرُوا أَنَّ هَذَا لَا يَلِيقُ بِهِمْ.
 لَذِكْرٍ بَقَوْا خَارِجَ الدَّارِ يَنْظَرُونَ إِلَى مَا يَحْدُثُ فِي الدَّارِ وَيَنْتَقِدُونَ عِيسَى وَيَلْوُمُونَهُ.
 أَعْتَدَ أَنْ عِيسَى خَرَجَ إِلَيْهِمْ وَأَعْلَنَ لَهُمْ عَنِ أَشْيَاءِ صِدْرِهِمْ أَكْثَرَ فَقَدْ قَالَ: "الْيَوْمَ
 جَاءَتِ التَّسْجِاهُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ، لَأَنَّ هَذَا الرَّجُلُ هُوَ أَيْضًا ابْنُ لِإِبْرَاهِيمَ. لَأَنَّ الَّذِي صَارَ
 بَشَرًا جَاءَ لِيَكَ يَبْحَثَ عَنِ الْهَالِكِينَ وَيُقْدِدُهُمْ."^٤ نَعَمْ، ابْنُ اللَّهِ صَارَ بَشَرًا وَجَاءَ لِيَ

^١ إِش 12:53

² بَلْوَ 5:19

³ تَلْوَ 7:19

⁴ تَلْوَ 10-9:19

ينقذنا. هذا هو السبب أنه جاء! هذا هو السبب أنه هنا.. على الصليب، وبين لصين.. لينقذ. وبدلًا من أن ينجسه غير المدينين، يمنحهم هو الطهارة والنقاء وحسن السيرة والسريرة! إنه بهذا الموت الفدائي، يبعث في كل من يؤمن به الطهر والنقاء والشفاء والقوة والحياة والغفران والخير.

يقول الإنجيل الشريف إنه لما كان المسيح في طريقه إلى القدس طلب يعقوب ويوحنا أن يسمح لهم بالجلوس واحدا عن يمينه والآخر عن يساره، حين يجلس عيسى على عرشه، ويُتوَّج ملكاً. لكن عيسى قال لهم إنهما لا يعلمان ما يطلبان. أي أنهما كانوا يجهلان متطلبات مملكة عيسى. فالحقيقة هي أنه لما صُلِّبَ المسيح، كانت اللافتة التي وضعها الحاكم على الصليب، كما ذكرنا من قبل، هي: "عيسى ملك اليهود". هذا هو العرش، الصليب! وهذا هو الملك، مصلوب! ومن كان عن يمينه وعن شماليه؟ من كان على جانبيه؟ لص عن يمينه، ولص عن شماليه! فهل كان يعقوب ويوحنا يقبلان أن يكونوا في ذلك المكان عن يمينه وعن شماليه؟ بل لم يعلما ما يطلبان! ولذلك لما جاءت الساعة وبعض الحراس على المسيح، هرب يعقوب ويوحنا كالآخرين الذين هربوا. عجباً! كانت حقاً هذه هي الساعة التي سيتوج فيها هذا الملك على الصليب! ولكن هرب يعقوب ويوحنا لعلا يجدا نفسيهما بالفعل واحدا عن يمينه والآخر عن شماليه! بدأ اللصان بإهانة المسيح. هما الاثنين كانوا يشتمانه. اشتراكاً مع رؤساء الدين والمارة في ذلك. ^{بـ} ولكن حدث أمر غير عادي لأحد هما. أدرك أحد المجرمين أنه على خطأ. وفي الحال ^{غير} ذلك اللص تصرفه. ماذا عمل؟ نحن نلاحظ هنا أنه:

1. كَفَ عن شتيمة عيسى. أي إنه تاب عن تصرفه. ربما أنت لا تشم عيسى، ولكن هناك شك دفين في قلبك من ناحيته. أنت تحتاج أن تتوب وتضع ثقتك في

^أ مر 10: 35-45

^{بـ} مت 15: 27؛ مر 44: 32

المسيح القدير كما فعل ذلك اللص.

2. وَيَنْهَا زَمِيلَهُ وَأَنْتَ، رِبَّا لَكَ زَمِيلٌ أَوْ قَرِيبٌ يَشْتَمِ أَتَابَعَ عَيْسَى. مِنْ حَقِّكَ يَا أَنْيَ أَنْ تَوْجِهَ بِلَطْفٍ وَأَدْبٍ، وَأَنْ تَقْفِي صَفَّ الْمَسِيحِ بِشَجَاعَةٍ.

3. اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ. أُعْلَنَ لِلْكُلِّ مِنْ عَلَى الصَّلِيبِ أَنَّهُ أَذْنَبَ. الاعتراف بالخطأ فضيلة عظيمة.

4. شَهَدَ بِعَدْالَةِ الْقَصَاصِ الَّذِي يَعْانِيهِ وَالْعَذَابِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَبِأَنَّ الْحُكْمَ الَّذِي صَدَرَ ضَدِّهِ هُوَ بِالْعَدْلِ، فَهُوَ فَعَلًا يَسْتَحِقُ الصَّلْبَ.

5. أُعْلَنَ أَنَّ الْمَسِيحَ بْرِيءً لَا يَسْتَحِقُ الْعَقَابَ وَلَا الصَّلْبَ وَلَا الْمَوْتَ. هُنَا نَجْدُ لِصَايَّا خَذَ مَكَانَ بَطْرُسٍ وَيُوحَنَّا وَالْتَّلَامِيزَ الْآخَرِينَ لِيَعْلَمَ بِرَاءَةُ عَيْسَى. هُمْ هَرَبُوا لِخَوْفِهِمْ، أَمَّا هَذَا الرَّجُلُ، فَيَبْيَنُمَا هُوَ يَمُوتُ أَظْهِرًا شَجَاعَةً عَظِيمَةً!

6. دَعَاهُ بِاسْمِهِ، عَيْسَى، الَّذِي يَعْنِي الْمَنْقُذَ. قَالَ: "يَا عَيْسَى! أَيُّ أَيْهَا الْمَنْقُذِ مِنَ الشَّرِّ وَالذَّنْبِ وَالْمَوْتِ وَالْهَلَاكَ؟ لَقَدْ رَأَى فِي عَيْسَى شَخْصًا إِلَهِيًّا لِهِ سُلْطَانٌ غَيْرُ عَادِيٍّ. رِبِّا أَشْرَقَ فِي قَلْبِهِ هَذَا النُّورُ لِأَنَّهُ سَمِعَ مَا قَالَهُ الْمَسِيحُ قَبْلَ ذَلِكَ بِلَحْظَاتٍ قَلِيلَةٍ: "يَا أَيُّهَا، اغْفِرْ لَهُمْ لَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُونَ". لَقَدْ اندَهَشَ الرَّجُلُ مِنْ هَذَا الْغَفْرَانِ الْوَاسِعِ.

7. أُعْلَنَ إِيمَانَهُ بِأَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ مَلِكُ سَيَّاتِي إِلَى مَلَكَهِ! "يَا عَيْسَى، إِنْتَ كُرِبْنِي عِنْدَمَا تَأْتِيَ فِي مُلْكِكَ".^أ كَيْفَ تَوَصَّلَ إِلَى هَذِهِ الْحَقْيَقَةِ؟ رِبِّا لِأَنَّهُ لَاحَظَ رُوَّاهَةَ غَيْرِ عَادِيَّةٍ فِي تَصْرِيفِ الْمَسِيحِ وَرَأَى فِيهِ هَدْوَعًا عَجِيبًا وَهُوَ مَعْذُوبٌ عَلَى الصَّلِيبِ. وَرِبِّا أَيْضًا لِأَنَّهُ، فِي تَلْكَ الْلَّحْظَاتِ الْأَخِيرَةِ مِنْ عُمْرِهِ، خَافَ مِنَ الْوَقْوعِ بَيْنَ يَدِيَ اللَّهِ الْجَيِّ.^ب هُوَ الْآنُ عَلَى حَافَةِ الْمَوْتِ فَكَيْفَ يَوْاجِهُ اللَّهَ بِقَلْبٍ مَتْسَخٍ وَضَمِيرٍ نَجْسٍ وَيَدِينَ آثَمَتِينَ؟ لَاحَظَ أَنَّهُ

قال لزميله: ألا تخاف الله؟

وربما أيضاً كان قد سمع المسيح يتحدث عن هذا. لقد ذكر المسيح تلك الحقيقة عدة مرات في خطبه ومواعظه؛ إنه سيأتي في جلال وعظمة في نهاية الزمن. ولكن يجب ألا ننسى أن روح الله القدس هو الذي أَنْزَلَ في نفس ذلك الرجل، وجذب قلبه ليؤمن باليسوع. وهنا ينطبق على هذا الرجل الكلام الذي قاله سيدنا لبطرس: "هَنِئُوكَ... الَّذِي كَشَفَ لَكَ هَذَا لَيْسَ بَشَرًا، إِنَّمَا أَنِي الَّذِي فِي السَّمَاءِ".^١

8. طلب الرحمة والعون من المسيح. طلب أن يفتكره في ملكه. ترى ماذا يعني هذا؟ أن يتذكره عيسى حين يأتي في ملكه؟ لست أظن أن الرجل كان يعني أن يعطي مكانة الشرف في الآخرة، فقد كان يدرك أن تلك المكانة هي لغيره وليس له! لم يكن يقصد أن يجلس عن يمين المسيح أو عن شماليه كما طلب يعقوب ويونا. ولا أظن أنه قصد أن يذهب إلى جنة النعيم في تلك الليلة ذاتها. بل طلب شيئاً للمستقبل، حين يأتي المسيح متوجاً كملك. إنه ألقى بنفسه على رحمة المسيح الواسعة. ألقى بنفسه على نعمة المسيح الغافرة، التي لا تذكر الشر بعد التوبة والإيمان. فسأل شيئاً متواضعاً: اذكريني. مجرد ذكري! افتذكرني بالخير! افتذكرني بفضلك ونعمتك.

ذلك الرجل الشجاع هو لص، هو مجرم، يعاني سكرات الموت عقاباً لما ارتكب من جرائم. ولكنه في هذه اللحظات الأخيرة من حياته عرف الحق. وبينما هو معلق على صليب، وعلى وشك أن يموت، فَهُمَ الأُمُورُ الَّتِي كَانَتْ تَجْرِي حَوْلَه بَعْدَ ثَاقِبَةٍ وَقَلْبٍ مفتوح وعقل مستنير. ربما قال في نفسه: عيسى معذب مثلنا ويموت بيننا. هو شكلياً موجود في نفس الموقف الذي نحن فيه، نفس الوضع الذي نحن فيه، كأنه ملعون مثلنا، ومحروم كما نحن، لكنه لم يعمل ما يستحق هذا! يوجد شيء غريب في عيسى. إنه ليس مثلنا، ليس كباقي الناس. لا بد أنه الملك.

فَقَالَ لَهُ عِيسَىٰ: "أَقُولُ لَكَ الْحَقَّ: الْيَوْمَ سَتَكُونُ مَعِي فِي الْجَنَّةِ".^أ

عيسى بهذا يريد أن يقول: "أنا راجع إلى المكان الذي جئت منه، أنا راجع إلى محضر الله، إلى الجنة، وأنت ستكون معي هناك اليوم لأنك آمنت بي". فاجأه المسيح وبعد لم يكن يعلم الرجل به. فاجأه بإنعمام لم يكن يستحقه؛ هذا اللص سيكون مع هذا الملك في الجنة في نفس ذلك اليوم! حقاً: "اللَّهُ هُوَ الْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ أَكْثَرَ جِدًا مِنْ كُلِّ مَا نَظَلْبُ أَوْ نَتَخَيَّلُ".^ب هذا هو الذي حدث مع ذلك اللص التائب، نال أكثر جداً من كل ما طلب أو تخيل! سأله يفتكره عيسى. طلب متواضع. لم يجرؤ أن يطلب أكثر من هذا. فرد عليه المسيح: "ليس فقط سأفتدركك، بل ستكون معي. في محضري، بالقرب مني!" قال الرجل: "في ملكك". وقال المسيح له: "في الجنة". وليس فقط: "في المستقبل حين آتي في مُلْكِي"، بل اليوم. وليس في المطهر، بل في الجنة! لقد طلب بركة في المستقبل البعيد، عندما يأتي المسيح في ملكته. ولكن المسيح أعطاه وعداً ثميناً يخص اليوم، "اليوم ستكون معي في الجنة".

للله الحمد! لله الحمد! لله الجلال والعظمة! هو المبارك الرحمان والمحب الحنون! وجد ذلك المجرم النجا من الذنب ومن الهالك. والمسيح أكد له أنه قبله، وأنه سيأخذه معه إلى الجنة. يا لها من حقيقة عظيمة! يا له من عزاء مبارك! أنت يا أخي، ربما عشت حياة قاسية. ربما ارتكبت أموراً فظيعة. هناك أمل. يوجد رجاء لك في المسيح. إنه يقبلك كما قيل ذلك اللص.

قلبي يتآلم من أجل أصدقائي الذين يرفضون حقيقة الصليب ولا يؤمنون أن المسيح مات لفداء البشر. قلبي ينفطر من أجل إخواني الذين لا يستطيعون أن يروا في صليب المسيح ما رأاه لص تائب، كان يلفظ أنفاسه الأخيرة معلقاً على صليب بجوار

عيسى. لا شك أن ذلك اللص جاءه نورٌ من السماء، ومعرفة وحكمة وإعلانٌ من عند الله تعالى ليرى في عيسى المصلوب فاديا وردا وهاديا ومنقذا بل وملك الملوك ورب الأرباب! "وما أصفى العينين اللتين رأتا الحياة في الموت، والجلال في الخراب، والنصر في الهزيمة!"³⁶

نعم، قلبي حزين في صدري من أجل إخوتي المسلمين الذين أحبتهم بكل جوارحي، الذين لا يمكنهم أن يدركون ما أدركه ذلك اللص التائب. إنهم لم يصلوا بعد إلى الحقيقة التي تبعث الهناء في النفس والأمان في الضمير،حقيقة أن ذلك المصلوب هو رب العالمين الفادي! هو مالك يوم الدين المضحي! ولذلك سيستمر دعائي لله يوماً بعد يوم وإلى آخر نسمة في حياتي، لكي يفتح الله عيونهم وينير أذهانهم ويشرق بنوره في قلوبهم وينحthem نعمة الإيمان بهذا المحب الذي ضحى بنفسه من أجلهم.

الكلمة الثالثة: لأمهه ويوحنا

وَكَانَتْ أُمُّ عِيسَى وَاقِفَةً عِنْدَ صَلِيبِهِ، وَمَعْهَا أُخْتُهَا مَرِيمٌ امْرَأَةُ كُلُوبِهَا، وَمَرِيمُ الْمَجْدَلِيَّةِ. فَرَأَى عِيسَى أُمَّهُ وَإِلَى جَانِبِهَا التَّلَمِيْدُ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ فَقَالَ لَهَا: "يَا أُمِّي، هَذَا ابْنُكِ". ثُمَّ قَالَ لِلتَّلَمِيْدِ: "هَذِهِ أُمُّكَ". وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ أَخَذَهَا التَّلَمِيْدُ إِلَى دَارِهِ أَكَانَتْ مَرِيمَ أُمَّ الْمَسِيحِ مُوْجَدَةً عِنْدَ صَلِيبِ ابْنِهَا. وَلَا شَكَ أَنَّ السُّخْرِيَّةَ وَالشَّتَائِمَ

التي كان الناس يكيلونها لابنها، مزقت قلبها. كانت تبكي على ابنها في عذابه.

لما ولدت مريم طفلها قبل ذلك بـ33 سنة، قال لها شيخ صالح تقي اسمه سمعان: "وَأَنْتِ أَيْضًا يَنْفُذُ سَيْفٌ فِي قَلْبِكِ".³⁷ هل يا ترى أدركت مريم في ذلك الوقت معنى تلك الكلمات وخطورتها؟ إن كان لا، فربما تذكرتها الآن وهي تسمع الشتائم تنهال على ابنها

فيزيد ألمها كسيف يخترق قلبها. ربما لم تكن مريم مرتاحه لبعض تصرفات ابنها. مرة أرسلت له بينما كان يخطب في الجماهير ويعلّمهم تقول: "أَمْكَ وَإِخْوَنَكَ وَاقْفُونَ خَارِجَ الدَّارِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ". فنظر حوله وأشار نحو المستمعين وقال: "هُؤُلَاءِ هُمْ أُمَّيٌّ وَإِخْوَتِي! لَأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ مَسِيقَةً أَلِيَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ هُوَ أَخِي وَأَخْتِي وَأَمِي". ثُمَّ كانت تخاف عليه لكلامه القاسي ضد رجال الدين الذين يحترمهم الشعب ويعمل لهم كل حساب. إنهم قوة لا يُستهان بها في المجتمع. وكانت تخاف عليه أيضاً لأنَّه كان يعمل معجزات كثيرة في يوم السبت، بينما اعتبر رجال الدين أنَّ هذا كسر للشريعة.^{بـ} ثُمَّ إنَّه كان رحيمًا بمن عاملهم القادة كأعداء، مثل امرأة امسكتْ وهي تزني، ومثل غير المتدينين، وجابة الضرائب، وامرأة معروفة في المدينة بأنَّها سيئة السلوك. ثُمَّ أيضاً كان لا يقيم اعتبراً للقواعد والشرائع التي وضعها الشيوخ، مثل الاهتمام بغسل الأيدي قبل الأكل أكثر من حالة القلب. وماذا عن اهتمامه بالغرباء وحبه لهم؟ وكيف أنه قدَّم رسالة الحياة إلى ساميرية كانت تعيش مع رجل ليس زوجها! وامتدح ساميريا رجع إليه ليشكِّره! وساميريا مسافراً أشفق على مصاب في الطريق! ومدح امرأة كنعانية ليست يهودية وقال لها إن إيمانها عظيم!^{ثـ} وضابطاً رومانيا لإيمانه القوي، وقال إنَّه لم يجد في بني إسرائيل واحداً عنده مثل ذلك الإيمان!^{ثـ} وقال إنَّ كثيرين سيأتون من الشرق والغرب، ويكونون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في مملكة الله، أما من يظنون أنفسهم مختارين، فيُطرحون خارجاً في الظلام والعذاب.^{ثـ} كانت مريم أيضاً تتوقع أن يكون عيسى هو الملك المنقذ. ولكنه الآن معلق

^{أـ} مت 12: 47-50

^{بـ} مت 12: 9-12

^{ثـ} مت 15: 21-28

^{ثـ} مت 8: 10

^{جـ} مت 8: 11-12

على صليب يموت ويلفظ أنفاسه الأخيرة. فهل أخطأت مريم في توقعها؟ هل أخطأ الظن؟ لا! قطعا لا! إنها حبت به دون اتصال برجل. لقد جاء إليها الملائكة وقال لها: "السَّلَامُ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اللَّهُ مَعَكِ.. لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لَأَنَّ اللَّهَ رَضِيَ عَنْكِ، فَسَتَحْبِلِينَ وَتَدْلِيْنَ ابْنَاهَا، وَتُسَمِّيْنَهُ عِيسَىٰ. سَيَكُونُ عَظِيْمًا، وَيُدْعَى ابْنَ الْعَلِيٰ وَيُعَطِّيْهِ اللَّهُ عَرْشَ دَاؤِدَ أَبِيهِ. وَيَمْلِكُ عَلَىٰ تَبَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَنْ يَكُونَ لِمُلْكِهِ نِهَايَةً" .¹ إنها تذكر كل هذا، وكيف تنسى! ولكن في نفس الوقت، كيف يمكن أن توفق بين الوعد الذي أعلنه الملائكة لها وموت ابنها على الصليب؟ الآن، من الصعب أن تفهم كل هذا! لا بد من الانتظار ثلاثة أيام لتتضاح الأمور بجلاء.

المهم هو أن عيسى في هذه اللحظات العصيبة لم ينس أمه. لقد حملته وولدته واعتنى به وهو طفل، وسهرت عليه وجاهدت وثابررت في تنشئته وتربيتها. وهنا يرد لها عيسى المعروف ويومن لها من يعني بها. إنه يعبر بهذا عن شكره وامتنانه لصنائعها معه كأم.

أخي، هل تحب وتحترم وتقدر أمك؟ هل تعبّر لها عن مشاعرك وحبك؟ هل لك علاقة طيبة بها؟ هل تعاملها كشخص خاص مميز؟ هل تكرّمها؟ تذّكر وصية الله: "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، لِيَ كَيْ يَطْلُوْ عُمُرُكَ فِي الْأَرْضِ" .²

الكلمة الرابعة: لله

وَحَوَالَيِ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، صَرَخَ عِيسَى بِصَوْتٍ عَظِيْمٍ: "إِيْلِي، إِيْلِي، لَمَا سَبَكْتَنِي؟" وَمَعْنَاهَا إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ فَلَمَّا سَمِعَ بَعْضُ الْوَاقِفِيْنَ هُنَاكَ، قَالُوا: "إِنَّهُ يُنَادِي النَّبِيَّ إِلِيَّاسَ" . فَجَرَى وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَأَخْدَى إِسْفِنْجَةً، وَمَلَأَهَا بِالْحُلْلِ، وَوَضَعَهَا عَلَى عَصَاءٍ،

وَرَفِعَهَا إِلَيْهِ لِيُشَرِّبَ . فَقَالَ الْآخَرُونَ: "أُتُرُكُهُ، لِنَرَى هَلْ يَجِيءُ إِلَيْاُسُ لِيُنْقِذَهُ."^أ

هذه أصعب لحظة في حياة المسيح. كفادي البشر الذي حمل ذنبنا وجد نفسه مبعداً عن الله. هنا، على الصليب، كان بلا معين ولا سند. في أسمى لحظة في التاريخ بأكمله حيث عَبَرَ سيدنا عيسى عن حبه بطريقة لم يسبق لها مثيل، ولم تتكرر، ولن تتكرر، كان وحيداً. ليس هناك من يقول له كلمة طيبة ولا من يعزيه. هنا على الصليب وهو يموت نائباً عنا، حاملاً ذنبينا، وجد نفسه مفصولاً عن حضور الله، مقطوعاً عن معية القدير! لماذا؟ لأنَّه كممثل للمذنبين، كان لا بد أن يُحرِم من حضور الله معه.

إنْ تأملنا في التاريخ نجد أتقياء آخرين قابلو الااضطهاد والألم والعقاب، ولكن جاءهم السند والعزاء من عند الله. أما عيسى فكان متروكاً وحيداً بلا سند ولا عزاء.

لأنَّا خذلنا يعقوب مثلاً. كان الله مع يعقوب فحفظه وحرسه من طمع لابان وجشعه. قال يعقوب للابان: "لَوْلَا أَنَّ رَبَّ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، الْإِلَهُ الَّذِي يَتَقَبَّلُ إِسْحَاقَ كَانَ مَعِيْ، لَكُنْتُ أَرْسَلْتُنِي فَارِغَ الْيَدَيْنِ . لَكِنَّ اللَّهَ رَأَى تَعَيْيَ وَعَنَائِي فَوَجَّهَكَ لَيْلَةَ أَمْسٍ ."^ب

ثم يوسف. ظلمه إخوه وباعوه كعبد، وبعد ذلك وضعه فوطيفار في السجن. وهنا يقول الكتاب: "وَلَكِنَّ اللَّهَ كَانَ مَعَ يُوسُفَ، وَأَعْطَاهُ التَّجَاحَ فِي كُلِّ مَا عَمِلَهُ."^ت

حين وقع داود في قبضة أعدائه كان يشعر بحضور الله معه فقال: "الله معي وأنا مُتَأْكِدٌ مِنْ هَذَا."^ث كما أدرك إرميا هذه الحقيقة أيضاً فقال: "الله معي گُمْحَارِبٌ بَاسِلٌ قَدِيرٌ."^ج

^أ مت 27:46-49؛ مر 15:34

^ب تك 42:31

^ت تك 23:39

^ث مز 9:56

^ج إر 11:20

رفض الشبان الثلاثة شدرخ وميشخ وعبدنغو أن يسجدوا لتمثال الملك. أصرّوا أن العبادة واجبة لله وحده، لا غيره. فغضب الملك جداً وأمر برميهم في أتون النار المشتعلة. سقط الرجال الثلاثة في الأتون مربوطين. ولما تطلع الملك ليり، قال إنه وجد: **أَرْبَعَةُ رِجَالٍ مَحْلُولِينَ يَمْتَسِّرونَ فِي وَسْطِ التَّارِ وَمَا بِهِمْ ضَرَّ، وَمَنْظُرُ الرَّابِعِ كَانَهُ أَبْنَ الْآلَهَةِ!**^١ هذا الحضور الإلهي السمائي، قال عنه ذلك الملك الوثني إن منظره كأنه ابن الآلة!

ثم ماذا عن دانيال؟ دبر أعداؤه مكيدة ضده فرماه الملك في حفرة الأسود. ولكن الله أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود، فلم تضر دانيال.^٢ واجه بولس محكمة القىصر، وفي ذلك الوقت الصعب، لم يكن هناك أحد ليقف معه ليشجعه ويقويه غير المسيح. قال بولس: **"فِي الْمُحاكَمَةِ الْأُولَى لَمَّا دَافَعْتُ عَنْ نَفْسِي، لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ لِلَّدْفَاعِ عَنِّي بَلْ تَرَكُونِي لُكْلُهُمْ. اللَّهُمَّ لَا تَحْسِبْ هَذَا ضِدَهُمْ. لَكَنَّ سَيِّدِي الْمُسِيحَ وَقَفَ مَعِي وَقَوَانِي، فَأَمْكَنَنِي أَنْ أُبَتَّرَ بِالْأَنْجِيلِ كَامِلاً لِيَسْمَعَهُ كُلُّ الْأَجَانِبِ."**^٣ ويقول صاحب المزمور باللوحي: **"اللَّهُ مَعِي فَلَا أَخَافُ... اللَّهُ مَعِي وَهُوَ مُعِينِي."**^٤

أما عيسى، القدس الطاهر المبارك، ففي أصعب وقت، كان وحيداً، متروكاً منيوباً... من أجلنا.

لماذا ظنوا أنه كان ينادي إلياس؟ لأن كلمة إلياس قريبة من كلمة إلهي في اللغة الأصلية. ثم كان ذلك الشعب يتوقع أن يأتي إلياس ويفصل كل الأمور.^٥ ثم يأتي المسيح بعد ذلك لينقذهم ويعيد تأسيس مملكة داود العظيمة. وحتى اليوم، حين يحتفلون

^١ دا 3:25

^٢ دا 22:6

^٣ تم 4:16-17

^٤ مز 118:6-7

^٥ مت 17:11

بالفصح ويجلسون إلى المائدة لعشاء العيد، يضعون على المائدة كأس شراب إضافية لإلياس ويتركون باب الدار مفتوحاً لعله يأتي إليهم أثناء وجبة الفصح. لذلك ربما ظن الواقفون عند الصليب أن المسيح في ساعة احتضاره يستغيث بإلياس.

ومن هو النبي إلياس؟ هو الذي أهلك رسل الملك أخرياً بأن طلب ناراً تنزل من السماء، فنزلت وأحرقتهم. هو الذي قتل أنبياء البعل بعدهما تحداهم وفشلوا في مواجهة التحدي. هو الذي صعد إلى السماء في مركبة نارية بينما تلميذه أليشع يراقب بذهول. كان رجلاً نارياً، بإمكانه أن يهلك الأعداء بالنار. لذلك كان الشعب يتوقعه لينقذهم من العدو المستعمر. هنا دليل آخر أنه كانت على قلوبهم غشاوة. لم يفهموا عيسى. لم يفهموا رسالته. لم يعرفوا معنى حياته بينهم. والآن في موته لم يعرفوا معنى هذا الموت من أجلهم. قال إلياس: "الإِلَهُ الَّذِي يَسْتَحِيْبُ بِأَنْ يُرْسَلَ نَارًا إِلَى الْحَطَبِ، هُوَ اللَّهُ".^١ أما عيسى هنا على الصليب فيقول: الإله الذي يرد بالحب والغفران على معصية الناس وذنبهم، هو الله، هو الإله الحق!

يبدو أنهم خافوا أو ربما بدأت ضمائرهم تثور عليهم! ربما رأوا أن ما فعلوه بعيسى لم يكن من العدل بشيء، لذلك أرادوا أن يطيلوا حياته ولو دقائق قليلة ليروا إن كان النبي إلياس سيأتي لينقذه، فأعطوه بعض الخل. هذا هو الغريب هنا! هل يأتي إلياس لينقذ إنساناً كافراً انتحل لنفسه صفات لم تكون من حقه كما قالوا هم عن عيسى؟ لا شك أنها ثورة الضمير! لم يأت إلياس لينقذه. كانوا على خطأ، لم يكن عيسى يُحدّث النبي إلياس، بل كان يصرخ إلى الله الذي تركه.

الكلمة الخامسة: للناس

"أَنَا عَطْشَانُ".^أ

هنا نجد الذي يروي العطشان ويعطي ماء الحياة، عطشانا! كان مولانا وسيدنا متمكنا من قواه العقلية. كان في عذاب وألم ولكنه كان يدرك كل تفاصيل ما يجري معه وحوله. هنا يُبين لنا يوحنا أن المسيح كان يعرف أن الكتاب تنبأ عنه، بأنهم سيعطونه الخل والمر لشرب. بـ فلكي يتم ذلك، صرخ بصوت عظيم وقال: "أنا عطشان". إذن حق في هذه اللحظات الصعبة والرهيبة، لم يكن فكره مشوشًا. والألم الفظيع لم يحرمه من ملَكَة التفكير السليم. فحقٌ وهو معلق على الصليب كُلًّا هذه الساعات، أخذ يشير إلى نبوة بعد الأخرى من نبوات الكتاب الشريف، تتحقق فيه وبه. لكنه تحمل العذاب إلى النهاية. بلا قطرة ماء يبل بها ريقه أو يروي عطشه.

الكلمة السادسة: للكل

"تَمَ كُلُّ شَيْءٍ".^ت

كان عيسى يختضر، وبينما هو يلفظ أنفاسه الأخيرة أُعلن أن كل شيء تم. ربما كنا نتوقع أن يقول هذا الكلام يوم قام من الموت! ربما كنا نظن أن ي قوله وهو يصعد إلى السماء، إلى عرش جلال الله! لكنه قال هذا وهو معلق على الصليب. لماذا؟ لأن هذه في الحقيقة هي صرخة النصر والفوز! قال هذا والشمس على وشك أن تظلم في منتصف النهار! قال هذا في أفعى ساعات التاريخ، ساعة الألم والموت! تم كل شيء، تعني: أنا أتممت الفداء. تعني: أنا قهرت إبليس. تعني: كل شيء جاهز لكم أيها البشر، تعالوا

^أ يو 19:28

^ب مز 69:21

^ت يو 19:30

وَخُذُوا كُلَّ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ غَفَرَانٍ وَحَيَاةٍ وَشَفَاءٍ وَنَصْرٍ وَفَرَحٍ!

إذن ليس هذا أئن المهزوم ولا تأوه المستسلم للقضاء والقدر، بل هتاف المنتصر الذي أتم قصد الله الأزلي! سمعه الواقفون هناك يقول هذه الكلمات، فهل فهموا معناها؟ هل أدركوا خطورتها؟ أعتقد أن كثيرين منهم لم يفهموا ولم يدركوا. وإن كان عيسى على الصليب قد أتم كل شيء، وقدم حياته فداءً لنا، فلماذا يحاول البعض أن يشتروا رضا الله بالصلوة والصوم والزكاة؟ هذه لا يمكنها أن تضمن لنا مغفرة ذنبنا. المسيح دفع الشمن. المسيح تم قصد الله. المسيح فدانا، وغفرانه شامل، كامل، مجاني.

الكلمة السابعة: لله

فَصَرَخَ عِيسَى صَرْخَةً عَالِيَّةً وَقَالَ: "يَا أَيُّهَا، فِي يَدِكَ أَصْعُرُ رُوحِي وَدِيَعَةً".^أ

أول مرة يسجل فيها الكتاب الكريم كلاماً لعيسى هو حديثه عن أبيه حين قال لأمه ويوسف: "أَلَا تَعْلَمَا مِنْ أَنِّي يَحْبُبُ أَنْ أَكُونَ فِي بَيْتِ أَيِّ؟"^ب وآخر مرة هنا يتحدث إلى أبيه! ليست هذه كلمات واحد يموت في ضعف وهزيمة. لا! بل إنه هو السيد على الموت. إنه هنا يُسَلِّمُ نفسه للموت طوعاً من أجل حبه للناس.

هنا يقتبس سيدنا وفادينا آية من المزامير حيث يقول دارد: "أَصْعُرُ رُوحِي وَدِيَعَةً^أ
فِي يَدِكَ، فَدَيَّنِي يَا رَبُّ، يَا إِلَهِ الْأَمِينِ."^ت من المهم أن نلاحظ الطريقة التي بها اقتبس المسيح هذه الآية وهو معلق على الصليب في ألم وعذاب وعلى وشك أن يموت. مع كل ذلك كان صاحياً واعياً ممتلكاً من نفسه يقتبس من كلمة الله بدقة. تعال نرى

أ لو 23:46

ب لو 2:49

ت مز 31:5

ماذا عمل عيسى:

1. عبارة استخدمها كما هي. "فِي يَدَيْكَ أَضْعُ رُوحِي وَدِيَعَةً". بهذا يبين أن موته كان وفقا لإرادة الله، وهو قد أتم هذه الإرادة والآن يضع نفسه وديعة بين يدي الله. كما أن موته كان أيضا بإرادته هو، بإرادته الحرة. باختياره. لقد جاء ومات لفداء البشر.
2. عبارة لم يستعملها لأنها لا تنطبق عليه. في المزמור قال داود: "فَدَيْتِنِي يَا رَبُّ". إن المسيح بلا ذنب. لا يحتاج إلى أن يدفعه أحد، بل هو جاء لفداء البشر المذنبين لذلك لم يقل: "فَدَيْتِنِي".
3. عبارة فيها يؤكّد علاقته الفريدة مع أبيه. فمع أنه متزوك من الله لأنّه يُمثل البشر المذنبين، لكنه هو ابن الأب بالحق والمحبة. في المزמור قال داود: "يَا إِلَهِ الْأَمِينَ، وَعَلَى الصَّلِيبِ قَالَ الْمَسِيحُ: يَا أَبِي". لقد أتم الفداء. وبعد لحظات قليلة سنتهي حياته على الأرض، فهو يودع روحه عند أبيه.

كل هذا من حق عيسى لأنّه هو الذي أوحى بالكتاب، هو رب الكتاب، ففي قدرته وسلطانه أن يستخدم ما أوحى به كما شاء بحسب قصده الإلهي.

أحداث أخيرة

نأتي الآن إلى آخر مرحلة في قصة الصليب.

أحداث متعلقة بموته. ابن الله القدوس المحب الآن معلق على الصليب ويلفظ أنفاسه الأخيرة. بذل نفسه وأراق دمه من أجل البشر. تعال أخي نرى ماذا جرى بعد ذلك.

رؤساء الأخبار. طلب رؤساء الأخبار من بيلاطس أن يزيل عبارة "ملك اليهود" من اللافتة. رفض بيلاطس، وقد تحدثنا عن هذا من قبل.

الطبيعة. تفاعلت الطبيعة مع موت ابن الله. كيف؟
أظلمت الشمس وخيّم الظلام. وجاء الظُّهُرُ، وخَيَّمَ الظَّلَامُ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ حَتَّى
السَّاعَةِ التَّالِثَةِ عَصْرًا، لَأَنَّ الشَّمْسَ أَظْلَمَتْ.

هنا "كأن الطبيعة اشتراك في حزنه العميق ولبسها (ثياب) الحداد. وكأن ملكة الأنوار اختبأت خجلاً على أعظم جريمة سُطرت في تاريخ الدهور ارتكبها المشتركون في صلب هذا (القدوس)".³⁷ ربما نجد إشارة إلى هذه الحقيقة في كتب الأولين حيث يقول الله: "أَجْعَلُ الشَّمْسَ تَغِيبُ فِي الظُّهُرِ، وَأَجْعَلُ الْأَرْضَ تُظْلِمُ فِي وَسْطِ النَّهَارِ."³⁸ بـ هذا يتحدث عن عقاب الله لبني إسرائيل لشرهم وبعدهم عنه. ويقول الكتاب الشريف إن يوم الدين هو: "يَوْمٌ غَصَبٌ، يَوْمٌ ضِيقٌ وَعَذَابٌ، يَوْمٌ حَرَابٍ وَدَمَارٍ، يَوْمٌ ظَلَامٌ وَرِقَاتٌ، يَوْمٌ سَحَابٌ وَضَبَابٌ."

حجبت الشمس نورها، وكأن الطبيعة تقول لنا إن الله حجب نور رضاه عن ابنه الوحيد الذي، على الصليب، كان نائباً عن البشرية الساقطة فحمل كل ذنبنا. الظلام يعني أن الله يعاقب ذنبنا. حل عقاب ذنبنا على المسيح. هنا على الصليب حمل المسيح العقاب الذي كنا نستحقه نحن. هنا على الصليب وفي الظلما والضيق والعذاب، كان هو بديلنا، قاسي الألم والحزن والوحدة. كان متربكاً منبوداً مهملاً معزولاً وحيداً. كان مبعداً عن البشر لأنهم لم يفهموه ولم يصدقوه، وكان مبعداً عن الله لأنه أصبح ممثلاً لنا حاملاً ذنبنا.

ثم إن ذلك الظلما قد يرمي إلى حقيقة أخرى. إن البعض لا يمكنهم أن يروا الصليب، ولا أن يدركوا خطورته وأهميته بسبب الظلما الذي حل في قلوبهم، فأعمى بصائرهم وحرموا من نعمة إدراك أعظم حقيقة في التاريخ. هل أنت واحد من هؤلاء؟

^ألو 44:23

^بعا 9:8

^تصف 15:1

هل التف الظلام حول عقلك وفهمك وجعلك تعاند وتنكر الصليب؟ أخي، موت المسيح على الصليب هو حقيقة ومهما كان الظلام الذي بك كثيفاً، إن آمنت بعيسى يتحول الظلام إلى نور والعتمة إلى إشراقة شمس الحياة!
وهنا نلاحظ أيضاً أنه حين ولد القادي أضاء جلال الله حقول بيت لحم وحين مات خيم الظلام.

ترزلت الأرض وتشققت الصخور.^{بـ} هل عبرت الأرض عن رعبها مما حدث بأن تزلزلت؟ وهل ارتعدت الصخور مما جرى؟ ربما! لأن ابن الله، القدس الصالح، مات على صليب! أم أن الأرض تزلزلت والصخور تشققت لأن عوامل الكون الجامدة أرادت أن تعبر عما لم يمكن أن يعبر عنه البشر، بأن حمدت وسبحت رب السماء والأرض لأنه قدم ذاته لفداء الناس?^{تـ}

افتتحت القبور. وانفتحت القبور. وكثير من الصالحين المُؤْتَى قاموا إلى الحياة بِأجسادِهم، وخرجوا من القبور. وبعد قيامتهم، دخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين.^{ثـ}

هذه قيمة حقيقة، ليشر بأجسامهم، لا أشباح ظهرت للناس. ثم إنها حدثت في الوقت الذي مات فيه المسيح، مع الظواهر الأخرى مثل الزلزال وتشقق الصخور وانشقاق الستارة. فهي تشير إلى أهمية وخطورة موته. ثم إنها أيضاً تشير إلى وعد الله المبارك لنا أننا لا نبقى في القبور دائمة، بل يوم القيمة آت بلا شك حين يأتي المسيح على السحاب ليأخذنا إليه ونكون معه كل حين.

يقول بعض المفسرين إن الذين قاموا، كانوا قد آمنوا باليسوع في أثناء خدمته، ثم

ألو 9:2.

بـ مت 27:51.

تـ لو 19:40.

ثـ مت 27:52-53.

ماتوا قبل صلبه. والآن ظهروا لكثيرين من أهلهم وأصحابهم المؤمنين بال المسيح. بذلك أراد القدير أن يبين لأولئك المؤمنين الأحياء أن الذين سبقوهم وماتوا هم أيضا شركاء في قيمة الحياة بواسطة صليب الفادي!³⁸

بيت الله

انشققت الستارة في بيت الله. "وَانْشَقَّتِ السَّتَارَةُ الْمُوجُودَةُ فِي بَيْتِ اللَّهِ إِلَى شَطَرَيْنِ مِنْ فَوْقِ إِلَى تَحْتٍ."^١

هذه هي الستارة التي كانت في بيت الله تفصل بين المقدس والمقدس الداخلي الأعظم. كانت هذه الستارة نفيسة جميلة ومصنوعة من أنسجة سميكية، ومطرزة بأشكال ملائكة. وكان طولها يبلغ 10 أمتار وعرضها 7 أمتار. انشققت من فوق إلى تحت. هذه معجزة، أن تنشق ستارة من ذاتها! في الحقيقة هذه حادثة خطيرة ومخيفة جدا. ربما كان الأخبار يقومون بعملهم في بيت الله في ذلك الوقت. ربما قيافا نفسه كان موجودا هناك. فماذا قال، وماذا عمل في مواجهة هذا الأمر الخطير؟ لأنه بانشقاق الستارة، لا شك ظهرت الأشياء المقدسة الموجودة في المقدس الداخلي؛ أي منصة البخور، وصندوق العهد، وفوقه تصوير مجسم لملائkin! لم يكن مسماحا لأحد بالدخول إلى ذلك المكان غير الخبر الأعلى وحده وذلك مرة واحدة في السنة.^ب

هذه الستارة كانت تتحدث عن وجود حاجز يفصل بين الله القدس والبشر المذنبين. والآن زال هذا الحاجز بموت المسيح، لأنه قرئنا إلى الله. ثم كانت الستارة ترمز أيضا لطبيعة عيسى البشرية التي كانت تحجب عن أنظارنا طبيعته السمائية وألوهيته. بمعنى آخر الله صار بمرا، لكي يمكننا أن نراه ونسمعه ومع ذلك لا نفني في محضره.

^أ مت 27:51

^ب عب 9:3-7

وستتحدث عن هذا مرة أخرى حين نتطرق إلى موضوع موقف اليهود من الصليب.

أهل

شاهدته أمه وكذلك أصحابه. أما كُلُّ أَصْحَابِهِ وَالنَّسَاءُ الْلَّاتِي تَبْعَنْتُهُ مِنَ الْجَلْيلِ، فَكَانُوا رَاقِفِينَ مِنْ بَعِيدٍ، وَشَاهَدُوا هَذِهِ الْأُمُورَ.

من هم أصحابه هؤلاء؟ هل رجع تلاميذه بعد ما هربوا لأنهم ندموا على تركهم إياه وهجرهم له في أحلك الساعات؟ هل كان يوسف الذي من الرامة ونقميروس بين هؤلاء؟ ربما. كانوا واقفين من بعيد. ربما لأنهم كانوا خائفين. كانوا في حزن و Yas. في الفترة التي عرفوا فيها عيسى، كانوا قد بنوا أحالمًا كبيرة وأملاً عريضة. ولكنهم هنا يشاهدون أمام أعينهم تحطيم أعز أماناتهم وأغلى أحالمهم. لقد فشل صاحبهم في تحقيق ما كانوا يعطونه الأولوية، أي تحرير بلادهم من المستعمر ومن حهم الاستقلال والسيادة. ليس ذلك فقط، بل أيضاً ضاع كل بصيص رجاء وكل أمل خافت كان في قلوبهم، أن يتدخل الله عز وجل ويرسل ملاكاً ليقتل الأعداء ويُمَوِّتهم، وينزل صاحبهم عن الصليب وينعشه قبل أن يموت. نعم، حتى هذا الأمل البسيط ضاع وانتهى. لقد مات. توفي. وراح كل رجاء.

الحرس

قَسَّمُوا ثِيَابَهُ. وَأَمَّا الْعَسْكَرُ فَلَمَّا صَلَبُوا عِيسَى، أَخْدُوا ثِيَابَهُ وَقَسَّمُوهَا إِلَى أَرْبَعَةِ أَفْسَامٍ، لِكُلِّ عَسْكَرٍ قِسْمٌ. وَأَخْدُوا الْقَمِيصَ أَيْضًا، وَكَانَ قِطْعَةً وَاحِدَةً مَنْسُوجَةً مِنْ

فَوْقُ إِلَى تَحْتٍ بِعَيْرٍ خِيَاطَةٍ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "لَا نَسْقُهُ بَلْ نُلْقِي قُرْعَةً لِنَرِي مَنْ يَأْخُذُهُ." فَتَمَّ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ: "قَسَّمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى مَلَابِسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً." فَهَذَا هُوَ مَا فَعَلَهُ الْعَسْكَرُ!

هذه عملية توزيع الميراث! تورد البشائر الأربعية هذه الحادثة لأهميتها. ويقول الوحي إن فعلهم هذا كان تحقيقا للنبوة التي جاءت في كتاب الله. بـ

أخذ العسكر معهم إلى الدار ملابس المسيح. ولكن هل هذا هو كل ما يمكن أن يستفيدوه من موت المسيح على الصليب؟ من فدائه للإنسان؟ هل رجعوا إلى الدار بلا توبة، بلا ندامة على عملهم، بلا إيمان، بلا تغيير في القلب، بلا حياة جديدة، بلا منقذ؟ وأنت ماذا تستفيد من قراءة كلامي هذا؟ هل قراءة أفكار طيبة وقصص مسلية؟ هل تعتبر هذا بالنسبة لك مجرد تمضية بعض الوقت؟ أم تتوّب وتتغير حياتك بقوّة هذا الفداء العظيم؟

ومن ناحية أخرى إني أُحمد الله، لأن الجنود أخذوا ثياب المسيح، لأنها بذلك ضاعت! ربما لو كان أهله أخذوها، ليحتفظوا بها لذكرهم به، لكنّ الأجيال التالية تقدّسها لدرجة العبادة كما يحدث الآن مع ثوب من ثياب واحد، أو عظمة من عظام آخر، أو شعرة من لحية آخر! احذر يا أخي من أن تقع في هذا الخطأ! إن المسيح هو القدير الذي يدخل إلى القلب ويغير الحياة ويعيش فيها. فنحن لا نحتاج إلى قطعة من ثيابه، أو شعرة من لحيته لنتبارك بها ونتمسّح. إنه حي اليوم وموجود معنا وفينا! كسروا سيقان اللصين. وكان هذا يوم الإعداد، ويأتي بعده يوم السبت، اليوم الكبير. فطلبَ قادة اليهود من بيلاطس أن تكسر سيقان المصلوبين وتنزل جثثهم، ليُكَيِّنَ لا تَبَقَّى عَلَى الصَّلِيبِ إِلَى يَوْمِ السَّبْتِ. فجاءَ الْعَسْكَرُ وَكَسَرُوا سَاقَيَ الْأَوَّلِ وَالآخِرِ

المَصْلُوبَيْنِ مَعَ عِيسَىٰ. لَكِنْ لَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ، وَجَدُوا أَنَّهُ مَاتَ، فَلَمْ يَكُسِرُوا سَاقِيهِ أَمْ الْحَاسِكَ بِذَلِكَ بَنَاءً عَلَى طَلْبِ الْيَهُودِ. أَرَادَ قَادِتُهُمْ أَنْ تُنْزَلَ الْجَنَاحُ وَلَا تَبْقَى مَعْلَقَةً لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ أَمْرَتُهُمْ بِذَلِكَ حِيثُ قَالَ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِوَاسِطَةِ مُوسَىٰ: "إِنَّ رَجُلَكُمْ وَاحِدٌ جَرِيمَةٌ عِقَابُهَا الْإِعْدَامُ، فَأَعْدِمُ وَعُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ، فَلَا تَتَرَكُوا جُثَثَهُ عَلَى الْخَشَبَةِ إِلَى الْيَوْمِ التَّالِي، بَلْ ادْفُنُوهُ فِي نَفْسِ الْيَوْمِ، لَأَنَّ مَنْ يُعْلَقُ عَلَى خَشَبَةٍ هُوَ مَلُوْنٌ مِنَ اللَّهِ. فَلَا تُتَجَسِّسُوا الْأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيَهَا لَكُمُ الْمَوْلَى إِلَهُكُمْ تَصِيبًا."^ب هَذِهِ الْوَصِيَّةُ تَتَحدَّثُ عَنِ إِعْدَامِ الْمَجْرُمِ بِالرِّجْمِ لَا بِالصَّلْبِ، فَكَمَا قَلَّنَا مِنْ قَبْلِ إِنِّي الصَّلْبُ كَانَ وَسِيلَةً لِإِعْدَامِ رُومَانِيَّةً لَا يَهُودِيَّةً. فَالْيَهُودُ كَانُوا يَقْتَلُونَ الْمَجْرُمَ بِالرِّجْمِ، ثُمَّ بَعْدِ رَجْمِهِ كَانُوا يَعْلَقُونَ جُثَثَهُ عَلَى غَصْنِ شَجَرَةِ (خَشَبَةِ) إِعْلَانًا لِلْجَمِيعِ عَلَى جَرْمِهِ وَحْقَارَتِهِ.

لِمَاذَا طَالَبَ الْيَهُودُ بِتَعْجِيلِ مَوْتِهِمْ؟ لِكِي لَا تَبْقَى جُثَثُهُمْ عَلَى الصَّلِيبِ إِلَى يَوْمِ السَّبْتِ، الْيَوْمِ الْمَقْدُسِ! هُنَا مَظَاهِرٌ آخِرٌ مِنْ مَظَاهِرِ النَّفَاقِ وَالشَّرِّ. فَهُمْ قَتَلُوا ابْنَ اللَّهِ الطَّاهِرِ الْمَجِيدِ، قَتَلُوا الصَّالِحِ الْقَدُوسَ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ يَدْقُقُونَ فِي تَنْفِيذِ الشَّرِيعَةِ بِشَأْنِ يَوْمِ السَّبْتِ! كَانُوا قَتْلَةً! وَمَعَ ذَلِكَ يَحْرُصُونَ عَلَى أَنْ يَعْمَلُوا حَسْبَ نَصِّ الشَّرِيعَةِ!

يَا لَهُ مِنْ نَفَاقٍ وَرِيَاءً!

وَجَدَ الْعَسْكُرُ أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ فَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ حَاجَةٌ إِلَى كَسْرِ سَاقِيهِ. مَاتَ الْمَسِيحُ بِسُرْعَةٍ لَمْ تَكُنْ مُنْتَظَرَةً. هُنَا إِشَارَةٌ أُخْرَى إِلَى كَوْنِ الْمَسِيحِ حَمْلَ الفَصْحِ الَّذِي مَاتَ مِنْ أَجْلِنَا. فِي شَرِيعَةِ مُوسَىٰ لَمْ يَكُنْ مَصْرَحاً لَهُمْ أَنْ يَكْسِرُوا عَظَامَ حَمْلِ الْفَصْحِ.^ث "لَأَنَّ حَمَلَ الْفِدَاءَ أَيِّ الْمَسِيحَ، قُدْمَ صَحِيَّةً نِيَابَةً عَنَّا."^ث وَهَذَا تَنبِأُ الْكِتَابِ

^أ يو 19:31-33

^ب تث 21:22-23

^ث خر 12:9؛ عد 46:12

^ث كور 5:7

أيضاً أنه لن يُكسر منه عزمٌ

لماذا مات المسيح بهذه السرعة؟ بسبب الآلام الجسمانية المبرحة، وبسبب العذاب النفسي الرهيب. احتمل آلام عقاب ذنبنا والانفصال عن الأب المحب.

طعنه واحد منهم بحربة في جنبه، فَطَعَنَهُ وَاحِدٌ مِّنَ الْعُسْكُرِ بِحَرْبَةٍ فِي جَنْبِهِ،
وَفِي الْحَالِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ. وَهَذِهِ هِيَ شَهَادَةٌ مِّنْ رَأْيٍ، فَهِيَ شَهَادَةٌ صَادِقَةٌ. وَهُوَ يَعْلَمُ
أَنَّهُ يَقُولُ الصَّدِيقُ، وَيَقُدِّمُهَا لِيَگَ تُؤْمِنُوا أَنْتُمْ أَيْضًا. وَحَدَّثَ هَذَا لِيَگَ يَتَحَقَّقُ مَا وَرَدَ فِي
الْكِتَابِ: "لَنْ يُكْسَرَ عَظُümُ مِنْهُ". وَيَقُولُ الْكِتَابُ أَيْضًا فِي مَكَانٍ آخَرَ: "سَيَنْظُرُونَ إِلَى
الَّذِي طَعَنُوهُ".^ب

قائد الكتيبة المكلف بتنفيذ عملية الصلب، سمع صرخة المسيح وهو يموت، وأخبر بيلاطس بأنه مات.^ت ولكن لكي يتتأكد العسكري من أنه مات فعلاً، طعنه واحد منهم بحربة في جنبه. من الواضح أن يوحنا الذي شاهد ما جرى يضع أهمية كبيرة على هذا الحدث الذي رآه بعينيه. ومن المعقول أن نقول إن يوحنا في ذلك الوقت لم يفهم السبب في خروج دم وماء من جانب المسيح، لكن الطب يشرح لنا سبب هذه الظاهرة بطريقتين.

أولاً، يقول علماء الطب إنه لو كان السيد المسيح ما زال حيا وقت الطعنة، لكن قد خرج من عروقه رش قوي من دم أحمر ناصع. لكن ما رآه يوحنا من دم وماء هو دليل على أن عيسى كان قد مات من انفجار وتمزق في القلب بسبب الحزن الشديد. "الإِهَانَةُ كَسَرَتْ قَلْبِي فَمَرِضْتُ، التَّمَسْتُ الْعَظْفَ فَلَمْ أَجِدُ، وَانْتَهَرْتُ الْمُعَزَّزِينَ فَلَمْ يَأْتُوا".^ث ونتيجة لهذا الانفجار خرج الدم من القلب إلى فجوة الصدر وتحلط هناك (أي

^أ مز 34:20

^ب يو 19:34-37

^ت مر 15:39, 44

^ث مز 20:69

تجهد) وانفصل عن البلازم (أي المصل الدموي الأصفر). ولما طعنه الجندي خرج من جنبه دم وماء (والماء هنا هو البلازم).

ثانياً، الاحتمال الآخر لما حدث هو أنه بسبب الضرب والجلد بقسوة، تمزق جسم الفادي الكريم بمحروج بلية ونزف كثيراً. كما أصيب أيضاً بنزيف داخلي لتمزق الكبد والكليتين وغيرها من الأعضاء. وكان قلبه يدق بسرعة شديدة، ولكن حيث أنه نزف كثيراً، فليس هناك دم يضخه القلب. فتجمعت سائل عضوي حول القلب. ولما مزقت الطعنة جنبه خرج الدم والماء (ذلك السائل العضوي).

لقد مات وهو على الصليب وقبل إزالته ودفنه. وهذا لم يكسروا رجليه كالمصلوبين الآخرين.

وربما يمكننا أن نربط ما حدث هنا مع عملية خلق حواء. يقول الكتاب: "وَجَعَلَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ يَنَامُ نَوْمًا عَيْقَانًا. وَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ، أَخَذَ صِلْعًا مِنْ أَصْلَاعِهِ، وَسَدَ مَكَانَهَا بِلَحْمٍ. ثُمَّ صَنَعَ مِنْ هَذِهِ الصَّلْعِ امْرَأَةً وَاحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: "هَذِهِ الْأَنَّ عَظِيمٌ مِنْ عِظَابِي، وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. فَهِيَ اسْمُهَا امْرَأَةٌ لَأَنَّهَا مِنْ امْرِئٍ أَخَذَتْ."^أ إن حواء خُلقت من جانب آدم، وأمة المسيح خلقت عن طريق موت السيد المبارك على الصليب، من جنبه المطعون، ويديه ورجليه الدامية، وجبينه المكل بالشوك. وأخيراً نلاحظ هنا أن الجرح الذي نشأ من تلك الطعنة كان كبيراً لدرجة أن توما يمكنه أن يضع يده في جنب عيسى!^ب

خافوا جداً مما جرى وأقرروا بأن هذا شخص غير عادي. لَمَّا اصْبَاطُ قَائِدُ الْحَرَسِ وَالرَّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ يَحْرُسُونَ عِيسَى، فَلَمَّا رَأُوا الزَّلَازَلَ وَالْأَشْيَاءَ الَّتِي جَرَتْ، خَافُوا جِدًا وَقَالُوا: "حَقًا كَانَ هَذَا ابْنَ اللَّهِ."^ت

^أ تك 2:21

^ب يو 20:27

^ت مت 54:27

أَمَّا الصَّابِطُ فَائِدُ الْحَرَبِ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا مُقَابِلَهُ، فَلَمَّا رَأَى كَيْفَ تُؤْفَىٰ، قَالَ: "حَقًّا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ ابْنَ اللَّهِ".^أ

أَمَّا الصَّابِطُ فَائِدُ الْحَرَبِ، فَلَمَّا رَأَى مَا حَدَثَ، سَبَّحَ اللَّهَ وَقَالَ: "حَقًّا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ صَالِحًا". وَكُلُّ الْجَمْهُورِ الَّذِي تَجَمَّعَ لِهَذَا الْمُنْظَرِ، شَاهَدُوا مَا جَرَى، وَرَجَعُوا وَهُمْ يَضْرِبُونَ صُدُورَهُمْ. أَمَّا كُلُّ أَصْحَابِهِ وَالنِّسَاءِ الَّتِي تَبِعُهُ مِنَ الْجُلْلِيلِ، فَكَانُوا وَاقِفِينَ مِنْ بَعِيدٍ، وَشَاهَدُوا هَذِهِ الْأُمُورَ.^ب

يقول لوقا عن الضابط المكلف بعملية الصلب، إنه لما رأى ما حدث قال: "حَقًّا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ صَالِحًا". ويقول متى ومرقس إن الضابط قال: "حَقًّا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ ابْنَ اللَّهِ". من هذا نفهم أنه قال العبارتين: كان صالح، كان ابن الله. أي هذا ليس كالبشر العاديين، إنما هو كائن إلهي. رأى الضابط ما حدث من آيات ومن زلزال، وسمع كلام المسيح وغفرانه، ورأى الحب في عينيه. فأقرَّ بهذه الشهادة. لا شك أن هذا الضابط المحنك الخبير رأى الكثير من عمليات تنفيذ إعدام المجرمين. ربما هو نفسه دق المسامير في أيدي كثيرين من المحكوم عليهم بالإعدام، وربما أمسك أيديهم وآخرون دقوا المسامير. لكن، رأى هذا الضابط في عيسى ما جعله يصل إلى هذا القرار ويعلن هذا الإعلان! كان المسيح مختلف عن الآخرين فوجد فيه الضابط ما لم يجده في الآخرين، ولذلك اعترف هذا الاعتراف الحسن.

فالذي حكم عليه الناس بالصلب ليس مجرد معلم قدير مات من أجل معتقده، ولا مجرد صالح تقي مات من أجل مبادئه، بل الله الذي صار بشرا ضحي بنفسه لفداء البشر. لهذا قال الضابط: "حَقًّا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ ابْنَ اللَّهِ".^ت وكأنه يقول: "أنا وقفت عند صليب كثيرين من قبل، فما رأيت غير الغضب والكراهية، ولكني هنا أرى الهدوء

^أ مر 39:15

^ب لو 49-47:23

^ت مر 39:15

والحب. من قبل، لم أسمع غير السب والشتائم واستنزال اللعنات، وهنا أسمع المغفرة والصفح. لا يقدر على هذا غير الله. حقاً كان هذا الرجل ابن الله، حقاً كان هذا الرجل صالحًا".

الناس

وقف الناس يتفرجون. أ أي وقفوا ليتفرجوا على واحد يموت في عذاب على صليب.

شاهدوا ما جرى. وَكُلُّ الْجُمُهُورِ الَّذِي تَجَمَّعَ لِهَذَا الْمَنْظَرِ، شَاهَدُوا مَا جَرَى. ^ب
أي لدينا هنا شهد من كل نوع من الناس، رأوا بعيونهم أن عيسى صليب ومات.
رجعوا لهم يضربون صدورهم. ^ث ترى لماذا كانوا يضربون صدورهم؟ في العادة هذه
علامة الندم. ربما كان ضميرهم يؤنبهم وقلبهم يلومهم. هل ندموا لأنهم سمعوا لقادة
الدين، وهتفوا مطالبين بصلبه؟ ^ث ربما! والآن يرون أنه كان بريئاً ولا يستحق هذا
العذاب والموت. لكن هذا الندم لا ينفع الآن. إنه يلطف أنفاسه الأخيرة. ولعل هذا
أيضاً أعدّهم للإيمان باليسوع، فكانوا ضمن الآلاف الذين آمنوا فيما بعد. ^ج
توفي. وَلَمَّا قَالَ هَذَا تُؤْفَى حَوْلَ سَلَّمَ رُوحَهُ. ^خ

بهذه الطريقة مات عيسى المسيح الذي قضى حياته يعمل الخير. لم يتمت على سريره في كرامة وأسرته ملتفة حوله، بل ك مجرم، على صليب بين لصين، وكواحد

أ لو 35:23

ب لو 48:23

ث لو 48:23

ث رج زك 12:10,12

ج أع 4:4; 41:2

ح لو 46:23

خ مت 50:27

كسر القانون.

أحداث متعلقة بدهنه. لماذا يتحدث الوحي عن دفن عيسى بشيء من التفصيل؟ عند الرومان في ذلك الوقت، كان منوعاً دفن المحكوم عليهم بالإعدام. لذلك يلفت الوحي انتباها بالحديث عن دفن الفادي المبارك، لزوى قدرة الله وعظمته في القيامة المجيدة في اليوم الثالث. ثم أيضاً لزوى شجاعة الذين دفونه، وخاصة أن الحاكم الروماني كان على علم بأنهم شرعوا في ذلك.

هنا نتأمل قليلاً في ما عمله يوسف (ومعه نديموس) ورؤساء الأخبار وبيلاطس والنساء، وكيف أن عيسى كان في القبر 3 أيام.

يوسف

طلب الجثة من الحاكم. ولما حلَّ المساء، جاءَ رَجُلٌ عَيْنٌ مِنَ الرَّاهِمَةِ اسْمُهُ يُوسُفُ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا مِنْ تَلَامِيذِ عِيسَى، فَدَهَبَ إِلَى بِيلَاطَسَ وَطَلَبَ جُثْمَانَ عِيسَى. فَأَمَرَ بِإِنْ يُعْطَى لَهُ!

وَكَانَ هَذَا هُوَ وَقْتُ الْإِعْدَادِ، أَيِّ الْيَوْمِ السَّابِقِ لِلسَّبْتِ. فَلَمَّا حلَّ الْمَسَاءُ، جاءَ يُوسُفُ الرَّاهِيُّ، وَهُوَ عُضُوٌ كَبِيرٌ فِي الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى، وَمِنَ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ ظُهُورَ مَمْلَكَةِ اللَّهِ، وَذَهَبَ بِحَرَائِفٍ إِلَى بِيلَاطَسَ، وَطَلَبَ جُثْمَانَ عِيسَى. فَانْدَهَشَ بِيلَاطَسُ مِنْ أَنَّهُ مَا تَبَهَّذَ السُّرْعَةُ، وَنَادَى قَائِدَ الْحَرَسِ وَسَالَهُ: "هَلْ مَضَى عَلَى مَوْتِهِ بَعْضُ الْوَقْتِ؟" فَلَمَّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ الْحَرَسِ، سَمَحَ لِيُوسُفَ بِالْجُثْمَانِ.

وَكَانَ هُنَاكَ عُضُوٌ فِي الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى اسْمُهُ يُوسُفُ، وَهُوَ رَجُلٌ تَقِيٌّ وَصَالِحٌ، وَلَمْ يُوَافِقْ عَلَى قَرَارِهِمْ وَلَا عَلَى تَصْرِيفِهِمْ. وَكَانَ مِنَ الرَّاهِمَةِ وَهِيَ بَلْدَةٌ يَهُودِيَّةٌ، وَكَانَ يَنْتَظِرُ ظُهُورَ

أ مت 27:57

ب مر 15:42

مَمْلَكَةِ اللَّهِ. فَدَهَبَ إِلَى بِيَلاطِسَ وَظَلَبَ جُثْمَانَ عِيسَىٰ.

بَعْدَ هَذَا جَاءَ يُوسُفُ الرَّأْمِيُّ، وَهُوَ تَلَمِيْدٌ عِيسَىٰ فِي السَّرِّ لِأَنَّهُ كَانَ يَخَافُ مِنْ قَادِّهِ الْيَهُودِ، وَظَلَبَ مِنْ بِيَلاطِسَ أَنْ يَأْخُذَ جُثْمَانَ عِيسَىٰ فَسَمَحَ لَهُ بِيَلاطِسُ. بـ

هذه هي أوصاف يوسف: رجل غني من الرامة. ربما هي بلدة النبي صموئيل على بعد 32 كيلومترًا شمال غرب القدس. هو تلميذ عيسى في السر لأنَّه كان يخاف من قادة اليهود. رجل تقى، صالح. عضو في المجلس الأعلى، أي مجلس الدين الأعلى. لم يوافق على قرارِ بقية أعضاء المجلس وتصرُّفهم بشأن قتل المسيح. كان ينتظر ظهور مملكة الله. ذهب بجراءة إلى بيلاتوس وطلب جثة عيسى. منحه بيلاتوس طلبه.

دخل يوسف هذا إلى قصر الحاكم ليطلب منه جثة الميت. بهذا العمل تنجز يوسف لأنَّه دخل دار غير اليهودي. لذلك كان من المستحيل على يوسف أن يحتفل بالعيد. بل أصبح الأمر أخطر من ذلك عندما لمس جسم الميت لما أنزله من على الصليب وكفنه ثم دفنه. ومع ذلك لم يحتفل أحد، في كل التاريخ، بعيد كما احتفل به يوسف ونقديموس في تلك الليلة. لقد كانت مهمتهما أن يُكفنا حَمَلَ الفصح الحقيقي. ذلك الحمل الذي رمزت إليه كل الأعياد من قبل وتسبب موته في إكمالها وإتمامها وتحقيقها وإنفائها!

بجراءة. ظهرت هذه الجرأة أولاً، لأنَّه حسب القانون الروماني، كما قلنا من قبل، كان الشخص الذي يُحكم عليه بالصلب يفقد حقه في الدفن. وهنا يوسف يتحدى القانون ويطلب أن يدفن المسيح. وثانياً، كان بيلاتوس يكره اليهود، ومنذ ساعات قليلة رفض أن يستجيب لطلبهما بأن يُغيير العنوان الذي وضعه على صليب المسيح.^ت وثالثاً، كانت جراءة يوسف واضحة جداً، لأنَّه الآن بهذا العمل يعلن للجميع

أ لو 23:50

ب يو 19:38

ت يو 19:20-22

أنه من أتباع عيسى، ويعرض نفسه للخطر!

ماذا حدث ليوسف؟ إن الكتاب يعلن لنا أنه "تُلْبِيْدُ عِيسَىٰ فِي السَّرِّ لِأَنَّهُ كَانَ يَخَافُ مِنْ قَادِهِ الْيَهُودِ".^أ من قبل لم تكن له الشجاعة أن يُجاهر بإيمانه بعيسى. كان يخاف من تهديدات المجلس الديني الذي كان عضواً فيه.^ب أما الآن وهو يرى المسيح يموت محترقاً معذباً، على صليب، حدث تغيير جذري في قلب يوسف وفي حياته. الآن يعلن بجراءة أنه من أتباع عيسى. منذ الآن لن يكون تابعاً في السر، بل في العلن.

أخي، هل تؤمن بال المسيح ولكن في السر؟ دعني أحدثك هنا بطريقة خاصة. هل وضعت اتكلاك على سيدنا عيسى، ولكن بسبب الظروف لا يعلم بذلك أحد، غيرك أنت والقدير تعالى؟ هل أدركت من قلبك أنك كنت تائها ضالاً، ومفقوداً ضائعاً ثم نلت الهدى بفضل السيد المسيح ونعمه الرحمان تعالى، وقررت أن تحتفظ بكل ذلك في السر؟ أنا لا ألومك ولا أوبخك ولا حتى أعيك عليك لهذا. أنا أتكلم بصراحة وأمانة.

بل ربما لك الحق في أن تعمل ذلك لفترة ما. أنت تعيش في بيئه لها تقاليدها التي يجب أن تاحترمها. ربما مجتمعك لا يعترف برأيك ولا يحترم تعدد الآراء! ومع ذلك يجب أن تاحترم هؤلاء الناس الذين نعيش بينهم، وأيضاً خبיהם، مع أننا لا نتفق معهم. يقول الإنجيل الكريم: "تَصَرَّفُوا بِحِكْمَةٍ مَعَ عَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاعْتَنِمُوا كُلَّ فُرْصَةٍ تَتَوَفَّ لَكُمْ. لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ دَائِماً لَطِيفًا وَلَهُ تَأْثِيرٌ حَسَنٌ".^ت

لكن أحذر من أن تنكر أنك من أتباعه. هناك فارق كبير بين:

- أ) احتفاظك بالسر لنفسك حتى يحين الوقت المناسب لـ"التعرّف" الآخرين، وبين
- ب) أن تنكر أنك من أتباعه.

^أ يو 38:19

^ب يو 42:22

^ت كو 6:5

الإنكار هو كذب، هو إجحاد لفضله وعدم الاعتراف بصنعيه، وكل هذا شر فظيع. لذلك إذا حدث وواجهك الناس بالسؤال: "هل أنت من أتباع المسيح؟" احذر من أن تكذب. احذر من أن تنكر. احذر من أن تقول: "لا. لست من أتباع المسيح." تذكر ما قاله سيدنا عيسى: "إِنَّمَا يُشَهِّدُ لِي قُدَّامَ النَّاسِ، أَشْهَدُ لَهُ قُدَّامَ أَيِّ الَّذِي فِي السَّمَاءِ. وَكُلُّ مَنْ يُنِكِّرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ، أُنِكِّرُهُ قُدَّامَ أَيِّ الَّذِي فِي السَّمَاءِ" ثم يجب أن يأتي الوقت وتعمل كما عمل يوسف وتعلن للآخرين أنك من أتباع الفادي الكريم. من واجبك أن تقدم لأهلك وأصحابك رسالة المحبة والسلام التي ملأت قلبك بالنور، لكي يتمتعوا هم أيضًا بهذه الحياة الباقية. إنما قدم هذه الدعوة بعطف وتسامح وصبر. استعمل الحكمة والرزانة. كن شجاعاً، وفي نفس الوقت كن طيفاً. إن حياتك الجديدة يجب أن يكون لها تأثير ونقاء يجذب الآخرين للإيمان بال المسيح. أجعل أفعالك الطيبة وأعمالك الصالحة تتحدث عن حياتك الجديدة بصوت أعلى من كلامك.

لي صديق من عائلة كبيرة آمن بال المسيح بعد أن أكمل دراسته الجامعية. لكن أهله بدأوا يضطهدونه ويهددونه ويضغطون عليه ليتراجع عن المسيح. لكن صديقي قال لهم: "مهما عملتم، لن أتراجع عن سيدى عيسى. وإن لم تكفوا عن هذه التصرفات الدنيئة سوف أعلن عن إيماني الجديد للكل! سوف أتحدث في الأماكن العامة وفي الصحف للعالم كله!"

انزعجت عائلة صديقي من هذا التهديد، لأن مكانتهم في البلاد معروفة، كما أن عمها كان وزيراً في الحكومة. ولحسن الحظ نجح تهديده لهم وتوقف اضطهادهم له! واليوم يعيش صديقي مع أهله وفي بلده مؤمناً بال المسيح شجاعاً لا يخاف من تحويله أو تهديد!

أنزل الميت من على الصليب وكفنه ودفنه (وساعده في ذلك نيديموس). فأشترى
يوسف كفناً من الكتاب، وأنزل عيسى ولفه في الكتاب ووضعه في قبر محفور في الصخر،
وأخرج حجراً على مدخل القبر. ورأث مريم المجدلية ومريم أم يوسف المكان الذي
وضع فيه.^{٤٧}

فأنزله ولفه في كفن من الكتاب، وضعه في قبر محفور في الصخر لم يوضع فيه
أحد أبداً. وكان ذلك اليوم هو يوم الإعداد والسبت يقترب. فأخذ يوسف الجثمان ولفه في كتاب نقى، وضعه في قبره الجديد الذي كان
قد حفره في الصخر. ثم دحرج حجراً على مدخل القبر ومضى. وكانت مريم
المجدلية ومريم الأخرى جالستين هناك مقابل القبر.

فراح وأخذ الجثمان. وراح معه نيديموس الذي زار عيسى من قبل في الليل،
وأخذ نيديموس معه مزيجاً من الماء والعود وزنه حوالي 34 كيلوجراماً^{٣٩}. فأخذ
جثمان عيسى ولفاه مع الطيب يأكلان من كتاب، حسب عادة اليهود في دفن موتاهم.
وكان في المكان الذي صلبوا فيه عيسى سтан، وفي البستان قبر جديد لم يدفن فيه
أحد. فدفنا عيسى في ذلك القبر لأنّه كان قريباً، ولأنّ ذلك اليوم كان يوم الإعداد
عند اليهود.^{٤٠}

ذهب يوسف وأنزل الجثة من على الصليب، لفها في كفن من الكتاب النقى.
ساعده نيديموس في تكفين المسيح بأن لف الجثة مع مزيج من المر والعود.^{٤١}
دفن المسيح في قبر يوسف الجديد الذي كان قد حفره في الصخر، لم يكن قد
دفن فيه أحد من قبل. لاحظ ما قاله الولي قبل ذلك بمئات السنين: "حكموا عليه"

٤٧ أمر 15:46-47

٤٠ ب لو 23:53-54

٤١ مت 27:59-61

٤٢ يو 19:38-42

ظُلْمًا وَأَخْذُدُوهُ... قَتْلُوهُ! ...وُضِعَ فِي قَبْرٍ مَعَ الْأَشْرَارِ، وَمَعَ الْأَغْنِيَاءِ عِنْدَ مَوْتِهِ. مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ شَرًّا، وَلَمْ يَكُنْ أَبَدًا.^أ كان هذا الرجل الشهم كريما، فأعطي قبره الجديد لعيسي هدية. ولم يكن يدرى أن ذلك كان مجرد قرض قصير الأجل، لأنَّه بعد 3 أيام أرجع عيسى، له الجلال والإكرام والعزَّة، أرجع القبر ليوسف مستعملاً استعمالاً بسيطاً جداً، وأعطاه معه فائدة القرض: أعظم ما يمكن الحصول عليه في الوجود؛ قوة القيمة من الموت إلى الحياة، وَهَبَّا المُسِيحُ لِيُوسُفَ، وأيضاً لكل الذين يؤمنون به ربَا وفادياً ومنقذاً وهادياً!

وضع حجراً على فم القبر. ثُمَّ دَحْرَجَ حَجَرًا كَبِيرًا عَلَى مَدْخَلِ الْقَبْرِ وَمَضَى. بـ بعدما دفنه يوسف، وضع حجراً كبيراً على مدخل القبر. لماذا؟ لا بد من إغلاق القبر، وهذا قبر رجل غني، منحوت في الصخر، فكان الباب الذي يسدءه مستديراً مثل حجر رحى ضخم.

رؤساء الأَحْبَارِ: طلبوا من بيلاطس أن يختتم القبر ويضع عليه حراساً. وفي الْعَدِيْدِ أَيْ بَعْدَ يَوْمِ الْإِعْدَادِ، رَاحَ رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ مَعًا إِلَى بِيلَاطَسَ وَقَالُوا: "يَا سَيِّدُ، تَذَكَّرُنَا أَنَّ ذَلِكَ الْمُضِلُّ، لَمَّا كَانَ حَيًّا قَالَ: سَأَقُومُ بَعْدَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. فَأَصْدِرْ أَمْرًا بِحِرَاسَةِ الْقَبْرِ إِلَى الْيَوْمِ التَّالِيَّثِ، لِعَلَّا يَأْتِي تَلَامِيذُهُ وَيَسْرِقُوهُ وَيَقُولُوا لِلنَّاسِ إِنَّهُ قَامَ مِنَ الْمَوْتِ. فَتَكُونُ الصَّلَالَةُ الْأَخِيرَةُ أَشَرُّ مِنَ الْأُولَى."^{بـ}

أي حق بعد موته، ظلل أعداؤه يخافونه ويرهبونه. راحوا إلى الحاكم وطلبا منه أن يأمر بحراسة القبر. لقد بذل قادة الدين كل جهدهم لكي يبقى المسيح في القبر. وبذلك ظنوا أن الأمر انتهى. ربما كان بعض أتباعه يحدثون أنفسهم ويقولون: "كنا نظن أنه هو الذي سينقذنا! لكننا أخطأنا الظن. يا حظنا السيئ. لقد مات!"

^أ إش 9-8:53

^{بـ} مت 60:27

^{تـ} مت 64-62:27

لكن لاحظ أنه في اليوم الثالث، لما ذهبوا لزيارة قبر الميت كما هي العادة عند كثير من الناس، وجدوا القبر مفتوحاً وفارغاً وصاحبـه غير موجود فيه! وجدوا القبر بلا ميت! لقد قام عيسى من الموت، لأن الموت لم يقهره، بل هو قهر الموت. هو انتصر على الموت.

بيلاطس: أمر بختـم القبر. فَقَالَ لَهُمْ بِيَلَاطِسُ: "الْحَرْسُ عِنْدَكُمْ! فَادْهُبُوا وَاحْرُسُوهُ كَمَا تَرَوْنَ". فَدَهَبُوا وَاحْكَمُوا الْقَبْرَ وَخَتَمُوا الْحَجَرَ وَأَقَامُوا عَلَيْهِ حُرَاسًا! ومرة أخرى تخاذلـ الحاكم الروماني أمام ضغط قادة الدين. لقد أذعن لهم ومنهم أن يعملوا ما أرادوا. سمح لهم أن يعملوا ما طلبـه، فذهبـوا وأحكـموا القبر وختـموـ الحجر وأقامـوا على القبر حراسـاً ليـ لا يسرقهـ أتباعـه! وربما أيضاً خافـوا من أن يقومـ من العـجيبـ ان رؤـساء الأـحـبارـ لم يـكونـوا يـؤـمنـونـ بالـقيـامـةـ منـ الموـتـ. لكنـهم كانوا يـعلـمـونـ أنهـ قالـ إـنـهـ سـيـقـومـ فيـ الـيـوـمـ الـثـالـثـ. لذلكـ اـتـخـذـواـ كلـ الـاحـتـيـاطـاتـ الـلـازـمـةـ لـيـبـقـوـهـ مـيـتاـ.

هل سمعـناـ فيـ التـارـيخـ كـلهـ عنـ قـبـرـ وـضـعـتـ عـلـيـهـ السـلـطـاتـ حـرـاسـةـ مشـدـدـةـ لـكـيـ لاـ يـخـرـجـ الـمـيـتـ مـنـ حـيـاـ،ـ وـلـكـيـ لاـ يـأـتـيـ أـحـدـ وـيـسـرـقـ جـشـتهـ؟ـ كـانـ قـصـدـ قـادـةـ الـدـينـ هـوـ أـنـ لاـ يـسـرـقـهـ أـتـبـاعـهـ.ـ وـلـكـنـ هـلـ أـمـكـنـهـمـ أـنـ يـمـنـعـهـ مـنـ الـخـرـوجـ مـنـ الـقـبـرـ؟ـ لـقـدـ قـامـ الـمـيـتـ وـخـرـجـ مـنـ الـقـبـرـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ الـحـجـرـ الـكـبـيرـ الـمـوـضـعـ عـلـىـ بـابـ الـقـبـرـ،ـ وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـهـمـ خـتـمـواـ الـحـجـرـ،ـ وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ وـجـودـ الـحـرـاسـ الـذـينـ وـضـعـوـهـمـ هـنـاكـ.ـ وـهـنـاـ نـرـىـ حـكـمـةـ اللـهـ فـيـ كـلـ هـذـاـ.ـ لـقـدـ اـسـتـخـدـمـ الـقـدـيرـ خـوفـ الـيـهـودـ وـتـخـاذـلـ الـحاـكمـ لـيـبـيـنـ لـلـعـالـمـ كـلـهـ وـلـجـمـيعـ الـأـجـيـالـ أـنـهـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ خـتـمـ الـقـبـرـ،ـ قـامـ الـمـسـيـحـ مـنـتـصـراـ!

النساء: أـعـدـنـ الـعـطـورـ وـالـأـطـيـابـ.ـ وـالـنـسـاءـ الـلـاتـيـ جـئـنـ مـعـ عـيـسـىـ مـنـ الـجـلـيلـ،ـ

تَبِعْنَ يُوسَفَ، وَرَأَيْنَ الْقَبْرَ وَكَيْفَ وُضِعَ فِيهِ الْجُبْمَانُ. ثُمَّ رَجَعْنَ إِلَى الدَّارِ وَأَعْدَدْنَ عُطُورًا وَأَطْيَابًا. وَفِي السَّبْتِ اسْتَرْحَنَ حَسَبَ الْوَصِيَّةَ.

رأَتِ النِّسَاءُ الْقَبْرَ وَكَيْفَ دُفِنَ الْمِيتُ. لَكِنَّ بِمَا أَنَّ السَّبْتَ قَدْ بَدَأَ وَأَصْبَحَ غَيْرُ مُمْكِنِ إِحْضَارِ الْعُطُورِ وَالْأَطْيَابِ ثُمَّ الرَّجُوعُ إِلَى الْقَبْرِ، لِذَلِكَ انتَظَرَتِ النِّسَاءُ حَتَّى يَنْتَهِي السَّبْتُ.

٣ أَيَّامٍ فِي الْقَبْرِ. كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ هُوَ يَوْمٌ رَاحَةٌ وَعِيدٌ، وَلَكِنَّ أَتَبَاعَ الْمَسِيحَ اخْتَبَرُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْيَأسَ وَالْقُنُوتَ وَالْحَزَنَ وَالْخُوفَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ يَوْمٍ آخَرَ فِي حَيَاتِهِمْ. كَانُوا يَبْنُونَ آمَالًا كَبِيرَةً عَلَى سَيِّدِهِمْ وَمَعْلِمِهِمْ وَنَبِيِّهِمْ. كَانُوا يَظْنُونَ أَنَّهُ هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي يَنْتَظِرُونَهُ وَيَتَوقَّعُونَ مَجِيئَتِهِ مِنْذَ أَيَّامٍ آبَائِهِمْ وَأَجَادَاهُمْ، بَلْ وَكَانَ مَتَوْقِعًا مِنْذَ فَجْرِ تَارِيخِ الْإِنْسَانِ. وَلَكِنَّهُ الْآنَ صَامِتُ، بِلَا حَيَاةٍ، مِيتٌ فِي قَبْرٍ! هُلْ مِنْ شَيْءٍ صَالِحٌ يَنْتَجُ عَنِ الْمَوْتِ؟ هُلْ يَمْكُنُ أَنْ يَبْعَثَ الْمَوْتَ فِي النَّفْسِ غَيْرَ الْحَزَنِ وَالْتَّعَاسَةِ وَالْوَحْشَةِ؟ فِي قَلْبِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ.^٣ رَبِّما يَعْتَرِضُ الْبَعْضُ عَلَى أَنَّ الْمَسِيحَ لِهِ الْمَجَالُ مَكْثُ فِي الْقَبْرِ مِنْ عَصْرِ يَوْمِ الْجَمْعَةِ إِلَى فَجْرِ يَوْمِ الْأَحَدِ، أَيِّ أَقْلَ منْ ٣ أَيَّامٍ وَ٣ لَيَالٍ. وَالرَّدُّ عَلَى هَذَا هُوَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحَكْمَةِ أَنْ نَخَاطِلَ تَطْبِيقَ أَحْوَالِ بَيْتَنَا فِي الْوَقْتِ الْحَالِيِّ عَلَى أَحْدَاثٍ وَمَفَاهِيمٍ ٢٠٠٠ سَنةٍ مَضَتْ. الْيَوْمُ نَحْنُ نَعْتَبُ أَنْ ٣ أَيَّامٍ وَ٣ لَيَالٍ تَعْنِي ٧٢ سَاعَةً. لَكِنَّ لَمْ يَكُنْ هَذَا هُوَ مَفْهُومُهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، بَلْ إِنْ جَزْءًا مِنَ الْيَوْمِ كَانَ يُعْتَبَرُ يَوْمًا وَلِيلَةً.^٤ إِذْنُ التَّعْبِيرِ "يَوْمٌ وَلِيلَةٌ" هُوَ وَحْدَةٌ قِيَاسٌ كَانَتْ مُسْتَعْمَلَةً لِدِيْهِمْ فِي تَلْكَ الأَزْمَنَةِ وَتَعْنِي أَيِّ جَزءٍ مِنَ الْيَوْمِ. حَقٌّ فِي وَقْتِنَا هَذَا نَحْنُ نَسْتَعْمِلُ أَحْيَا نَا الْجَزءَ مِنَ الشَّيْءِ لِيَدِلُ عَلَى الْكُلِّ، فَنَحْنُ نَقُولُ: "اجْتَمَعَ مَجْلِسُ الْوَزَرَاءِ" مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ قَدْ

^١ لو 55:23

^٢ مت 40:12

^٣ قارن تك 42:17 مع 18؛ 1 ص 30 مع 13؛ 2 أخ 10:5 مع 12؛ إس 4:16 مع 5؛ مر 8:31؛

64 مع مت 16:21؛ مت 27:63 مع 10

تغيب وزير أو أكثر، فمجلس الوزراء هو وحدة.
إذن 3 أيام و3 ليال تعني هنا "في اليوم الثالث".⁴¹

قام من الموت

وَمَعَ طُلُوعِ فَجْرِ يَوْمِ الْأَحَدِ، رَاحَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلَيَّةُ وَمَرْيَمُ الْأَخْرَى لِتَنْتَظِرَا الْقَبْرَ.
وَفَجَاءَ حَدَثٌ زَلْزَالٌ شَدِيدٌ، لَأَنَّ مَلَأَ كُلَّ مَنَاطِقٍ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ وَجَلَسَ
عَلَيْهِ. وَكَانَ مَنْظُرُهُ مِثْلَ الْبَرْقِ، وَتَوْبُهُ أَيْضًا مِثْلَ الشَّلْجِ. فَارْتَعَدَ الْحَرَاسُ مِنَ الْحُوْفِ
وَصَارُوا كَامْوَتِيًّا.

فَقَالَ الْمَلَائِكَ لِلْمَرْأَتَيْنِ: "لَا تَخَافَا. أَنَا عَارِفٌ أَنَّكُمَا تَبْحَثَانِ عَنْ عِيسَى الَّذِي
صَلَبُوهُ. هُوَ لَيْسُ هُنَّا، لَأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ! تَعَالَيَا وَانْظُرَا الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ مَوْضِعًا فِيهِ.
إِذْهَا بِسُرْعَةٍ وَأَخْبِرَا تَلَامِيذَهُ أَنَّهُ قَامَ مِنَ الْمَوْتِ، وَهُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلْيلِ. فَهُنَّاكَ
تَرَوْنَهُ، أَنَا الآنَ بَلَّغْتُكُمَا الرِّسَالَةَ".

فَتَرَكَتِ الْمَرْأَتَانِ الْقَبْرَ بِسُرْعَةٍ وَهُنَّا فِي خَوْفٍ وَفِي فَرَحٍ عَظِيمٍ، وَكَانَتَا تَجْرِيَانِ
لِتُبَشِّرَا التَّلَامِيذَ. وَفَجَاءَ قَابِلَهُمَا عِيسَى وَقَالَ: "سَلَامٌ". فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا قَدَمَيْهِ
وَسَجَدَتَا لَهُ. فَقَالَ لَهُمَا عِيسَى: "لَا تَخَافَا. إِذْهَا وَقُولَا لِإِخْرَتِي أَنْ يَذْهُبُوا إِلَى الْجَلْيلِ
فَهُنَّاكَ يَرَوْنِي".⁴²

أَنَا سَلَّمَتُ هَذَا، ثُمَّ سَلَّمْتُ لَكُمْ لَأَنَّهُ فِي غَایَةِ الْأَهْمَى: إِنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ
أَجْلِ دُّنْيَا، كَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ. وَدُفِنَ ثُمَّ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، كَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ.
وَظَهَرَ لِبُطْرُسَ ثُمَّ لِلثَّانِي عَشَرَ. وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لِأَكْثَرِ مِنْ حَمْسَيْنِ مِائَةٍ أَخْرَى كَانُوا مَعًا فِي
نَفْسِ الْوَقْتِ. وَمُعْظَمُ هُؤُلَاءِ مَا زَالَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، لَكِنْ تُوْفَى بَعْضُهُمْ. بَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ

لِيَعْقُوبَ ثُمَّ لِكُلِّ الرِّسُلِ أَ

القبر الفارغ. لم يكن هناك شك أنه مات ودفن. رأته أمه. رآه أصحابه. رآه الحرس المكلف بالصلب. رآه كثيرون آخرون. كان ذلك في يوم الجمعة. ولكن في فجر يوم الأحد، عملاً بعادات ذلك الوقت، أخذت بعض النساء من أتباعه عطروا وحنوطاً وذهبين إلى القبر. وهنا حدثت المفاجأة الكبرى! "فَجَاءَ حَدَثٌ زِلْزَالٌ شَدِيدٌ، لَأَنَّ مَلَأَ مَرْأَةً نَرَّلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ وَجَلَسَ عَلَيْهِ... فَارْتَعَدَ الْحَرَاسُ مِنَ الْحُوْفِ وَصَارُوا كَالْمُوْتَىٰ".⁴²

كان أتباعه قد سمعوه أكثر من مرة يقول إنه سيقوم من الموت. ولكننا نراهم وقد انشغلوا بسيد ميت لا بسيد حي! نسوا أنه قال إنه سيقوم! لم يتوقعوا أن يقوم! كانت فكرة دحرجة الحجر عن القبر تشغل بال النساء في الطريق. كيف يمكن لنساء ضعيفات رقيقات أن يدحرجن الحجر وهو كبير ثقيل؟ لا بد أن يسألن بعض الرجال للقيام بذلك. ولكن كم كانت المفاجأة حين وجدن الحجر قد أُزِيَحَ عن باب القبر! دخلت النساء وهن يتوقعن أن يجدن جسد الميت، ولكن هنا مفاجأة أخرى! وجدن ملاكاً جالساً! ارتعبت النساء جداً. فأخبرهن الملائكة بأن عيسى قام، فخرجن من القبر وهربن في رعب وحيرة!

إذن لم يكن الغرض من دحرجة الحجر عن القبر هو أن يتمكن عيسى من الخروج. لا! بل لقد خرج قبل إزاحة الحجر، لأن عيسى لا تُعيقه الحاجز ولا توقفه الموانع! بل دحرج الملائكة الحجر، لكي يقدر أتباع المسيح القادمون في فجر ذلك اليوم من الدخول، لكي يروا أن القبر فارغ، ويتحققوا أن سيدهم قام فعلاً! وكذلك مجيء الملائكة، لم يكن لكي يُقيم المسيح من الموت، بل كان السيد المسيح قد قام حيا قبل مجيء الملائكة! إنما جاء الملائكة لكي يدحرج الحجر ولكي يعلن للتلاميذ أن عيسى قام.

ربما أنت لك مركز سلطة كبير في بلدك. ربما لك مكانة عالية في الحكومة ومن المسؤولين عن منع تسرب وانتشار هذه العقائد إلى شعبك. هل حقاً تظن أن في إمكانك أن تمنع عيسى من دخول قلوب الناس، وإشاعة النور في نفوسهم، والسلام في حياتهم؟ هل تظن أنك تقدر أن توقف عيسى لكي لا يسود على شعبك ويحرره ويعث فيه الحياة؟ فكر في هذا بطريقة جدية ولا تخدع نفسك. ليس بإمكانك أبداً أن تُعيّد أو تُحَذِّر من قوة عيسى المسيح وتأثيره في قلوب وعقول الناس!

قام المسيح من الموت. ويا لها من حقيقة عظيمة مباركة ومدهشة! إن الذنب الذي سمره إلى الصليب في يوم الجمعة فقد قدرته، وقام المسيح منتصراً. والموت الذي حفظه في القبر ثلاثة أيام، فقد شوكته وسلطته. وكانت براهين قiamته واضحة ومتعددة ومتنوعة، لدرجة أنه بعد ذلك، أصبحت القيامة هي السندين والركيزة الثابتة التي بنى عليها أتباعه مناداتهم وتبشيرهم، وبسبها خاطروا بنفوسهم، ومن أجلها دفعوا أغلى ثمن: حياتهم الغالية!

أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً خَارِجَ الْقَبْرِ تَبْكِي، فَالْحَاجَتْ لِتَنْظُرَ دَاخِلَ الْقَبْرِ وَهِيَ تَبْكِي، فَرَأَتْ مَلَائِكَةً فِي شَيَّابِ بَيْضَاءَ، جَالِسِينَ وَاحِدًا عِنْدَ الرَّأْسِ وَالْآخَرَ عِنْدَ الرِّجْلَيْنِ حَيْثُ كَانَ جُنْهَانُ عِيسَى مَوْجُودًا. فَقَالَ لَهَا: "إِمَّا تَبْكِيَنَ أَيْتُهَا الْمَرْأَةُ؟" فَقَالَتْ لَهُمَا: "أَخْدُوا سَيِّدِي وَلَا أَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ". قَالَتْ هَذَا ثُمَّ التَّفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ، فَرَأَتْ عِيسَى وَاقِفًا، لَكِنَّهَا لَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ عِيسَى. فَقَالَ لَهَا عِيسَى: "إِمَّا تَبْكِيَنَ أَيْتُهَا الْمَرْأَةُ؟ وَمَنْ تَطْلُبِينَ؟" فَظَاهَرَتْ أَنَّهُ الْبُشْرَى فَقَالَتْ لَهُ: "يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ أَخْدُتْهُ، فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ وَأَنَا آخْدُهُ". فَقَالَ لَهَا عِيسَى: "يَا مَرْيَمُ!" فَالْتَّفَتَتْ وَقَالَتْ لَهُ بِالْعِبْرِيَّةِ: "رَبُّونِي"، وَمَعْنَاهَا "يَا مُعْلِمُ". فَقَالَ لَهَا عِيسَى: "لَا تُمْسِكِينِي، لَأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى الْأَبِ لَكِنِ اذْهِي إِلَى إِخْرَاجِي وَقُولِي لَهُمْ إِنِّي صَاعِدٌ إِلَى أَيِّ وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهُكُمْ". فَرَاحَتْ

مَرِيمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَأَخْبَرَتِ التَّلَامِيدَ بِأَنَّهَا رَأَتِ السَّيِّدَ وَأَنَّهُ قَالَ لَهَا هَذَا الْكَلَامُ^أ
 لماذا كانت مريم تبكي؟ لو كان مرادها قد تحقق، وفعلاً وجدت جثة الميت، ما كان
 أتعسنا كلنا اليوم، بل ما كان أتعسنا إلى الأبد! بلا فادٍ قام منتصراً، وبلا مسيح حي.
 لكن، هللوياً، لله الحمد، قام المسيح وتم الفداء والنصر!

ثم لماذا ظنت أنه البستاني؟⁴³

1. لأنها جاءت لترى شخصاً ميتاً، ثم اكتشفت أن جثته مفقودة! هل تظن أنه
 اختفى عنك وسط المحنّة؟ أو أنه غير موجود أو غير قادر أن يرفعك من المحنّة التي
 أنت فيها؟

2. لأنها كانت حزينة وتبكي والدموع تغمر عينيها. حرمتها دموعها من رؤيتها
 على حقيقته. هل تسمح للحزن أن يحررك من رؤية الفادي الذي يحبك؟

3. لأنها نسيت وعد المسيح بأنه سيقوم من الموت. هل تنسى وعود الله لك؟

4. لأنه كان في جسد مُقامٍ، فلم تعرفه كما كانت تعرفه قبل الصليب!
 لما ظنت مريم أنه البستاني، توسلت إليه إن كان قد نقل الجثة إلى مكان آخر،
 فليتحزن عليها ويعرفها أين وضعها لتأخذها من هناك! فقال لها عيسى: "يا مريم!"
 وهنا عرفت صوته، وأدركت أنها أمّاه هو بذاته وأنه قام من الموت كما قال.

فَرَأَتْ مَلَائِكَيْنِ... فَرَأَتْ عِيسَى. تحدثنا من قبل عن المقدّس الداخلي في بيت الله
 حيث صندوق العهد الذي يرمز لحضور المولى بين الناس. وكان على غطائه ملائكة
 من الذهب. ^ب وقلنا إنه لم يكن مسموماً لأحد، لا رجل ولا امرأة، بالدخول إلى ذلك
 المكان غير واحد فقط، هو الحبر الأعلى. فقد كان يدخل مرة واحدة في السنة ليقدم دم
 الكفار. ولكننا هنا نجد مقدساً أعظم بما لا يقاس من ذلك المبني بالحجارة والخشب

والذهب! هنا، عند قبر المسيح، وفي تلك اللحظات، حلَّ وجود إلهي سمائي وتحولت المنطقة إلى مقدس رهيب. ورأت مريم، لا صندوق العهد الرمزي، ولا ملائkin من ذهب، بل رأت ملائkin حقيقين داخل القبر. ثم خارج القبر، رأت عيسى الذي كان صندوق العهد يرمز إليه! هذا هو الله حضر بين الناس! يا لها من بركة هذه المرأة! إنها بطريقة معنوية رأت ما لم يمكن أن يراه رئيس الأحبار في المقدس الداخلي، رأت الحقيقة التي كان يرمز إليها صندوق العهد، رأت المسيح الحي الذي قام وأصبح مركز عبادتنا وسجودنا.

فَخَرَجَ بُطْرُسُ وَالْتَّلْمِيْدُ الْآخَرُ إِلَى الْقَبْرِ. وَكَانَا يَجْرِيَانِ مَعًا، لَكِنَّ التَّلْمِيْدَ الْآخَرَ سَبَقَ بُطْرُسَ، فَوَصَّلَ إِلَى الْقَبْرِ قَبْلَهُ. وَأَخْتَى فَرَأَى الْأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ. ثُمَّ وَصَّلَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ بَعْدَهُ، وَدَخَلَ إِلَى الْقَبْرِ وَرَأَى الْأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً. لَكِنَّ الْمَنْدِيلَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِ عِيسَى عَيْرُ مَوْضُوعٍ مَعَ الْأَكْفَانِ، بَلْ مَلْفُوفٌ فِي مَكَانٍ آخَرَ وَحْدَهُ. فَدَخَلَ التَّلْمِيْدُ الْآخَرُ أَيْضًا إِلَى الْقَبْرِ، وَكَانَ قَدْ وَصَّلَ قَبْلَ بُطْرُسَ، فَرَأَى وَآمَنَ.

لما سمع بطرس ويوحنا هذا النبأ جريا إلى القبر، ووجدا الأكفان موضوعة هناك، والمنديل الذي كان موضوعا على رأس عيسى ملفوفا في مكان وحده. ما مدلول أن الأكفان كانت في مكان ما داخل القبر، وأن المنديل كان ملفوفا في مكان آخر وحده؟ ما هي أهمية هذا الأمر ولماذا يعطي الوحي آيتين للحديث عنه؟ أعتقد أن الجواب البسيط والمعقول هو أن السيد أراد أن يبين للذين سيأتون إلى القبر أنه قام من الموت بمعجزة. أراد أن يقول لهم: "لا تظنو أن جثتي سُرقت كما سيقول اليهود، بل لقد قمت حيا."

فلو كان قد سرقه لصوص، لكانوا يأخذون الجثة في عجلة ويتركون المكان بسرعة! هل من المعقول أنهم يقضون الوقت في خلع الأكفان عن الجسم وهم داخل القبر؟ وهل يعرضون أنفسهم للخطر ليلفوا المنديل ويضعوه في مكان آخر وحده، بينما

الحراس خارج القبر؟

رجع بطرس ويوحنا ليخبرا بقية الحواريين والأتباع بالنبي العظيم! بعد ذلك أظهر عيسى نفسه لمنات من الناس الذين رأوه حيا، وتكلم معهم.

والاليوم نذهب إلى الصليب فنجده فارغاً، لأن المسيح ليس هناك. نذهب إلى القبر فنجده فارغاً، لأن المسيح ليس هناك. إنه ليس ميتاً بل حيٌّ. قال بطرس في خطبته يوم الخميس: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِسْمَعُوا هَذَا الْكَلَامَ: عِيسَى النَّاصِرِيُّ هُوَ رَجُلٌ بِرْهَنَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَى أَنَّهُ أَرْسَلَهُ، وَدَلِكَ بِمُعْجَزَاتٍ وَعَجَابَاتٍ وَآيَاتٍ عَمِلَهَا بِوَاسِطَتِهِ. وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ هَذَا لَأَنَّهَا جَرَتْ بَيْنَكُمْ. وَهُوَ سُلْطَانٌ لَكُمْ حَسَبَ خَطَّةِ اللَّهِ الْمَرْسُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، فَصَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ بِمُسَاعَدَةِ الْكُفَّارِ. لَكِنَّ اللَّهَ حَرَرَهُ مِنْ أَلْمِ الْمَوْتِ وَأَقَامَهُ حَيًّا، فَلَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا لِلْمَوْتِ أَنْ يُبْقِيَهُ أَسِيرًا".^١

لم يمكن للموت أن يُبقي المسيح أسيراً. المسيح قهر الموت! المسيح قهر القبر! المسيح قام م المنتصراً! وقال بطرس أيضاً في مناسبة أخرى: "رَبُّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، رَبُّ آبَائِنَا مَحَمَّدَ خَادِمَهُ عِيسَى، الَّذِي سَلَمَتُمُوهُ لِيُقْتَلَ وَرَفَضْتُمُوهُ أَمَامَ بِلَاطَّسَ، مَعَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُظْلِيقَ سَرَاحَهُ، فَرَفَضْتُمُ الْقُدُوسَ الْبَارَ، وَطَلَبْتُمُ الْعَفْوَ عَنْ قَاتِلٍ! أَنْتُمْ قَتَلْتُمُ وَاهِبَ الْحَيَاةِ، لَكِنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَخَنْثُ شُهُودَ بِدَلِكَ".^٢

في الحرب العالمية الأولى كانت مدينة القدس تابعة لسلطان تركيا. فلما اقتربت قوات الجنرال البريطاني اللنبي ل تستولي على المدينة، نهب الأتراك كل التحف الشمينة الموجودة في قبر المسيح. فلما سمع أتباع عيسى بذلك، قالوا: "إن أثمن ما كان في القبر خرج منه منذ تسعه عشر قرناً! إن عيسى قام من الموت، حطم شوكة الموت، كسر قبضته. فأي شيء ثمين بقي بعده في القبر؟"

^١أع 22:24

^٢أع 13:15

نَحْنُ الْيَوْمَ نَخْتَلِفُ بِقَبْرٍ فَارِغٍ! كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ ماتُوا وَمَا زَالُوا فِي قُبُورِهِمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، مَا عَدَ الْمَسِيحُ الَّذِي هَزَمَ الْمَوْتَ، فَهُوَ الْيَوْمُ لَيْسُ فِي الْقَبْرِ بِلَ حَيٌ فِي السَّمَاءِ. قَالَ الصَّادِحُو سِنْدُرْ سِنْغُ التَّقِيُّ الْهَنْدِيُّ: "لَقَدْ زَرْتُ قُبُورَ الْمُلُوكِ وَالشُّرَفَاءِ وَالْعَظِيمَاءِ. وَعَلَى كُلِّ قَبْرٍ وَجَدْتُ لَوْحَةً تَقُولُ، هُنَا يَرْقُدُ الْمَلَكُ فَلَانُ أَوْ الْعَظِيمُ فَلَانُ. إِنَّمَا قَبْرٌ وَاحِدٌ فَقَطْ زَرْتُهُ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ صَاحِبَهُ. ذَلِكُ هُوَ قَبْرُ سِيدِنَا عِيسَى الْمَسِيحِ فِي مَدِينَةِ الْقَدِيسِ":

نَعَمْ، صَاحِبُ ذَلِكَ الْقَبْرِ لَيْسَ مُوجُودًا فِيهِ لِأَنَّهُ فِي يَوْمِ الْأَحْدَى قَامَ مِنَ الْمَوْتِ. لَقَدْ قَامَ كَمَا قَالَ. أَقَامَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَوْتِ لِيُبَرِّهَنَ لِلْكُلِّ أَنَّهُ قَبْلَ تَضْحِيَتِهِ وَرَضِيَ عَنْهَا. وَتَؤَكِّدُ لَنَا حَقِيقَةُ الْقَبْرِ الْفَارِغِ أَنَّ الصَّلِيبَ لَمْ يُنْقِصْ مِنْ قَدْرِ الْمَسِيحِ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ كَانَ هُوَ الْوَسِيلَةُ الَّتِي بِهَا أَتَمَ اللَّهُ قَصْدَهُ وَأَظْهَرَ الْمَسِيحَ حَبَّهُ. لَذِكَرِ نَقْدِرِ الْيَوْمِ أَنْ نَهْتَفَ وَنَقُولُ:

اَنْظُرُوْا مَا اَعْظَمَ الْمَحَبَّةَ اَتَيْ اَحَبَّنَا بِهَا الْأَبُ.

وَهَذَا نَحْنُ لَا نَحْجُ إِلَى قَبْرِ الْمَسِيحِ، وَلَا نَطْوِ حَوْلَ مَعْدَبِهِ، وَلَا نَخَوِّلُ أَنْ نَلْمِسَ حَجْرًا جَامِدًا مِيتًا يَأْخُذُ عَنَا ذَنْبَنَا! الْمَسِيحُ رَفِعٌ عَنْ كُلِّ ذَنْبِنَا.

الْمَسِيحُ قَامَ! حَقًا قَامَ! نَحْنُ لَا نَعْرِفُ كَيْفَ قَامَ وَلَا الطَّرِيقَةَ الَّتِي بِهَا قَامَ، إِنَّمَا نَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّهُ قَامَ! فَقَدْ رَأَى أَتَبَاعَهُ الْقَبْرَ فَارِغًا، ثُمَّ رَأَوْهُ حَيًّا، بَعْدَمَا قَامَ، وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ وَأَكَلَ مَعَهُمْ. يَقُولُ الْإِنْجِيلُ إِنَّ عِيسَى يَبْيَنُ لِأَتَبَاعِهِ "بِيَرَاهِينَ كَثِيرَةً أَنَّهُ حَيٌّ، وَأَظْهَرَ نَفْسَهُ لَهُمْ خَلَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَعَلَمَهُمْ عَنْ مَمْلَكَةِ اللَّهِ".^ب

كَانَ النَّاسُ فِي الْقَدِيمِ يَسْأَلُونَ: "بَعْدَمَا يَمُوتُ الْإِنْسَانُ، هُلْ يَعُودُ إِلَى الْحَيَاةِ؟" تَوْلِيقُ الْمَسِيحِ هُوَ الَّذِي قَدَمَ الإِجَابَةَ الْعَمَلِيَّةَ الْصَّرِيقَةَ الْمُقْنَعَةَ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ؟ عِيسَى الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي عَرَفَنَا أَنَّهُ تَوَجَّدُ قِيَامَةٌ وَتَوَجَّدُ حَيَاةٌ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَهُوَ الَّذِي قَالَ: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ"

^أ 3: يو 1

^ب 1: 3

14: أي

وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحِيَا.^أ

انتشر الخبر بسرعة، وذاعت البشري المفرحة من مكان إلى مكان، ومن بلد إلى أخرى، حتى إننا اليوم نحتفل بقيامة المسيح في كل أنحاء العالم. في يوم الجمعة كان الصليب رمزاً للضعف والعقاب والهزيمة والموت. إننا اليوم صليبه فارغًّا لذلك فهو رمز القوة والنصر والفرح والحياة. إنه يقول: "أَنَا الْحَيُّ. كُنْتُ مَيِّتًا، لَكِنِّي الآن حَيٌّ إِلَى أَبْدِ الْأَبِدِينَ، وَبِيَدِي مَقَاتِيحُ الْمَوْتِ وَعَالَمُ الْأَمْوَاتِ."^ب

قال الشاعر الدكتور زكريا عوض الله في قصيدته "أنت قيامي":

بالحب أنت فديتنـي يا سيدـي، بدمـ كـريمـ من حـبيبـ يـقتـدي
ضـحيـتـ نـفـسـكـ فـي الصـلـيبـ مـعـلـقاـ، مـتأـلـماـ مـنـ أـجـلـ شـرـ المـعـتـدي
وـمحـوتـ بـالـدـمـ كـلـ فـعلـ أـسـودـ!

الذنبُ ذنبي والخطيئةُ عَلَتِي، والأجرُ موتي، إنه دينونـتـي
وأراكـ تحـمـلـ عـنـيـ كـلـ قـضـيـقـيـ، وأراكـ تـدـفعـ عـنـيـ أـجـرـ خـطـيـئـتـي
وـتـمـوـثـ مـنـ أـجـلـيـ وـتـحـمـلـ لـعـنـيـ!

في كـفـكـ المـسـمـارـ؟ ماـذاـ قـدـ جـنـيـ؟ فـأـنـاـ الأـثـيـمـ وـذـاكـ مـسـمـارـيـ أـنـاـ
أـنـاـ أـسـتـحـقـهـ! أـنـتـ لـمـ تـفـعـلـ سـوـيـ، كـلـ الصـلـاحـ، وـكـمـ شـفـيـتـ مـنـ العـنـاـ
لـكـنـ قـبـلـتـهـ حـتـىـ تعـزـيـنـيـ أـنـاـ!

في رـجـلـكـ المـسـمـارـ؟ بـلـ رـجـلـيـ أـنـاـ! كـمـ جـُلـتـ تـصـنـعـ لـلـمـكـارـمـ مـحـسـنـاـ
بـلـ هـذـاـ تـاجـ الشـوـكـ أـجـرـ لـيـ أـنـاـ، أـنـاـ قـدـ زـرـعـتـ الشـوـكـ، أـحـصـدـهـ أـنـاـ
لـكـنـ لـبـسـتـهـ كـيـ تـنـجـيـنـيـ أـنـاـ!

...

^أ يو 11: 25
^ب رو 18: 1

بل قمت أنت وفيك أنت قيامتي، وجلست في العرش وفيك عزّتي

...

شَرَّفْتَنِي، أَكْرَمْتَنِي، أَبْسَتَنِي، ثُوبَ النِّجَاةِ وَفِيكَ أَسْعَدْتَنِي
مَاذَا أَقُولُ وَكِيفُ أَشْكُرُ فَضْلَكُ؟ فَلَكَ السَّجْدُوْ سَكِيبُ قَلْبٍ مُؤْمِنٍ
مَتَمْتَعٌ بِسَعَادَةِ الْحُبِّ الْغَنِيِّ!

يسِيقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. قَالَ الْمَلَكُ لِلْمَرْأَتَيْنِ: "إِدْهَبَا بِسُرْعَةٍ وَأَخْبِرَا تَلَامِيْدَهُ أَنَّهُ
قَامَ مِنَ الْمَوْتِ، وَهُوَ يَسِيقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. فَهُنَّاكَ تَرَوْنَهُ، أَنَا الْآنَ بَلَغْتُكُمَا الرِّسَالَةَ."^أ
قبل الصَّلْبِ أَنْبَأَ عِيسَى تَلَامِيْدَهُ وَهُمْ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْبَسْتَانِ، أَنَّهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ
الْمَوْتِ سِيسِيقُهُمْ إِلَى الْجَلِيلِ^ب. وَبَعْدَ الْقِيَامَةِ أَخْبَرَ الْمَلَكَ النِّسَاءَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ، ثُمَّ كَرَرَهَا
عِيسَى شَخْصِيَا بَعْدَ ذَلِكَ بِلَحْظَاتٍ. فَمَا أَهْمَيَةُ الْجَلِيلِ هُنَّا، وَمَا مَعْنَى هَذِهِ الرِّسَالَةِ؟
هَذِهِ رِسَالَةٌ مُهِمَّةٌ جَدًا بِالنِّسَابِ لِلتَّلَامِيْدِ. أَوْلَـا، يَجِبُ أَنْ نَلَاحِظَ أَنَّهُ حِينَ يَقُولُ
إِنَّهُ سِيسِيقُهُمْ إِلَى الْجَلِيلِ، فَإِنَّهُ لَا يَعْنِي "أَنَا سَأَذْهَبُ إِلَيْهِ الْيَوْمَ إِلَى الْجَلِيلِ"، وَلَا "هُمْ لَنْ
يَرَوْنِ إِلَّا فِي الْجَلِيلِ". بَلْ كَلَامُهُ هُنَّا يَعْنِي إِنَّهُ سَيَذْهَبُ إِلَى الْجَلِيلِ قَبْلَهُمْ. لِمَاذَا يَسِيقُهُمْ
إِلَى هُنَّا؟ مِنْطَقَةُ الْجَلِيلِ تَبْعَدُ عَنِ الْقَدِيسِ بِحَوْلَيِّ 160 كِيلُومِترًا. بِالنِّسَابِ لَهُمْ، هَذِهِ
مَسَافَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى سَفَرٍ عَدَدُ أَيَّامٍ. أَمَّا بِالنِّسَابِ لَهُ فَهُوَ الْآنَ فِي جَسْمِ مَجْدٍ، يُمْكِنُهُ أَنْ
يَدْخُلَ الْغَرْفَةَ وَالْأَبْوَابَ مَفْفَلَةً^ت وَأَنْ يَسَافِرَ هَذِهِ الْمَسَافَةَ فِي لَحْظَةٍ، فِي غَمْضَةِ عَيْنٍ! لِذَلِكَ
فَهُوَ سِيسِيقُهُمْ.

وَثَانِيَا، لَا شَكَ كَانَ فِي فَكِيرِ التَّلَامِيْدِ أَمْرٌ مُهِمٌ وَخَطِيرٌ. الْآنَ بَعْدَمَا هَجَرُوا سَيِّدَهُمْ

^أ مت 28:10، 7:16؛ مر 10:7

^ب مت 26:32؛ مر 14:28

^ت مت 28:7، 10:16؛ مر 7:16

^ث يو 20:19، 26

ومعلمهم، وبعدهما أنكر بطرس أنه يعرفه، هل من الممكن أن يرد اعتبارهم؟ هل يمكن أن تعود المياه إلى مجاريها؟ لبيان هذا، عمل السيد المبارك ما يلي:

1. في عصر يوم القيامة، لما أظهر نفسه لهم في الغرفة التي كانوا مجتمعين فيها، طلب أن يأكل. كان قصده من ذلك:

أ) أن يبين لهم أنه ليس شبحاً، بل حقيقة ثلمس وثير.

ب) أن يشجعهم ويبين لهم أنه ساحرهم. ثم في الجليل قال لهم: "تعالوا افطروا".^ج لم تكن هذه وجبة عادية، بل هم يتناولون الطعام معاً كدليل أن المياه عادت إلى مجاريها، وأن علاقته معهم متينة على أساس أنه صفح عنهم وغفر لهم.

2. قابلهم السيد على شاطئ بحيرة الجليل (طبرية).^د لعلنا نتذكر أنه قبل ذلك بستين قليلة، وعند بحيرة الجليل، نادى عيسى سمعان وأندراوس ويعقوب ويوحنا ليتبعوه.^ث في ذلك الوقت قال لهم إنه سيجعلهم يصيدون الناس.^{هـ} أما الآن، بعد قيامته من الموت، فقد عزموا أن يصيدوا السمك! ولكن للأسف، تعبوا طول الليل ولم يصيدوا شيئاً. فشلوا. فجاء عيسى عند الفجر وأنقذهم من المأزق، وأعطاهم صيداً عظيمياً. (قارن التشابه غير العادي بين معجزتي صيد السمك الكبير في بدء خدمة المسيح وبعد قيامته).^{حـ}

3. ربما أراد أن يقابلهم في الجليل ليذكرهم بوعد الله لإبراهيم أن يكون بركة للأمم والشعوب. قال الله لإبراهيم: "بواسطتك أبارك كل شعوب الأرض".^{ثـ} هذه البركة

^أ لو 40:24

^{بـ} يو 21:12

^{تـ} يو 21:1

^{ثـ} مر 17:20

^{جـ} لو 5:10

^{هـ} لو 11:5؛ يو 21:6-1

^{حـ} تك 12:3

تأتي عن طريق عيسى الذي بواسطة فدائه يبارك الله أمة وشعوب العالم بدءاً من "منطقة جليل الأجانب".^أ وهذا أراد أن يقابلهم هنا، في الجليل، ليعلن لهم سلطانه الأبدى في السماء والأرض، ويأمرهم بأن يتلذذوا الناس من كل الشعوب.^ب

في الطريق إلى عمواس. وفي نفس اليوم، كان اثنان من التلاميذ في طريقهما إلى قرية اسمها عمواس، على بعد حوالي عشرة كيلومترات من القدس. وكانا يتكلمان معاً عن الأمور التي حدثت. وبينما هما في الحديث والمناقشة، جاء عيسى بنفسه وأخذ يمشي معهما. لكنهما لما رأيا عيونهما أغمضت، فلم يعرفاه. فقال لهما: "عن ماذ تتحدثان وأنتما ماشيان معاً؟" فتوقفا وكان الحزن ظاهراً على وجهيهما. وأجابه واحد منهما وأسممه كلوبياس: "الابن الذي الشخص الوحيد في سكان القدس الذي لا يعرف ما حدث فيها في هذه الأيام!" فقال لهما: "مذا حدث؟" قال له: "عيسى الناصري كان نبياً قديراً في الكلام والأعمال في نظر الله وكل الناس، لكن رؤسائنا أحبارنا وقدرتنا أسلموه لحكم الإعدام وصلبوه. ونحن كنا نرجو أنه هو الذي يُقْدِّس بني إسرائيل! زد على ذلك أن هذا هو اليوم الثالث ليلى الأحداث. ثم إن بعض النساء من جماعتنا حيرننا، فقد ذهبن إلى القبر في الصباح الباكر، ولم يجدن جثمانه، فرجعن وقلن إنهم شاهدن ملائكة في رويا قالوا إله حي. ثم ذهب بعض أصحابنا إلى القبر، فوجدوا الحال كما قال النساء، أما هو فلم يروه."

قال لهما: "يا للغباء! هل إلى هذه الدرجة بلادة القلب، فلا تؤمنان بكل ما قاله الأنبياء؟ كان يجب أن يعاني المسيح هذه الآلام ثم يدخل إلى جلاله!" وابتداً من توراة موسى وصحف كل الأنبياء، فشرح لهما ما ورد بشأنه في جميع الكتب. وأفتروا من القرية التي كانوا يقصدانها، فتظاهر عيسى بأنه ذاهب إلى مكان

أَبْعَدَ لِكِنْهُمَا قَالَا: "مِنْ فَضْلِكَ تَعَالَى عِنْدَنَا، فَالْوَقْتُ تَأْخَرَ وَاقْتَربَ الْمَسَاءُ." فَدَخَلَ لِيَسِيتَ عِنْدَهُمَا. وَلَمَّا جَلَسَ مَعَهُمَا إِلَى الْمَائِدَةِ، أَخْذَ الْحُبْزَ وَشَكَرَ اللَّهَ وَقَسَمَ وَأَعْطَاهُمَا. فَانْفَتَحَتْ عَيْنُهُمَا وَعَرَفَاهُ. لَكِنَّهُ اخْتَفَى عَنْهُمَا. فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخرِ: "إِلَهًا كَانَ فِي قَلْبِنَا شَوْفٌ وَحَرَارَةٌ لَمَّا كَانَ يُحَدِّثُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيَسْرُحُ لَنَا الْكُتُبَ!" وَقَامَا فِي الْحَالِ وَرَجَعاً إِلَى الْقُدْسِ. فَوَجَدَا الْأَحَدَ عَشَرَ وَبَاقِي أَصْحَابِهِمْ مُجْتَمِعِينَ مَعًا هُنَاكَ، وَيَقُولُونَ: "بِالْحَقِيقَةِ قَامَ السَّيِّدُ مِنَ الْمَوْتِ وَظَهَرَ لِسْمَعَانَ." فَأَخْبَرَا بِمَا حَدَثَ فِي الطَّرِيقِ، وَكَيْفَ أَنَّهُمَا عَرَفَا السَّيِّدَ لَمَّا قَسَمَ الْحُبْزَ!

كان من الصعب أن يتخيّل هذان التلميذان أن المسيح الذي مات ودفن، يأتي حيا ليسير معهما. ظنا أنه مسافر عادي مثلهما. ولكن لما وصل المسافرون الثلاثة إلى الدار وجلسوا معا للعشاء، أخذ عيسى الحبز وشكر الله وقسم وأعطاهما. وهنا انفتحت عيون التلميذين وعرفا أنه عيسى. كيف عرفاه؟ لا شك أنهم لاحظوا أثر المسامير في يديه، وأيضا تأكد ذلك لهم من نوعية صلاته التي رفعها ليبارك الطعام، ومن طريقته في الحديث وتفسير كلمة الله. لكنه اختفى عنهم. فقاما في الحال ورجعوا إلى القدس ليخبرا بقية تلاميذه.

مقارنة بين ما حدث لما كان عيسى ولدا وبقي في بيت الله وما حدث في الطريق

إلى عمواس

| | | |
|---------------------------------------|--------------------------|------------------------|
| لو 24: 13-35 | لو 2: 41-52 | |
| بعد انتهاء الفصح | بعد انتهاء الفصح | متى؟ |
| في عمواس | في الناصرة | كانوا راجعين إلى الدار |
| جاءهم في الطريق من القدس إلى عمواس | بقي في بيت الله في القدس | عيسى |

| | | |
|--|---|----------------|
| قال المسافران إن عيسى غير موجود (مات ودفن) | أدرك الأبوان أن عيسى غير موجود في جماعة المسافرين | في الطريق |
| ليخبرا بأنه حي | ليبحثا عنه | رجعا إلى القدس |
| كان في القبر | كان بين علماء الدين يستمع إليهم ويسألهُم | 3 أيام |
| في الطريق | في بيت الله | وجده |
| هل إِلَى هَذِهِ الْتَّرَجِّةِ بِلَادَةِ الْقَلْبِ؟ | أَلَا تَعْلَمَانِ أَيْ يَحْبُّ أَنْ أَكُونَ فِي بَيْتِ أَيِّ؟ | قال عيسى |
| افتتحت عيونهما وعرفاه لما أعطاهما الخبر | لم يفهمما ما قاله لهما | وكان رد الفعل |

يوم الأحد مساء

وَفِي مَسَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَوْمِ الْأَحَدِ، كَانَ التَّلَامِيدُ مُجْتَمِعِينَ وَالْأَبْوَابُ مُقْفَلَةً لِحَفْظِهِمْ مِنْ قَادِهِ الْيَهُودِ. وَجَاءَ عِيسَى وَوَقَفَ بَيْنَهُمْ وَقَالَ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ". وَبَعْدَمَا قَالَ هَذَا، أَرَاهُمْ يَدِيهِ وَجْنَبَهُ. فَفَرِحَ التَّلَامِيدُ لَمَّا رَأَوْا السَّيِّدَ. وَقَالَ لَهُمْ عِيسَى ثَانِيَةً: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. كَمَا أَرْسَلْنِي الَّآبُ، أُرْسِلُكُمْ أَنَا أَيْضًا". وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ فِيهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: "إِقْبِلُوا الرُّوحُ الْقُدُوسَ. إِنْ عَمِرْتُمْ لَأَحَدٍ ذُنُوبَهُ تُعْفَرُ لَهُ، وَإِنْ لَمْ تَعْفِرُوهَا لَا تُعْفَرُ".

في مساء يوم الأحد اجتمع التلاميذ معا. كانت أبواب الغرفة الكبيرة التي اجتمعوا فيها مقفلة لأنهم كانوا خائفين من قادة اليهود لئلا يأتوا ويقبضوا عليهم ويقتلوهم كما عملوا بعيسى. لا شك كان ذلك اليوم قد بدأ كثيبا حزينا لهم. صاحبهم وسيدهم ومعلمهم ميت ومدفون في قبر. ظنوا أنه هو الذي سينقذ بلادهم من المستعمر، وكانوا يتوقعون أن تكون لهم مكانة عالية في مملكته، ولكن راح أملهم وضائع بموته. آخر

صورة في ذهنهم عنه كانت حين ألقى الحرس القبض عليه في البستان وأخذوه تحت حراسة مشددة. آخر صورة عنه في ذهن بطرس كانت حين أنكر ذلك التلميذ أي علاقة به ونظر إليه المسيح. آخر صورة عنه في ذهن يوحنا كانت بينما عيسى يختضر وهو في ألم فظيع على الصليب. كلها صور حزينة أليمة. والآن أصحابهم في القبر. الآن تبين أنه لا هو ولا هم يمكنهم مقاومة السلطات الدينية والسياسية. لا يمكنهم أن يقفوا ضد قيافا ولا بيلاطس ولا هيرودس. ولا واحد منهم كفاء أو نظير لهؤلاء المجالسين على عرش البلاد!

وماذا عن الله؟ إنه لم يتدخل لينقذ عيسى! ما معنى هذا؟ هل الله غير راضٍ عن عيسى وعن تصرفاته وتعاليمه؟ هذا بحق يوم مخيف، وظروف مخيفة، وأحوال صعبة. ماذا يعملون؟ كيف يتصرفون؟ متى ينتهي هذا الحلم المزعج؟ هذا الكابوس المرعب؟ ثم أخذت الأخبار تتواتد من الذين زاروا القبر ولم يجدوا الميت فيه. بطرس ويوحنا ومريم وغيرهم. فماذا يعني هذا أيضاً؟ هل يا ترى صدقوا مريم حين قالت لهم إنها رأته حياً؟ أو الذين قالوا إن الملائكة أكدت لهم أنه حي؟

فإن كان لا زال ميتاً، فهم أيضاً في عداد الأموات، لأن انتقام اليهود لا شك سيأتي عليهم. وإن كان فعلاً قام، فهل يا ترى سيعزّهم من منصبهم، ويبعدّهم عنه لكي لا يكونوا أتباعه؟ إنهم لم يساندوه ولم يقفوا معه في أشد لحظات العمر صعوبة! تركوه في وقت الضيق وال الحاجة. هربوا لما قبض الأعداء عليه. أنكروه لما كان وحيداً ضعيفاً. أليس من حقه أن يُعيَّن غيرهم من أصحاب الشخصيات القوية، والقلوب الشجاعة؟ أليس من حقه أن يأتي بمن يستحقون أن يكونوا أصحاب المسيح الحي المقام من الموت؟ كانوا خائفين، وكانوا في شك. وفجأة جاء عيسى إلى الغرفة المغلقة، ووقف بينهم وقال: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ". قالها مرتين! كانوا في أشد الحاجة إلى هذه التحية، إلى هذا

السلام. السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. يقولها ملايين الناس كل يوم، لكن عيسى هو وحده مصدر ومعطي السلام الحقيقي؛ سلام الفكر، سلام القلب، سلام الضمير، سلام النفس في الأعمق، "سَلَامُ اللَّهِ الَّذِي يَقُوْقُ كُلَّ فَهْمٍ الْبَشَرِ".^ا

هنا عرفوا أنه حي وأن القبر لم يمكن أن يأسره أو يحتويه. هنا أدركوا أنه لا قيافا ولا بيلاطس ولا هيرودس أمكنهم أن يقهروه. هنا تأكروا أنه لا سلطة دينية ولا سياسية ولا أرضية ولا شيطانية يمكنها أن تقف ضد ابن الله! سلم عليهم فأدركوا أنه صفح عنهم وغفر لهم! لم يوبخهم أو يعاتبهم أو يؤنبهم. كما أدركوا أيضا أنه رد لهم علاقتهم معه ومكانتهم عنده. وفي هذه اللحظات القليلة حدث تغيير شامل في هؤلاء الأتباع. راح الخوف والشك والاضطراب واليأس، وحل السلام والأمل والفرح. رأوا المسيح الحي! المسيح الذي قام من الموت! واختبروا في عمق قلوبهم بل في كل كيانهم انتصار ابن الله على الشيطان، وفوز القدير على إبليس والخطيئة والموت.

وَبَعْدَمَا قَالَ هَذَا، أَرَاهُمْ يَدِيهِ وَجْنَبَهُ. فَفَرَحَ الْمَلَائِكَ لِمَا رَأُوا السَّيِّدَ. بِأَرَاهِمِ المستندات التي تبين أنه هو بحق فاديهم القدير. أراهم يديه وجنبه، يدين مثقوبتين وجنبا مطعونا! هذه هي الوثائق التي تبين حقيقته. هذه هي مستندات التعريف به: آثار الصليب في جسمه. عرفوه بها، وتأكدوا أنه هو. ثقوب المسامير ومكان طعنة الحربة هي أوراق إثبات هويته وتحقيق شخصيته. وكأنه يقول: "أنا الذي صُلِبْتُ وُمْتُ من أجلكم. أنا الآن حي!" وهنا يتحول خوفهم إلى أمان، وحزنهم إلى فرح.

فرحوا لأنه حي، والآن تبرهن بقوة عظيمة أنه ابن الله بحق.^ت هو حي، فهو ملك الملوك ورب الأرباب. هو حي، فقد تم فدائهم من الذنب والموت. هو حي، وهذا يعني

^ا في 4:

^ب يو 20:20

^ت رو 4:1

أن الشيطان هُزِمَ حقاً، وزال عنهم شبح الهاك وجاءت النجاة. هو حي، فهم يحيون بقوة قiamته. هو حي وقيامته هي ختم الله بالموافقة على موته! بل قiamته هي إمضاء الله أن العملية كلها مقصودة ومرتبة من الأزل في فكر القديرين.

كانت الجروح وآثارها هي العلامة التي تميزه عن غيره. وكذلك بالنسبة إلى أمة المسيح، فإن الجروح والألم والتعذيب والاضطهاد في سبيل ربنا، كل هذه تميز أمة الله عن غيرها! ثم جروحه أيضاً هي المستندات التي تبين أن مهمته تمت على أكمل وجه. لقد نجح القصد من مجئه من السماء. نعم، گللت إرساليته بالنجاح، ولذلك، الآن يرسل لهم ليقوموا بإرساليتهم ومهمتهم. قال لهم: "كَمَا أَرْسَلَنِي الَّبُ، أَرْسُلُكُمْ أَنَا أَيْضًا".^أ بـ أي: "أنا أتممت مهمتي، والآن يأتي دوركم للقيام بمهمتكم. لذلك أرسلكم كما أرسلني أبي. فكما أرسلني الأب لأنادي بالإنجيل، أنا أرسلكم لتنادوا بهذه البشرى المفرحة في كل مكان. وكما أرسلني الأب لأشفي المرضى وأعزى الحزانى، أنا أيضاً أرسلكم لتعلموا نفس الشيء. وكما ملأني الأب بالروح القدس لأقوم بمهمتي، أنا أيضاً أملأكم بالروح القدس لتقوموا بمهمتكم."^ت

يا له من شرف كبير لي أن أكون مبعوث ملك الملوك ورب الأرباب. يا لها من كرامة عظيمة أن أكون سفيراً لدى الناس والقبائل والشعوب، لأُبين لهم الصراط المستقيم وأُعِرِّفهم بفادي وأقودهم إليه. لقد ناداني منذ سنين كثيرة، وسمعت صوته ووضعت يدي في يده، ولم أندم لحظة، بل طول هذه السنين وأنا أحس بقربه وأني محمول على كتفه، وأني في مركز إرادته. طول هذه السنين وأنا عالم أني، بنعمته وقوته، أحقر مشيئة الله فيّ. فهل تطييعه أنت أيضاً يا من تقرأ هذه الكلمات؟ إنه ما زال يدعو أتباعه ليذهبوا وينادوا بالبشرى للمساكين. هل تسمع نداءه يقول لك: "مَنْ أَرْسِلَ؟

^أ كور 4: 10

^ب يو 20: 21

^ت مت 10: 1، آع 8: 1

مَنْ يَكُونُ رَسُولًا لَّنَا؟^أ هل ترد عليه كما رد إشعيا وقال: "لَبَيْكَ! أَرْسِلْنِي.".؟ إنَّه ي يريد أن يرسلك إلى التعبانين والتائبين والضائعين والمربكين والحيزانيين. إلى الفقراء والمحروميين والمشددين والمنسيين وإلى كل الآخرين مهما كانوا.

زرت الكثير من الأماكن التاريخية وقصور الملوك والمعظماء في عشرات الدول، ورأيت المباني الشاهقة والغرف الواسعة والحيطان المكسوة بالسجاد وأحياناً بالخشب المطعم بالمعادن الثمينة. زرت غرفة ماري أنطوانيت التي كانت ملكة فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر ورأيت سريرها المغشى بالذهب، والكراسي المغشاة بالذهب أيضاً، وأفخر السجاد يغلف حيطان الغرفة. ولكنني لا أجد أبهى وأشرف وأعظم من غرفة صغيرة يجتمع فيها بعض المؤمنين بعيسى وراء أبواب مغلقة ليعبدوا المسيح في بلد لا تعطيهم حرية العبادة. هنا العظمة الحقيقة. هنا غنى الروح الحقيقي الذي يدوم إلى الأبد. واليوم يناديك السيد أنت أيضاً ليرسلك إلى أهل جيلك كما أرسل التلاميذ في ذلك الوقت إلى جيلهم. إنه يقول لك: "كما أرسلني الأب، أرسلك أنت أيضاً".

صعد إلى السماء

وَخَرَجَ بِهِمْ بِالْقُرْبِ مِنْ بَيْتِ عَنْيَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَارِكَهُمْ. وَبَيْنَمَا هُوَ يُبَارِكُهُمْ، تَرَكُهُمْ وَرُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ بِ... رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ قُدَّامَ عُيُونِهِمْ، ثُمَّ أَخْدَثَهُ سَحَابَةً عَنْ أَنْظَارِهِمْ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَبْتَعِدُ عَنْهُمْ، فَجَأَ ظَهَرَ لَهُمْ رَجُلًا فِي ثِيَابٍ بَيْضاءٍ. وَقَالَ لَهُمْ: أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، لِمَاذَا أَنْتُمْ واقِفُونَ تَتْؤْرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ عِيسَى هَذَا الَّذِي أَخْدَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ، هُوَ نَفْسُهُ سَيَرْجُعُ بِنَفْسِ الْطَّرِيقَةِ كَمَا رَأَيْتُمُوهُ ذَاهِبًا إِلَى هُنَاكَ."^ب

^أ إش 8:6

^ب لو 24:51-52

^ت آع 1:11-9

... وَبَعْدَمَا تَكَلَّمَ سَيِّدُنَا عِيسَى مَعَهُمْ، رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَّسَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ أَوْ.

بعدما قام من الموت، ظل عيسى يظهر لطلابه 40 يوماً. كان يقابل معهم ويشجعهم. وأخيراً حان الوقت ليذهب عنهم ويرجع إلى عرشه في السماء، فأخذهم إلى جبل وهنالك أعطاهم آخر تعليماته. أمرهم بأن يتظروا في القدس حتى يمتلئوا بالروح القدس ^{بـ} وأن ينشروا الدعوة في كل مكان. ^{ثـ} بعد ذلك صعد إلى السماء.

تخيل معي التلميذ واقفين على الجبل مع عيسى، ثم يبدأ في الارتفاع عن الأرض نحو السماء حتى يختفي عن أنظارهم. تخيل الحزن الذي ملاً قلوبهم. الآن عرفوا أنه ذهب عنهم. رجع إلى السماء التي جاء منها. صعد قدام عيونهم وهو ينظرون ويراقبون. وأنت، ربما وقفت منذ فترة قريبة تنظر إلى قريب عزيز أو صديق حميم يفارق هذه الحياة، كنت تعتبره السنداً الوفي والعماد القوي. كنت تتكل عليه ليقدم لك المشورة الحسنى والمعونة والقوة. كنت تتمتع بدفعه حبه وحلاؤه قربه. لكنه ذهب. ترك فجوة في حياتك وفي قلبك. لا شك هذا اختبار مؤلمحزين. لا شك أنه وقت عصيب لك. كان هذا هو وضع التلاميذ الحواريين. كان المسيح بالنسبة لهم هو القائد والمرشد والمعلم والسندي. وهو الآن تركهم ورجع إلى السماء.

والآن يتحقق ما قاله عيسى لهم: "أَنَا أَرْسَلْتُكُمْ مِثْلَ خَرَافٍ وَسُرْطَانٍ... إِحْدَرُوا مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَكُمْ إِلَى الْمَحَاكِمِ، وَيَجْلِدُونَكُمْ فِي بُيُوتِ الْعِبَادَةِ، وَيُخْضِرُونَكُمْ أَمَامَ حُكَمَاءِ وَمُلُوِّكٍ بِسَبِّي لِتُشَهِّدُوا لَهُمْ وَلِلأَجَانِبِ... وَيَكْرَهُوكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ بِسَبِّ اسْبِي، لَكِنَّ الذِّي يَبْتُلُ إِلَى النَّهَايَةِ، يَنْجُو. وَمَتَى اضْطَهَدُوكُمْ فِي مَدِينَةٍ، أُهْرُبُوكُمْ إِلَى عَيْرِهَا... فِي الْحَقِيقَةِ يَبْيَعُ وَفْتُ، يَطْلُنُ فِيهِ مَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً

^{أـ} مر 19:16

^{بـ} لو 49:24، أع 1:4

^{ثـ} مت 28:19؛ مر 16:15؛ لو 24:47؛ يو 20:21؛ أع 1:8

للهٗ^أ. نعم، لقد حذرهم من الأوقات الصعبة التي سيواجهونها، ومع ذلك قال لهم:
 أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ، إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَذْهَبَ^ب.

فالآن عليهم أن يواجهوا العالم وحدهم. وحدهم في المعركة. قائدتهم وسيدهم ومعلمهم وفاديهم ذهب عنهم. هذا يعني فقط أنه لا يُرى معهم بالعين البشرية. فنحن لا ننسى أنه قال لهم ولنا: "تَأَكَّدُوا أَنِّي مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ وَإِلَى اِنْتِهَاءِ الرَّمَانِ"^ت. هو معنا بروحه، بقوته، بسلطانه. هذا هو عمانوئيل؛ الله معنا. ث
 لا شك كان يوم القيمة هو أعظم وأمجد يوم في حياة التلاميذ. ولكن بالنسبة ليعيسى نفسه، لا شك أن يوم الصعود كان أعظم وأمجد يوم. إنه جاء ليغدينا، وقام بعمله على أحسن وجه، والآن حان الوقت ليرجع إلى عرشه إنه راجع إلى الأب.
 صعد المسيح إلى السماء

1) لأن هذا هو بيته. السماء هي مكانه. جاء من عند الله، ورجع إليه.^ج

2) ليُرسل لنا الروح القدس.^ح

3) ليكون شفيعنا عند الله.^خ

4) ليُعد لنا مكانا في السماء.^د

^أ مت 10:23، يو 16:2

^ب يو 7:16

^ت مت 20:28

^ث مت 23:1

^ج يو 3:14، 8:28، 14:42، 16:30، 30:28

^ح يو 16:7، أع 2:33-32

^خ عب 1:2-8، تم 2:5

^د يو 14:3-2

ثالثاً

الصلب ونحن

دين بلا صليب

لماذا يرفض بعض الناس حقيقة أن عيسى مات على الصليب ودفن، ثم في اليوم الثالث قام حيا من الموت؟ لماذا يصعب عليهم أن يصدقو أن هذا حدث فعلا؟
الثالث نقابل كثيرين يرفضون فكرة الصليب. حق بطرس بعدما شهد شهادة مجيدة بأن عيسى هو ابن الله، وجد أنه من الصعب أن يقبل حقيقة الصليب. يقول كتاب الله الكريم:

وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ، بَدَا عِيسَى يُوضِّحُ لِلَّامِيْدِهِ أَنَّهُ يَحِبُّ عَنِيهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْقُدُّسِ، وَيَتَأَلَّمُ كَثِيرًا عَلَى أَيْدِي الشُّيُوخِ وَرُؤْسَاءِ الْأَحْجَارِ وَالْفُقَهَاءِ، وَيُقْتَلُ ثُمَّ يَقُومُ حَيًّا فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ. فَأَخَذَهُ بُطْرُوسُ عَلَى جَانِبِ، وَبَدَا يُعَايِنُهُ وَيَقُولُ: "لَا سَمَحَ اللَّهُ يَا سَيِّدُ! هَذَا لَنْ يَجْرِي لَكَ!" فَالْتَّقَتَ وَقَالَ لِبُطْرُوسَ: "أَبْعُدُ عَنِي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ عَقَبَةٌ فِي طَرِيقِي، لَأَنَّكَ تُفَكِّرُ كَالْبَشَرِ وَلَيْسَ كَمَا يُفَكِّرُ اللَّهُ."¹

كان بطرس، ذلك العملاق، يرغب في دين بلا صليب. كان يتوقع مسيحا بلا آلام! وهذه هي رغبة الناس، هذا هو توقع العالم! فيقول اليهودي: أعطني مسيحا يحارب ويقاتل ويهزم العدو. ويقول اليوناني: أعطني مسيحا هو فيلسوف يقدم لنا الحكمة والفلسفة والأفكار العميقة. ويقول المسلم: أعطني مسيحا بلا صليب. ويقول المسيح نفسه: جئت لأتألم وأموت من أجل الناس، من أجل كل الناس، من

أجل اليهودي واليوناني والمسلم وغيرهم! ولهذا يقول الإنجيل الشريف إن حقيقة موت المسيح على الصليب هي مشكلة كبيرة لليهود، وغباء لغيرهم. فلا أحد يحب فكرة الصليب، لا اليهود ولا غير اليهود. والسؤال هنا هو: لماذا؟ لماذا يُعتبر الصليب مشكلة لليهود وغباءً لغيرهم؟

أولاً: الصليب هو مشكلة كبيرة لليهود

يقول الإنجيل: "لَهُنَّ نُبَشِّرُ بِالْمَسِيحِ الَّذِي ضَحَىٰ بِنَفْسِهِ عَلَى الصَّلَبِ. وَهَذَا مُشْكِلَةٌ كَبِيرَةٌ لِلَّيَهُودِ".¹

لماذا؟

1) لأن الصليب حطم فكرة اليهود عن المسيح. كان اليهود يتوقعون أنه حين يأتي المسيح يكون هو الملك العظيم والقائد الكبير الذي سينصرهم، وينقذهم من استعمار الرومان ويري المستعمر إلى البحر. فالمسيح هو الأمل الذي يرجونه، والنور الذي يتطلعون إليه، والأغنية التي ستعزف موسيقاها لهم. نعم، ظنوا أن هذا النبي والملك المنتظر سيكون قائدا عسكريا عظيما وبطلًا محاربا قويا. تجتمع حوله الجيوش، فيقودهم إلى الحرب، ويحطم الأعداء، ويسفك دماءهم، ويخرج ببيوتهم، ويجعل من مدينة القدس عاصمة كبيرة مزدهرة، ويصبح شعبه خير أمة في الناس، وأعظم شعب في الأرض. فينتصرون ويقهرون ويسلطون على كل العالم. كانت هذه فكرة اليهود عن المسيح.

لذلك لما جاء المسيح عيسى ورأوا معجزاته واستمعوا إلى تعاليمه، أعجبوا به وظنوا أنه سوف يحقق لهم أمنياتهم، وينفذ فكرتهم، ويعمل ما يتوقعونه منه. فتجمع الناس إليه، وتجمروا حوله.

لـكـنـهـ قـالـ هـمـ إـنـهـ جـاءـ لـيـفـدـيـ وـيـنـقـذـ وـذـكـ عـنـ طـرـيقـ الصـلـبـ وـالـمـوـتـ! أـيـ أـنـهـ جـاءـ لـيـفـدـيـ لـاـ يـقـهـرـ، وـلـيـمـوتـ لـاـ لـيـقـتـلـ، وـلـيـبـعـثـ السـلـامـ فـيـ النـفـسـ وـالـغـوـادـ، لـاـ لـيـسـتـعـملـ السـيفـ! إـذـنـ، بـدـلـ النـصـرـ تـحـدـثـ عـنـ الـصـلـيـبـ. وـبـدـلـ الـمـلـكـ رـاكـبـ الـفـرـسـ وـشـاهـرـ السـيفـ، جـاءـ عـيـسـىـ الـوـدـيـعـ يـسـافـرـ عـلـىـ قـدـمـيـهـ. وـبـدـلـ القـائـدـ الـذـيـ يـدـوـسـ روـماـ تـحـتـ قـدـمـيـهـ، جـاءـ عـيـسـىـ الـوـدـيـعـ يـسـافـرـ عـلـىـ صـلـيـبـ حـيـثـ تـُثـقـبـ يـدـاهـ وـرـجـلـاهـ وـتـُمـرـقـ وـتـسـمـرـ كـمـجـرـمـ كـاسـرـ لـلـقـانـونـ! هـنـاـ الـمـشـكـلـةـ بـالـنـسـبـةـ لـلـيـهـودـ! وـلـذـكـ فـقـدـواـ صـبـرـهـ. ذاتـ مـرـةـ حـاـوـلـ الـبـعـضـ أـنـ يـأـخـذـوهـ وـيـتـوـجـوـهـ مـلـكاـ. لـكـنـ رـفـضـ رـفـضاـ بـاتـاـ، وـلـمـ يـذـعـنـ لـفـكـرـتـهـمـ، وـلـمـ يـخـضـعـ لـرـأـيـهـمـ. بـلـ عـلـىـ الـعـكـسـ مـنـ ذـكـ مـاتـ عـلـىـ الـصـلـيـبـ فـيـ ضـعـفـ وـذـلـ وـمـهـانـةـ وـعـارـ. لـذـكـ شـعـرـوـاـ بـقـنـوـطـ شـدـيدـ. مـنـقـذـهـمـ يـمـوتـ! قـائـدـهـمـ يـقـهـرـ! عـيـسـىـ يـضـرـبـ وـيـذـلـ وـيـقـتـلـ عـلـىـ الـصـلـيـبـ وـيـوـضـعـ فـيـ قـبـرـ! نـعـمـ، الـصـلـيـبـ بـالـنـسـبـةـ لـهـ هـوـ عـارـ. الـصـلـيـبـ عـثـرـةـ. لـمـ يـعـرـفـوـاـ مـعـنـاهـ. لـمـ يـفـهـمـوـاـ قـوـتـهـ. الـصـلـيـبـ هـوـ مـشـكـلـةـ كـبـيرـةـ لـلـيـهـودـ.

(2) لأن الصليب أزال الفارق بين اليهود وبين غيرهم. كان اليهود يفتخرن بأن الله ميزهم عن غيرهم وفضّلهم عليهم، بأن اختارهم ليكونوا شعبا خاصا له. لكن الآن، ينادي أتباع المسيح أنه عن طريق الصليب والقداء، يقبل الله غير اليهود في حظيرته وضمن رعيته. فهو لا يميز بين الناس على أساس جنس أو عرق أو مركز أو عائلة أرضية، بل على أساس الإيمان بالمسيح. وكما يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الَّذِينَ كُنْتُمْ كُنْتُمْ بَعِيْدِيْنَ أَصْبَحْتُمْ قَرِيْبِيْنَ بِدَمِيِّ الَّذِي ضَحَّى بِهِ فَالْمَسِيْحُ هُوَ سَلَامُنَا، لَأَنَّهُ جَعَلَ الْأَنْتِيْنَ شَعْبًا وَاحِدًا". وبحسبه أزال حائط العداوة الذي كان يفصلهما عن بعضهما.^١ فإن كان بواسطة الصليب لا يوجد امتياز ليهودي على غير اليهودي، فكيف يقع هذا النيل على اليهودي المتعصب الذي يعتقد أن الله ميزه عن غيره؟ كيف يقبل بنو

إسرائيل هذه العقيدة؟ الصليب هو مشكلة كبيرة لليهود ولذلك لا يقبلونه.

(3) لأن الصليب ألغى نظام العبادة اليهودي. ألغى تقديم الضحايا. ألغى تقديم القرابين. وألغى كذلك الحاجة إلى بناء تتم فيه فرائض العبادة. أصبح هذا غير ضروري. في أزمنة العهد القديم كانت الضحايا تُقدم لأغراض عدّة. فمثلاً كانت تُذكّر الإنسان بخطورة الخطيئة وحقيقةها. ثم كانت أيضاً وسيلة خاتم الله بها عهده مع شعبه. ومن خلالها كانوا يعرفون أن الله قبلهم وغير لهم. لكن كانت الضحايا في نفس الوقت محدودة في مداها، فلم تكن لها القوة على إزالة الخطيئة فعلاً^أ. فكانت ظلاماً للحقيقة التي ستر على الصليب. كانت صورة نبوية تشير إلى شيء آخر، إلى الضحية الحقيقة التي ستقدم فيما بعد والتي يبقى مفعولها إلى الأبد. وتحقيقاً لهذه النبوة جاء عيسى المسيح لكي يكون هو تلك الضحية، ليكون هو الحَمَل الذي أرسله الله والذي بذل نفسه من أجل الإنسان.

ثم إنني حين أؤمن بالصلب، يقيم الله تعالى فيّ، في قلبي، وأصير بيته بالروح القدس. إذن أنا لا أحتج إلى أن أذهب إلى بيت عبادة خاص مقام من طوب وأسممنت وحجارة وخشب، لأجد الله وأتعبد له. الله موجود في كل مكان، وكما قال المسيح: "حَيْثُ اجْتَمَعَ اثْنَانٌ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي، فَأَنَا هُنَاكَ فِي وَسْطِهِمْ".^{بـ} وإنني حين أقول إننا لا نحتاج إلى بناء خاص لنبعد الله، هذا لا يعني أن لا نجتمع مع الإخوة المؤمنين لعبادة المسيح بل يعني إن لم يتوفّر البناء الخاص، فنحن يمكننا أن نعبد في أي مكان. وقد أشرنا من قبل أن المسيح في بداية خدمته وبشارته، زار مدينة القدس فوجد الناس قد حَوَّلوا دار الأمم في بيت الله إلى سوق! وهنا نضيف أن عيسى لم يقبل هذا الوضع فصنع سوطاً من الحبال، وطردتهم من بيت الله مع غنمهم وبقرهم، وبعثر

نقود الصيارة وقلب مناصدهم. ولهذا تحداه قادة اليهود لأنه قام بهذا العمل الذي يدل على سلطة ونفوذ وقوة غير عادية. فقالوا له: "إِعْمَلْ لَنَا آيَةً ثُبِّثْ بِهَا أَنَّ مِنْ حَقِّكَ أَنْ تَعْمَلْ كُلَّ هَدَى". أَجَابَهُمْ عِيسَى: "إِهْدِمُوا هَذَا الْبَيْتَ، وَأَنَا أُقْيِمُهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ".^أ كان عيسى يقصد بالبيت جسمه، لا البيت الذي من حجارة. كان بيت الله بالنسبة لليهود هو المكان الذي يحل فيه الله تعالى. هو المكان الذي تلتقي فيه السماء مع الأرض. هو المكان الذي فيه يتقابل الله القدير مع الإنسان المسكين الحقير. هو مكان تقديم القرابين، هو مكان العبادة، هو مكان الاحتفال بالأعياد، لأنه مكان الاحتفال بحضوره الله. وسيدنا عيسى هنا يقول لهم إنه حل محل هذا البيت! لا تهدموا بيت الحجارة، بل اهدموا هذا البيت الذي من لحم ودم، وأنا في ثلاثة أيام أقيميه!^ب

وبسبب إقامة لعاذر من الموت عقد رؤساء الأخبار والفرسيون اجتماعاً وتأمروا ضد عيسى وقالوا: "هَذَا الرَّجُلُ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً، فَمَاذَا نَعْمَلُ؟ إِنْ تَرْكَنَاهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ يَؤْمِنُ بِهِ الْجَمِيعُ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيُدْمِرُونَ بَيْتَ اللَّهِ وَيَأْخُذُونَ أُمَّتَنَا".^ب كانوا يخافون على مكان عبادتهم ويريدون أن يحموه بأي ثمن وعلى حساب أي شخص! ثم يجب أن نذكر هنا موضوع انشقاق ستارة البيت لما مات المسيح على الصليب. وهنا إشارة أخرى إلى انتهاء خدمة البيت والذين يعملون فيه من أخبار ولايين. الآن تم الفداء، وأصبحت الرموز التي كانت تشير إليه بلا فائدة. كما يقول الوحي الكريم أيضاً إنه بسبب ما حدث: "نَفَدَرُ أَنْ نَدْخُلَ بِثَقَةٍ إِلَى الْمَقْدِسِ الْحَقِيقِيِّ السَّمَائِيِّ بِدَمِ الْمَسِيحِ. وَذَلِكَ بِوَاسِطَةِ هَذَا الطَّرِيقِ الْجَدِيدِ الْحَيِّ الَّذِي فَتَحَهُ لَنَا خَلَالَ السَّتَّارَةِ، أَيْ جَسْمِهِ الْبَشَرِيِّ".^ت أي أن الحاجز الذي كان يقف بيننا وبين المثال في حضرة الله، قد زال. وصار الطريق مفتوحاً أمامنا لنتقدم إلى عرش الله القدير. نعم، الطريق مفتوح

^أ يو 18:19

^ب يو 11:47

^ت عب 10:19

لنا كلنا. بلا تمييز ولا تفرقة بين الواحد والآخر، نقدر أن نتخد من سيدنا عيسى ملحاً وعونا. وهذا يشجعنا كتاب الله أن: "نَتَّقَرَّبَ بِثِيقَةٍ إِلَى عَرْشِ اللَّهِ حَيْثُ التَّعْمَةُ، لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً تُعِينَنَا فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ".^أ

انتهت خدمة البيت المبني من حجارة، وأصبح المسيح لنا هو مركز عبادتنا لله. هو الذي نتجه إليه في دعائنا وصلاتنا. ولعل انشقاق تلك الستارة كان من أهم الأسباب التي مهدت قلوب الأخبار فيما بعد ليقبلوا الإيمان بال المسيح، حيث يقول الوحي: "وَقَبِيلَ الإِيمَانَ عَدَدٌ كَبِيرٌ جِدًا مِنَ الْأَخْبَارِ."^ب رأوا ما جرى للبيت المقدس وصعقوا، ثم أدركوا أن الشخص الذي مات لم يكن مذنبًا بل هو الذي حمل ذنبنا. لم يكن عاصيا بل هو الذي رفع معاصينا. لم يكن مجرما ولا كاسرا للشريعة، بل هو الحمل الذي أرسله الله ليرفع خطيئة الناس. إذن الصليب هو مشكلة كبيرة لليهود لأنه ألغى نظام العبادة اليهودي.

(4) لأن الصليب ألغى أهمية مدينة القدس. كانت القدس هي العاصمة الروحية. كان يأتي إليها الحجاج من كل مكان ليتبعدوا ويعيدوا فيها. وقال الله عنها: "هَذِهِ هِيَ الْقُدْسُ الَّتِي أَقْمَتُهَا وَسَطَ الشُّعُوبِ وَمِنْ حَوْلِهَا الْأَمْمُ."^ت وقال إشعيا أيضًا بوعي الله: "فَالظَّلَامُ يُعَظِّي الْأَرْضَ، الظَّلَامُ الدَّامِسُ يُعَظِّي الشُّعُوبَ. أَمَّا أَنَّتِ فَيُشَرِّقُ اللَّهُ عَلَيْكِ، وَيَظْهَرُ جَلَالُهُ فَوْقَكِ. فَتَأْتِي الْأُمُّ إِلَى نُورِكِ وَالْمُلُوكُ إِلَى بَهَائِكِ الْمُشْرِقِ."^ث

بموت عيسى على الصليب، تغيرت الأوضاع، وصار مركز وحدة شعب الله، ليس مدينة هي القدس، بل شخص هو المسيح. أصبح عيسى هو نقطة التجمع: "في ذلك

^أ عب 4:18

^ب أع 7:6

^ت حز 5:5

^ث إش 2:60

الْوَقْتِ يَكُونُ سَلِيلٌ يَسَى رَأْيَهُ تَلْتَفُ الشُّعُوبُ حَوْلَهَا، وَيَكُونُ مَسْكُنُهُ عَظِيمًا.^أ
 ومن الوقت الذي فيه رُفع على الصليب، أصبح يجذب الناس إليه^ب: لهذا أيضاً شرح المسيح للمرأة السامرية عند بئر يعقوب أن الوقت سيأتي عندما تلغى القدس عن أن تكون مركز العبادة الصحيحة (وكذلك جبل جرزيم في السامرة)، لأن عيسى نفسه يصير مركز عبادة الله بالروح والحق. "يَحْيَيْنَ وَقْتٌ فِيهِ تَعْبُدُونَ الَّأَبَ لَكِنْ لَا فِي هَذَا الْجَبَلِ وَلَا فِي الْقَدْسِ... وَيَحْيَيْنَ وَقْتٌ، بَلْ حَانَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ الْعَابِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَعْبُدُونَ الَّأَبَ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ. فَالَّأَبُ يُرِيدُ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْعَابِدِينَ. اللَّهُ رُوحٌ، فَيَجِبُ عَلَى مَنْ يَعْبُدُهُ أَنْ يَعْبُدَهُ بِالرُّوحِ وَبِالْحَقِّ".^ت

فالقدس اليوم لم تعد هي مركز وحدة شعب الله الحقيقي، أمة المسيح. تمت الرسالة الرمزية لتلك المدينة بموت عيسى على الصليب خارج أسوارها. المسيح اليوم هو الرأس، مركز وحدة الجسم، وأمة المسيح هي الجسم. فالآمم والشعوب التي كانت تُدعى قبلاً لتأتي إلى القدس لتعبد المولى، الآن يدعوها الله لتُقبل إلى المسيح. هذا إذن سبب آخر يجعل الصليب مشكلة لليهود. ولا عجب أنهم حتى اليوم ما زالوا يرفضون المسيح. كما قال أحد فلاسفتهم عندما سئل: "لماذا تكرهون عيسى؟" أجاب: "لأنه حطم إسرائيل، إن الأمم قد قبلوه وصار هو لهم مركز عبادة، لقد حلَ محلَ إسرائيل!"

ثانياً: الصليب هو غباء للآخرين

ويقول الإنجيل: "نَحْنُ نُبَشِّرُ بِالْمَسِيحِ الَّذِي صَحَّى بِنَفْسِهِ عَلَى الْصَّلِيبِ. وَهَذَا...^أ
 غَبَاءٌ لِلْآخَرِينَ. ^ث لِمَاذَا؟^ت

^أ إش 10:11

^ب يو 12:32

^ت يو 4:21، 24-23

^ث كور 1:23

(١) يقولون غير معقول

أساس الاعتراض هنا هو أنه من غير المعقول أن يموت واحد لفداء الآخرين. يقول البعض إن موت المسيح على الصليب غير معقول، لأنه كيف يمكن أن يموت واحد عن ذنوب كل البشر؟ ألا يقول الناس إن كل واحد مسئول عن ذنبه؟ ألا يقولون إن كل إنسان يحمل وزر نفسه؟ فإن كان واحد يموت بسبب ذنب غيره يكون هذا كسرًا للقوانين والشرائع ومهزلة للعدالة والمنطق.

صحيح كل واحد مسئول عن ذنبه. ولو كان المسيح مجردنبي صالح أو إنسان بريء عادي أجبر على أن يموت بدلاً عن الآخرين لأنهم أذنبوه، لكن هذا أكبر ظلم في التاريخ. لكن الحقيقة هي أنه هو الله جاء كبشر لفداء الإنسان. فهو أولاً، ليس إنساناً عادياً وإنما كان فدائاً لا يصلح لكل البشر. لو كان إنساناً عادياً ربما كان يصلح موته لفداء إنسان واحد. لكن هذا الفادي ليس كباقي البشر. وثانياً، هو لم يجبر على هذا، بل ضحى بنفسه. هو أراد ذلك. هو دبر ذلك بنفسه.

قلت إنه هو الله جاء كبشر. وهنا أريد أن أتحدث قليلاً في هذا الموضوع مع أنه يبدو بعيداً عن حديث الصليب، ولكني أعتقد أنه متعلق به عن قرب. لماذا يرفض البعض أن يفهموا أن الله جاء كبشر؟ والجواب ببساطة هو لأن الله تعالى، بالنسبة لهم، إله غضوب جبار ومنتقم قهار. هو بعيد عني جداً لا يكترث بحالتي ولا بما أنا فيه، ومع ذلك فهو قريب جداً لا أفهمه ولا يتعامل معه!

إذن كيف يمكن للكائن بهذا الوصف أن يهمه أمري؟ أو أن يهتم بي لدرجة أن يرغب في أن يسير على أرضي، ويختبر حالتي، ويفهم ظروفي، ليغير مصيري وما لي؟ لا شك أن هذا الكائن المخيف البعيد غير المكتثر لا يتنازل لفدائني! أما إن كان محبنا شفوقاً فلا شك أن يتواضع ويأتي لينقذني. لذلك نرى على الصليب تضحية لا يقدر عليها غير الله المحب الحنون. نرى حباً ليس للبشر مقدرة عليه، إنما لله

وحده. الله وحده يحب بهذه الطريقة. الله وحده يحب حق إلى الصليب.

في سنة 1941 في أثناء الحرب العالمية الثانية مات الأب كولي عن 47 سنة في معسكر أشويتز نيابة عن مسجون آخر اسمه فرانيك جاونسيك. تقول القصة إن المسؤولين اختاروا بطريقة عشوائية أن يقتلوا فرانيك، ولكنه أخذ يصرخ ويسترحمهم من أجل زوجته وطفليه. وهنا تقدم كولي واقترب على المسؤولين أن يموت هو بدلاً من الرجل المسكين. وفعلاً مات كولي بدلاً من الرجل الآخر. هذه تضحية سامية من أجل زميل في السجن.⁴⁴

قال عيسى: "لَا تُوَجِّدُ مَحْبَةً أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُضَحِّيَ الْوَاحِدُ بِنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ أَحِبَائِهِ."^أ هذا صحيح، لا توجد محبة بين الناس أعظم من أن يضحى شخص بنفسه من أجل أحبيائه. ولكننا في صليب المسيح نرى محبة لا يقدر عليها البشر. إنها تضحية المسيح من أجل أعدائه! هذه هي محبة الله للإنسان! لذلك يقول الإنجيل الشريف: "لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ أَنْ يُضَحِّيَ أَحَدٌ بِنَفْسِهِ وَيَمُوتَ مِنْ أَجْلِ شَخْصٍ صَالِحٍ، رُبَّما يَتَجَرَّأُ وَاحِدًا أَنْ يَمُوتَ مِنْ أَجْلِ إِنْسَانٍ ظَيِّبٍ جِدًا. لَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا، لَأَنَّهُ وَنَحْنُ مَا زَلْنَا مُذْنِبِينَ، مَاتَ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِنَا."^ب نعم مات المسيح من أجلنا ونحن ما زلنا مذنبين، ونحن أعداء! هذا هو الحب الذي يقول للبشر: "هَذَا هُوَ حِسْبِي الَّذِي يُعْظِّي مِنْ أَجْلِكُمْ... هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ، يَعْمَلُهُ اللَّهُ مَعَكُمْ بِدِي الَّذِي يُسْفَلُ مِنْ أَجْلِكُمْ."^ت إذن يرفضون الصليب لأنّه لا يتفق ومزاجهم، ولا يقابل توقعاتهم! نعم، لأنّ الخالق صار بثرا من أجل الصليب، والقدير صار ضعيفاً للصلب، وصاحب الجلالة المبارك صار لعنة بالصلب، والنقي الطاهر حمل كل ذنوبنا وشرنا على الصليب! فكيف يمكن لبشر عادي أن يفهم هذا؟ إنهم لا يقبلون هذا التعليم. بل ويقولون إنه ضد

^أ يو 13:15

^ب رو 5:8-7

^ت لو 22:19-20

الطبيعة البشرية (وهم في ذلك على حق!). ويقولون أيضاً إنه مناقض لخبرة الإنسان (ومرة أخرى قد أصابوا في هذا)!! ولكن الصليب ليس فكرة بشرية، بل لقد تَبَعَ من قلب الله ومن حب الله، ومن عدل الله، ومن صلاح الله. الله هو أساسه لا الإنسان! هدف الصليب هو التكفير عن الذنب. هذا هو أهم ما في الأمر! يُبَيِّنُ صليب عيسى المسيح أنه لكي يمكن إصلاح العلاقة بين الإنسان والإله، ينبغي تقديم صحيحة. والحقيقة أن الله نفسه هو الذي وضع نظام الضحية، لا الإنسان. يرفض الإسلام عقيدة أن الله يفدي البشر من خلال موت السيد المسيح، ويعتبرها غباء وحماقة، بل وأمراً فاضحاً ومشيناً، وغير عادل وغير ممكن التطبيق ومستحيلاً. وبالختام، عقيدة غير معقولة ولا يمكن قبولها!

٢) يقولون غير ممكن

إن أساس الاعتراض هنا هو أنه من غير الممكن أن يموت نبي صالح بهذه الطريقة الرهيبة الفظيعة. فيقولون: كيف يسمح الله العادل أن يموت نبي صالح من أجل ذنوب لم يرتكبها؟ ليس ذلك فقط، بل ويموت على صليب؟ لأن الصليب عالمة ضعف وجُبن! إن التعبير "المسيح المصلوب" في مفاهيم بعض الناس، هو تعبير غير جائز ومحتوه غير ممكن، بل ولا يمكن حدوث مثل هذا الأمر. لذلك شبه أحدهم تعبير "المسيح المصلوب" بالقول "الثلج المشوي"! هل يمكنك أن تشوّي الثلج؟ طبعاً لا! فيقولون كذلك لا يجوز ولا يصح أن يُصلب المسيح! إذن لا يمكن أن يسمح الله بموت عيسى، بل عندما رفض اليهود رسالته وحاولوا أن يصلبوه، لا بدّ أن الله القدير تدخل وأنقذه.

لكن الحقيقة هي أن المسيح مات على الصليب. وأكثر من ذلك، أن موت

ال المسيح على الصليب هو أشهر موت في التاريخ! سنيكا، الفيلسوف الروماني، شرب السم وانتحر. يقال إن كليوباترا، ملكة مصر، جعلت حية تبت فيها السم فماتت.肯尼迪 رئيس الولايات المتحدة مات مقتولاً. أنور السادات رئيس جمهورية مصر مات مقتولاً. ولكن موت هؤلاء لا يُقارنُ مع موت عيسى على الصليب من أجلنا! ولكن لماذا يقولون إنه غير ممكن؟

أولاً، الإعدام يتضمن أن المحكوم عليه مجرم. الصليب فكرة مكرهـة. فحتى عند الرومان حيث شاع الإعدام بالصلب بشكل أوسع من أي مجتمع آخر، كان الصلب يعتبر أقسى وأفظع طرق الإعدام. يتحدث المؤرخ يوسيفوس في كتابه "حروب اليهود" عن الصلب ويصفه بأنه أتعس ميـة⁴⁵. الموت على الصليب هو الموت بأبغض طريقة بربرية مكـنة. وكان الشخص المصلوب يعلق عارياً ويتعرض إلى أنواع من الإهانة والخزي والعنـف. فإذا مات خلال ساعات قليلة فإنه يكون محظوظاً، لكن المصلوب كان عادةً يظل معلقاً على الصليب لمدة تصل إلى عشرة أيام.

كان الصلب بالنسبة لليهود والوثنيين على حد سواء، لليونانيين والرومان، للفرس والفينيقيين، للقرطاجيين والمصريين، للمتحضرين وغير المتحضرين، طريقة مهينة إلى أبعد حد في الإعدام. وفي الإمبراطورية الرومانية، كان وسيلة عقاب للأجانب وال مجرمين واللصوص وفاعلي الشر والخداعـين، لكنه كان نادراً جداً ما يطبق على مواطن روماني أو أي شخص محترم وله سمعة. وقد وصفه سيسرو (شيشرون) بأنه أقسى وأشنع أنواع العقاب⁴⁶. وقال أيضاً إن مجرد فكرة الصليب يجب ألا تخطر في ذهن مواطن روماني.⁴⁷

إذن لم ينظر العالم الروماني القديم إلى الصليب باعتبار أنه شيء إيجابي كما تفعل المسيحية اليوم. كان الصليب شيئاً بغيضاً مرعباً. كان مكاناً للاستهزاء المرير والرفض الأليم. إذ يكون الضحية مجرداً من كل كرامة إنسانية، منبوذاً ومرتعباً

وعاجزاً ويائساً.

من كل هذا نرى أن الصليب كان أداة قاسية للخزي والاحتقار، ولهذا السبب يرفض البعض فكرة أن نبياً صالحَا كعيسى يمكن أن يتعرّض مثل هذا الإذلال والهوان في موته.

ثانياً، الإعدام يتضمن أن المحكوم عليه شخص يدّعي النبوة، أي نبي كاذب. ففي أزمنة العهد القديم، أي شخص يُحاول أن يبعدبني إسرائيل عن الله بأن يغريهم بعبادة آلهة أخرى، كان جزاؤه الموت. وتأمر شريعة موسى بقتل أي شخص يعمل آيات ومعجزات بهدف أن يغوي الناس ليتمردوا ضد الله. وكان ينبغي أيضاً قتل كل الذين يتبعون مثل هؤلاء الأنبياء الكاذبة.

عندما ندرس حياة المسيح في الإنجيل، نحس بأن بعض القادة اليهود نظروا إلى عيسى كنبي كاذب. نظروا إليه كشخص يخالف الشريعة، ويستخف بتقاليد الشيوخ، ويُكفر بالله. بـ ثار الحسد في قلوبهم لأنهم لم يستطيعوا أن يجاروه في تعاليمه القوية وأعماله العظيمة. وجعلهم هذا يفترضون أن معجزاته كانت جزءاً من خطته لكي يُضلّ الناس بعيداً عن الله. وأرادوا أن يبرروا موقفهم. فزعموا أن سبب قدرته على إخراج الأرواح الشريرة من المسكونين بها هو أنه استخدم قوة بعلزبول، رئيس الشياطين والأرواح الشريرة. تـ واقتنع هؤلاء القادة بأن واجبهم الديني يحتم عليهم اتخاذ إجراء، فقرّروا أن عليهم أن يتخلّصوا من عيسى، على الرغم من معجزاته وبسببها في نفس الوقت. لأنهم بذلك يطيعون ما تأمر به الشريعة!⁴⁸

ولهذا، لما كان سيدنا وفادينا عيسى على الصليب، كانت أذهان أولئك القادة وغيرِهم مليئة بفكرة أنه نبي زائف. وهذا ما جعلهم يسخرون منه ويقولون: "يَا مَنْ

^أ تث 18:20

^{بـ} مت 12:10؛ 15:2؛ لو 20:5

^{تـ} لو 11:14-16

سَتَهْدِمُ بَيْتَ اللَّهِ ثُمَّ تَبْنِيهِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ! إِنْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ وَأَنْقِذْ نَفْسَكَ.^١ وبعبارة أخرى، عند الصليب حاولوا أن يُهَدِّئُوا ثورة ضميرهم لقتله، ويُطمئنوا نفسهم بأنه كاننبيًا كاذبًا. لأنه الآن، وقد صار موته مُحَقَّقًا، لن تتم نبوءته بشأن بيت الله.

لكن لا يوجد مسلم يتفق مع هذا الرأي الذي گَوَّنه اليهود عن عيسى. أي ما من مسلم يقول إن عيسى كاننبيا زائفا. بل يعطي القرآن سيدنا عيسى عددا من الألقاب الكريمة والمُشَرِّفة أكثر من أي شخص آخر ورد ذكره فيه. ولهذا السبب يصعب على المسلم أن يؤمن بأن عيسى صلب حقا. وبمعنى آخر، فكرة أن الصليب هو من نصيب النبي الكاذب، تجعل المسلم يرفض أعظم بركة من بها الله على البشر!

(3) يقولون غير ضروري

الكبيراء في قلب الناس يجعلهم يرفضون الصليب، فهم يقولون: "نحن لسنا أشرارا حتى نحتاج إلى تضحية المسيح عنا. ربما نرتكب بعض الذنب بين الحين والآخر، لكن هل يتطلب هذا أن يموت النبي صالح ومرسل طاهر من أجلنا؟ لا، هذا غير ضروري!"

لذلك فإن الطريقة التي شرح بها عيسى القصد من إرساليته تُعتبر شتيمة لهذا النوع من الناس! قال عيسى إنه: "جَاءَ لِكَيْ يَبْيَحَثَ عَنِ الْهَالَكِينَ وَيُقْدِهُمْ."² إنهم بالطبع يكرهون أن يوصفو بأنهم من الهالكين أو أنهم على ضلال مبين لدرجة أنهم يحتاجون إلى من ينقذهم ويهديهم. يعني مجرد فكرة موت المسيح على الصليب برهان ودليل على أنهم ضالون وتائهون، وهو ما لا يقبلونه. بل يظنون أنهم على العكس من ذلك: صالحون وطيبون ومحسنون، وأن أعمال الخير التي يقومون بها إنما هي دافع لله أن يرضى عنهم ويقبلهم ويفسح لهم بنعيم مقيم.

¹ مر 15:29
² لو 10:19

وهذا هو تماماً ما حذر قابيل بن آدم. فيقول كتاب الله الكريم: "قَدَمْ قَابِيلُ
لَهُ قُرْبَانًا مِنْ ثِمَارِ الْأَرْضِ. أَمَّا هَابِيلُ فَقَدَمْ أَفْضَلَ أَبْكَارَ عَنْهِ. فَرَضَيَ اللَّهُ عَنْ هَابِيلَ
وَقُرْبَانِهِ. لَكِنَّهُ لَمْ يَرْضَ عَنْ قَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ. فَعَصَبَ قَابِيلُ جِدًا، وَكَانَ وَجْهُهُ عَابِسًا".^١
ماذا حدث هنا؟ إن قابيل أراد أن يتقرب لله تعالى عن طريق ثمار الأرض! أما هابيل
فقد اتعظ واستفاد مما حذر والديه، فإن ورق الشجر لا يغطي عري الخطيبة.
وهذا هو السبب أن الله تعالى أعطى آدم وحواء جلداً ليغطيها به عريهما. من أين جاء
الجلد؟ من ضحية دُجَّت وأريق دمها! هابيل فهم هذا المبدأ وأدرك أهمية هذه الحقيقة
وقدم لله ضحية.

يقولون أيضاً إن الله غفور رحيم، لذلك لا داعي للفراء، ولا لزوم للصلب.
يظنون أن الله يعاملنا كما يعامل البشر بعضهم ببعض. فهم يعتقدون أن الله يسامحنا
على ذنبينا التي نرتكبها في حقه دون عقاب، وينسبون ذلك إلى رحمته. لكن هذا
خطأ كبير. لا يمكن أن يعاملنا الله بهذا الأسلوب. فأنا إن أخطأت في حق شخص
آخر، ربما لا يسامحني بل يعاقبني. أو ربما يسامحني ولا يعاقبني. أي كما يحلو له. لا شك
أن هذه طريقة ناقصة لا تتصف بالكمال. أما الله تعالى، فهو كامل ومنزه عن النقص،
ولا شك أنه يعامل البشر حسب كماله. لذلك قال القدير لموسى في الكتاب الشريف:
"أَنَا الْمَوْلَى. الْمَوْلَى هُوَ اللَّهُ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ الْحَلِيمُ، هُوَ مُحِبٌ وَوَقِيفٌ جِدًا. يَحْفَظُ الإِحْسَانَ
لِأَلْوَافٍ، وَيَغْفِرُ الْإِثْمَ وَالْمُعْصِيَةَ وَالْخَطِيَّةَ. وَلَكِنَّهُ لَا يَرْثُكُ الْمُذْنِبَ بِلَا عِقَابٍ".^٢
إن الله يحبنا لأننا خليقته. لكننا أخطأنا في حقه وضللنا عنه، لذلك نستحق
العقاب. لكن القدير عز وجل في رحمته أرسل سيدنا عيسى المسيح ليتحمل هذا
العقاب. نعم، لينال قصاص ذنبنا بدلاً عنا. هذا هو الفداء. وهذه هي طريقة الله

١ تك 4:3-5

٢ خر 34:6-7

فالذين يقولون إن الله رحيم ولذلك لا داعي للفراء هم على خطأ، لأن الإنجيل يقول لهم إن الله رحيم، لذلك لا بد من الفداء! لا بد من الصليب. إن الله لا يبرئ المجرم. إنه لا يُطلق المذنب حرا، لأنّه عادل. لكنه في رحمته يقدم لنا وسيلة النجاة. الله ضحي بابنه من أجلنا لينقذنا ويفدينا. أعطانا الفادي. هذه هي أسمى درجات المحبة. أسمى عطايا النعمة الإلهية. عيسى مات من أجلنا ليفدينا. ليُفدي الذين رفضوه ولم يقبلوه.

ويقولون أيضاً بما أن "الحسنات يُذهبن السيئات"⁴⁹، فلماذا لا يغفر الله لنا حين نعمل الصالحات؟ إن الخدعة الكبرى هي أن تظن، يا أخي، أن أعمالك الصالحة تُخزن في مكان ما، وأن أعمالك السيئة تُخزن أيضاً، وفي اليوم الأخير، يوم الحساب، تُوضعُ أعمالك في الميزان ليرى الله إن كانت حسناتك أثقلَ من سيئاتك، أم إن الطالحات أكثر من الصالحات!

إن كنت تقول هذا الكلام، يرد عليك النبي إشعيا ليعبر بكل صراحة عن أعمالنا كبشر فيقول: "كُلُّ أَعْمَالِنَا الصَّالِحَةُ كَحِرْقَةٍ فَقَذَرَةٍ". يعني بلغة اليوم: أنت تحاول أن تقدم لله عز وجل سلة مملوءة بورق المرحاض القدر. هذه هي أعمالك الحسنة. هذه هي الصالحات التي تقوم أنت بها! إنها في نظره متسخة وغير مقبولة! هي في نظر الله بلا قيمة من ناحية التكفير عن الذنب. إذن مجهداتنا مهما كانت طيبة ونافعة للمجتمع، لا تضمن لنا مغفرة الذنب أو حياة الخلود. إنما فضل الله الكريم هو الذي يضمن لنا المغفرة والحياة. نعمة الله السخية هي التي تقدم لنا الصفح والغفران والحياة والنجاة. نحن لا رجاء لنا في أعمالنا. إنما يجب أن نضع رجاءنا في ما عمله الله

من أجلنا، أي الفداء الكريم.

ثم إن الحقيقة هي أن كل ما لديك من إمكانيات وقدرة لعمل الصالحات هو أصلا هبة من عند الله أعطاها لك من فضله. فمثلاً أنت تعطي الفقير صدقة. من أين جاءك المال الذي تعطيه. أنت لم تخلقه. الله تعالى أعطاك وظيفة أو مهنة وأعطاك القدرة والصحة والعافية لتشتغل^أ، فالمال الذي تتصدق به هو أصلاً من عنده. فإن أعطيت، فهذا صدقة. وإن لم تُعطِ، فهذا إنكار للجميل. أقصد أن أقول إن تصدقت فلا فضل لك، وإن لم تتصدق فهذا جرم! ولماذا يكافئك إن أعطيت مما أطعاه لك؟ إن العمل الصالح لا يمكن أن يمحو الذنب الذي ارتكبناه ضد الله عز وجل. لنفرض أن شخصاً قتل جاره، وقبض عليه البوليس ووضع في الحبس رهن المحاكمة. وبعد بضعة أيام وقف القاتل أمام القاضي. وفي أثناء المحاكمة، اعتذر القاتل للقاضي ووعده بأنه سوف يعطي قسماً من أمواله وثروته للفقراء والمحاجين. ونظير ذلك طلب من القاضي أن يصفح عنه ويطلقه حراً. هل تظن أن قاضياً عادلاً حكماً يسمح لهذا القاتل بالحرية لأنَّه سيقوم بأعمال صالحة؟ لا! لا بد من العقاب! لهذا مات عيسى على الصليب ليحمل العقاب عني وعنك.

فهذه هي العثرة التي تسببها رسالة الصليب، هذه هي المشكلة: إن أعمالك الصالحة وكل أعمال الخير التي تقوم بها، هي بلا قيمة في نظر الله من ناحية التكفير عن الذنب. وهي لا تُصلح العلاقة المحطمة بينك وبين الخالق الكريم. وأخيراً لن تنفعك حين تقف أمام عرش الديان.

^أ تَذَكَّرُوا إِلَهُكُمْ، لَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُعْطِي الْقُوَّةَ لِتُحْصِلُ الْتَّرْوِةَ (تث: 8: 18).

معنى موت المسيح بالنسبة لي

بموت المسيح على الصليب عمل أمررين عظيمين: فداني وغيرني.

فداني

ضحي بنفسه مكاني. مات بديلا عنـي. قدّم نفسه ضحية من أجلي. هذا هو أول فكر يأتي لي حين أتأمل في صليب المسيح، أنه ضحي بنفسه من أجلي. ينظر الكثير من الناس إلى المسيح كمعلم عظيم، وكمثال للأخلاق السامية، وهو فعلا كذلك. لكنهم ينسون عمل المسيح الأساسي، وهدفه الرئيسي وهو الفداء. هو الفادي الوحيد! قال يحيى المغطس إن المسيح هو الحمل الذي أرسله الله ليرفع خطيئة الناس. من المهم هنا أن نلاحظ أنه لا يقول "خطايا" بالجمع، بل خطيئة بالفرد. إن وجود الخطية في قلب الإنسان هو سابق لارتكاب المعاصي. فالخطية هي التي تحرك الشخص ليرتكب الذنب. والمهم هو ليس فقط الخطايا العديدة التي يرتكبها الناس، بل الأساس الذي في القلب، الذنب الدفين الموجود في النفس الأمارة بالسوء. عيسى يرفع الخطية عنا، ومقى تم ذلك نحصل على قوة إلهية لكي لا نرتكب المعاصي. عيسى ينقذنا من الذنب. بأي طريقة؟ ما هي وسيلة إنقاذنا؟ ليس عن طريق ثورة مسلحة تحطم المستعمر الأجنبي أو تبيد الوالي الظالم أو تطيح بالحاكم المستبد، إنما بالفداء. بالمحبة والرحمة والبذل والتضحية من أجلنا.

عيسى يرفع عنك حمل ذنوبك ومعاصيك وينحك الراحة. إنه يقول: "تَعَالَوْا لِي يَا جَمِيعَ التَّعْبَانِينَ وَالَّذِينَ أَحْمَلُهُمْ ثَقِيلَةً، وَأَنَا أُرِيْحُكُمْ".^١ إنه يناديك أنت بالذات وينادي كل تعبان، وكل من أخْنَى ظهره تحت حمل الذنوب. إن تضحيته على الصليب

هي من أجل كل الناس، هي لكل الشعوب والأجناس، لكل الأجيال والثقافات، لكل الظروف والأحوال، لكل الطوائف والأديان.

لما خلقنا الله، أعطانا الحياة، ولما فدانا أعطانا نفسه. لم يكن مطالباً بذلك، بل فعل هذا طوعاً. الأم تعطي ولديها حياة، ولكنها في المعتاد لا تعطي نفسها من أجل هذه الحياة.

بعد عمل شاق على مدى خمس سنين اكتشف لوبي باستير دواء للتطعيم (أو التلقيح) ضد مرض الكلب. ولكنه كان يحتاج إلى شخص ليجرب فيه الدواء ليرى إن كان سينجح أم لا. ولما لم يجد أحداً يتطلع لذلك، قرر باستير أن يحقن نفسه بالدواء سراً لكي لا يحاول الآخرون منه. ولحسن الحظ، في ذات اليوم الذي كان سيبدأ التجربة على نفسه، جاءه رجل بابنه الذي عشه كل مصاب بالمرض. ونجحت التجربة وأصبح الدواء سبب نجاة من الموت لآلاف بل ملايين من الناس. كان باستير على استعداد لأن يضحي بنفسه. هذه شجاعة وشهامة. أما المسيح فهو فعلاً ضحي بنفسه، لينقذنا من مرض الخطيئة التي تصيب النفس وتلقي بها في جحيم النار إلى الأبد.

منذ فترة كتبت في زيارة للبرازيل. وهناك أخبرني أحد الأصدقاء بقصة الطبيب كارلوس شاجاس. فقد حدث في مناطق الغابات حيث يسكن الناس في أكواخ مصنوعة من الطين، أن انتشر مرض رهيب كانت تسببه لدغة حشرة. عائلات بأكملها زالت من الوجود بسبب ذلك المرض. مات عشرات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال. ومع المجهود الكبير الذي بذله الأطباء والعلماء لم يمكن لأحد أن يوقف المرض أو يكتشف له علاجاً. وأخيراً راح هذا الطبيب كارلوس شاجاس إلى منطقه انتشار المرض ليجري أبحاثاً لعله ينجح في إيقاف ذلك الوباء. وفي أثناء عمله قرر أنه يحتاج أن يشعر بنفسه شعور المرضى ويحس بأحساسهم ويتألم بألمهم ويفهم حالتهم تماماً. فأقى بحشرة تلدغه وتحقن فيه السم. وحدث ما هو متوقع.

مرض الطبيب. فأخذ يعمل بجد أكثر ليكتشف العلاج. وفعلاً تحقق أمله وتم له ما أراده وتمكن من اكتشاف طريقة لإيقاف المرض. ولكن مرضه هو سبب له مشاكل صحية خطيرة مات منها. واليوم يسمى هذا المرض باسمه "شاجاس" تخليداً لذكرى الطبيب الذي ضحي ب حياته لكي ينقذ الناس من الموت المحقق. هل تذكرك هذه القصة بما عمله عيسى من أجلك يا أخي؟ إنه ضحي بنفسه لكي يشفيك من داء الشر، لكي يمنحك الحياة من الموت الأبدى.

والآن يأتي دورك أنت. لعلك تدرك يا صديقي معنى أنه جاء ليفدي البشر من ذنوبهم، فهو مات من أجلنا، لكي يطهernا من ذنبينا. ثم إنه قام من الموت حياً من أجلنا أيضاً، لكي يجعلنا صالحين وأولياء الله. وهذا هو معنى الصليب! وهنا أهمية الصليب وحتميته!

إن موقفك من الصليب سوف يحدد مصيرك. القرار الآن لك يا عزيزي. من حملك أن تلقي به عرض الحائط وتعتبره خيالاً وغباء وخرافـة. إنما أعلم أنك إن فعلت هذا، فإنك تهلك في الجحيم الأبدى. ومن حملك أيضاً أن تصدق وتؤمن، وتتخذه عيسى، هذا الفادي الحي، فادياً ومنجياً لك من الخطيئة ومن الهاـلـكـ. تعال الآن إليه. ثق فيه. توكل عليه. آمن بفدادـهـ. أسلم نفسك له.

قال توري، وكان خادماً لل المسيح منذ أكثر من قرن: "حاولت أن أقنع شباباً بأهمية موت المسيح على الصليب. قلت له إنه يحتاج أن يتوب إلى الله ويسلم له لأنـهـ فـدـاهـ بـدـمـ المسيح الذي ضحي به على الصليب. ولكن الرجل كان يرفض مرـةـ بـعـدـ أـخـرـ،ـ ويـظـنـ أنه لا يحتاج إلى هذا. ومضـتـ سـنـوـاتـ عـدـيدـةـ وـفـجـأـةـ أـرـسـلـ ليـ لـأـزـورـهـ فـيـ دـارـهـ.ـ قالـ إـنـهـ مـرـيـضـ وـيـحـتـاجـ أـنـ يـتـحدـثـ مـعـيـ.ـ ذـهـبـتـ وـاـكـتـشـفـتـ أـنـهـ فـيـ آـخـرـ أـيـامـهـ،ـ بلـ رـبـماـ آـخـرـ سـاعـاتـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ،ـ فـقـدـ أـصـيبـ بـسـرـطـانـ فـيـ الـمـخـ.ـ لـمـ دـخـلـتـ إـلـىـ الـغـرـفـةـ قـالـ لـيـ:ـ 'ـحـدـثـنـيـ مـرـةـ أـخـرىـ عـنـ صـلـيـبـ الـمـسـيـحـ'ـ.ـ فـحـدـثـتـ بـكـلـ بـسـاطـةـ،ـ وـقـلـتـ لـهـ إـنـ كـانـ يـؤـمـنـ بـأـنـ

المسيح مات من أجله على الصليب وقام، فإن الله يغفر له ذنبه. ولكن للأسف، كأني كنت أكلم صخراً. لقد رفض المسكين وانتظر وأجل حتى تحجر قلبه وأصبح لا يفهم ما أقول. كان أهله قد أنهكهم التعب من السهر معه ليلة بعد ليلة، وفي تلك الليلة قلت لهم إني على استعداد لأن أبقى معه في الغرفة طول الليل حتى يمكنهم أن يأخذوا قسطاً قليلاً من الراحة. فوافقوا. وطول الليل سمعت الرجل يقول: ليتني كنت آمنت باليسوع! ليتني كنت آمنت بعيسى! وأخيراً مات على هذه الحال."

هل تبغي أن تنتهي حياتك بهذه الطريقة المؤسفة؟ أتمنى من قلبي أن يكون ردك: "لا، بل إني أريد أن أسلم حياتي للمسيح الآن وعلى الفور". إن فعلت ذلك يا أخي سترى معنى السلام الحقيقي والفرح الذي لا يمكن لظروف أو مشاكل أن تنزعه منك.

بعدما تراسلت بعض الوقت مع شاب في نيجيريا بشأن فداء المسيح لنا، كتب لي خطاباً يقول فيه:

"لدي بعض الأسئلة التي تحيّرني: هل مات عيسى بإرادته أم فرض عليه أن يفعل ذلك فكان مُجبراً رغمما عن أنفه؟ وكيف يمكن أن يموت إنسان بدلاً عن آخرين لأنهم أذنبو في حق الله تعالى؟"

سؤالان معقولان من شاب مسلم عمره 16 سنة ويريد معرفة الحق. السؤال الأول يقول: هل مات عيسى بإرادته؟ والجواب: نعم، بكل تأكيد. إنه مات بإرادته، لم يجبره أحد أن يفعل ذلك. لقد اختار هو بنفسه هذا الطريق؛ طريق التضحية من أجلنا. قيل آلامه طوعاً. كان سير الأحداث في قبضته هو. كان له مطلق الحرية أن ينقذ نفسه، لكنه اختار أن يتألم ويموت من أجلنا. إن الوهية المسيح هي التي جعلت بطولته في القمة، فوق متناول أي شهيد قبله أو بعده. هو الوحيد الذي كانت له القدرة والسلطة أن ينقذ نفسه في أي لحظة، في أي مرحلة من مراحل آلامه وعذابه. ولكنه

رفض ورفض تماماً. كل هذا أضاف إلى شدة الألم أكثر مما نقدر نحن أن نفهم. أما بشأن السؤال الثاني من هذا الشاب، فإني الآن بعد أكثر من خمسين سنة وأنا أتبع عيسى وأؤمن بكلامه وأحبه وأنادي برسالته، فإني ما زلت في أشد العجب والدهشة مما فعله من أجلي ومن أجل كل البشر. نحن لا نستحق هذا الإحسان الكبير والمعرف العظيم والرحمة والفضل والنعمة التي قدمها عيسى لنا.

أنا منذ يوم آمنت به وأسلمت له وتوكلت عليه، وجدت فيه الفادي المجيد الذي ضحى بنفسه على الصليب من أجلي ومن أجل كل الناس. إن الفداء هو أهم عمل لل المسيح. إنه مات لكي يفدي البشر، وبقوة هذا الفداء يُكَسِّرُ سلاسل الأسرى، ويُحْطِمُ أغلالَ الْأَذَلَاءِ، ويحرر المذنبين من ذنبهم، والأشقياء من شقائهم، ويفتح العين التي أعمها الشر، والأذن التي سَدَّها الإثم، ويشفي من المرض، ويبرأ من السقم، ويسمو بالرجلة، ويرفع مكانة المرأة، ويبارك الطفولة.

بسبب موت المسيح على الصليب وقيامته من الموت، نجد الآن كما في كل العصور الغابرة، ألفاً مؤلفة، بل ملايين ومئات الملايين من أتباعه الحقيقيين الأمباء الذين يعبدونه ويحبونه ويعملون بتعاليمه ويسيرون في خطاه. إنهم يؤمنون به علينا في بغداد وبيروت وعمان والخرطوم والقاهرة ونيويورك ولوس أنجلوس وساو باولو وبرلين ولندن وجوهانسبرج وجاكرتا وكوالا لامبور وكالكتا ومانيلا وغيرها، ويؤمنون به سراً في الدار البيضاء والجزائر والرياض ومكة وبنغازي والكويت والبحرين وطهران وبيجينج وغيرها!

قال أكيليس⁵⁰ الشاعر اليوناني في قصته "بروميثيوس المقيد": "لا تنتظروا خيراً لهذا العالم ما لم ينزل إلى أرضنا شخص رفيع عجيب يحمل عن البشرية آلامها ومعاصيها". وفي المسيح تمت هذه الرغبة، وجاءنا شخص رفيع عجيب وفعلاً حَمَلَ على الصليب آلام البشرية ومعاصيها.

الصليب هو أعظم تضحية ممكنة. العالم اليوم يفضل السرور والملذات على التضحية. قال المسيح: يجب أن أموت. والعالم يقول: أعطني حياة هنية مملوءة بالراحة والمتعة واللذة.

إن قدرة الله وجلاله ومجده وسموته تتضح لا في أنه يُعظّم نفسه ويحط من مكانة الإنسان، بل في أنه يتواضع من أجل الإنسان. تظهر عظمة الله لا في أنه يستخدم جبروته الفائقة ليحطم ويُفْنِي كل الذين يعارضونه ويقاومونه، بل في أنه يُخفِي قوته ويُظهِر نعمته، يُخفِي جبروته ويُظهِر فضله وحنانه وإحسانه لمن لا يستحقون. ذات مرة قال موسى لله: "أَرِنِي جلالك". فَقَالَ اللَّهُ: "أَمْرُ أَمَامَكَ بِكُلِّ جُودِي". إذن لم يقل الله تعالى لموسى: "أمر أمامك بكل قدرتي وقوتي وجبروتي وجلاي وقداستي". لا! بل "أمر أمامك بكل جودي". إن جلاله واضح في جوده، وقدرته ظاهرة في حنانه.

لي صديق كان يعمل رجل شرطة في مدينة كبيرة في الغرب. ذات مرة جاءه أمر عاجل باصطحاب فرقته في سيارة الشرطة، والاتجاه فوراً إلى دار سيدة عجوز تسكن بمفردها، لإنقاذها من خطر جسيم. وصل صديقي مع رجاله ودقوا جرس الباب ولكن لم يَرُدَّ أحداً. طرقوا بشدة، فلم يكن من محيب. اتصل صديقي بمركز قيادة شرطة المدينة، فعرّفوه أن الخطر ما زال موجوداً، وأن السيدة ما زالت تتصل بهم وهي في ذعر وفزع.

تسلق صديقي حائط الدار، وأخذ يسير فوق السقف لعله يجد مكاناً ينزل منه إلى داخل الدار. ولكن للأسف، فجأة هوى به السقف، وسقط الرجل إلى داخل الدار وبه إصابات جسيمة. وهنا المأساة، فقد كانت الإصابة خطيرة لدرجة أن الأطباء وضعوا له دعامة من الحديد داخل ظهره، واضطرب أن يتوقف عن العمل نهائياً، وأصبح وهو في سن الأربعين يسير بمساعدة عكاز يستند عليه.

حين أتذكر ما حدث لصديقي أتالم كثيراً وأحزن لما أصابه. ولكن في نفس الوقت عزائي هو أن هذا الرجل الشهم كان يؤدي واجبه كمواطن صالح يحاول إنقاذ سيدة عجوز.

هذا مثال عظيم للتضحية. ومع ذلك فربما لو كان صديقي قد علم مسبقاً بما سيجري له لكان قد تردد كثيراً بل ربما كان يتمتنع عن أن يتسلق إلى سقف الدار ويمشي عليه.

في القديم كانت التجارة تعتمد على تبادل السلع. فكان الناس يتداولون ما عندهم أو ما ينتجونه للحصول على معيشتهم. فمثلاً أنت تعطيوني ثوباً نسجته وأنا أصنع لك حذاءً. جارك يعطيك حبوبًا وغلالًا من حقله وأنت تعطيه خروفاً من غنمك. ولكننا لم نسمع أبداً عن مبادلة تشبه ما عمله المسيح على الصليب. إنه أخذ الموت عني وأعطاني الحياة. "أخذ غضب الله الذي لم يكن بإمكانى احتماله أو مواجهته. كما أنه صدّ عني العدو الذي لم يكن بإمكانى أن أغليبه".⁵¹ هذه مبادلة عجيبة تملأ القلب فرحاً وعزاءً. المسيح اختبر الموت لكي نختبر نحن الحياة. أخذ كل عيوبنا وذنبينا وأعطانا كل ما يتمتع به من صلاح وقداسة وحياة.

الصلبي يُبَيِّن بوضوح مدى حبّة الله تعالى لنا نحن البشر كما قال سيدنا عيسى: "أَحَبَّ اللَّهُ كُلُّ النَّاسِ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ بَدَأَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِيَكُنْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ يَنَالُ حَيَاةً الْخُلُودِ".⁵² لو أمكنني أن أفكّر في مئة شيء يبين حبّة الله لنا أو ألف شيء أو مليون شيء، ولا واحد منها يعادل الصليب! موت المسيح على الصليب هو أسمى آيات الحبّة. لا توجد حبّة أسمى من هذا. وهذا هو معنى رسالة عيسى، أن الله أحبنا حبّة عميقه وافرة لدرجة أنه ضحي بأعزّ من له، عيسى المسيح. لذلك لن يمكنك أن تدرك معنى حبّة الله لك، حتى تفهم معنى موت المسيح من أجلك، كما يقول الكتاب: "بِهَذَا

نَعْرِفُ مَا هِيَ الْمَحَبَّةُ الْحَقِيقَيَّةُ: إِنَّ عِيسَى الْمَسِيحَ صَحَّى بِنَفْسِهِ مِنْ أَجْلِنَا.^١ ويقول أيضاً: "الْمَسِيحُ فَدَائِنَا بِدَمِهِ وَغَفَرَ ذُوْبَنَا."^٢ إن محبة الله لك هي محبة باذلة مضحية، سخية كريمة. تَلَفَّتْ حولك فَتَرَى النَّاسُ خائفيْنَ مِنَ اللَّهِ. ادرس الأديان، تجدّها تعبر عن الله يتربص للناس، ليلاقيهم ويتنتّم منهم. تعمق في البحث، تجد إلهًا لا يُبالي بك، إنه يطالب بالعدل والعمل الصالح، ولكنه بعيد لا يهتم بما أنت فيه، لا يتحرك لمشاكلك ومتاعبك وما سيك وبؤسك! ثم اقرأ الإنجيل تجد الله قريباً حبيباً، صديقاً حميماً، أبو رُؤوفاً: الله محبة. أحب الله كل الناس لدرجة أنه بذل ابنه الوحيد. ومع أن كثيرين يرفضون الله ويرفضون أن يؤمنوا به وبوعيسي المسيح الذي جاء من عنده، لكنه ما زال يحبهم! لا يقل مفعول محبة الله بسبب عنادك ولا يضيع تأثيرها لأنك ترفض أن تؤمن بوعيسي. إنها محبة أبدية. لا تتغير. لا تنطفئ حرارتها. لماذا الصليب؟ لأن الله يحب الخطاطئ محبة لا نهاية لها، وأن الله يكره الخطيئة كراهية لا نهاية لها. إذن ليس الدافع الأول والأهم في الفداء هو أن الله كان غضباناً غضباً شديداً لدرجة أنه لم يمكن أن يرضيه شيء إلا ضحية عظيمة هي المسيح! لا! بل هو أن الله محب ودود ورحيم، ولا شيء يمكن أن يعبر عن حبه أقل من ضحية عظيمة هي تضحية ابنه القدس بنفسه. عيسى جاء لهذا القصد. كان لا بد أن تكون الضحية عظيمة لتعبر عن محبة الله العظيمة! لذلك يقول الكتاب الشريف: "لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَفْدِي أَخَاهُ، وَلَا أَنْ يُقْدِمَ لِلَّهِ فِدْيَةً عَنْهُ. لَأَنَّ فِدَاءَ التَّفْسِيسَ بَاهِظُ الشَّمْنِ، لَا سَيِّلَ لِلْحُحُصُولِ عَلَيْهِ".^٣

بموت عيسى على الصليب عمل ما لم نقدر نحن أن نعمله، وهو أن ينقذنا من ذنبينا، ويشفينا من تسمم الدم الروحي، ويقربنا إلى الله. يقول الإنجيل الشريف:

^١ 16:3 يو

^٢ 7:1 أف

^٣ 8-7:49 مز

"لَأَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الذُّنُوبِ، الصَّالِحُ مَاتَ مِنْ أَجْلِ الْأَشْرَارِ، لِيَنْ يُقْرَبَنَا إِلَى اللَّهِ. فَمَاتَ بِجِسْمِهِ الْبَشَرِيِّ لَكِنَّهُ قَامَ حَيًا بِالرُّوحِ".^١ ويقول الإنجيل أيضاً: "وَهُوَ نَفْسُهُ حَمَلَ ذُنُوبَنَا فِي جِسْمِهِ عَلَى الصَّلِيبِ، لِيَنْ تَمُوتَ نَحْنُ بِالنَّسْبَةِ لِلذُّنُوبِ وَنَحْيَا لِلصَّالِحِ. بِجُرْوِحِهِ شَفِيتُمْ. لَأَنَّكُمْ كُنْتُمْ مِثْلَ عَنَّمِ ضَالَّةٍ، لَكِنَّكُمُ الآنَ رَجَعْتُمْ إِلَى رَاعِي نُفُوسِكُمْ وَحَارِسَهَا".^٢ موته من أجلنا ألغى الذنب الذي علينا. كفر لنا عن معاصينا.

بعد حياة بعيدة عن الله وعن الإيمان بال المسيح، قال شاعر ألماني وهو يموت: "الله سيغفر لي، لأن هذه مهنته".⁵² للأسف كان الرجل على خطأ فاحش خطير. ليست مهنة الله الغفران السائب الاعتباطي الذي بلا قواعد. لا! بل كلفه الغفران ثمناً كبيراً باهظاً هو موت وحبيبه وحبيبه عيسى المسيح على الصليب. لكي يغفر الله لنا كلفه هذا موت المسيح أبغض ميته، على الصليب، أبغض أنواع الإعدام في ذلك العصر وأقبحها وأفضحها وأحقرها وأدنها. إذن كان ذلك الرجل على خطأ كبير. كان يرجو شيئاً لا يمكن نواله بغير الإيمان الحق بال المسيح والاتكال على فدائه.

قبل أن يولد المسيح سمي بالعبرية "يشوع" ويعني الله ينقذ. وعيسى هو تعريب هذا الاسم. فلما مات عيسى على الصليب حقق الله بذلك معنى هذا الاسم، الله ينقذنا نحن البشر من ذنوبنا ومن عبوديتنا للشيطان، ومن الموت الرهيب.

قرأت قصة عن رجل صيني كان يخرج في الصباح الباكر ويجلس في الحديقة أمام النهر ليقضي وقتاً هادئاً هناك. وذات مرة لاحظ الرجل عقرباً تسير على ضفة النهر ولكن فجأة سقطت في الماء وجرفها التيار وبدأت تغرق. أخذت تكافح وتجاهد لتنجو من الماء ولكن دون جدو. نظر الرجل بعطف إلى الحشرة التي على

^١ 18:3 بط

² 25-24:2 بط

وشك الغرق، واتجه إلى شجرة قريبة تمتد بعض أغصانها إلى النهر، ومدد نفسه على أحد أغصانها ومد ذراعه إلى آخرها لينقذ العقرب من الغرق. ولكن بمجرد أن لمس الحشرة لدغته في يده لدغة أليمـة. وبطريقة طبيعية سحب الرجل يده بسرعة من صدمة اللدغة ومن الألمـ. ولكن بعد لحظة، فيها استرجاع توازنه، مد يده مرة ثانية لينقذ العقرب. ولكن في هذه المرة لدغته عدة مرات حتى إن السم بدأ يسري في جسمـه، وتورمت يده بسرعة، واقشعر بدنـه، وتلوي وجهـه من الألمـ.

في تلك اللحظة كان شاب يعبر الحديقة في ذلك المكان، ورأى ما عملـه الرجل فصرخ إليه: "ماذا بك أيها الرجل؟ ماذا تعملـ؟ هل تقتل نفسـك لتنقذ عـقربا؟ هل تصحي بنفسـك لتنقذ حشرة بشـعة ضـارة؟ أنت على وشكـ أن تموت لتنقذ عـقربا لا تعرف بالجميلـ؟" وهنا كانت الحشرة قد تعلقت بـيدـ الرجلـ، ففاضـها إلى البرـ بعيدـا عن العـقربـ ثم أدار رأسـه وهو مـددـ على غـصنـ الشـجـرةـ وقد بدأـ السمـ يـقتـلهـ فـعلاـ، وقال للـشابـ: "يا صـاحـبيـ! صـحـيـحـ، إنـ منـ طـبـيـعـةـ العـقـرـبـ أـنـ تـضـرـ وـتـلـدـغـ بـالـسـمـ، ولكنـ هذاـ لاـ يـغـيرـ منـ طـبـيـعـيـ أـنـ أـنـقـذـ وـأـنـجـيـ!"

هذه القصة هي مثل رائع يقرب لأذهاننا ما عملـه سـيدـنا عـيسـىـ معـناـ. نـحنـ كـتـلـكـ الحـشـرـةـ نـضرـ وـنـبـثـ السـمـ وـلـاـ نـعـرـفـ بـالـجـمـيـلـ، وـهـوـ جـاءـ لـيـنـقـذـنـاـ. وـلـكـنـ لـكـيـ يـتمـ ذـلـكـ، قـتـلـهـ سـمـ الـخـطـيـئـةـ الـذـيـ فـيـنـاـ عـلـىـ غـصـنـ شـجـرـةـ الـصـلـيـبـ! يـقـولـ الـبعـضـ الـيـوـمـ: "لـمـاـ يـفـعـلـ عـيـسـىـ هـذـاـ؟ إـنـ الـحـشـرـةـ الـتـيـ حـاـوـلـ أـنـ يـنـقـذـهـاـ قـتـلـتـهـ!" هـؤـلـاءـ هـمـ مـثـلـ ذـلـكـ الشـابـ الـذـيـ كـانـ يـعـبـرـ الـحـدـيـقـةـ، يـرـؤـونـ عـيـسـىـ مـعـلـقاـ عـلـىـ الـصـلـيـبـ! يـقـولـونـ: "لـمـاـ خـاطـرـ بـنـفـسـهـ مـنـ أـجـلـ الـإـنـسـانـ الـقـبـيـعـ غـيرـ الـمـعـرـفـ بـالـجـمـيـلـ؟" وـهـنـاـ يـرـدـ عـيـسـىـ عـلـىـ هـؤـلـاءـ وـيـقـولـ: "يـاـ صـاحـيـ! إـنـ مـنـ طـبـيـعـيـ أـنـ أـنـقـذـ وـأـنـجـيـ، وـكـونـ الـإـنـسـانـ يـضـرـ وـيـؤـذـيـ وـيـجـرـحـ لـاـ يـغـيرـ مـنـ طـبـيـعـيـ!"

على الصـلـيـبـ قـدـ عـيـسـىـ نـفـسـهـ ضـحـيـةـ مـنـ أـجـلـ لـيـنـقـذـنـيـ. هـوـ فـدـانـيـ.

نتائج الفداء

هناك نتائج عديدة للفداء. في الحقيقة توجد كتب بكمالها تتحدث في موضوع نتائج الفداء، ولكنني اخترت أهمها هنا وهي: غفران، نجاة، حياة، شفاء، حرية، نصر.

غفران

لأن المسيح مات مكانني، لذلك غفر الله خططيتي. كان محکوماً عليه بالموت بسبب المعصية التي ارتكبها في حق الله تعالى، لكن جاء سيدي عيسى وأخذ العقاب عني، نال عقاب الذنب بدلاً مني، وغفر لي وأطلقني بريئاً. أزال عني خططيتي. كسر شوكة الذنب التي كانت تعذبني. قهر الشيطان. فأصبحت مغفور الذنب!

رجل غني واسع الثراء سار ابنه في طريق أعوج. نصحه أبوه فرفض النصيحة. وأخيراً هدد الأب ابنه بأنه إن لم يُقوم طريقه ويعتدل في سلوكه سيطرده من داره ويحرمه من ميراثه. لم يعتدل الابن ولم يتعظ، فطرده أبوه. وبعد فترة من الزمن مرض الابن بمرض خطير وأوشك أن يموت، ولم يعلم أبوه بذلك. ولكن جاء أحد أصدقاء العائلة ليخبر الأب بحال ابنه، فبدأ وقال: "كنت أزور يوسف بالأمس و..". وهنا قاطعه الأب وقال: "إن كنت قد جئت يا سيدى لتحدثنى عن ذلك المجرم فإني أسألك أن تخرج من هنا، لأنك ليس ابني". قال الزائر: "يا سيدى، نعم جئت لأحدثك عنه لأنك لن يعيش طويلاً فهو مريض جداً، وتركته على حافة الموت". وهنا تغير موقف الأب، وقال: "يوسف مريض، وأنا لا أعرف؟" ذهب الأب فوراً إلى ابنه وانحنى بجوار فراشه وطوقه بذراعيه. قال الابن: "يا أبي، من فضلك سامحني". قال الأب وهو يبكي: "يا يوسف يا حبيبي، إني سامحتك على كل شيء!"

في قصة الأب الغفور التي رواها لنا سيدنا عيسى المسيح، ترك الشاب العاق المتمرد دار أبيه وراح إلى مكان بعيد ليتمتع بالحرية، ويعبث كما يشاء بعيداً عن قيود

الأسرة ومطالب المجتمع. باع ذلك الشاب نصيبه من الميراث والأملاك، وجمع أمواله وذهب. لكن للأسف، بعدها بدأ كل ثروته في عيشة الإسراف والبذخ وشعر بالجوع والفقر والمذلة، عمل خادما عند رجل من أهل البلاد لكي يمكنه أن يجد ما يقتات به. وأخيرا بعد كل ذلك الهوان قرر أن يرجع إلى أبيه ويطلب منه العفو والمغفرة. تقول القصة إنه حتى وهو ما زال بعيدا عن الدار رآه أبوه فجرى إليه وقبله.

أخي، إني أحمل إليك أجمل خبر، أسعد نبأ يمكنك أن تسمعه، إن الله مستعد أن يغفر لك كل ماعملته من ذنب من أجل المسيح! والآن ما عليك إلا أن تطلب منه السماح والصفح.

يتحدث النبي ميخا عن صفح الله تعالى وغفرانه فيقول: "لَا إِلَهَ مِثْلُكَ يَا رَبُّكَ أَنْتَ تَصْفُحُ عَنِ الذَّنْبِ وَتَغْفِرُ الْمَعْصِيَةِ... وَلَا تَحْتَفِظُ بِالْعَصْبِ إِلَى الأَبَدِ، بَلْ يَسْرُكَ أَنْ تَرْحَمَ". تَشْفِقُ عَلَيْنَا مَرَّةً أُخْرِي، تَدْوُسُ دُنُوبَنَا، وَتَرْمِي كُلَّ مَعَاصِينَا فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ.^١

من المهم هنا أن نفهم معنى غفران الله. حين يغفر الله لنا، فهذا: لا يعني أن الله يوافق على المعصية التي ارتكبناها. حين غفر المسيح للمرأة التي ضبطت في المنكر، لم يوافق على ما فعلته، بل قال لها: "إِذْهِي وَلَا تَرْجِعِي إِلَى الْخَطِيئَةِ".^٢ لا يعني أنه يتسم لنا الأعذار لارتكابنا المعصية.

لا يعني أنه ينكر أننا ارتكبنا الخطيئة أو يقلل من خطورتها. لا يعني أنه يغفينا من كل نتائج الخطيئة. ربما في رحمته يغفينا من بعضها. إنما غفران الله:

يعني أن الله يسامحنا على الذنب الذي ارتكبناه. يقول الكتاب الشريف إن الله: "سَامَحَنَا عَلَى كُلِّ دُنُوبِنَا، وَأَلْغَى السَّنَدَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوبًا ضَدَّنَا، بِكُلِّ مَطَالِيْهِ الَّتِي كَانَتْ

فِي غَيْرِ مَصْلَحَتِنَا، وَأَزَّاهُ تَمَامًا بِأَنْ سَمَّرَهُ عَلَى الصَّلِيبِ. وَبِالصَّلِيبِ انتَصَرَ الْمُسِيحُ عَلَى الْحَكَامِ وَالْقَادِئِ الدِّينَ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ، وَتَزَعَّ عَنْهُمْ سِلَاحُهُمْ وَسَاقَهُمْ أَذِلَّةً فِي مَوْكِبِهِ الظَّافِرِ.^{٥٣}

وَحِينَ يغْفِرُ لَنَا فَهُوَ لَا يُوْجِنُنَا عَلَى ذَلِكَ الذَّنْبِ فِيمَا بَعْدٍ. لَأَنَّ مَوْضِعَ الذَّنْبِ رَاحَ وَانْتَهَى. "تَرَكْتُكَ لَخَفَّةً، وَبَحَثَانِ عَمِيقٍ أَرْجَعُكَ. بَعْصُبٌ هَائِيجٌ حَجَبْتُ وَجْهِي عَنْكِ لَخَفَّةً، وَبِإِحْسَانٍ أَبَدِيًّا أَرْحَمْتُكَ... فَالآنَ حَلَفْتُ أَنْ لَا أَعْصَبَ عَلَيْكَ وَلَا أَوْجَحَكَ. فَقَدْ تَرَوْلُ الْجِبَالُ، وَتَنْتَقِلُ التَّلَالُ مِنْ مَكَانِهِ، أَمَّا رَحْمَتِي لَكِ فَلَا تَرَوْلُ، وَمِيشَاقِ الْذِي يَضْمِنُ لَكِ السَّلَامَ لَا يَتَنَقِّلُ عَنْكِ. قَالَ اللَّهُ الَّذِي يَرْحَمُكَ."^ب

وَحِينَ يغْفِرُ اللَّهُ لَنَا فَهُوَ لَا يَعُودُ يَذْكُرُ ذُنُوبَنَا، وَلَا يُمسِكُهَا عَلَيْنَا.^ت

تصوَّرْ أَحَدُ الْكُتُبِ حَدِيثًا جَرِيَ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمَرِيمَ الْمَجْدِلِيَّةِ الَّتِي كَانَ عِيسَى قَدْ طَرَدَ مِنْهَا شَيَاطِينَ. قَالَ الْكَاتِبُ فِي رِوَايَتِهِ إِنَّهُ ذَاتَ مَرَةَ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَفِسِرُ مِنَ الْمَجْدِلِيَّةِ عَنْ بَعْضِ الْأَمْورِ الرُّوحِيَّةِ. فَقَالَتْ لَهُ مَرِيمٌ: "صَنَعَ الرِّجَالُ مَجْدِلِيَّ الْأَمْسِ، وَاسْتَطَاعَ عِيسَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهَا مَجْدِلِيَّ الْيَوْمِ!" قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "مَاذَا تَقْصِدُنِي بِهَذِهِ الْفَلْسَفَةِ الْغَرِيبَةِ يَا مَرِيم؟ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ مَجْدِلِيَّ الْأَمْسِ وَمَجْدِلِيَّ الْيَوْمِ؟" قَالَتْ لَهُ: "هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، بَيْنَ الظَّلْمَةِ وَالنُّورِ. كَانَتْ مَجْدِلِيَّ الْأَمْسِ تَحْرِقُ بَنَارَ الْجِحَمِ، بِلَا رَجَاءٍ، تَعْذِبُهَا الشَّيَاطِينُ، نَفْسًا تَعِيْسَةٌ يَائِسَةٌ فَاشِلَةٌ لَا تَعْرِفُ اللَّهَ. لَكُنُّهَا مَاتَتْ لَمَّا قَابَلَتْ عِيسَى. وَكَانَتْ السَّكِينُ الَّتِي قَتَلَتْهَا هِيَ كَلْمَةُ غَفْرَانٍ مِنَ الْغَفُورِ الرَّحِيمِ، فَإِنِّي لَمَّا سَمِعْتُهُ يَقُولُ لِي، "اَذْهِبِي، وَلَا تَرْجِعِي إِلَى الْخَطِيئَةِ"، بَعَثَتْ كَلْمَاتَهُ فِيَ الرَّجَاءِ وَالْأَمْلِ وَإِشْرَاقِ صَبَحٍ جَدِيدٍ. فَأَنَا الآنَ مَرِيمُ الْجَدِيدَةِ، مَرِيمُ الَّتِي سَاحَهَا عِيسَى، مَرِيمُ الَّتِي رَفَعَ عَنْهَا الْفَادِي خَطِيئَتِهَا!^{٥٣}"

^أ كُو 2:13-15

^ب إِش 54:7-10

^ت إِش 43:25؛ عَب 8:12؛ 10:17

هل تستحق أن تكون هذه هي قصتك أنت أيضا؟ هل تريده أن تحصل على غفرانه وصفحه؟ إنه مستعد أن يسامحك. هذه المعمة هي لك، نعمة الغفران والصفح والبراءة من كل خطأ ارتكبته، وكل إثم اقترفته، وكل معصية عملتها، وكل شر فكرت فيه، وكل صلاح تركته، وكل خير تخاشيته، وكل معروف لم تصنعه. هذه هي خطة الله المباركة العجيبة! هذه هي الخطة الإلهية السامية، التي دبرها بحكمته ومحبته ليطلقك حرا... فيسخط النور في فكرك، وتشرق الشمس في قلبك. ينطلقك من اليأس إلى الأمل، من الظلم إلى النور، من التعاسة إلى السعادة، من الأرض إلى السماء، من الجحيم إلى النعيم، ومن الموت إلى الحياة.

قرأت قصة عن أمير غني أرسل المنادي في بلاده يقول: "أسأمك كل شخص عليه دين لي إن كان يأتي إلى قصري يوم السبت القادم من الساعة الثامنة حتى الساعة العاشرة صباحاً. ويجب على كل واحد أن يحضر معه الأوراق التي تُبيّن مبلغ الدين الذي عليه".

سمع الناس هذا الكلام الغريب وبدأوا يتحدثون بينهم. قال البعض: "هذا غير معقول. لا بد أن الأمير عنده حيلة ضدنا. إنه ماكر وأمكر الماكرين!" وقال آخرون: "كيف يسامحنا على كل هذه الديون التي علينا؟ نحن لا نصدق هذا".

ولما جاء اليوم المحدد، تجمهر الناس أمام القصر ودخلوا في نقاش وجداول طويل بشأن هذا الموضوع. ثم حانت الساعة الثامنة، ولم يدخل أحد. ومضى الوقت وفي الساعة التاسعة والنصف، أي قبل نهاية الموعد بنصف ساعة، جاء رجل عجوز وامرأته، وفي يده الأوراق التي تبيّن ما عليه من دَيْن، ولكنه لم يتوقف مع الآخرين، بل دخل إلى القصر مباشرة. وفي القصر قال الأمير لكاتبته أن يعطي الرجل مستندًا ينص على أنه تم سداد الدين كاملاً. شكر العجوز الأمير على رحمته وكرمه وإنعامه عليه، وقال: "الآن سأخرج لأنثبت للآخرين أن كلامك صادق يا مولاي". لكن الأمير قال:

"لا! لن تخرج الآن. بل ستخرج حين تدق الساعة العاشرة وتنتهي الفرصة. إنك جئت لأنك وثقت فيَّ وفي كلامي. أنت آمنت بأن كلامي حق ووعدي صادق. وهم يجب أن يؤمنوا بكلامي ووعدي بنفس هذه الطريقة." وفي الساعة العاشرة خرجت المركبة تحمل الأمير، وخرج وراءه العجوز وهو يصرخ بأعلى صوته: "بارك الله فيك يا مولاي الأمير. الآن يمكنني أن أموت بلا دين علىَّ". جرى الآخرون وراء مركبة الأمير وهم يصرخون ليسامحهم على ديونهم هم أيضاً. ولكنه رفض وقال: "أنتم رفضتم أن تصدقوه كلامي، والآن ضاعت الفرصة."

هذه قصة بسيطة ولكنها في الحقيقة تبين أن المسيح يغفر لنا لأنَّه رحيم ومحب ومنعم. هو الفادي الذي ضحي بنفسه من أجلنا على الصليب. فإنْ كنت تؤمن بعيسى، يغفر لك ويسألك. أما إنْ كنت ترفض أنْ تؤمن بعيسى، فاللهم يقع عليك وحدك. يقول الإنجيل: "لَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا، لَأَنَّهُ وَنَحْنُ مَا زِلْنَا مُذْنِبِينَ، مَا تَمَسَّكَ مِنْ أَجْلِنَا". إنَّ الله يسامحنا لأنَّ الفادي الكريم مات من أجلنا، دفع الشمن بدلاً عنا. ويقول الوجي أيضًا: "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْخَلْ عَلَيْنَا بِأَيْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ مِنْ أَجْلِنَا حَمِيعًا، فَكَيْفَ لَا يُعْطِينَا مَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ أَيْضًا؟" ^أب فبموجب المسيح على الصليب، الرحمة والحق تقابلاً، الصلاح والسلام تعانقاً.

ما هي الخطية؟

الخطية هي أي تقصير تجاه شريعة الله، سواء بالعمل أو الفكر أو الطبع (أي الطبيعة البشرية والغرائز). والكتاب الشريف يستخدم للخطية عدة أسماء منها: الشر والإثم والمعصية والذنب. ويمكن تعريف الخطية بطرق مختلفة من ضمنها:

^أ رو: 5: 8

^ب رو: 8: 32

هي تعدى الحدود التي وضعها الله تعالى.^أ

هي مخالفة كلام الله وعصيائه.^{بـ}

هي العجز عن بلوغ الهدف الذي من أجله أوجد الله الإنسان.^{تـ}

هي الخطأ الناتج عن الجهل.^{ثـ}

أخطر شيء هنا هو أن الخطيئة هي ضد الله، لأنها تتضمن التعدي على قوانين الله، والتمرد ضده تعالى، وعصياني أوامرها. ولهذا قال يوسف لزوجة فوطيفار: "كَيْفَ أَرْتَكِبُ هَذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأَخْطِئُ إِلَيْهِ؟"^{جـ} ولهذا أيضا قال داود: "أَخْطَأْتُ فِي حَقِّكَ، فِي حَقِّكَ أَنْتَ وَحْدَكَ، وَفَعَلْتُ مَا هُوَ شَرٌّ فِي نَظَرِكَ."^{حـ} كما يمكن أيضا أن نقول إن الخطيئة هي إهمال الله والابتعاد عنه ونسيانه، فلا يكمن هو مركز حياتنا وتدبيراتنا. والخطيئة ليست مجرد عمل السيئات. لا تظن أن الخطيئة هي ارتكاب المعصية والشر في الظاهر فقط. بل هي كل فساد في القلب والفكر والعواطف، مهما كان غير ظاهر للأ الآخرين.

هي أيضا عدم إصابة الهدف الذي خلقنا الله من أجله. يقول كتاب الله الكريم متحدثا عن مجتمع روما في القديم، وهو لا شك وصف صادق لمجتمعنا اليوم، إن الناس "عَرَفُوا اللَّهَ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يُمَجِّدُوهُ كَإِلَهٍ وَلَمْ يَحْمُدُوهُ، بَلْ اخْتَلَطَ فِكْرُهُمْ، وَأَظْلَمَ عَقْلُهُمُ الْغَيْيُ. يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ أَغْبَيَاءُ."^{خـ} نحن كلنا واقعون في

^{أـ} كور 10:9؛ 1:10؛ يو 3:4

^{بـ} إش 48:8؛ أسف 1:2؛ 3:1؛ 3:2؛ عب 2:3-2

^{تـ} رو 3:23

^{ثـ} عب 7:9

^{جـ} تك 39:9

^{حـ} مز 51:4

^{خـ} رو 21:22

الذنب والخطيئة والمعصية. "لَأَنَّ الْجُبِيعَ أَخْطَلُوا وَلَمْ يَتُلْعَوْا إِلَى مَا يُمَجِّدُ اللَّهُ".⁵⁴
 امرأة صالحة وصفت الخطيئة بأنها: "أي شيء يضعف تفكيرك وإدراكك، ويقلل من رقة وحساسية ضميرك، ويحجب شعورك بالله، أو يحرملك من لذة ومتعة الأمور الروحية. وباختصار، هي أي شيء يزيد قوة سلطان الطبيعة الدنيوية فيك فوق قوة سلطان الروح، فهذا بالنسبة لك هو خطيئة، مهما كان حسناً في ذاته".⁵⁴
 إن أكبر معصية يمكن أن يقع فيها الإنسان، هي أن ينكر جمال الله الذي اتضحت بكل جلاء في المسيح عيسى. نعم، أخطر معصية يرتكبها الإنسان هي أن يرفض الإيمان بفداء المسيح لنا على الصليب.

ما هي عواقب الخطيئة والمعصية؟

إن الخطيئة هي الحمى التي أصابت كل الناس، هي الوباء الذي انتشر في دم البشر من كل الأجناس. إنها سبب الجهل والفقر والذل والمهانة والضعف والمرض والموت. إنها تسلب الحياة جمالها وبهجهتها. إنها تُعمي البصر الروحي وتتشوه الرؤية. إنها تسلب الفضائل، وتهتك الأعراض، وتُتَلْفُ الأخلاق، وتلطم بالعار الأفراد والعائلات والشعوب. الخطيئة نجست حياتي. ملأت قلبي وفكري بالقاذورات. جعلتني دنيئاً في أهوانِي، حيوانياً في شهواتي، أرضياً دنيوياً في آماتي.

هل أنت مكبل بسلاسل العادات السيئة؟ هل أنت فريسة للغم والهم والوحدة والوحشة والكآبة والخوف؟ هل أنت مثقل بالشعور بالذنب وثورة الضمير؟ كل هذا بسبب المعصية والذنب والخطيئة. وإن ما تحتاج إليه اليوم يا أخي ليس الأقراص المنومة ولا الأدوية التي تهدئ الأعصاب وتجعلك تنعس وتنام، بل أنت تحتاج في المكان الأول إلى غفران ذنوبك.

الخطيئة تذل الإنسان وتتعبه، وهي لا تقف على كبير أو صغير، لا على ملك أو حاكم. تتفاعل معك بطريقة خسيسة، وتمسك بأذيالك في عبودية قاسية. قد تبدأ بنظرة عابرة، ثم فكرة خطأ، ثم شهوة جامحة، ثم تدبر دنيء بشع، وعند ذلك تجد نفسك مكبلاً بقيود لا تستطيع أن تحطّمها وفي سجن لا يمكنك الفرار منه! وهذا هو تماماً ما حدث مع الملك داود. أغراه منظر امرأة تستحم. فدبّر فكرة وسار في طريق محروم. فاغتصب وزناً وقتل وخان، ولما حاول أن يكتم الأمر، فُضحَ وُكِشفَ. ثم جاءه رسول من عند الله يقول له: "أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ!"⁵⁵ أنت هو الرجل المذنب! أنت هو الرجل الذي زنيت وقتلت!

أخي أخاف عليك أن يواجهك يوماً هذا الحكم المخيف ويقول لك: "أنت هو الرجل، أنت هو الشاب الذي انسقت للشهوات والمعاصي! أنت هو الرجل الذي رفضت أن تستجيب لنداء حبة الله وعطفه وغفرانه! أنت هو الرجل الذي رفضت ذراعي عيسى المفتوحتين لك وصفحه وتضحيته من أجلك وإحسانه عليك!" كان الملك هيرودس مستعداً أن يضحي بنصف مملكته من أجل فتاةٍ رقصت أمامه وأعجبته، ومن أجلها ضحى برأس رجل مؤمن شهم كان يوبخ الملك لخلالته وأخلاقه الدينية. وكم من الناس ضحوا بشرفهم ومركزهم وما لهم وكرامتهم وصحتهم وعائلتهم من أجل لذة عابرة، فخسروا كل شيء هنا وخسروا أيضاً حياة الخلود في النعيم. إن أشباه هذا الملك هيرودس موجودون في عالمنا وفي مجتمعنا اليوم، وقد تكون أنت واحداً منهم يا أخي، ربما أنت واحدة منهم يا أخي. أخاف عليكم جميعاً لذلك أحذركم!

الله قدوس وطاهر. هو بديع القداسة وكامل الطهارة. لذلك فهو يكره الخطيئة ولذلك أيضاً هو يعاقب الذي يرتكبها. يقول الإنجيل الشريف: "إِنَّ غَضَبَ اللَّهِ مُعْلَمٌ"

مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ النَّاسُ مِنْ شَرٍّ وَفَسَادٍ، الَّذِينَ يُفَسَّادُهُمْ يَحْجُبُونَ الْحَقَّ.^{٥٦}
هو كامل ونحن غير كاملين. هو ظاهر ونحن نحسون.

قرأت عن رجل وجد ثعبانا صغيرا في حديقة منزله، فأخذه إلى داره ورباه واعتنى به وأطعمه، وكُوَّنَ معه صداقه طيبة وكان يلعب معه. فكَبَرَ الثعبان وكان يأكل من يد صاحبه ويُلتف حول ذراعه ورقبته وجسمه في ألعاب لطيفة. ذات يوم أخذه الرجل إلى المدينة ليُمْتَعَ الناسُ بألعابه مع الثعبان في استعراض هناك. تعجب الناس لِمَا رأوا الثعبان يلتف حول رقبة صاحبه ثم ينفك عنه. ورجع الرجل مع صديقه إلى الدار، ولكن فجأة وبلا إنذار أُنْشِبَ الثعبان أَسْنَانَهُ في يد صاحبه وبث سمه الميت. بعد ساعات قليلة مات الرجل بِسُمِّ صاحبه! أخي، إن كنت لا تتوب وتتأتي إلى المسيح فإن صداقتك مع الشر ستكون قاتلتك في يوم من الأيام.^{٥٦}

هناك عاقد رديئة وخطيرة للعصبية. لا تظنَّ أنه يمكنك الهروب من ذلك عن طريق بعض الفرائض التي تؤديها أو إحسان تقوم به. لا تظنَّ أنك تستطيع أن تتحاشي نتائج العصبية بذكائك أو تعليمك أو إمكانياتك الأخرى. تعال معي نرى بعض عواقب الخطيئة لعل ذلك يكون مقنعاً كافياً لك لتهرب منها!

لام في الدنيا

هل علمت لماذا لا يوجد سلام وهدوء وسكنية، لا في الدار ولا في العمل، لا مع الأهل ولا الجيران، ولا حتى مع الأصدقاء والأحباء؟ لماذا يتحارب الناس؟ قلوب منكسرة، آمال محطمة، عقول تائهة، عائلات مفككة، زيجات فاشلة، بيوت منقسمة، أخلاق في الخبيث، نظم اقتصادية فاشلة، نظم سياسية قاتلة، تمرد، خصم، عنف، حروب، مخدرات، سكر، جريمة، بطالة، فقر، جوع، مرض، انتحار... انتشر الفساد

وساد الشر. تعفن العقل البشري بالخطيئة. أصبح الناس يُعجبون بالشر، ويُشرّعون في الحرام، ويجعلون الخطأ قانوناً! يتخبطون في ظلام وجهل، كما يقول الكتاب الشريف: "أَنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَ شَيْئًا وَلَا تَفْهَمُونَ شَيْئًا، بَلْ تَسِيرُونَ فِي الظَّلَامِ بَيْنَمَا تَنْهَى أَسَاسَاتُ الدُّنْيَا".^أ ويقول أيضاً: "لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا وَلَا يَفْهَمُونَ شَيْئًا، عُيُونُهُمْ مُغَطَّاةٌ فَلَا تَرَى، وَعُقُولُهُمْ مُعَلَّقَةٌ فَلَا تَفْهَمُ".^ب ثم يقول إن الشيطان: "سَيِّدٌ هَذِهِ الدُّنْيَا أَعْمَى عُقُولَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ".^ت النظم العالمية، والديانات التي هي من صنع الناس، والفلسفات الخادعة، والمبادئ والشرائع التي من وحي الشيطان، قهرت النفس البشرية، وداست كرامة الإنسان في التراب.

صورة كثيبة محزنة، صورة رديئة مقبضة! لكنها صورة حقيقة واقعية - لا مبالغة فيها - لعلمنا الذي نعيش فيه اليوم. عالم مضطرب قليق يسير وراء قادة ضائعين تائهين!

والسبب في كل هذا هو المعصية! السبب هو الخطيئة!

طلب رجل صاحب أملاك من وكيله أن يزرع قمحاً في بعض حقوله، فراح الوكيل وزرع شيئاً! وبعد فترة لما طلع النبات وأثر، جاء صاحب الأرض ليتفقد حقوله. فتعجب لأنه وجد شيئاً. فسأل وكيله: "ألم أطلب منك أن تزرع قمحاً؟" لكن أجابة الوكيل: "نعم يا سيدي، وأنا زرعت شيئاً على أمل أن أحصد قمحاً!" لكن الرجل لم تعجبه هذه الإجابة. فقال له الوكيل الحكيم: "يا سيدي، كما أنه من غير المعقول أن أزرع شيئاً وأحصد قمحاً، فمن غير المعقول أيضاً أن تزرع الشر في حياتك لتحصد النعيم في الآخرة، بل ما يزرعه الإنسان يحصده أيضاً." وأنت يا صديقي، لا تخدع نفسك.

^أ مز 5:82

^ب إش 18:44

^ت كور 4:4

لماذا الضمير المعذّب؟ بسبب الخطيئة. قرأت قصة عن حاكم ظالم أمر بقتل رجل من رعيته كان يكرهه. وتم تنفيذ الأمر. ولكن بعد ذلك كان الحاكم يرى شبح القتيل يأتي إليه ويعذبه. واستمر هذا حتى أصيب الحاكم بالجنون، فكان يرى وجه الرجل المقتول في كل صحن يأكل فيه!

ربما قرأت أخي قصة مكبث.⁵⁷ في هذه القصة، يتصور مكبث أنه يرى الخنجر الذي قُتِّل به الملك دُنكان، فيهذبي ويحدث الملك الميت الذي كان قد دفن منذ زمن، وكل هذا أمام جمهور من القادة ورجال الدولة المجتمعين في حفل عظيم فيقول: "مياه كل البحار لا تستطيع أن تغسل يدي من هذا الدم! ماذا حدث؟ هل الملك دُنكان الذي خر صريعاً وفي رأسه عشرون جرحاً مميتاً، يُبعث اليوم حياً ليتهجم على عرشنا؟" وأنت أيضاً ربما هناك حِمْلٌ ثقيل يجثم على صدرك، يؤرقك ويقلق بالك. يزعجك ويعكر صفو حياتك. هذا الحِمْلُ الشقيُّلُ، أنت لا تعرفُ حقيقته وطبيعته ولا تقدرُ أن تعطيه اسمًا، لكنني أقول لك الحق إنَّه الخطيئة! أنت تقول إنك لم ترتكب شرًا فظيعًا مثل القتل والزنا والكفر وما إلى ذلك. حتى إن كنت لم ترتكب جرائم كبيرة، فكتاب الله الكريم يقول إذا نحن أخطأنا في أمر بسيط نكون قد كسرنا كل شرائع الله! مهما كانت الخطيئة صغيرة أو بسيطة في نظرك، فإنها تؤثر في كيانك بأكمله، روحًا ونفسًا وجسمًا. وقد أوضحتنا من قبل، إنَّ لم يكن الله هو مركز حياتك وأماملك فأنت ضائع! إذا لم تقبل عيسى ملكًا وربًا وهادياً ومنقذاً وفادياً ومخلصاً، فأنت هالك! حتى الدين أصبح حملاً ثقيلاً عليك! من المؤسف أن الناس حولوا الدين إلى حمل ثقيل يكسر الظهر. حولوه إلى واجبات وفرض وأحكام صعبة وثقيلة، فأصبحوا وكأنهم يحملون العربة التي كان يجب أن تحملهم. يصومون ويصلون ولكنهم لا يحصلون على سلام القلب وراحة الضمير! يُرِّكُون ويحسّنون ولكنهم لا يقدرون أن يشتروا الفرح الحقيقي الذي ينبع من النفس والرؤاد. وأصبح بعض رجال الدين قُسّاءً

بلا قلب ولا حنان! ولهذا تكونت عند الناس فكراً مغلوطة عن الله تعالى. فهم يتصورونه إنها قاسياً أو كرجل الشرطة، يتربص لمن يعم الخطاً أو يسير وراءه بعضاً ليعاقبه. قال عيسى في هذا المجال: "يَا عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ، الْوَيْلُ لَكُمْ! فَأَنْتُمْ تُحَمِّلُونَ النَّاسَ بِأَهْمَالٍ ثَقِيلَةٍ، وَلَا تُحْرِكُونَ وَلَوْ إِصْبَاعًا لِتُسَاعِدُوهُمْ".¹¹

يظن البعض أن التدين هو الحل لمشاكل الإنسان! لكن ما أشر ما نلاقي من متدين عنيد ضيق الفكر! إن الكثير من المتدينين اليوم يرتكبون أشر الجرائم، مثل القتل والعنف والإرهاب، تحت ستار الدين. فالتدين ليس هو الحل لمشكلة الذنب. فداء المسيح لنا على الصليب هو الحل.

ويظن البعض أن التعليم هو الحل. تُتفق الحكومات أموالاً طائلة لتعليم النساء. يُقيمون المدارس ويشيدون المعاهد والجامعات. ومع ذلك تزيد الجرائم. أنا لا أُغيب في التعليم، فالتعليم نافع ومهم. لكنني أقول إنه ليس هو الحل لمشكلة الذنب في قلب الإنسان.

يظن البعض أن حل مشاكل الإنسان هو في المدنية والحضارة والتقدم العلمي. ولكن للأسف فإن الحقيقة هي أنه عبر التاريخ يتقدم الإنسان في المدنية والحضارة، ولكنه يتأخر في الأخلاق والدين ومعرفة الله المعرفة الصحيحة. ربما تكون اليوم أكثر معرفة وتحضراً من أجدادك، ولكنك لست أفضل منهم أخلاقياً. أنت أكثر تقدماً وتمدنا منهم، ولكن هل أصبحت بذلك أسعدهم؟ ربما لديك من المال أكثر مما عرفوه هم، ولكن هل في قلبك سلام وأمان ورضى؟

إذن ما الحل؟ كيف يمكن التخلص من كل هذا؟ إن الإيمان باليسوع هو الذي يرددنا عن الضلال والضياع ويعطينا الحياة التي قصدتها لنا الله. إن كنت تؤمن بعيسى وتسلم نفسك له، يشفيك من بؤسك ويرفع عنك حمل الذنب وعذاب الصمير.

العالم يقدم لك موسيقى تطرب الآذان ومناظر تبهر العيون، أما عيسى فهو عندما يرفع حِمْلَ ذنوبك، يملأ قلبك بموسيقى الروح التي تهدئ النفس. هذه الدنيا تقدم أفراحًا تعقبها أحزان، تقدم لدَّة يوم تعقبها حسرة دهر. ولكن عندما يزيل عيسى عنك حمل الذنب، تحصل على السلام، السلام الحقيقِيُّ الأصيل، سلام الله الذي لا يمكن أن ينزعه منك أحدٌ، السلام الذي يأتي نتيجة للغفران الشامل الكامل، والصفح عن كل ذنبك وعَبَثِك. إن عيسى يعطيك أحلَّ السلام. لم يَعِدْنا المسيح بوسائل من ريش النعام، بل بسلام؛ سلامٌ في القلب والتفكير، وراحة في النفس والضمير.

لا أمان في الآخرة

ما هو مصيرك في الآخرة؟ ما هي نهايتك؟ أنا عارف أنك ستقول: "ومن أنا حتى أعرف مصيري؟ هل يمكن لأحد أن يعرف ما كتب الله له؟" كما قال أحدهم: "والله لا آمنُ مكر الله حتى ولو كانت إحدى قدمي في الجنة!"⁵⁸ لا.. لا.. يا أخي.. لا تصدق هذا الكلام. فالإنجيل الشريف يقول إن الله أعطانا الحرية لاختار مصيرنا الأبدي! فهل خطر على بالك أنك أنت المسؤول عن مصيرك الأبدي؟ هل تعرف مصيرك؟ أنا بإمكانني أن أعرفك بمصيرك بحسب كلمة الله الحياة الدائمة إلى الأبد. إن كنت تؤمن بعيسى ربا لك وفاديا وهاديا ومنقذا، فأنت قد حصلت من الآن على حياة الخلود. أما إن كنت لم تسمح لعيسى أن يرفع عنك وزرك ويزيل معصيتك ويمحو إثمك، فأنت هالك! هالك هنا وهالك في الآخرة! إذن أنت في إمكانك أن تقرر لنفسك أين تكون في الخلود، وذلك حسب اختيارك. إن كنت تختار الإيمان بعيسى، فهو يمنحك حياة الخلود في النعيم. حمداً وشكراً لله رب العالمين لأنَّه تعالى أعدَّ لنا النجاة بعيسى المسيح. إذن أنت تستطيع أن تناول حياة الخلود هنا، وتضمنها من هنا، من هذه الحياة.

فما الفائدة من هذا العناد يا صديقي وعزيزي؟ صدقني أني أحبك بمحبة وضعها عيسى المسيح في قلبي. مع أننا لم نتقابل، ومع أنني لا أعرفك بالوجه، لكن عيسى وضع هذه المحبة لك في قلبي. إنها محبة أصيلة صادقة لأن المحبة هي طبيعة عيسى. إذن لا تعاذر! لا تقسى قلبك! آمن به. قل له: "من فضلك تجئي من المعصية، اغفر لي ذنبي، امح عنِي معصيتي، وأزل عنِي وزري".

كيف يمكن للإنسان الذي أخطأ الهدف ووقع في الخطيئة وفسد قلبه بالشر وتعفن فكره بالمعصية، كيف يمكن لهذا أن يحصل على الشفاء من هذه الحالة الكريهة المميتة؟ الله تعالى جاء بالحل. المولى في حكمته ومحبته يقدم لنا الحل.

نعم، صليب المسيح ينقذنا من الذنب، ويحررنا من قوة الشر. قرأت عن رجل حلم حلماً في الليل. حلم أنه مات فراح إلى باب الجنة وأخذ يقرع! فسألوه: "هل كنت دائماً صالحاً؟" فسكت، لأنَّه لم يكن دائماً صالحاً. فقالوا: "هل كنت دائماً طاهراً؟" فسكت أيضاً. وتواتَّلَت الأسئلة: "هل كنت دائماً مستقيماً، عادلاً، أميناً؟" وفي كل مرة لا يرد صاحبنا لأنَّه كان يدرك عيوبه وذنبه وفشلـه. وهنا ظهر المسيح وقال: "هذا الرجل آمن بي فأنا حملت كل ذنبه وعيوبه وشره. أنا غفرت له بقوـة دـي الذي سُـفـك على الصليب." وهنا انفتحت بوابات الجنة ليدخل الرجل! صحيح هذا حلم، ولكنه يشير إلى حقائق لا يمكن إنكارها في كتاب الله الشريف.

كثيراً ما تأتي إلينا الأخبار بحوادث مروعة يذهب ضحيتها الأبرياء. قرأت منذ أسبوع قليلة عن قطار كان يحمل مئات من الركاب في بلد ما، وكان يسير بسرعة كبيرة. وللأسف، لما أخذ يعبر فوق جسر (أي قنطرة أو كوبري) انهار الجسر تحته وسقطت من القطار إلى النهر 12 مركبة بمن فيها من الركاب وغرق أغلبهم. ولما فحص المختصون هذه الكارثة وبحثوا عن أسبابها، وجدوا أنه كان بالجسر تصدع لا يزيد عن شبر واحد أي حوالي 20 سنتيمتراً، ولكن بمرور ذلك القطار في ذلك الوقت، تحطم

جزء كبير فسقط القطار!

أخي، أنت لا تحتاج إلى ثغرات كبيرة في حياتك لتودي بك إلى ال�لاك في الجحيم. الأشياء التي تبدو صغيرة وتابوتها هي جد خطيرة وتكفي لتسبب لك التعasseة الأبديّة! نحن كلنا مذنبون. كلنا. رجال ونساء، أولاد وبنات. نقول كلمات خاطئة، ونفكّر أفكاراً خاطئة، ونعمل أعمالاً خاطئة. "الْقَلْبُ هُوَ أَخْدَعُ شَيْءٍ، وَهُوَ حَيْثُ بِلَا شِفَاءٍ، فَمَنْ يَعْرِفُهُ؟" "الْجَمِيعُ أَخْطَلُوا وَلَمْ يَبْلُغُوا إِلَى مَا يُمَجِّدُ اللَّهُ."^أ الإنسان مريض في المعصية. هذا المرض سبب لنا بطريقة معنوية رمزية حالة تسّمّ في الدم. وهذا التسّم يؤدي إلى الموت الأبدي. لذلك نحن نحتاج إلى شفاء وإنقاذ. حالتنا الراهنة الخطيرة ليست هي ما دبره الله لنا. لقد قصد الله لنا أن نكون أصحاء، فأصابنا هذا المرض الخطير. ولكن الشفاء ممكن، والصحة والعافية والسلامة والقدرة ممكنة، إن كنا نسلم أنفسنا للطبيب الذي ضحى بنفسه من أجلنا على الصليب.

إن أمّة المسيح هي مثل مستشفى. ونحن أتباع المسيح ندرك أننا مرضى ونحتاج إلى علاج. نعم نحتاج إلى طبيب يداوينا ودواء يعاافينا. أدركنا هذا فدخلنا إلى المستشفى. ويا للعجب! لمسانا الطبيب الإلهي القدير فحصلنا فعلاً على الشفاء. والآن نحن نحتاج إلى فترة من النقاوة لاستعيد القوة التي فقدناها. لذلك يلزم أن نبقى في المستشفى فترة من الوقت. وحين يتم الشفاء ونستعيد الصحة والعافية، يأخذنا المسيح لنكون معه في جنة الخلود إلى أبد الآبدين.^ب

أمّة المسيح هي هذه المستشفى. وللأسف، الذين هم خارج المستشفى هم أيضاً مرضى، ولكنهم لا يدركون الخطر الذي يواجههم. إما لأنّهم لا يعلمون أنّهم مرضى، والمرض سيقتلهم. أو يعلمون أنّهم مرضى ولا يريدون أن يعترفوا بذلك، وفي هذه

الحالة أيضاً سيقتلهم المرض. أو يعلمون أنهم مرضى ولكنهم يريدون أن يعالجو أنفسهم بطريقتهم هم وليس بالطريقة التي رسماها الله تعالى بواسطة المسيح الفادي. وفي هذه الحالة أيضاً سيقتلهم المرض رغم محاولاتهم!

وكما قلنا من قبل، يعلن الكتاب الشريف أن الكل أخطأوا. الكل أذنباً. الكل وقعوا في المعصية. هذا هو الداء. هذا هو المرض القاتل. أنت تحتاج يا أخي أن تعرف هذا. ولذلك أنا أعلن لك هذه الحقائق بضمير أمين. ولكن أنت أيضاً تحتاج أن تكون أميناً مع نفسك، وتطلب العلاج من السيد المسيح.

يروى أن أحد الملوك⁵⁹ كان مدينا بمبلغ باهظ لرجل غني واسع الثراء. ولما حان الوقت واستحق سداد الدين، عجز الملك عن الدفع. أدرك الغني أن الملك لا يمكنه أن يسد الدين، فأقام حفلاً كبيراً ووليمة عظيمة على شرف الملك. ولما جلس الضيوف إلى المائدة، وضع الخدم أمام الرجل الغني صحناً كبيراً به نار تشتعل. وهنا وضع الرجل صك الدين الذي على الملك في النار حتى أصبح رماداً. أدرك الملك ما حدث فقام من مكانه وطوق عنق الرجل وهو يقبله باكيًا ومتاثراً من كرمه ومعروفة العظيم.

أخي وأخي، نحن علينا دين لله تعالى. وقد حان وقت السداد. لكن ليس بإمكاننا أن ندفع الدين الباهظ الذي علينا. عجزنا عن السداد. لذلك قام الله تعالى بدعاوة كل العالم إلى وليمة الأخبار السارة. أحرق الله الصك الذي علينا وذلك بموت المسيح على الصليب وفدائه لنا. لكن أنا وأنت يجب أن نقبل إحراق الصك. يجب أن نقبل فداء المسيح. لماذا تظن لو كان الملك في القصة التي انتهيت من ذكرها، قد رفض أن يقبل تضحية الرجل الغني من أجله؟ ربما كنت تصفعه بأنه ناكر للجميل والمعروف.

والاليوم، لا أمل في نجاة أو خلاص من شرنا وذنبنا ونهايتنا التعيسة ومصيرنا البائس إلا في هذا المصلوب. خدعوك من قالوا إنه توجد طرق عديدة ومختلفة للتقرب

لله وإرضائه. إن المثل الذي يقول: "كل الطرق تؤدي إلى روما"، لا ينطبق على حياة الخلود أبداً. لأنه يوجد فداء واحد، وفad واحد، هو عيسى المسيح الذي أرسله الله والذي مات من أجل كل الناس. وهو الذي قال: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ، أَنَا هُوَ الْحَقُّ، أَنَا هُوَ الْحَيَاةُ".^a وقال أيضاً: "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتَبَعُنِي لَا يَمْسِي فِي الظَّلَامِ، بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ".^b وهذا هو الفرق بين إتباع المسيح وإتباع غيره. هذا هو الفرق بين دين عيسى وغيره. ففي الأديان الأخرى يقدم الإنسان لله أشياء لعله بواسطتها يستطيع أن يتقرب له تعالى ويحصل على رضوانه. فيقدم الإنسان مثلاً الحسنات والخيرات والطيبات والزكاة والصوم والصلوة والأعمال الصالحة والضحايا والقرابين وما إلى ذلك. أما بحسب الإنجيل الشريف، فإن الله زوًدنا بما نحتاج إليه لتقارب إليه تعالى. إن الوسيلة الوحيدة التي بها نقدر أن نرضى الله جل جلاله، هي الوسيلة التي قدمها الله نفسه.

عيسى هو الوحيد القادر أن يكفر عن ذنبنا. قال الفيلسوف شيشرون⁶⁰: "كل الأشياء محاطة بظلمة دامسة". فالفلسفة لا تشبع قلب الإنسان ولا تهدئ خوفه، ولا تحقق له أحلامه! وقال الفيلسوف أرسطو⁶¹: "جئت إلى هذه الدنيا عرياناً، وعشت فيها شقياً تعيساً، والآن أموت في حيرة لأنني لا أعلم مصيري!". وقال واحد آخر إنه حتى ولو تشفع من أجل الناس سبعين مرة وطلب أن يغفر الله لهم، فلن يغفر! لكن يقول الإنجيل الشريف: "إِنْ أَخْطَأْ وَاحِدٌ، فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الَّذِي هُوَ عِيسَى الْمَسِيحِ الصَّالِحِ. فَهُوَ صَحِيَّةُ التَّكْفِيرِ عَنْ ذُنُوبِنَا. وَلَيْسَ عَنْ ذُنُوبِنَا بَخْنُ فَقَظٌ، بَلْ عَنْ ذُنُوبِ كُلِّ النَّاسِ أَيْضًا".^c حان الوقت يا أخي أن تسير في الصراط المستقيم، أن تقبل عيسى الذي هو الطريق والحق والحياة.

^a يو 14:6

^b يو 8:12

^c يو 2:1-2

ماذا تعمل في ضوء هذا الحق؟ مَاذا تفعل لكي تحصل على غفران ذنوبك، ولكي تحيا في جنة الخلود في النعيم؟ الجواب هو أنه ليس هناك عمل يجب أن تعمله أو مجهد تقوم به، لأن عيسى قام بالمجهد كله ومات وقام من أجلك. إنما هناك خطوة واحدة تقوم بها وهي أن تؤمن بال المسيح عيسى فاديا ومنقذا وهاديا ومنجيا. نعم، الخطوة الوحيدة هي أن تؤمن بأن المسيح عيسى مات على الصليب ودفن ثم في اليوم الثالث قام منتصرا.

هل تريد أن تكون إنسانا فاضلا في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى؟ هل تريد أن يرضي الله عنك ويجعلك من المقربين له والمختارين عنده؟ هل تريد أن تحيا إلى الأبد في جنة النعيم؟ آمن بفداء المسيح. عيسى يطهرك من كل ذنبك، ينظفك من كل معاصيك والشر الدفين الذي في قلبك. إنه يطهرك من كل قاذورات الحياة ونجاسة القلب السرية، ومن كل شر وإثم.

الله تعالى يحبك، ولذلك صحي عيسى بنفسه من أجلك. وهو يجنو عليك ويرحمك. اسم عيسى يباركك. اسم عيسى الذي هو أعظم من كل اسم، وأجمل وأحلى من كل اسم، يحرسك ويرشك إلى سواء السبيل. قدرته ما أسمتها! قوته ما أعظمها! طهارته ما أقدسها! جلاله ما أبهاه! كماله بلا مثيل، محبته بلا حدود، غفرانه بلا قيود. تعال إليه، اطلب وجهه.

على الصليب كَفَرَ مولاي وسيدي عيسى المسيح عن سينائي ومعاصي، ساحمي على ذنبي، غفر خطئتي، مسح إثمي، أزال شري، أبعد عني نجاستي، أزال قذاري ونُظْفِني. صرت بمorte شخصاً جديداً، إنساناً جديداً، مخلوقاً طاهراً بفضله ونعمته ومحبته. موته هو ضحية من أجي! وهذا يمكنني أن أهتف من كل قلبي: "بَارِكِ اللَّهُ يَا نَفْسِي، وَبَأْ كُلَّ كَيَانِي بِارِكِ اسْمَهُ الْقُدُوسَ. بَارِكِ اللَّهُ يَا نَفْسِي، وَلَا تَنْسَيْ كُلَّ حَسَنَاتِهِ. فَهُوَ يَعْفُرُ كُلَّ ذُنُوبِي، وَيَسْفِي كُلَّ أَمْرَاضِي. يُقْدِنِي مِنْ حُفْرَةِ الْمَوْتِ، وَيُنَوِّجُنِي بِالرَّحْمَةِ".

وَالرَّافِةِ. يَمْلأُنِي بِالْحَيْرِ طُولَ عُمْرِي، فَيَعُودُ لِي شَبَابِي گَالْنَسِرِ.. كَبُعْدِ الشَّرْقِ عَنِ الْغَربِ، أَبْعَدَ عَنَا مَعَاصِينَاٌ.

أنا اليوم مغفور الذنب لأن المسيح نال عقاب شري. أنا اليوم حر، لأنه حُكِّمَ عليه مكاني ووقع عليه جزائي. أنا اليوم أتمتنع بفرح السماء، لأنه شرب كأس الحزن عني. أنا اليوم مقبول عند الله، لأنه رُفضَ وُتَبَدَّى بدلاً مُتَبَّداً. أنا اليوم حي لأنه مات عني. وكما أشرنا من قبل، إن القدير الذي في يده كل العالم، عنده أيضاً في قلبه محبة ونعمـة كافية لكل العالم. في الصليب حل مشكلة الخطيئة، لا تجاهـلـها. حلـلـها بدفع الشـمـنـ، لا بالـتـلـطـعـ في اتجـاهـ آخرـ بعيدـاً عنـهاـ!

تصور معي ما سيحدث في الجنة حين نذهب إلى المسيح. تخيل معي كيف أنـنا سنـقـفـ أمامـ عـرـشـهـ وهوـ فيـ جـلـالـهـ وأـمـجـادـهـ. هناكـ سـنـرـاهـ فيـ البـهـاءـ وـالـسـنـاءـ وـالـمـجـدـ والـضـيـاءـ. أناـ شـخـصـياـ أـنـوـيـ أـنـ أـسـأـلـهـ:

"عجبًا يا سيدِي، يا منقذِي!

أهـذا الـوـجـهـ الـبـسـامـ الرـقـيقـ المـشـرقـ لـطـمـ منـ أـجـلـيـ؟

أهـذا الـجـبـيـنـ الـوـضـاءـ الـمـنـيرـ تـكـلـلـ بالـشـوـكـ منـ أـجـلـيـ أـنـاـ؟

أهـذا الـطـاـهـرـ النـقـيـ تـفـجـرـ مـنـهـ الدـمـ مـنـ أـجـلـيـ؟

أهـاتـانـ الـيـدـانـ مـنـ الـمـرـمـرـ تـسـمـرـتـاـ إـلـىـ صـلـيـبـ الـهـزـءـ وـالـعـارـ مـنـ أـجـلـيـ؟

أهـاتـانـ الـقـدـمـانـ الـطـاـهـرـتـانـ ثـقـبـتـاـ وـتـسـمـرـتـاـ إـلـىـ الصـلـيـبـ مـنـ أـجـلـيـ؟

كـلـ هـذـاـ بـسـبـيـ أـنـاـ وـبـسـبـ خـطـايـيـ وـجـرـائـيـ؟

أـنـاـ السـبـبـ فـيـ كـلـ ذـلـكـ العـارـ!

ذـنـوبـيـ أـنـاـ سـبـبـتـ لـكـ الـمـوـتـ!

ولكني عالمٌ علّمَ اليقين، ومتأكد كل التأكيد أنه في ذلك الوقت يرد على بكل عطف وحب وحنان ويقول: "لا تتأسف ولا ترتعش من نفسك. أنا بذلت نفسي من أجلك لأنني أحبك!"

محبة الله سمت، ما قاسها عقل الفطين
فوق الجبال ارتفعت، ونزلت للهالكين

نعم، على أساس الصليب والإيمان بفداء عيسى لنا، يمكننا الآن أن نقف في محضر الله القدوس الجليل، وقد غفرت كل ذنوبنا، ومحيت كل معاصينا، وامتلأت قلوبنا بالسلام والفرح والمحبة والإيمان والأمل.

ثم هناك أمر آخر أيضاً. عن طريق الصليب أعطاني المسيح القوة لأسامح لأسامح نفسي على الأشياء الغبية التي ارتكبتها وأسامح الآخرين الذين أخطأوا في حقي.

أخي، بما أن عيسى فداك بدمه على الصليب، وغفر ذنوبك وسامحك على كل ماضيك، وصفح عن كل سيئاتك، فكيف تتجرأ أنت أن تدين نفسك، وتلوم نفسك، وتعدب نفسك بذلك الماضي الذي انتهى حسابه في نظر الله تعالى؟ كيف تجرؤ أن لا تغفر لنفسك؟ الإيمان بموت المسيح على الصليب يمنحك الغفران لما ارتكبناه من ذنوب، فأنت تحتاج أن تسامح نفسك.

وأنت تحتاج أيضاً أن تسامح الآخرين. ربما في نفسك جرح عميق ومرارة بسبب علاقة تحطمك أو أمل خاب أو نجاح تحول إلى فشل. اغفر للأخرين. الإيمان بموت المسيح على الصليب يعطينا الحرية والقدرة لتسامح الآخرين.

يُقال إن أحد الملوك كان له أعداء كثيرون قبل أن يصبح ملكاً. وبعدما جلس على العرش، كانت لديه قائمة طويلة بأسماء أعدائه الذين حاولوا في الماضي أن يضروه.

فأمر بإحضارها وأخذ يضع علامة X أمام كل اسم. ظن خدامه أن ذلك يعني أنه سيقتل كل هؤلاء الأعداء ولكنهم تعجبوا حين أوضح الملك لهم أنه يضع علامة الصليب أمام كل إسم ليسامح ويعفو لأن الصليب يذكره بكلمات المسيح على الصليب: يا أبي اغفر لهم!

إن كنت لا تسامح الذين أخطأوا في حقك، فأنت كواحد يتغاضى السوء ويتوقع أنه بهذا السوء يقتل شخصا آخر غيره!

نجاة

هناك قصة عن شاب كان يسير في الظلام فوق حفرة عميقة. بذل المسكين كل محاولة ممكنة ليخرج من الحفرة، لكنه فشل. وبينما هو في يأس شديد وقد نال منه التعب والإرهاق، مر به رجل ينتمي إلى دين من الشرق، فقال له: "أنت في مشكلة رهيبة أيها الشاب. لذلك أنسحلك أنك إن مررت في هذه الطريق مرة أخرى، فاحذر لثلا تسقط في الحفرة كما سقطت هذه المرة." وتركه الرجل ومشى في طريقه.

بعد ذلك جاء رجل من دين آخر، وسمع صراخ الشاب. فاقرب من الحفرة وشاهد المحاولات اليائسة التي كان الشاب يبذلها ليخرج. فقال له الرجل: "آه يا عزيزي، أنت في مشكلة فظيعة. إن أمكنك أن تتسلق جدار الحفرة حتى تصل يدك إلى يدي، سأجذبك وأرفعك من الحفرة." حاول الشاب بكل ما فيه من قدرة، ولكنه فشل. فتركه الرجل الثاني أيضاً وسار في طريقه.

وهنا جاءه رجل آخر، وقال له: "إن كنت تصلي وتصوم وتعمل الحسنات، ربما يمكنك أن تخرج من الحفرة." ثم مضى في طريقه.

وأخيراً جاء المسيح وقال له: "دعني يا صديقي أساعدك. أنت لن تقدر أن تنفذ نفسك. أنا في إمكانني أن أنقذك." ونزل المسيح إلى الحفرة وحمل الشاب المسكين على

كتفه وتسلق به جدار الحفرة وأنقذه.

إن الذي ينقذك من الحفرة التي سقطت فيها يا أخي شخص قدير وليس دينا من الأديان. ليس النصائح المتعددة والشرايع المترفرقة. لا! بل منقذك الوحيد هو الفادي العزيز. هو الذي نزل إلى الحفرة حيث يئست وفشلتك. نزل ليحملك ويرفعك وينقذك ويصعد بك إلى العلا! هذا هو المسيح المنقذ. هذا هو عيسى الغالي المحب.

يقول الإنجيل: "أَتُمْ بَجُوْتُمْ بِنِعْمَةِ اللهِ لَأَنَّكُمْ آمَنْتُمْ بِهِ. لَيْسَ هَذَا نَتْيَاجَةً مَجْهُودِكُمْ، إِنَّمَا هَدِيَّةٌ مِنَ اللهِ. وَلَا هُوَ نَتْيَاجَةُ عَمَلٍ قُمْتُمْ بِهِ، لِيَّغَيْرَ أَحَدٌ".⁶² نعم ننجو من الذنب بفضل الله، بنعمة الله. النعمة هنا تعني أنه لا يوجد شيء طيب أعمله يجعل الله يحبني أكثر، ولا يوجد شيء رديء أعمله يجعل الله يحبني أقل! النعمة تعني أنني أنا المذنب المسكين مدعو لأن يكون عضوا في عائلة رب الكون! هل تتخيّل هذا؟ أني من أهل البيت؟ نعم أنا من أهل بيته. هذا كلام الوحي المبارك. أنا عضو في عائلة المولى القدير!^b وكل ذلك بسبب موت المسيح على الصليب من أجلي.

في قصة "فاني"⁶² أحب الشاب ماريوس فتاة جميلة اسمها فاني، وتطورت العلاقة فحبّلت منه في الحرام. ثم ترك ماريوس القرية وسافر إلى بلاد بعيدة. وهنا يظهر بانيس الغني الشهم الذي ماتت زوجته منذ فترة، ويتقدم لخطبة فاني. ولكن فاني تخبر بانيس بحقيقة الأمور، وتقول إنها لا تستحقه. ولكن بانيس يقول إنه يريد أن يتزوجها لأنّه يحبها، ولأنّه يريد أن يحميها من غلطة ماريوس وغلطتها. ثم إنّه يريد أن ينشأ الوليد تحت رعايته ويتمتع بالثروة التي عنده.

هذه فعلا هي المحبة المضحية. ماريوس أحب الفتاة ليتمتع بها جنسيا. أما بانيس فقد أحبها لينقذها من العار والضياع والخطيئة، ول يجعل منها زوجة محترمة

وأُمّا فاضلة، ويقوم لوليدها بمقام الأب المحب الذي يهتم به ويرعاه ويعوله. قد يصعب عليك أن تستسيغ هذه القصة ودرك عمق معناها. لكن ما فعله معاً المسيح بتضحيته من أجلنا على الصليب هو أعظم مما لا يقاس من صنيع بانيس مع فاني. قال يوسف لإخوته الذين غدروا به وباعوه عبداً: "لَا تَنْأِسُوهُ وَلَا تَلُمُوهُ أَنفُسَكُمْ أَنَّكُمْ بِعُتُمُونِي إِلَى هُنَّا، لَأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِي قُدَّامَكُمْ لِأُنْقِذَ حَيَاةَ النَّاسِ".^أ وياله من صفح عظيم.

حياة

ذكرنا من قبل، الآية التي تعتبر مركز الإنجيل كله. "أَحَبَّ اللَّهُ كُلُّ النَّاسِ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ بَذَلَ ابْنَةَ الْوَحِيدِ لِيَكَ لُكْلَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ يَنَالُ حَيَاةَ الْخَلْوَدِ."^ب هذه الآية تبين أن سيدنا عيسى المسيح مات لكي نحيا نحن. بسبب تضحية المسيح من أجلنا، يمكننا أن ننال الحياة. نحن الذين في جهلنا رفضنا المسيح، يتفضل علينا في إحسانه ويعطينا حياة الخلود نعمة منه ورحمة. هي حياة الخلود، لأنها الحياة في أسمى معانيها، ولأنها تدوم طول الأبد الذي لا نهاية له، ولأنها الحياة التي من الله عز وجل، الحياة الإلهية. حياة من الله ذاته. فنصبح أحباءه، أبناءه، لنا حياته، ننتهي له. من غير هذه الحياة يهلك الناس. من غير هذه الحياة لا رجاء للناس.

كما ذكرنا من قبل، يسأل الناس بطريقة أو بأخرى: "كيف يمكن أنه بموت شخص يحصل الآخرون على الحياة؟" هذا هو العجيب في الأمر! بل هذا هو عجب العجاب! ومع ذلك يمكننا أن نوضح هذه الحقيقة ببعض الأمثلة البسيطة. منذ أجيال وقبيلة مخلوف في صراع عنيف مع قبائل أخرى. في تلك الأيام

ساد قانون الbadia. أنت تقتل شخصا من قبيلة ما، فهذه القبيلة تقتلك أنت أو تقتل شخصا آخر من قبيلتك. أنا نفسي عشت فترة في أيام طفولتي في ظروف مشابهة. عبد العظيم قتل جارنا عبد القوي بسكنين، وفي الحال أخذ خال عبد القوي سكينه وقتل عبد العظيم في ذات اليوم! بسبب هذا النوع من الأخذ بالثأر والانتقام، كم من الناس ماتوا! كم من النساء ترملت! كم من الأطفال تيتموا!

وذات مرة كان حسين، وهو من قبيلة مخلوف، يسافر مع جماله، وعند بئر تعارك حسين مع رجل من قبيلة أخرى وقتله! اجتمعوا قبيلة القتيل للأخذ بالثأر. وقرروا أنه إما أن قبيلة مخلوف تسلم لهم القاتل أو سيكونوا مضطرين أن يهاجموا عليهم ويقتلوا كل رجالهم! وأرسلوا بعض الرجال ليتداولوا في الأمر مع قبيلة مخلوف.

اجتمعوا قبيلة مخلوف برئاسة الشيخ صالح للتداول مع رجال القبيلة الأخرى. وبعد نقاش طويل وجداول، قال الشيخ صالح: "حسين هو حفيدي ولن نسلمه لكم، ولكن بدلاً من سفك دماء العشرات من رجال قبيلتنا، أنا أضع نفسي بين أيديكم لتقتلوني".

تأثر رئيس قبيلة القتيل وقال: "أنا أيضا ابن أصل وشرف، لن أنتقم منك ولا من قبيلتك". وبهذا أنقذت الأرواح ولم تسفك الدماء بفضل شهامة الشيخ صالح. هذا يوضح كيف أنه بتضحية رجل شهم قدم نفسه ليموت بدلاً من حفيده، أمكن انقاذ الشاب وكذلك عشرات الرجال.

ثم هناك مثال آخر. وقفشيخ من أتباع المسيح في جماعة من المؤمنين يحكى قصة فقال:

كان رجل وابنه الشاب من المؤمنين بيعيسى. ذات يوم قال الوالد لابنه: "سأخرج للنزهة في القارب، هل ت يريد أن تأتي معي؟" فرح الشاب وقال: "نعم يا أبي، ولكن هل يمكن أن أأخذ صديقي معنا؟" وافق الأب وخرج الثلاثة في القارب. البحر هادئ.

والشمس مشرقة. ولكن للأسف، بعد ساعة واحدة، وكانوا قد ابتعدوا عن الشاطئ، تلبدت السماء بالغيوم، وهاج البحر بأمواج شديدة.

حاول الثلاثة أن يوجهوا القارب إلى الشاطئ، ولكن انقلب القارب وطöh بهم إلى الأمواج الماحقة. كان الأب قريباً من القارب فأنسلك به وفك سرعة. كان الأب يعلم أن صديق ابنه لا يؤمن بعيسى، لذلك إن غرق يكون مصيره الجحيم. أما إن مات ابنه فهذا لا يعني الالٰك له، بل الحياة في النعيم.

وبسرعة أخذ الأب حبلاً كان في القارب ومعه طوق النجاة. ثم نظر إلى ابنه يعارك الأمواج وقال: "أنت حبيبي يا ابني!" ورمي بطوق النجاة إلى صديق ابنه لينقذه أولاً، وفعلاً جذبه إلى القارب. ثم تلفت ليرمي طوق النجاة إلى ابنه، ولكن البحر كان قد ابتلعه إلى أعماقه. اختفى الابن. غرق ومات.

وهنا توقف الشيخ الذي كان يحكى القصة، ثم أكمل حديثه وقال: " بهذه الطريقة أحينا الله تعالى. إنه صحي بابنه، بذلك إلى الموت من أجلنا. كان يعلم أنه إن متنا فإننا نهلك، لذلك صحي بالابن لكي لا نهلك نحن!"

قال الشيخ هذا الكلام ثم جلس. لكن شاباً عارضه وقال: "أنا لا أصدق أن هذه قصة حقيقة. إنها غير معقوله. من غير العقول أن الأب يترك ابنه يموت وينقذ صديق ابنه!" قال الشيخ: "نعم يا ابني، عندك حق. هذه قصة غير معقوله. ولكنها حدثت فعلاً. نعم حدثت منذ أكثر من عشرين سنة، وأنا هو ذلك الأب، وراعي جماعتكم هو صديق ابني الذي رميته له طوق النجاة، وهو موجود هنا الليلة ويتمكنك أن تسأله لتتأكد من صحة القصة!"

يقول الرسول بولس بوجي الله: "أَنْتُمْ كُنْتُمْ مَيِّتِينَ إِسَابِ دُنُوبِكُمْ وَطَبِيعَتِكُمُ الدُّنْيَايَةَ غَيْرِ الْمُخْتُونَةَ، لَكِنَّ اللَّهَ أَحْيَاكُمْ مَعَ الْمُسِيحِ." نحن حصلنا على الحياة

بموت المسيح من أجلنا.

قرأت أنه توجد في إحدى المدن في النرويج كنيسة كبيرة على قمة منارتها تمثال حمٍل. وقصة هذا ترجع إلى تاريخ بناء الكنيسة، فقد انزلقت قدم أحد عمال البناء، فسقط من قمة المئارة. رأى العمال الآخرون زميلهم يهوي، فنزلوا بسرعة وهم يتوقعون أن يجدوا زميلهم وقد تمزقت أعضاؤه وتحطم عظامه ومات. ولكن كم كانت دهشتهم لما وجدوه حياً من غير أن يصاب بأذى! كان السر في ذلك أنه في الوقت الذي فيه سقط الرجل، كان يمر بجوار البناء قطيع من الغنم، فسقط العامل على حمل، فمات الحمل ونجا الرجل. لذلك وضعوا تمثال الحمل في ذلك المكان. ألا يذكرنا هذا بعيسى المسيح الذي مات فداءً عنا كحمل؟

يقول البعض إن المسيح جاء ليعطينا كتاباً. ولكن هذا كلام الناس وليس كلام المسيح نفسه، فاليس المسيح قال: "أَمَّا أَنَا فَجِئْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةً، بَلْ حَيَاةً وَفِيرَةً".^١ إنه جاء ليعطينا حياة. صحيح كتابه هو الإنجيل الشريف. ونحن حين نقرأ الإنجيل ونؤمن به نحصل على الحياة، ولكن أصلاً هذه الحياة هي لأن المسيح مات من أجلنا. إذن فاليس المسيح جاء ليعطينا لا كتاباً بل حياة.

هذه قصة رجل شجاع يتحدث عن صنيع المسيح معه، قال: أنا شاب من أسرة حجازية معروفة في مدينة مكة بالمملكة العربية السعودية، وعلى الرغم من كل ظروف الحياة الرغدة فقد كنت أشعر بالاكتئاب. قلبي حزين دائماً. كنت أفتقر إلى الراحة الحقيقية والسكينة والسلام والاطمئنان.

وذات يوم كنت أستمع إلى الراديو في سياري وأنا في طريق رجوعي إلى الدار، وأخذت أبحث عن محطات إذاعية مختلفة، وفجأة إذا بي أستمع إلى أغاني رائعة أدخلت البهجة والسرور إلى قلبي. ولما انتهت الأغاني سمعت رجلاً يتكلم بحديث ممتع. كانت

هذه أول مرة أستمع الي رجل يتكلم بطمأنينة واتزان. وهنا اكتشفت أنه كان يتحدث عن سيدنا عيسى وعن الأمانة في العمل ومعاملة الناس بالحسنى. ثم جاء متكلما آخر أدخل إلي قلبي الأمان والهدوء.

رجعت الى البيت وبدأت أفك في الكلام الذي سمعته من الرجلين. لاحظت أنه لم يكن كلاما يحتوي على التهديد والوعيد بجهنم وبئس المصير كما يتوعدنا شيوخنا دائما. لم يكن كلاما يرمي الناس بالكفر كما يفعل شيوخنا. أخذت أفك وأفكر. أردت أن أراسل محطة الإذاعة، ولكنني خشيت أن تقع رسالتي في أيدي السلطات، فلو حدث ذلك لقتلوني، باعتبار أنني مرتد وكافر ومفسد في ديار المسلمين. نحن في المملكة العربية السعودية لا ننتمي بحرية الفكر وليس لنا الحق في اتباع الدين الذي نريده. فالسلطات لا تسمح لنا أن نستخدم عقولنا لنختار لأنفسنا، وخاصة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي يحجب أعضاؤها الشوارع ليضربوا ويعاقبوا كل من لا يمتثل لمعتقداتهم.

نعم، عيسى المسيح أعطى ذلك الشاب الحياة الحقيقية.
ذات مرة وقفت فتاة صغيرة أمام دار أحد أتباع المسيح، وأخذت تدق على الباب بلهفة. لما فتح الرجل، أخذت تبكي وقالت له إن أمها على وشك الموت وتحتاج إلى مساعدته ليرشدها في طريق المسيح قبل أن تضيع الفرصة. ذهب الرجل مع البنت، وفي الدار وجد الأم في حالة سيئة.

ولكن للأسف كان الرجل، على مر السنين، قد استولت عليه أفكار غير كتابية بشأن الصليب والداء. وتسبب هذا في أنه ابتعد عن الطريق السوي، ولهذا لم يجد الكلمات المعاذية التي تعطي الرجاء لتلك الأم المحضرة. قال وهو يتذكر تفصيات تلك المقابلة: "وقفت هناك في حضر أم تموت، ولم يكن عندي شيء أشاركها به يمنحها الحياة التي تنشدتها وهي في النزع الأخير. كانت حياتي الروحية قد راح منها الحماس والحيوية. بردت علاقتي باليسوع فاديًّا. ولكنني فجأة رجعت إلى بساطة طفولي، وبطريقة رمزية قفزت كطفل إلى حضن أبي واسترجعت الإيمان الذي تلقنته منها، وأخذت أحدث تلك الأم عن محبة المسيح الباذلة والمضحية، وعن موته على الصليب لفدائها. فأسلمت نفسها للمسيح وهنا أشع نور الفادي الكريم في قلبها وملائك الابتسامة وجهها وغادرت الحياة في سلام".⁶³

هذا هو أعظم شيء، في فداء المسيح لنا حياة ورجاء ونور وسلام.

شفاء

في عصرنا هذا الذي كثرت فيه الأمراض المستعصية مثل السرطان وغيره، واكتشفت أمراض أخرى لا علاج ولا دواء لها مثل الإيدز أو السيدا أي انعدام المناعة، وعادت أمراض أخرى إلى الظهور كما قد حسبنا أنها اختفت وانتهت مثل الجدري والسل، في هذا العصر الصعب، يقدم لنا عيسى الرجاء في الحياة والصحة

والشفاء والعاافية. قال المسيح: "رُوحُ اللَّهِ عَلَيْهِ، لَأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأَبْشِرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأُنَادِي لِلْمَسْجُونِينَ بِالْحُرْيَةِ، وَلِلْعُمْدِي بِالْبَصَرِ، لِأُطْلِقَ الْمَظْلُومِينَ أَحْرَارًا، وَأُغْلِنَ عَنْ حُلُولِ سَنَةِ رَضْيِ اللَّهِ".^١ عيسى عنده القدرة أن يشفى من كل مرض وداء. إنه يشفى الأمراض المستعصية. عيسى يشفى من الأمراض التي لا يمكن الشفاء منها حسب العرف البشري والمقدرة الطبية والإمكانيات الصحية. فمثلاً البرص أو الجذام هو مرض خطير كريهٌ مُعْدٍ، يجعل المصاب به محظماً ومنبوذاً. حتى اليوم وفي هذا العصر المتقدم طيباً، لم تكتشف العلوم الطبية طريقة ولا دواء للشفاء من البرص. لكن عيسى لمس الأبرص وشفاه. بل شفى من البرص عدة مرات مسجلة لنا في الإنجيل الشريف، كتاب الله الكريم. لمسة المسيح هي لمسة الصحة والشفاء والطهارة والنقاء. جاء عيسى ليشفى الناس من أمراضهم الروحية والجسمانية. لينقذ النفس من الخطيئة، ولينقذ الروح من نتائج وعواقب الخطيئة والهلاك الأبدي في الآخرة، وأيضاً لينقذ الجسم من نتائج وعواقب الخطيئة في هذه الحياة الدنيا.

أجرى عيسى معجزات كثيرة جداً. قهر الشيطان والجبن، فطرد الشياطين والأرواح الشريرة من الناس. شفى المرضى والعاجزين ومن كانوا معدين بأمراض مختلفة. أبرأ من الحمى والبرص ونزيف الدم والشلل والصرع والاستسقاء. منح الأعمى البصر، جعل الآخرين يتكلم، والأطرش يسمع. أعاد الأذن التي بطش بها السيف صحيحة. أعاد الصحة لليد المتشلولة والظهر المحنى. أقام الموتى إلى الحياة، وبارك في القليل فصار كثيراً. غير ظروف الطبيعة، فهدأ العاصفة وأسكن الأمواج الشائرة، لينقذ الذين كانوا في خطر الغرق والهلاك. صنع كل هذا وأكثر، أضعف إلى ذلك ميلاده من عذراء، وقيامته من الموت، وصعوده إلى السماء.

عمل هذا رحمة بالناس ورأفة بهم، ولكي يؤمنوا به وبرسالته ومحبته وفدائه، ولكي

يروا جلال الله تعالى وعظمته.

كلنا من وقت لآخر نعاني من أمراض وأوجاع مختلفة. منذ بضعة أسابيع أنهيت عملي اليومي في خدمة مولانا عيسى المسيح، ورجعت إلى الدار والعائلة وتناولنا العشاء معا. ثم بعد فترة قرأتنا فصلا من كتاب الله الكريم، وتوجهنا بالدعاء معا إلى سيدنا عيسى المسيح، ثم آوينا إلى فراشنا. لكنني استيقظت بعد ساعة واحدة والألم الحاد يطعن جنبي بقوه لا مثيل لها. كان ألمًا غير محتمل. نعم كلنا من وقت لآخر نواجه المرض والألم. ولكن مولانا يقول لنا: "أَنَا اللَّهُ شَافِيكَ".^١ ويقول داود في المزامير: "بَارِكِي اللَّهُ يَا نَفْسِي، وَيَا كُلَّ كَيَانِي بَارِكِ اسْمَهُ الْقُدُوسَ. بَارِكِي اللَّهُ يَا نَفْسِي، وَلَا تَنْسِي كُلَّ حَسَنَاتِهِ. فَهُوَ يَعْفُرُ كُلَّ ذُنُوبِي، وَيَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِي. يُنْقِذُنِي مِنْ حُمْرَةِ الْمَوْتِ، وَيُتَوَجِّنِي بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ. يَمْلَأُنِي بِالْخَيْرِ طُولَ عُمْرِي، فَيَعُودُ لِي شَبَابِي كَالنَّسَرِ".^٢ إن الله تعالى يشفينا من أمراضنا بمعجزة يعلمها معنا، وأيضا عن طريق الطب والدواء. إنه بحكمته عز وجل يعطي الطبيب معرفة الداء وطريقة العلاج. فنحن أحيانا يجب أن نلجأ إلى الله ليشفينا بهذه الوسيلة. أم لثلاثة أطفال أصيبت بتشنجات عصبية. أخذها زوجها للطبيب، فلم يعرف لها دواء. وبعد تحاليل عديدة وزيارات متواصلة لمستشفيات وعيادات، وبعد فحوص طبية من 21 طبيبا متخصصا، لم يجدوا لها علاجا. وأخيرا، ذات ليلة، بعدما نام الأطفال وذهب الأم إلى فراشها، خرج الزوج إلى حديقة الدار، وعلى الأرض الترابية ركع وأخذ يتضرع لله تعالى لكي يشفى زوجته باسم عيسى. قال الزوج: "يا سيدي عيسى المسيح، على مدى أربع سنين ونحن نقصد الطب والأطباء والعيادات والمستشفيات دون جدوى، والآن أصرخ إليك وأتضرع أمام جلالك أن تعمل شيئا لشفاء زوجتي". وقبل أن ينتهي الزوج من

١ آخر 26:15

٢ مز 103:1-5

دعائه وتضرعه، ألقى الله تعالى في فكره باسم طبيب يعرفه ولكنه لم يقصده في هذا المرض. اتصل الزوج بالطبيب وشرح له حالة زوجته التعيسة. قال الطبيب: "يبدو أن هذا نقص كيماوي. أحضر لي زوجتك". وفعلا اكتشف ذلك الطبيب أن سبب الداء كان نقصا كيماويا. وبعدما أعطاها الدواء اللازم، أتم الله لها الشفاء. كان ذلك شفاء معجزيا بقوة عيسى عن طريق الطبيب!

ثم إن الله أيضا يشفيانا عن طريق فداء عيسى. يقول كتاب الله عن عيسى إنه "حَمَلَ أَمْرَاضَنَا وَرَفَعَ أَحْرَانَنَا... جُرِحَ بِسَبَبِ مَعَاصِينَا، سُحْقٌ بِسَبَبِ آثَامِنَا، نَزَّلَ عَلَيْهِ التَّأْدِيبُ لِتَحْصُلَ تَحْنُّنًّا عَلَى السَّلَامِ، وَيُجْرُوْهُ شُفَيْنَا".^أ ويطبق الوحي هذه الآية على آلام المسيح لشفائنا فيقول: "وَلَمَّا أَقْبَلَ الْمَسَاءُ، أَحْضَرُوا لَهُ كَثِيرِينَ فِيهِمْ شَيَاطِينٌ، فَظَرَدَ الْأَرْوَاحَ الشَّرِّيرَةَ بِكَلِمَةٍ، وَشَفَى جَمِيعَ الْمَرْضَى. وَبِذَلِكَ تَمَّ قَوْلُ النَّبِيِّ إِسْعَيَا: حَمَلَ أَمْرَاضَنَا وَأَزَّالَ أَسْقَامَنَا".^ب بينما كان يشفي الآخرين، كان هو يتألم! أي أن هذه الآية تتحدث عن الآلام التي قاسها المسيح على الصليب لفدائنا وشفائنا. بواسطة جروحه شفينا. لذلك نحن نحصل على الشفاء من أمراضنا عن طريق الإيمان بفداء المسيح. لهذا يقول بطرس في رسالته الأولى في الإنجيل الشريف: "يُجْرُوْهُ شُفَيْمُ".^ت

جلشان^{٦٤} فتاة تنتمي إلى عائلة متدينة رفيعة المستوى في باكستان. بدأ عذابها حين أصيبت بحمى أدت إلى شلل نصفي لما كان عمرها ستة أشهر. أقعدها الشلل فكانت دائما في الفراش. ولما كان عمرها سنة واحدة توفيت أمها. وهنا أصبح والدها مركز حياتها، بحبه لها وحنانه عليها حيث كان يحاول أن يملأ فراغ غياب الأم. أخذت الفتاة تنمو وتكبر وكان أبوها يسعى لتنشأ نشأة دينية. فكان يأتي إلى غرفتها كل مساء ليقضي معها بعض الوقت ويشرح لها الكثير عن مبادئ الدين. وكان

^أ إش 5:45

^ب مت 17:16

^ت 24:2 بط

أيضاً يتبع آخر ما يتوصل له العلم في موضوع مرضها، حتى علم أن هناك أملاً في إنجلترا. فأخذها على الفور إلى تلك البلاد. كانت الفتاة طول الطريق تحلم بأن تحصل على الشفاء على يد هؤلاء الأطباء المشهورين في العالم. وعلى الرغم من أن عمرها لم يكن يتجاوز 14 سنة في ذلك الوقت، لكنها كانت تتخيّل نفسها وقد تم شفاؤها وهي ترتدي ثوب العرس الجميل وترتفُّع إلى ابن عمها!

وفي المستشفى درس حالتها عدد كبير من الأطباء المشهورين، كما عملوا ما يلزم من فحوص. وأخيراً بعد عدة أيام من الكشف والفحص والتحليل، قال رئيسهم لوالدها: "ليس هناك علاج لحالتها. ادعوا الله ليعمل معجزة" بَكَّتِ المسكينة بحرقة وتمنت لو بقيت تعيش على الأمل، وسخرت من الطبيب غير المسلم الذي يتحدث عن الله. أخذها أبوها في حضنه وقال لها: "لا تخافي، سوف يتم لك الشفاء يا جلشن. فعلينا الآن أن نطرق باب الله. سنزور مكة، عسى أن يستجيب الله لدعائنا".

وذهبوا إلى مكة وكان بين أفواج الحجاج الكثير من المرضى الذين جاءوا من كل صوب في العالم طلباً للشفاء. ونحر أبو جلشن الكثير من النبائح عنه وعنها وحتى عن المرييتيين المرافقين لها.

كانت الفتاة طول أيام الحج تدعوا الله وتتوسل إليه ليشفيها من مرضها. ولكن شيئاً لم يحدث. ورجعوا من الحج وهي في مقعدها المتحرك تعتب على الله وتقول: "أين أنت يا الله؟"

ودارت الأيام وتزوج ابن عمها، فضاع حلم زواجهما منه. وتزوج أيضاً إخواتها كلهم، وبقيت هي في المنزل مع أبيها والمربيات. وبعد فترة فُجعت جلشن بمرض أبيها، وتدھورت حالتها بسرعة وأخيراً قال لها: "لا تخافي يا بنتي، فلن تحتاجي لأحد، لأنني في وصيتي كتبت لك النصيب الأكبر من الثروة بالإضافة إلى المنزل". بكت الفتاة بشدة

وقالت: "لا أريد داراً ولا ثروة، بل أريدك أنت فقط يا أبي، إن ذهبت سألحق بك." قال أبوها: "إياك أن ترتكبي هذه الحماقة. إذا انتحرت، تذهبين إلى الجحيم." وبعد ذلك فارق الحياة.

لم تنم المسكينة تلك الليلة بل كانت تتساءل في نفسها: "لماذا أعيش بعد ما مات أبي؟ لماذا لا يسمع الله دعائي؟ هل أخطأ في حقه حتى يعذبني؟ أو هل أخطأ أحد والدي أو أجدادي؟ هل يوجد من يراني في عذابي ويسمع؟" وهنا حدثت معجزة، فقد سمعت جلشن صوتاً رقيقاً في غرفتها يقول لها: "من يعطي عيوناً للعي وآذاناً للصم؟ من يمنح الموتى حياة؟ أنا عيسى المسيح، إقرأي عنني يا جلشن في سورة مرريم وفي سورة آل عمران."

تلفت جلشن حولها باحثة عن مصدر الصوت الذي أدخل في نفسها سلاماً عجيباً. ولم تجد أحداً. وبعد ذلك راحت في نوم عميق.

وبعد أيام قليلة، أخذت المصحف وبدأت تقرأ فيه عن المسيح ومعجزاته. وهنا بدأت تدعوه وتقول: "اشفي يا عيسى المسيح". واستمر هذا الدعاء لا يفارق شفتيها ثلاثة سنوات. وذات يوم فوجئت وهي وحدها بنور باهر شديد يملأ الغرفة، وشخص في ثوب أبيض يقول لها: "يا جلشن، قومي من السرير وتعالي إلى، أنا عيسى المسيح!" أخذت الفتاة ترتجف وتبكي وقالت: "لا أقدر أن أقف لأنني مسلولة!" ولكنها كرر كلماته مرة ثانية وثالثة. وإذا بها، وهي التي ظلت طريحة الفراش تسعة عشر عاماً، تضع قدميها على الأرض، وتقف وتسير نحو عيسى المسيح وتتسجد عند قدميه! وهنا وضع المسيح يده على رأسها فرأته جلشن ثقباً في يده يسطع منه نور باهر. وغمرها النور حتى أصبح ثوبها الأخضرُ أبيض.

قال عيسى لها: "أنا هو الطريق، أنا هو الحق، أنا هو الحياة. أنا حي وسأعود ثانية. من اليوم يجب أن تبدأي صلاتك بهذه العبارة، يا أبي السمائي. ومن اليوم تخبرين

الناس بما حدث لك." وهنا اختفى من الغرفة.

فركت جلshan عينيها وإذا بها واقفة على قدميهما، فأخذت تضحك وتبكي في نفس الوقت! ثم بدأت تصرخ: "أبي السمائي! أبي السمائي!" وبسبب صراخها استيقظ أهل المنزل ولم يصدقوا ما رأته عيونهم.

ُشفيت جلshan بهذه العجزة غير العادلة بقوة عيسى المسيح الإلهية. وأطاعت وصيَّة عيسى لها، فأصبحت تخبر الناس عن قوته لِيُغَيِّر حيَاتنا وَيُطَهِّر قلوبَنا وَيُشْفِي أمراضَنا.

نعم، في الصليب شفاونا. كان عبد العاطي عاملاً مجتهداً في مصنع الحديد. كان يتقن عمله جيداً. وذات يوم كان يعمل بكمية من الحديد المشهور الذي يغلي حيث كانت درجته 1500 (مئوية). ولكن نقطة صغيرة من الحديد المشهور طارت عن غير قصد إلى عينه اليمنى فأحرقتها. أخبر الطبيب المسكين بأنه لن يستطيع أن يرى عينيه اليمنى أبداً. وللأسف، فإن العين الأخرى بدأت تضعف بسبب الإصابة الفظيعة حتى أصبح المسكين أعمى تماماً.

مضت على تلك الحادثة الفظيعة 21 سنة. ثم سمع عبد العاطي عن جماعة من أتباع عيسى يلتقطون مع بعضهم للعبادة وأنهم يدعون الله من أجل المرضى باسم المسيح فيشفيهم. ذهب عبد العاطي وبدأ يحضر اجتماعاتهم بانتظام، وأخذ يدعون الله أن يشفي عينيه اليسرى لا اليمنى التي انتهت تماماً بنقطة الحديد المشهور. وهنا بدأ يشعر بألم واحترق فظيع في عينيه الاثنين والدموع تنزل منهمما. فتح عينيه واكتشف فجأة أنه يستطع أن يرى بعد 21 سنة وهو أعمى! لم يستطع الأطباء شرح ما حدث ولكن عبد العاطي يعرف تماماً أن الذي شفاه هو عيسى المسيح الذي هو حي اليوم في السماء، ويعمل المعجزات كما كان يعملها وهو هنا على الأرض قبل ألفي سنة!

حرية

ما أَمْجَدْ وَأَعْظَمْ كَلْمَةُ الْحُرْيَةِ! وَمَا أَسْعَدَ الشَّخْصَ الَّذِي يَعِيشُ فِي حُرْيَةٍ وَيَشْعُرُ بِهَا فَعْلًا! يَوْجُدُ كَثِيرُونَ مِنَ الْقَادِهِ وَالْعَظَمَاءِ وَالْمَشَاهِيرِ الَّذِينَ قَامُوا بِتَحرِيرِ بَلَادِهِمْ وَمَوَاطِنِيهِمْ مِنْ ظُلْمٍ مُسْتَعْمِرٍ قَاسٍ، أَوْ عَدُوَنَ عَدُوَّ غَاشِمٍ، أَوْ اسْتَعْبَادِ نَظَامٍ صَارِمٍ. أَمَّا مَوْلَانَا وَرَبُّنَا عِيسَى الْمَسِيحُ فَهُوَ الَّذِي جَاءَ لِيحرِرَ الْبَشَرَ مِنْ عَبُودِيَّةِ الشَّيْطَانِ وَقَهْرِ الْخَطِيئَةِ وَالذَّنْبِ وَخَوْفِ وَرَهْبَةِ الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ.

إِنَّ الْعَبُودِيَّةَ أَصْنَافٌ وَأَنْوَاعٌ. فَهُنَاكَ الْعَبُودِيَّةُ السِّيَاسِيَّةُ الَّتِي هِيَ ظُلْمٌ وَشَرٌّ، حِيثُ يَعِيشُ الإِنْسَانُ فِي خَوْفِ دَائِمٍ مِنَ الْحَاكِمِ. فَهُوَ مَطَالِبٌ بِأَنْ يَفْكُرْ وَيَعْمَلْ وَيَعِيشْ وَيَتَصَرَّفْ وَيَتَكَلَّمْ بِتَصْرِيحٍ مِنَ الْحَاكِمِ، وَبِمَا يَرْضِي الْحَاكِمَ! الْعَبُودِيَّةُ السِّيَاسِيَّةُ تَحْرُمُ الْمُوَاطِنَ مِنَ التَّمَتعِ بِكُلِّ مَا هُوَ سَامٌ وَنَبِيلٌ، وَتَفْرُضُ قِيُودًا عَلَى الْشَّعَبِ، يَفْقَدُ بِهَا كَرَامَتَهُ وَشَرْفَهُ.

وَهُنَاكَ الْعَبُودِيَّةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ، حِيثُ لَا يُسْتَطِعُ الْفَرَدُ أَنْ يَدْبِرْ أَمْوَارَهُ بِنَفْسِهِ لَأَنَّ ظَرُوفَ الْحَيَاةِ تَشَكِّلُهَا إِرَادَةَ الْجَمَاعَةِ وَتَفْكِيرَ الْجَمَاعَةِ وَتَقَالِيدَ الْجَمَاعَةِ. فَأَنْتَ مُثَلاً نَشَأْتَ فِي عَائِلَةٍ مُتِيسِرَةِ الْحَالِ، أَسْبَغَ اللَّهُ عَلَيْهَا مَالًا وَعَقَارًا وَمَرْكَزًا، وَتَحْبُّ فَتَاهَةً مُؤَدِّبَةً مُحَتَرِّمَةً مُلْتَزِمَةً. وَلَكِنَّ الْمُشَكَّلَةُ أَنَّهَا مِنْ عَائِلَةٍ فَقِيرَةٍ، فَتَنَقَّفُ عَائِلَتَكَ ضَدَّكَ وَلَا تَوَافَقُ عَلَى مُثَلُّ هَذَا الْأَرْتِبَاطِ. هَذِهِ عَبُودِيَّةُ اجْتِمَاعِيَّةٍ حِيثُ تَقْرَرُ الْجَمَاعَةُ لِلْفَرَدِ مَا يَجِبُ أَنْ يَعْمَلَ.

ثُمَّ هُنَاكَ نُوعٌ ثَالِثٌ مِنَ الْعَبُودِيَّةِ وَهُوَ الْعَبُودِيَّةُ الْدِينِيَّةِ. رِبِّا تَرِيدُ أَنْ تَقُولَ: "عَجَباً! مَا مَعْنَى هَذَا؟ هَلْ تَوَجُّدُ عَبُودِيَّةٌ فِي الدِّينِ؟ وَمَا مَعْنَاهَا؟" نَعَمْ! كَمْ مِنَ النَّاسِ يَتَمَتَّعُونَ بِالْحُرْيَةِ السِّيَاسِيَّةِ، لَكِنَّهُمْ عَبِيدٌ لِعَقَائِدِ دِينِهِ تَافِهَةٌ وَبَالِيَّةٌ. فَالَّذِي لَيْسَتْ لَهُ الْحُرْيَةُ أَنْ يَفْكُرْ لِنَفْسِهِ فِي مَبَادِئِ دِينِهِ، هُوَ عَبْدٌ ذَلِيلٌ لِغَيْرِهِ. إِنَّ الْمُعْتَقَدَاتِ الْدِينِيَّةِ وَالْفَرَوْضَ الَّتِي يُلْزِمُهُ بِهَا غَيْرُهُ هِيَ سَلَاسِلُ قَاسِيَّةٍ تَقْيِيْدِهِ

وتكلبه. إن الشخص الذي يخاف من لعنة رجال الدين وإرهابهم، فيقبل دون سؤال ما تملئه آرائهم عليه، هو فكريًا عبد! نعم هذه عبودية دينية. إن دكتاتورية الدين يجب أن يجعل محلها الإيمان الحر، الإيمان الذي يختاره الشخص عن رضى وعن اقتناع وليس بالقهر والسيف والإجبار.

وهناك عبودية أخرى، هي عبودية الخطيئة. في هذه الحالة، أنت عبد لرغباتك وأهوائك وميلك الدنيوية الأرضية. هناك قيود تكبلك، وأفكار تسيد عليك، وشهوات تستعبدك. فأنت لا تعرف معنى الحرية. أنت مثل سجين مقيد في سجن الشهوات. وكما قرأنا منذ لحظات، قال عيسى: "كُلُّ مَنْ يَرْتَكِبُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيئَةِ".

كان سيدُنا عيسى المسيح رجلاً حراً، وكان هدفه هو أن يحرر المسجونين المكبلين بالقيود مهما كانت وبالسلسل مهما اختلفت. ولذلك هاجم رجال الدين المنافقين الذين اختلفوا عقائد وعادات قيدوا بها الناس البسطاء المساكين وأذلوهم وأتعبوهم. كان علماء الشريعة والفقهاء يستاءون من عيسى ويكرهونه لأنَّه كان يخترق حدود عالمهم الضيق ويوجههم ويقرعهم على ضلالهم وفسادهم. كان المتشددون والمعصبون يخافون منه لأنَّه نقض لهم الشرائع المقددة التي بنوها على أسس واهية تافهة. وكان البخلاء والمسكرون يتحاشونه، لأنَّه مدح البذل والسخاء والكرم والعطاء. وكان المتكبرون والذين يحبون التظاهر بالدين يُصدرون منه، لأنَّه ضم إلى صحبته من كانوا قبلًا لصوصاً أو غشاشين أو زوابني!

لقد حطم عيسى الحواجز العرقية والجنسية والطائفية والدينية والمذهبية، فهو الآن يقبل الناس من كل لون وجنس ودين وطائفة، ويحررهم ويقربهم إلى الله الواحد الحقُّ الحَرُّ الموجود في كل مكان وغير المحدود بشيء، الإله المحب الذي يشعر مع الناس ويحبهم. إنه يقبلك أنت إن كنت تأتي إليه الآن مؤمناً به ومتوكلاً عليه ببساطة وثقة.

قال عيسى: "إِنَّ حَرَرُكُمُ الابْنُ، تَصِيرُونَ أَحْرَارًا حَقًّا".^أ وقال: "تَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُبَرِّئُكُمْ"^ب ومرة أخرى قال: "أَكَانَ هُوَ الْحَقُّ".^ت فالحق، أي المسيح، يحطم قيود الدين، ويكسر سلاسل العبودية. إنه يفتح أبواب السجن ويطلقك حرا. يتحدث الإنجيل الشريف عن الذين يرفضون الحق الذي هو عيسى ويقسون قلوبهم ضد الإيمان به، والتوبة إليه فيقول: يُرِسِّلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ضَلَالًا فَظِيَاعًا، حَتَّىٰ يُصَدِّقُوا الْبَاطِلَ. وَبِذَلِكَ يَحْلُّ الْعِقَابُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ بَلْ فَرِحُوا بِالشَّرِّ.^ث إنهم إن كانوا يرفضون نداء محبة المسيح، يأتي عليهم عقاب هذه القساوة فيفضلون ضلالا أكثر، ويتيهون تيهاناً أَشَدَّ، ويصدقون الكذب.

هل ننادي بالحق؟ إن هذا الجيل يحتاج إلى محاربين بواسل ينادون بالحق في طول البلاد وعرضها. سيف الحق الذي لا يسفك الدماء إنما يُزهق الباطل ويهزمه هو كلمة المسيح. هذا وحده هو الذي سيغلب وينتصر حين ينادي خدام الكلمة بالرسالة كاملة بلا تحفييف ولا تلفيق ويشجاعة بلا خوف.

قال صديقي عمر المهدى:

"نشأت في ربع ديار عربية عزيزة، وعلى غذاء ثقافة إسلامية عريقة.. تفاعلت حياتي وما زالت تتفاعل مع مختلف الأحداث في العالمين العربي والإسلامي. حصدت وما برحت أحصد الزرع الذي كانت بذرته طفولي وحداثي وشبابي.. (إن) ظلمي لنفسي قد جعلني آثما باغيما فيما مضى من عمري. (إني) كثيرا ما استسلمت لمكاييد الدهر، واتبعت الضلال والهوى، فاقترفت آثاما شقي. عصيت الله حينما كذبت وسرقت

^أ يوم 36:8

^ب يوم 32:8

^ت يوم 14:6

^ث تس 2:11-12

وفسقت. وتمردت عليه عندما حسدت وطمعت وحقدت وبغضت. وجحدت البارئ لما كدت أقنت من رحمته، وهمنت أن أبند نعمته الأولى علىَّ: نعمة الحياة. نسيت آنئذ أن الرحمن كان قد آوانني يتيمًا، وكسانني عرياناً، وأشبعني جائعاً، وشفاني سقيماً. ونسيت كيف عزاني في غربي وفي أسرى، وكيف أنهضني من كل كبواتي. كذلك ما تذكرت كم كان صبوراً معي، يحاول بلا كل أن يُقْوِّم كل اعوجاجاتي.

"لَكُنَ اللَّهُ لَمْ يَنْسِنِي حَقٌّ فِي حَضِيقَةِ ضَلَالٍ. بَلْ أَخْرَجَنِي نُورٌ مِّنْ ظُلَامٍ يَأْسِي، وَنَجَّانِي مَحْبَبَتِه مِنْ أَمْوَاجِ ظُلْمِي لِنَفْسِي. يَوْمَهَا كُنْتُ مَزْهُوقًا بِالشَّقَاءِ وَالْأَلْمِ وَالْتَّعَبِ، مَغْمُورًا فِي عُمْقِ ظَلَمَاتِ بَحْرِي. وَسَمِعْتُ صَوْتَ عِيسَى يَنْادِي مِنْ كُلِّ مَكَانٍ حَوْلِي: تَعَاوَلُوا لِي يَا كُلَّ التَّعَبَانِينَ وَالَّذِينَ أَحْمَلُوكُمْ ثَقِيلَةً، وَأَنَا أُرْجِحُكُمْ. إِحْمِلُوْنِي، وَتَعَلَّمُوْنِي لَأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعٌ الْقَلْبُ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لَأَنَّ نِيرِي سَهْلٌ وَجَمِيلٌ حَقِيقِي".⁶⁵

"ويومها عرفت عيسى. سمعت نداءه ووجدت طريقه، فذهبت إليه. أدركت معنى تضحيته وأمنت به، فحررني إلى الأبد من الذنب، وجدد لي حياتي حاضراً ومستقبلًا. لقد اخترت معتقدي، بهديٍ وفضلٍ من ربِّي. مارست حرفي في الرجوع إليه على طريقه الحق. وأريد طبقاً لإرادته أن أمارس حرفي في عبادته".

إني أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى نِعْمَتِه وَهَدَايَتِه لِصَدِيقِي. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَوْدُّ الْقَدِيرُ تَعَالَى أَنْ يَعْمَلَ مَعَ كُلِّ النَّاسِ. إِنَّهُ يَنْتَظِرُ أَنْ تَأْتِي إِلَيْهِ بِإِرَادَةِ حَرَةٍ وَعَنْ اخْتِيَارٍ صَادِقٍ. إِنَّ اللَّهَ مَحْبَبٌ إِنَّهُ لَيْسَ بِحَاكِمٍ طَاغِيَّةٍ لَا يَرَأْفُ. وَلَا هُوَ سِيدٌ قَاسٌ يَسْتَعْدِدُ رَعِيَّتَه وَيَذْهَلُهُمْ لَا! إِنَّهُ يَقْدِمُ لَكَ بِشَرِّي الْحَرِيَّةِ. إِنَّ رِسَالَتَهُ هِيَ رِسَالَةُ الْحَرِيَّةِ وَالسَّلَامِ وَالْبَهَجَةِ وَالْفَرَحِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِشَعْبِ مُوسَى يَذْكُرُهُمْ بِأَيَّامِ عَبُودِيَّتِهِمْ وَذَلِكُمْ فِي مِصْرَ، وَكَيْفَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي حَرَرَهُمْ: "أَنَّا الْمَوْلَى إِلَهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِّنْ مِصْرَ، لِكُمْ لَا تَظْلَلُوا عَبِيدًا

لَهُمْ أَنَا حَظِيْتُ قُيُّودَ نِيْرِكُمْ وَجَعَلْتُكُمْ تَسِيرُونَ بِرُؤُوسٍ مَرْفَوَعَةٍ^{١٠} أَوْ أَنْتَ أَيْضًا إِنَّهُ يَرِدُكَ أَنْ تَكُونَ حَرَا وَأَنْ تَسِيرَ بِرَأْسٍ مَرْفَوَعَةٍ وَنَفْسٍ كَرِيمَةٍ شَرِيفَةً.

هل سمعت عن طائر العندليب؟ نحن ما زلنا لا نعلم لماذا يغنى العندليب في الليل! على كل حال ربما يسرك أن تعرف ما حدث لعندليب منذ وقت طويل. تقول القصة إنه ذات مرة لما جاء الليل وحل الظلام وظهرت النجوم في السماء، جاء عندليب إلى شجرة ووقف على غصن من أغصانها وبدأ يغني. كان صوته عذباً يملأ المكان بلحن جميل. ولكن بعد فترة من الوقت تعب من الغناء وشعر بالكسل وسكت ونام حتى الصبح.

وبمجرد أن نام العندليب، حدث أمر غير طيب، بل سيئ جداً، والعندليب لا يعلم به. في تلك الليلة طلع في ذلك الغصن شيء غريب والتلف حول رجلي العندليب وهو غارق في نومه لا يشعر بشيء!

وفي الصبح لما صحا من نومه وأفاق من نعاسه، حاول أن يطير كعادته، ولكنه اكتشف أنه مربوط بشيء ما إلى غصن الشجرة، كما لو كان قد وقع في فخ صياد. نشر المسكين جناحيه وضرب بهما الهواء بكل قوته لعله يقدر أن يطير، ولكن للأسف كان ذلك مستحيلاً! بل أسوأ من ذلك اكتشف أنه كلما حاول أن يطير، يشتد الرباط حول رجليه.

وهنا ظهرت مجموعة من طيور العندليب تطير بالقرب من الشجرة التي فيها صاحبنا المسكين. فلما رأوا زميلهم في حالته التعيسة، اجتمعوا وحاولوا أن يقرضوا ذلك الحبل بمنقارهم. ولكن للأسف كان الحبل أقوى منهم ولم يقدروا أن يقرضوه. وهنا خافوا ربما يلتقط الحبل بطريقة ما حول أرجلهم هم أيضاً فيقعوا في نفس المصيبة التي وقع فيها صاحبهم. لذلك قرروا أن يبتعدوا عن الخطر. فطاروا وحلقوا

بعيداً وقد صمموا كلهم في قراره نفسمهم أنهم لن يسمحوا للكسل بأن يسيطر عليهم.
وقالوا: "من واجبنا أن نغفي في الليل ولا ننام".

مرت الساعات بطيئة والعنديب المسكين مربوط كسجين ينتظر الموت.
ولكن من رحمة الله تعالى وفضله، جاء صاحب البستان بالقرب من الشجرة ورأى
العنديب التعيس. فاقترب منه وقطع الحبل عن رجليه وأطلقه إلى الحرية. هل تتخيل
سعادة ذلك العنديب وفرجه بالتجاة التي لم يكن يتوقعها؟ إنه كان على وشك الموت
دون أن يجد من يساعدته أو يسعفه أو ينقذه. ولكن جاء الرجل الطيب وأطلقه حرا.
هل في بعض الحالات تشعر أنك مثل ذلك العنديب؟ هل أنت مربوط ومقيد
بعادات وأمور غير حميدة؟ إن مشيئة الله تعالى هي أن تطير حرا وتغني بفرح وسرور.
إن المولى عز وجل يريد لك أن تفرح وتتمتع بالحياة. وكما أن ذلك العنديب أصيب
بالكسيل والإهمال في القيام بواجبه، حسب طبيعته، أنت أيضاً ربما أصابك الكسل
والإهمال في تنفيذ قصد المولى تعالى في حياتك. فالتف حولك حبل اسمه "الكسيل" أو
"الإهمال" أو "الكراهية" أو "الحسد والغيرة" أو "الطمع" أو "الكذب" أو "الخداع" أو
"الكبراء" أو "الغضب" أو "الشهوة الدنيئة" أو "الزنا" أو "خلق المتابع للآخرين" أو
"الكلمات السيئة والألفاظ البذيئة" أو "العادات المكرهة" أو "السرقة" أو "التعدي
على حقوق الآخرين" أو "التمرد ضد الله تعالى في أي شكل من الأشكال". كل هذه مثل
الحبل المtin الذي التفت حول العنديب. وهي أيضاً التفت حولك وربطتك وأذلتك
وأفسدت قلبك وحياتك، وجعلتك تعيساً في ليك وفي نهارك، في نومك وقيامك، في
مدرستك ومكتبك وحانوتك ومصنوعك وحقلتك ودارك. والمشكلة هي أنك لا تدرى
ولا تعلم أنك وقعت في فخ وأنك لا تقدر أن تنقذ نفسك مهما حاولت. لما حاول
العنديب أن ينقد نفسه كان ذلك مستحيلاً! بذل كل جهده ليطير بعيداً عن القيد
الذي كبله، ولكن هيهات له أن ينجي نفسه. وأنت أيضاً من المستحيل عليك

أن تنقد نفسك. حتى أصحاب العندليب لم يمكنهم أن ينقدوه. وأنت، لا تذهب لأصحابك يا أخي! هم أيضا لا يقدرون أن ينقدوك. لا صديق ولا قريب، لا إمام ولا ولد يقدر أن يمنحك السعادة التي فقدتها. لا بد من صاحب البستان نفسه أن يأتي إليك ويفك قيتك ويقطع رباطك ويطلقك حرا! من هو صاحب البستان هذا؟ هو مولانا عيسى المسيح. إنه بقدره يعطيك الحرية والسلام والفرح. وهو الذي قال: "رُوحُ اللهِ عَلَيْهِ، لَأَنَّهُ اخْتارَنِي لِأَبْشِرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأَنَّادِي لِلْمَسْجُونِينَ بِالْحُرْيَةِ، وَلِلْعُمَيْيِ بِالْبَصَرِ، لِأَطْلِقَ الْمَظْلُومِينَ أَحْرَارًا، وَأَعْلَمَنَ عَنْ حُلُولِ سَنَةِ رِضَا اللَّهِ".⁶⁵

نصر

بموت المسيح على الصليب أعطاني القدير النصر والفوز على الخطية وعلى الشيطان وعلى الموت. أنا لست عبدا للخطية. أنا لست ذليلا تحت سلطان الشيطان كما كنت في الماضي. أنا لا أخاف الموت.⁶⁶

ليس الصليب رمز الهالك، بل هو رمز الحياة. صحيح، كان الصليب وسيلة للعقاب والإعدام والموت، ولكن لأن عيسى مات عليه لفدائنا، أصبح الصليب رمز الحياة والحرية والفوز والنصر!

لا تظن يا أخي أن يوم الجمعة الذي صلب فيه المسيح ومات، هو يوم مخجل في تاريخنا المسيحي! لا تظن أنه يوم مؤسف حزين بين يوم الأحد الذي فيه دخل عيسى إلى القدس وسط احتفال وهتاف الشعب له وبين يوم الأحد الذي قام فيه من الموت حيا منتصرا! لا! بل إن ما حدث في يوم الجمعة هو أساس إيماننا وعقيدتنا وحياتنا وخلودنا. إنه مركز تفكيرنا وإعجابنا. إنه السبب المجيد الوحيد أننا أتباع عيسى نؤمن به ونحبه ونعيش له ونموت من أجله! من الذي هُزِم بسبب الصليب؟

هل المسيح؟ كلاً وألف كلاً! بل الهزيمة كانت من نصيب الشيطان. إن عيسى أتم القصد الذي جاء من أجله وقام منتصراً في اليوم الثالث. إن أعوان الشيطان هم الذين هُزموا بالصلب.

على الصليب انتصر المسيح على الموت وعلى الذنب وعلى الشيطان وعلى قوات الظلام وعلى الألم والحزن. هزمهم، قهرهم، شَهَرَ بهم، كما يقول الإنجيل الشريف: "وَبِالصَّلِيبِ انتَصَرَ الْمُسِيحُ عَلَى الْحَكَامِ وَالْقَادِئِينَ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ، وَنَزَعَ عَنْهُمْ سِلَاحَهُمْ وَسَاقَهُمْ أَذْلَاءً فِي مَوْكِبِهِ الظَّافِرِ".^١ كما يقول أيضاً إن سيدنا عيسى بموته قضى على إبليس الذي له سلطة الموت. بـ كل ما أمكن أن يعمله الشيطان هو أنه بطريقة معنوية رمزية لدغ كعب المسيح، ولكن المسيح على الصليب سحق رأس الشيطان.^٢

مع أن الصليب هو لعنة، لكن ابن الله حوله إلى فوز وبركة. مع أن الصليب هو أحقر وأتعس طريقة للموت، غير أن المسيح حوله إلى أمجاد وأسمى وسيلة للحياة، بل الوسيلة الوحيدة للحصول على الحياة الآخرة!

المسيح غير طبيعة الصليب. المسيح غير معنى الصليب. المسيح غير مفهوم البشر عن الصليب. واليوم لا يوجد انتصار أبجد من الصليب. لا يوجد بهو سلطاني أبهى من الصليب. لا يوجد تاج ملكي أعظم من الصليب. لا يوجد عرش أجمل وأروع وأسمى من تلك الخشبة التي مات عليها المسيح فقهراً الخطيئة والموت والشيطان. بل داسهم تحت قدميه وساقهم أذلاء في موكيه الظافر.

إذن فالصلب هو حكمة لا غباء، قوة لا ضعف، هو مجد لا عار، بركة لا لعنة، هو حياة لا موت! هذا هو العجيب في موت المسيح على الصليب، أنه يظهر وكأنه هزيمةٌ نكراءً ولكنه في الحقيقة نصرٌ مبين. لذلك طلب سيدنا منا أن نختفل دائماً

^١ كوك 15:2

^٢ عب 14:2

^٣ تك 15:3

بموته وقيامته، لأن هذا يعني احتفالنا بحبه وانتصاره. في تضحية فدائنا، وفي انتصاره انتصارنا.

إيماني بالصليب ينصرني على الموت. قبل ما آمنت بال المسيح كنت أخاف من الموت، كنت أرتعب من فكرة الموت. سواء موت قريب أو عزيز أو فكرة موتي أنا. لما كنت فتى في الرابعة عشرة من عمري، رأيت حلما عن الموت والجحيم خوفني وأرعبني، فبكية وصرخت إلى عيسى أن يرحمي ويحسن إليّ بنعمته وفضله. أنقذني من الخطيئة والذنب وحررني من الشر. ومنذ ذلك الوقت وأنا أتبعه وأعيش له بفرح وحماس. أنا اليوم لا أخاف من الموت. لأن إيماني بصليب المسيح يعطيه الشجاعة لأواجه الموت بسلام وثقة وهدوء لأنني عارف مصيري وعارف أنه فداني. وبما أنني أنتمي للمسيح، وبما أنه قام من الموت فائزًا منتصرا، فأنا أيضًا انتصرت بواسطته على الموت وعلى الخوف من الموت. هو حي، وأعطاني حياة. يقول الإنجيل: "وَبِمَا أَنَّ هُؤُلَاءِ الْأُولَادُ هُمْ بَشَرٌ مِّنْ لَحْمٍ وَدَمٍ، فَإِنَّ عِيسَى نَفْسَهُ صَارَ بَشَرًا مِثْلَهُمْ، لِكَيْ يَمُوتَ وَبِذَلِكَ يَقْضِي عَلَى إِبْلِيسِ الَّذِي لَهُ سُلْطَةُ الْمَوْتِ، وَيُحَرِّرَ الَّذِينَ كَانُوا طُولَ حَيَاتِهِمْ عَبِيدًا لِلْخُوفِ مِنَ الْمَوْتِ".^١

في كتاب "رحلة الحاج" الذي كتبه يوحنا بنيان وهو في السجن بسبب إيمانه بكلمة الله الندية الطاهرة، كان الحاج المؤمن باليسوع يسير في طريقه وفجأة لاحظ أسدًا يتنتظره. ارتعب الحاج. الأسد يكشر عن أنيابه ويزأر. وليس من وسيلة للحاج أن يتفادى الأسد. وبينما الرجل يقترب وهو يشعر من الخوف، إذا به يكتشف أن الأسد مقيد بسلسلة متينة إلى عمود ضخم. لقد جاء شخص قبل الحاج، وسار في نفس الطريق، وقابل الأسد وأخضعه وقيده إلى العمود! ولهذا يسير الحاج الآن في الطريق وهو في أمان، لأن الأسد مقيد ولا يمكنه أن يمس الرجل بسوء أو ضرر. فمع

أن الأسد في الطريق، لكن الحاج في أمان.

قصد الكاتب يوحنا بنيان بقصته أن تكون كمثل يبيّن لنا أن المسيح سار قبلنا في نفس الطريق التي نسير فيها نحن اليوم. لقد قابل الأسد المفترس وأخضعه من أجلنا. أنا لن أكون فريسة للموت لأن المسيح قهر الموت لي. ولهذا فإن هتاف الفرح ورنين النصر على الموت يدوي في جميع أنحاء الإنجيل الشريف، مثل: "يا مَوْتُ لَنْ تَعْلِبَنَا! يا مَوْتُ لَنْ تَلْدَعَنَا!".

كما أن الشيطان أيضا هو عدو مهزوم، وخططه لن تنجح. الطفل الوحيد الراقد في سلة والمطروح في النيل على وشك الغرق، يصبح موسى الذي نشأ وتعلم في قصر فرعون ليحصل على أفضل إعداد وتدريب في القيادة في ذلك اليوم! يوسف العبد المسجون يصبح حاكماً مصر! داود الشاب الطريد الذي كان الملك يتعقبه من مغارة إلى أخرى ومن جبل إلى آخر لكي يقتله، يصبح الملك داود! المسيح المصلوب يصبح الحي الذي قام من الموت وجلس على عرش العالمين!

غَيَّرَنِي

لقد غيرني موت المسيح على الصليب. إن قوة الصليب واضحةٌ في حياة الناس المتغيرة. فالشخص البائس الذليل، المتعب من الحياة، واليائس من الظروف القاسية، حين يأتي إلى المسيح بالإيمان، يزول عنه حِمْلُ الذنب والعار والمعصية. وعندها يتبدل يأسه إلى رجاء، وتعاسته إلى فرح، وخوفه إلى سلام، وضياعه وضلاله إلى هدوء وسکينة وطمأنينة في الصراط المستقيم. هذه هي قوة الصليب التي تغير وتتجدد! هذه هي قوة الصليب التي غيرت ملايين من الناس على مدى الأجيال والعصور في كل مكان على وجه هذه الأرض!

ما سبب التغيير الذي جرى لخالد؟ ما الذي جعله شخصاً وديعاً محباً وودعاً لطيفاً؟
 كان خالد يدرس ليصبح إماماً وكان قصده أن يحصل على العلم الكافي الذي يساعد في
 محو المسيحية وإزالتها من الوجود. كان يعتبر أن المسيحية هي ديانة وثنية.
 وكان الدافع لدى خالد حين صادق شخصاً من أتباع المسيح، هو أنه أراد أن يجعله
 يدخل في دين الإسلام. كان يظن أن هذا الصديق هو مثل باقي المسيحيين المعروفين
 بأنهم يقضون حياتهم في جمع المال وال العلاقات غير الشريفة. ولكن كلما ازداد خالد
 معرفة بذلك الشخص ولاحظته عن قرب، كلما أدرك أن هناك شيئاً مختلفاً فيه. لم
 يكن ذلك الرجل مؤدباً وتقيناً فقط، بل كان محباً جداً وقلبه مملوء بالحنان والعطف.
 كان خالد لا يريد أن يعترف بأن ذلك المسيحي يتميز بصفات سامية يعجب بها خالد!
 استمرت الصداقة ولكن في الحفاء. لم يرغب خالد في أن يعرف أصحابه وأهله بأنه
 صديق واحد من أتباع المسيح!

انتهى خالد من دراسته، وحان الوقت أن يرجع إلى بلاده ليصبح إمام المسجد في
 قريته. حزم أمتعته وراح إلى الفراش مبكراً، فالغد هو يوم السفر والرجوع إلى أهله.
 ولكنه رأى في الليل حلماً أزعجه. رأى صديقه المسيحي راكعاً عند صليب كبير وكان
 يصرخ ويقول: "أين أنت يا خالد؟ أين أنت؟" فاستيقظ خالد من حلمه وهو يرتعش
 وبيكي، والكلمات "أين أنت يا خالد؟" ترن في داخله. ثم بدأ يسأل نفسه: "حقاً، أين
 أنا؟ أين أنا في رحلة الحياة؟" وهنا اضطر أن يعترف لنفسه بأنه ليس أقرب إلى الله
 تعالى الآن مما كان عليه حين بدأ دراسته قبل عدة سنين. لقد أمضى حياته يتعلم
 دينه ويحفظ القرآن ويدرس الحديث ويصوم ويصلوة، ولكن مع كل ذلك لم يشعر أنه
 أقرب لله من صديقه المسيحي. بل بالعكس كان يشعر أن ذلك الصديق يملك ما كان
 يشتاق هو إليه من السلام العميق والمحبة والحنان واللطف.

وهنا قرر خالد أن يذهب إلى صديقه. وفي أثناء تلك المقابلة، اقتنع أن ذلك

الحلم جاءه من عند الله عز وجل ليرشده إلى طريق الحق والحياة. ولم يتردد أبداً بل اتخذ أهم قرار في حياته. لقد أصبح هو أيضاً من أتباع عيسى المسيح. وأصبح الآن يعرف معنى السلام الحقيقي. لقد غيرَ هذا حياته وأيضاً غيرَ رسالته، فبدلاً من الغضب والانتقام الذي كان ينادي به، أصبح خالد ينادي الآن بالمحبة والصفح. تغير خالد وأصبح إنساناً جديداً.

قبل أن أحذثك بقصة خالد، سألت هذا السؤال: ما الذي غيرَه؟ والجواب هو: قوة صليب المسيح! قوة فداء المسيح. عظمة محبة الله. عظمة تضحية القدير من أجلنا. قالت زوجة شابة: "تزوجت من شاب غني يمتلك كثيراً من العقارات والأراضي. سارت حياتنا في البداية بشكل جيد، لكنني لاحظت تغييرًا حدث لزوجي، فقد أصبح عصبياً وحين كنت أناقشه يغضب ويهينني، وكثيراً ما كان يحتقرني ويعاملني بقسوة أمام أقاربنا وأصدقائنا.

"أصبحت حياتي جحيماً لا يطاق، وبدأت أكره بيتي وزوجي. وأصبح عزائي الوحيد هو في أطفالى الذين أحبهم بكل كيانى. وكم من الليالي نمت فيها والدموع تملأ عيني! كنت أشعر بأن لا قيمة لي، كأنني أعيش عبدة في بيتي . ولأن مجتمعنا لا يعطي المرأة الحق الكافي للمناقشة أو الاعتراض، فقد صبرت على حالى مرغمة من أجل أولادى. وفي عشية أحد الأيام كنت أستمع إلى الراديو وسمعت صوتاً عذباً رقيقاً يردد هذه الكلمات بلحن رائع:

"كم لقينا من كروب واكتئابات الحياة"

حيث لم تُلقي عليه (أي على سيدنا عيسى المسيح) كل حمل بالصلوة (أي بالدعاء والابتهاج إليه)

هل تجارب (أي محن) وضيق مثل أمواج الحياة
لطمتنا ورمتنا؟ فعلينا بالصلوة (واللتصرع إليه لينقذنا وينجينا منها!)

"أخذت الدموع تنهر من عينيَّ بغير إرادتي. لقد لمسَت هذه الكلمات وجداًني. وبدأت أراسل هذا البرنامج، وحصلت على نسخة من إنجيل سيدنا عيسى، وبدأت أقرأه سراً. وهنا عرفت أشياء عن السيد المسيح لم أسمع بها من قبل، وبدأ نوره يشرق في قلبي، وذَكْرُهُ أن يغيِّر حياتي وحياة زوجي. وبطريقة عجيبة لاحظت تغييراً في سلوك زوجي! وبدأ يسألني هو أيضاً عن التغيير الذي حدث في حياتي، فخفت أن أقول له الحقيقة.

"مررت سنة تقريباً عادت فيها علاقة الحب والود تزداد بيني وبين زوجي. فقررت أن أفصح له عن الحقيقة، وتوقعت أن أنا ضرباً مبرحاً أو شيئاً أسوأ من ذلك. لكنني كنت مستعدة أن أدفع ثمن اتباعي ولولائي ووفائي للسيد المسيح. وكم كانت المفاجأة! لقد قال لي زوجي: 'إن كان المسيح يملك القوة التي تستطيع أن تغيِّر الحياة، فأنا لا أقدر أن أقف أمامه!' والأغرب من هذا أنه بدأ يقرأ الإنجيل الشريف معي. لقد ملأ بيَّنَـا الفرح والسلام والحبُّ الذي كنا نفتقده وأصبح السيد المسيح ملكاً على حياتنا." أنت أيضاً يمكنك أن تتغير، أنتِ كذلك يمكنك أن تتغيري! حين نؤمن بفداء المسيح وتضحيته من أجلنا على الصليب، تتغير حياتنا. نعرف معنى الحياة الحق.

أنا عارف قوة الصليب، أنا اختبرت قوة الصليب. إيماني بصليب المسيح غَيْرِي وهو يغْيِّرني في كل يوم لأكون دائماً ابناً مطيناً لله. أنا إنسان جديد لأن عيسى مات من أجلي على الصليب. راح عني حُمُّـل الذنب الشقيـل الذي أتعبني، تخلصت من الماضي الكئـب الذي كان يطاردني، ومن الخوف من المستقبل الغامض الذي كان يزعجـني، ومن رعب يوم الدين، ومن قيود الشيطان الرجيم، ومن رهبة الموت، ومن عذاب الآخرة. كل هذا لأنني بإيماني بالصلـيب، غفر المسيح ذنبي وأعطاني سلامـه. وأنا اليوم أعبد الله الأـحـد بفرح وبهـجة وسرور، وأكـبر له وأعـظمـه وأـمـجـده وأـعـزـه وأـحـمـده وأسبـحـه من أجلـ الصـلـيبـ، من أجلـ موـتـ المـسيـحـ فـداءـ عـنـيـ.

على أي أساس؟ على أساس نعمة المسيح وفضله. لأنه مات بديلاً عني، نال عقاب الخطيئة بدلًا مني. جذبني إليه بحبه وأمنت به، فغيرني. جعل مني إنساناً جديداً. هذا فضل من الله ونعمته علىَّ. نعمة الله التي تغفر لنا ونحن لا نستحق. فضل الله الذي يصفح عننا ويسامحنا ونحن غير أهلٍ. عيسى المسيح الطاهر القدس، له الجلال والكرامة والعظمة والسبح والتمجيد، هو غيري.

كتب لي واحد من مستمعي برنامج الراديو اسمه عبد المنعم يقول: "أنا طالب بالسنة الثالثة بكلية الشريعة الإسلامية بالجامعة بعاصمة بلادنا. لقد رأيت المتناقضات في ديننا ولذلك بذلت من الحياة. لذلك أفك في أن أنتحر وأنهني هذا اليأس والتشتت الذي أنا فيه".

وفي الحال كتبت خطاباً إلى عبد المنعم. ومن ضمن الأفكار التي احتواها خطابي قلت:

"إن كلامك يا عبد المنعم بشأن الانتحار يزعجني جداً. فليس هذا هو الحل لمشاكلك. إن اليأس كثيراً ما ينبع عن الضياع، والضياع أساسه البعد عن الطريق الحق. وما دام السبيل لله تعالى هو واحد، فإن الله ليس هو روماً في المثل الذي يقول: كل الطرق تؤدي إلى روما، لا! فليست كل الطرق تقود إلى الله. إنما واحد هو الذي قال: "أَنَا هُوَ الْرَّٰبِيقُ (أي الطريق إلى الله)، أَنَا هُوَ الْحَقُّ، أَنَا هُوَ الْحَيَاةُ". وهو عيسى المسيح سيدنا. الطريق واحد والسبيل واحد. لذلك مهما اختلفنا من طرق وعبدناها وجملناها، فهي طرق البشر ولا تقود إلى الله أبداً.

"إِنْ لَحَّاتٍ يَا عَبْدَ الْمَنْعَمِ، إِلَى عِيسَى وَأَسْلَمْتَ نَفْسَكَ لَهُ، يَغْفِرُ ذَنْبَكَ. هَذَا هُوَ السَّبِيلُ الْقَوِيمُ، الصَّرَاطُ الْحَقُّ الْمُسْتَقِيمُ. عِيسَى يُحِولُّ يَأْسَكَ إِلَى رَجَاءٍ، وَقُنُوطَكَ إِلَى

أمل، وتعاستك إلى بهجة، وحزنك إلى فرح، وكآبك إلى ابتسامة مشرقة جليلة تجذب الآخرين إليك بالسؤال: "من أين لك هذا؟ من أين لك كل هذه السعادة؟" كما تتحول رغبتك في الانتحار إلى محبة للحياة مع عيسى وفي ظله ومن أجله. هو سيغيرك، سيجعل منك إنساناً جديداً.

"أنا عارف أن هناك صعوبات تقابلك، هناك مشاكل عويصة. لكن عندما نبدأ في السير مع عيسى، عيسى الذي لا مثيل له في محبته وتضحيته، فإننا نجد أنه يسير معنا دائماً. حتى في المشاكل والصعوبات، يسير بجوارنا، يهمس همسات الحنان والوفاء في قلوبنا. لذلك فإني أرفع قلبي بالدعاء لله عز وجل، أن يفتح قلبك للحق، وينير فهمك، ويملاً فؤادك بدفعه حبه وحنانه".

منذ فترة تقابلت لأول مرة مع شاب اسمه إسماعيل، فحدثني بقصته وكيف أن إيمانه بصليب المسيح غير مجرى حياته. قال إسماعيل: "أنا مصرى وأعمل مصوّراً. من عائلة بسيطة مسلمة. ومنذ صغري علمتني أمي فروض الدين. لذلك نشأت كشاب متدين أقوم بواجبات الدين وأسعى لإرضاء الله تعالى، فكنت أختلف عن الشبان الآخرين الذين لا يفهمون الدين ولا التدين. ومع ذلك كنت أشعر بجوع روحي وعدم رضا بما كنت أقوم به. كنت أشعر أنني لا أرضي الله. وذات مرة كان لي صديق متدين ومع ذلك فجأة بدأ يتحدث عن عيسى بأسلوب غير معهود وبطريقة جعلتنيأشعر من صديقي وأغضبه منه جداً. طبعاً أنا كمسلم أؤمن بأن عيسى نبى من الأنبياء الصالحين، بشر كالبشر الآخرين، لا أكثر ولا أقل. كان صديقي يقول إن عيسى غير قلبه، وأعطاه نظرة جديدة للحياة، وملأ نفسه بالفرح والمحبة والسلام والهدوء. كل هذا أثار في نفسي الحقد والكراهية ضد صديقي. أنا متزمنت وغيرور لدیني. ديني هو كل شيء في الحياة بالنسبة لي. فكيف يقول هذا الشخص إن عيسى فعل هذا الأمر وذلك الأمر في قلبه ونفسه وحياته؟ فحاولت أن أرجع صديقي عن هذا الضلال، كما كنت

أظن. فأخذته إلى علماء الدين كانوا أستاذتي، فلم يقدروا أن يرجعوه. أخذت أستعمل وسائل أخرى مرة عن طريق الضغط الشديد عليه، ومرة بالاضطهاد وسوء المعاملة. أخبرت أنا وزملائي عائلته بأن ابنهم ضلّ عن سوء السبيل. حزّ ذلك في نفس هذا الصديق وتالم لأننا أفشينا سره لعائلته. لكن من المدهش أن صديقي ظل ثابتا على إيمانه، وكان دائماً يتحدث معنا عن محبة عيسى، ودائماً يعاملنا بالحسنى، ودائماً يظهر لنا اللطف والأدب والخلق الكريم! كنا نظره له الكراهة، لأنه في نظرنا مشرك بالله، ولكنه كان يظهر لنا المحبة. كنا قساة في معاملتنا له، ولكنه كان لطيفا طيبا في معاملته لنا.

"طللنا على هذا الوضع حوالي سنتين أو ثلاث. في ذلك الوقت اقتنعت أن الإنجيل الذي عند المسيحيين ليس كتاباً تافهاً، بل لا بد أن يكون شيئاً قوياً جعل صديقي يرتد عن الإسلام. وأخيراً قررت أن أدرس هذا الإنجيل ربما يمكنني عن طريق ذلك أن أقنع صديقي بالرجوع عن ارتداده. كان من الصعب عليه أن أمسك نسخة من الإنجيل لأقرأه. كنت أخاف أن ينجزني هذا الكتاب. وهنا التقييت مع بعض الأصدقاء وقررنا أن نقتل هذا الشخص الذي ترك الإسلام. أحكمنا المؤامرة ضده. ولكن ذات مرة كنا وحدنا، أنا وهو فقط. فطلب أن يقرأ لي مزموراً لسيدنا داود. سمحت له بذلك وفي قلبي احتقار له وللمزمور الذي سيقرأه. لكن بينما هو يقرأ، لمس الكلام قلبي وأثر فيّ جداً. كان المعنى واضحًا والرسالة قوية. فقدقرأ من المزמור الثاني حيث يقول سيدنا داود: **'لِمَاذَا هَاجَتِ الْأُمُّمُ؟ وَلِمَاذَا فَكَرَتِ الشُّعُوبُ فِي أُمُورٍ بَاطِلَةٍ؟ اسْتَعَدَ مُلُوكُ الْأَرْضِ، وَاجْتَمَعَ الْحُكَمُ مَعًا، ضَدَّ اللَّهِ وَضَدَّ الْمَسِيحِ مُخْتَارِهِ وَقَالُوا: "لِنَقْطِعَ عَنَّا قُبُودَهُمَا، وَنَتَحَرَّرُ مِنْ رُبُطِهِمَا". الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ فِي السَّمَاءِ يَضْحَكُ، الْمَوْلَى يَهْرَأُ بِهِمْ. ثُمَّ يُوَجِّهُمْ فِي غَصَّبِهِ، وَرُبِّرُعَبُهُمْ يَغْيِظُهُ'.**¹ ذُهلت حينقرأ

هذا الكلام لأنه يكشف ما كنا سنقوم به أنا وأصحابي. إنها مؤامرة ضده! وفي الحال شعرت أن هذا الكلام كشف ما في نفسي، وأضاء قلبي المظلم. رأيت أن المؤامرة ليست ضد صديقي بل ضد عيسى المسيح. كنت أطعن أنني متحمس لله واكتشفت أنني أعمل ضد الله. رجعت إلى داري ذلك اليوم وأنا شارد ومعذب. لم أنم الليل. شعرت بحمقاني وجهلي. عرفت أنني يجب أن أتوب عن ضياعي وضلالي. وفعلاً في اليوم التالي قدمت نفسي لله بتوبة صادقة. أسلمت قلبي لعيسى المسيح، وطلبت منه أن يصفح عنني ويغفر لي. شعرت بحياة جديدة تدب فيّ. إنها ليست دينا ولا تديننا. بل سلام وفرح وثقة في هذا الإله الذي كنت أتعبد له وأعمل بفروض الدين لعله يرضي عنني. ومع ذلك لم أكن أشعر به ولا بقربه ولم أكن متأكداً أنه راض عنني. أما الآن فإني أشعر به في كياني. ملأ قلبي وحياتي بوجوده. إنه اختبار حيٌّ، أعيشه وأتمتع به. أنا تغيرت وهو الذي غيرَني. أنا الآن إنسان جديد".

كانت هذه هي قصة إسماعيل. إنه عرف قوة صليب المسيح التي حوتَه بهذه الطريقة من شاب ضائع غضوب يتآمر بالقتل ضد صديقه، إلى شاب محبٌّ عطوفٌ لطيفٌ له مستقبلٌ باهر.

و هنا نسأل: من الذي يحصل على هذا التغيير؟ على هذه النجاة، وهذا الغفران المجاني؟ والجواب: من يؤمن بعيسى المسيح. إن كل ما عمله المسيح، تضحية العظمى، وألامه وعذابه، ثم موته وقيامته، كل هذه تكون لها قيمة فقط إذا قبلنا وأخذنا منه بالإيمان.

رجل كان محكوماً عليه بالإعدام، وحسن أخلاقه في السجن، أصدر الحكم قراراً بالعفو عنه. ولكن لما أخبروا الرجل عن العفو، رفض قبوه. فما كان من سلطات السجن إلا أن نفذت فيه الإعدام. نحن نحتاج أن نقبل من المسيح فداءه لنا وبركته علينا.

دعني أقدم لك مثلاً لشرح هذه الحقيقة. أنت غني وأنا فقير. رحمة بي، أنت وضعت في البنك مبلغاً من المال باسمي يكفي لإعالي فترة طويلة من الزمن. لكنني ما زلت أمشي في الشوارع بملابسي المتهلة، جائعاً، محتاجاً!

كيف يمكن أن يتغير حالِي إلا إذا ذهبت إلى البنك وبدأت أسحب من حسابي ما يساعدني لأحيا حياة كريمة؟ سيدنا عيسى المحبُّ الكريم قدم التجاة لجميع الناس. إن قوَّة فدائِه تكفي لنجاَة كل الناس. لكن في الحقيقة من الذي ينجو؟ الجواب: الشخص الذي يؤمِّن بفداء المسيح.

هل تشتق إلى مثل هذا التغيير في باطن نفسك، في كيانك الداخلي؟ عيسى وحده هو الذي يستطيع أن يعمِّل هذا. تعال إليه، ثق في محبته، وتوكل على قدرته فيعمل هذا التغيير. إنه يمنحك الحياة الجديدة الفاضلة والتقوى الصحيحة والصلاح الحقيقي لا الشكلي. إنه يمنحك القوة لتعيش بما يرضيه.

غير قلي

أصبحت أرى الله كالأب المحب

كان شاب يقود سيارته بسرعة كبيرة، فخالف الإشارة الضوئية الحمراء عند مفترق طرق. أوقفه رجل المرور وطلب منه أن يدفع الغرامة الواجبة، أو يمثل أمام المحكمة فوراً وذلك لخطورة السرعة التي كان يقود بها. لم يكن معه المبلغ المطلوب فذهب إلى المحكمة. وهناك سأله القاضي إن كان يقر بأنه فعلاً كان يقود السيارة بسرعة 100 كم في الساعة وبأنه خالف الإشارة. اعترف الشاب بأنه فعلاً ارتكب الخطأ. ثم سأله القاضي لماذا لم يدفع ما يستحق عليه. أجاب الشاب بخجل: "ليس معِي هذا المبلغ". وهنا نطق القاضي بحكمه وهو إن كان لا يدفع الغرامة فوراً، فلا

بد من الحبس! دُهُل الشاب من هذا الحكم وأصيب بالخيبة. كانت له علاقة خاصة بالقاضي يبيّنها تشابه اسميهما. كان هو ابن القاضي. لقد حكم عليه أبوه بالحبس. كيف يفعل ذلك؟ أين الرحمة؟

أخذ الشرطي ذلك الشاب لعمل إجراءات تنفيذ الحبس. وسرعاً ترك القاضي المنصة وخلع ملابس القضاء الرسمية، وأسرع إلى حيث أخذوا ابنه، وأخرج محفظته وأعطاه المبلغ المطلوب ليدفعه وقال: "يا ابني، باعتبار أبي القاضي يجب أن أحمي القانون وأنفذه. وباعتبار أبي أبوك، أضحي من أجلك وأنقذك من الحبس".

هذا، يا صديقي، هو الذي عمله الله معنا. هو الإله العادل الذي يحمي القانون وينفذه. وهو أيضاً الإله المحب الذي يفدي وينقذ! وهذا فإنه بفداء المسيح أصبحت أرى الله القدير باعتبار أنه أبي الحنون. لم يَعُدْ هو الشرطي المخيف الذي يتربص لي وينتظر أن أرتكب خطأً، فيعاقبني. لا! بل هو أبي. الله هو أبي المحب!

أصبحت أكره المعصية ولا أطيقها

الإنسان في حقيقته مكون من أجزاء نراها وتلمسها، وأخرى لا نراها بل وأيضاً لا ندركها. فعندما أقابلك في الشارع مثلاً، ونقف معاً لتحدث فإني أراك وأسمع صوتك وألاحظ تعابيرات وجهك. هذا الجزء من كيان الإنسان هو واضح للآخرين. دعنا صديقي نسمي هذا الجزء: الجسم.

لكن، بينما أنا وأنت نتحدث معاً أثناء لقائنا هذا في الشارع، هل أستطيع أن أرى أو أدرك ما يدور في فكرك؟ لا. أنت وحدك تعرف ما في فكرك وقلبك. أو هل تقدر أنت أن تعرف ما في فكري؟ لا. أنا وحدي أعرف أفكاري. فهذا الجزء في كيان الإنسان يراه ويعرفه صاحبه وحده. وهذا نسميه القلب أو الفكر. ولكن هناك مُكْوِن آخر في شخصيتنا، لا أنا ولا أنت نستطيع أن ندركه أو

نعرفه. هذا الجزء من كيان الإنسان لا يراه ولا حتى صاحبه. إنما يراه الله وحده. ودعنا نسمى هذا القسم من كيان الإنسان: النفس. قد تكون النفس البشرية غارقة في الظلام، وذليلة للشهوات لأنها في قبضة إبليس، يُسِّرُّها ويوجهها ويستعبدها ويتحكم فيها كما يشاء.

ربما أنت يا أخي حسن الشكل، لكنك تعيش في ظلام النفس ذليلاً للشهوات، لأنك في قبضة إبليس. ويا أخي، ربما أنعم الله عليك بقدر كبير من الجمال، لكنك في الحقيقة مستعبدة لأفكار دنيئة ونجاسة في القلب، لأن إبليس يتحكم فيك.

ربما أنت أيها الإنسان سجين لأخلاق متغيرة، وسلوك أعوج، وانحراف وفساد. لا تحاول إصلاح الخارج قبل إصلاح عطب النفس الداخلي، ولا تجميل الخارج بينما الداخل متغصن. إن الله تعالى يحبك، لذلك أرسل عيسى المسيح ليغدريك من فساد النفس ومن عقاب الذنوب. آمن به يغيّر داخلك ويحمل خارجك.

قرأت قصة عن رجل كانت ساعة الحائط في منزله غير مضبوطة. ففتحها ورفع منها عقاربها وأخذها إلى الساعاتي، وطلب منه أن يصلح عقارب الساعة. فقال له الساعاتي: "أنا لا يمكنني أن أجعل هذه العقارب تعمل بدقةٍ إن لم تحضر الساعة نفسها". فقال صاحب الساعة: "إن الساعة لم تتوقف عن الدوران، فلا بد أن العيب هو في العقارب لأنها لا تضبط الوقت". فقال الساعاتي: "إن كانت العقارب لا تضبط الوقت، فذلك لأن الساعة نفسها بها مشكلة في داخلها. يوجد خطأ في داخل الساعة لا بد من إصلاحه".

وأنت يا صديقي، إن سبب الخلل في حياتك هو الخطيئة التي في القلب. ليس العيب هو في مظهرك أو ملابسك، بل المشكلة الكبرى هي أن نفسك اخترت وضللت عن الصراط المستقيم.

ذات ليلة كان أحد المطربين المشهورين غارقاً في أفكاره الدنيئة وتدبراته

الدنيوية، وهو يعزف على القيثارة (الجيتار) أغنية بعيدة كل البعد عن الدين القويم وتقوى الله تعالى. وفجأة رأى صورة عيسى المسيح ممتلاً أمامه، وهو معلق على الصليب، وكأن الدم يسيل من يديه ورجليه المتفوقة ومن جنبه المطعون. اضطرب الرجل وخفق قلبه بشدة، وطرح القيثارة جانبًا ووقف على قدميه، وأخذ ينشد أغنيته المشهورة المعروفة حتى يومنا هذا والتي يقول فيها:

وكيف أنسى حملاً،

قد مات عن ذنبي،

واحتمل التعير،

والآلام والصلب؟

اذكر حبك الذي،

أظهرت يا ودود،

اذكره ما دمتُ،

في الحياة والوجود.

حدثني صديقي الإيراني إبراهيم غفاري فقال: "لقد ولدت في عائلة مسلمة وتربيت في الدار والمدرسة على مبادئ ذلك الدين. ولما بلغت من العمر 15 عاماً كنت أحاول أن أعمل بكل فرائض الدين وأطبقها بأخلاقه. إلا أن هذه الفرائض لم تغير ما بقلبي، ولم تمنعني السلام الذي كنت أنشده. كنت أحاول أن أعرف الله تعالى المعرفة الصحيحة. كنت أريد أن أقرب إليه عز وجل، ولكنني لم أشعر بقربه. كانت حياتي الشخصية لا سعادة فيها ولا هناء ولا سلام. كنت دائمًا أسأل نفسي: 'كيف يمكن للإنسان أن يحيا حياة الفرح في هذه الدنيا؟' وكانت أؤمن أن كل الأديان تقريباً تحتوي على إرشادات قيمة، وأن كل ما يحتاج إليه الإنسان هو دمج هذه الإرشادات معاً وتنسيقها بحيث تتناسب مع مصلحته ورغباته الشخصية! ومع كل هذا كنت أنايا كذاباً ومخادعاً!"

"وفي يوم من الأيام حدثني أحد أصدقائي برسالة الإنجيل. قال لي إنه رغم حالي الرديئة التي وصلت إليها من ارتكاب الذنوب والمعاصي، فإن الله يحبني جدا وقد دبر لي النجاة من الخطيئة بفداء سيدنا عيسى المسيح الذي مات من أجلي. وقال صديقي أيضا إن عيسى هو الوحيد الذي يقدر أن يغير حياتي إلى حياة جديدة، حياة الطهارة والصلاح والحب. وفي نفس ذلك اليوم آمنت باليسوع الإيمان الحق وأسلمت له نفسي وحياتي. شعرت في داخلي بالحب العميق والسلام الحقيقي والفرح الغامر."

كيف تغير إبراهيم غفاري يا أخي؟ الجواب كما أفرأى به هو، إن حياته تغيرت بقوة عيسى الإلهية، لا بسبب الفرائض التي كان يعمل بها. واليوم هو إنسان جديد بفضل نعمة الله عليه.

بموت المسيح على الصليب حدث وما زال يحدث يومياً تغيير معجزي في حياة مئات الألوف من الناس، من العصيان إلى الطاعة، ومن الشر إلى الصلاح، ومن الظلام إلى النور، ومن الموت إلى الحياة. عيسى الذي مات مصلوباً ثم قام حياً، هو وحده الذي بقوة فدائنه لنا يُجري هذا التغيير المعجزي في حياتنا. نحن اختبرناه. نحن نعرف معنى هذا التغيير. لا توجد قوة شيطانية أو دنيوية تقدر أن تقنعني بأن هذا التغيير لم يحدث في حياتي. وليس بإمكان كتاب يطعن في الحقائق التاريخية الثابتة، ولا نظام مهما كان منتشرًا وراسخاً عند الملايين، أن ينكر حدوث ما سمعناه بأذاننا، ورأيناها بعيوننا، ولمسناه بأيدينا، وختبرناه في قلوبنا وحياتنا. لا شيء يمكن أن ينزع منا السلام والفرح والحياة الجديدة التي حصلنا عليها بموت المسيح وقيامته.

غَيْرَ وَضِعِي

ماذا كان وضعني بالنسبة لله وفي نظره؟ كنت مذنبًا خطأنا و مجرماً ساقطاً. كنت في عداوة معه وبعيداً عنه. ولكنه بقوة الصليب غير وضعني! كيف؟

حكم ببراءتي

الله هو القاضي العادل الصالح، والرحمن الرحيم الذي حكم ببراءتي. ليس لأنني دخلت محكمته ومعي أفضال ومميزات وصالحات تجعله يحكم لي بالبراءة ويعفني من العقاب. لا! بل لأن المسيح دفع نيابة عنِي كل ما كان عليه من دَيْنٍ، ثم أيضاً هو محامي الدفاع عنِي. لذلك أخرج من المحكمة ومعي مستند قانوني ببراءتي. إن هذا القاضي الصالح الرحيم وجد السداد الكامل لما هو مطلوب مني فيما عمله المسيح من أجلي على الصليب، فأطلقني حراً.

وهذه البراءة تعني أيضاً أنني صرت صالحاً في نظر القدير! يا له من شيء عجيب للغاية. أنا صرت صالحاً في نظر الله، لأن المسيح فداني!

صالحي معه وقربني إليه

الخطيئة فصلتني عن الله. أبعدتني عنه. جعلتني غريباً عليه. هو خلقني طيباً، والخطيئة جعلتني شريراً، فأُبعِدُ عنه! خلقني طاهراً، فجعلتني الخطيئة فاسداً، فطردتُ من حضره! خلقني لأكون بالقرب منه، لكن الخطيئة أضلَّتني وأتاهنتني. لما أذنبت انكسرت العلاقة بين الخالق والمخلوق. خلقني ل تكون هناك رابطة شخصية بين الإله الكريم الغني والمخلوق البسيط الفقير المحتاج. وفعلاً كان هذا هو الوضع بين الله وأدم. كانت هناك رابطة ومودةً مباركة. إنما الخطيئة حطمت هذه العلاقة، وأصبح الإنسان بعيداً عن الله.

لكن بالصليب صالحني المسيح مع القدير عز وجل، وجعلني مقبولاً عندَه. جعلني صالحاً. كنت قد كسرت شرع الله وقانونه، ولكنَّ عيسى أمسك بيدي وأخذني إلى حضر الله تعالى. هذا لأنني آمنت به وبصلبيه وقيامته من الموت، وأسلمت له، واتخذه رباً وفادياً وهادياً. الآن هو نصبي ومعيني ومرشدِي وقائدي. إنه بنعمته

الغنية وفضله جعلني أمثل في محضر ملك الملوك ورب الأرباب، الخالد الدائم الله الأحد الذي لا إله إلا هو، وهناك عند عرشه أُسجد بخضوع وخشوع، وأيضاً بثقة وفرح لأنّه قبلني!

وبذلك تمت المصالحة بدل العداوة، وتوثّقت الرابطة بدل الشقاق. كان ينتظري العقاب الأبدي، والآن حصلت على السلام والبركة والمكافأة الأبدية. بعدها كنت غريباً وبعيداً عن الله، صرت حبيباً له وعزيزاً عليه. كنت عدواً، مبعداً، منفياً، مطروداً، فصرت قريباً!

عند شجرة في جنة عدن، أخطأ آدم لأنّه أكل من الشمرة الممنوعة. فوقع تحت دينٍ باهظ لا يقدر أن يسدده، وانقطعت العلاقة الصالحة بينه وبين الله. وعلى خشبة من شجرة خارج مدينة القدس مات المسيح فداء عني. فألغى الدين الذي علىَّ، وأصبحت لي علاقة جديدة ورابطة متينة مع الله المحب. لقد قربني إليه فصرت حبيب قلبه. قرأت قصة كتبها شاعر إنجليزي⁶⁷ عن رجل غني له أملاك وقصور راح إلى قرية وتظاهر بأنه رجل فقير ورقيق الحال. وفي القرية خطب فتاة قروية بسيطة فقيرة وأخبرها بأنه سيأخذها بعد أيام قليلة إلى كوخ الصغير ليتزوجها هناك.

وفي اليوم المحدد أخذتهما عربة ليذهبا إلى كوخ الزوج. ولكن لدهشتها حين دخلت العربة من بوابات ضخمة، أخذ العمال ينحنون باحترام لها. ثم وصلت العربة إلى قصر، فخرج جمهور من الناس والخدم لاستقبالهما. كل هذا وهي غير فاهمة ما يجري. ولما دخلا إلى القصر، قال لها رجلها: "يا حبيبي، كل هذا هو ملك لي، فهو ملك لك أنت أيضاً!"

هذا هو ما عمله المسيح معنا لما فدانا. لقد رفعنا من الفقر والذل والجهل، والآن هو يعلن لنا غناه وحكمته وبركاته ويقول لكل واحد منا: "يا حبيبي، كل هذا هو ملك

لي، فهو ملك لك أنت أيضاً!

الصليب ضروري لوجود هذه الرابطة بيننا وبين الله. إن كنا نهمل هذه الصحبية أو ننكرها، فنحن نفقد حقيقة الله وصفاته كما يعلنها الكتاب الشريف، ليبرز لنا إله من نوع آخر لا تهمه الخطيئة، ولا يتصف بالحب، ولا يعنيه مصير الإنسان. في هذه الحالة، ربما يظل عيسى في اعتبارنا كعلم بارع، ونبي عظيم، وصانع معجزات مقتدر، وليس أكثر من ذلك!

إنما الصليب هو العامل الأوحد الذي يجعل العلاقة بين الله وبيني هي رابطة عهدٍ عقدَه الظاهر القدسُ معي أنا الإنسان المذنب غير الظاهر، لأنه أحبني لدرجة أنه فداني! وبما أنه فداني، فقد انتقلت من كوني عبداً إلى ابن مفدي. فالرابطة ليست بين سيد وعبد، بل بين أب محب وابنه المحبوب!

معنى قيامة المسيح بالنسبة لي

ماذا تعني قيامة المسيح من الموت بالنسبة لي؟ وما هو تأثيرها فيَّ؟

١) قيامة المسيح من الموت هي برهان على الوهية وسلطانه

إن قيامة المسيح من الموت تبرهن على أنه هو ابن الله. يقول الوحي الكريم: "لَهُدَا مَاتَ الْمَسِيحُ وَقَامَ إِلَى الْحَيَاةِ، لِيَكُونَ رَبَّ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ".^أ ويقول أيضاً: "هَذِهِ هِيَ الْبُشْرَى الَّتِي وَعَدَ بِهَا (اللَّهُ) مِنْ قَبْلُ بِوَاسِطَةِ أَنْبِيَائِهِ، كَمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ. وَهِيَ عَنِ ابْنِهِ رَبِّنَا عِيسَى الْمَسِيحِ. فَهُوَ كَإِنْسَانٍ، وُلِدَ مِنْ نَسْلٍ دَاؤَدَ، وَلَكَنَّهُ بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ، تَبَرُّهُنَّ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ وَذَلِكَ بِقِيَامَتِهِ مِنَ الْمَوْتِ".^ب أي بقيامة المسيح من

أ رو 9:14

ب رو 4-2:1

الموت تبرهن أنه هو الله الذي جاء إلينا كإنسان.

قال عيسى في تعليمه للناس، وأظهر بمعجزاته العظيمة، إنه هو الله جاء لعون البشر. هو الله جاء ليفتقد الناس وينقذهم. صحيح كانت معجزاته دليلاً كبيراً على صدق كلامه وصحة ما قال. لكن لو كان قد بقي في القبر من غير أن يقام، لكانت معجزاته قد نُسِيتَتْ. إنما قiamته من الموت هي أقوى دليل لنا ولغيرنا، أنه فعلاً هو الله جاء لإنقاذ البشر. وربما لهذا السبب يذهب الشيطان إلى اليهود ويقول لهم إن قيامة المسيح لم تحدث بل بقي في القبر حتى جاء أتباعه وسرقوه. ويذهب الشيطان أيضاً لغيرهم ويقول إن القيامة لم تحدث لأن الصليب لم يحدث وعيسى لم يمت!

فلو كان الذي مات على الصليب مجرد إنسان كباقي البشر، كان ذلك الموت مثالاً كريماً لمحبة إنسان للناس، وما كنا ننتظر أن يقوم من الموت. لكن قiamته من الموت تُبيّن لنا شخصيته، وألوهيته. إنه ليس بشراً عادياً، بل الله جاء كإنسان.

كما أن قيامة المسيح من الموت تُبيّن أنه هو السيد صاحب السلطان والملك المنشد. ربما كان البعض يتوقع أن يتدخل الله، وأن يرسل القدير جيشاً من الملائكة لينقذوا عيسى وينزلوه عن الصليب. لكن لم يرسل الله ملائكة، ومات المسيح دون أن يتدخل الله لإنقاذه. وظهر أن الموت انتصر. تصور الناس أن الموت هو صاحب اليد العليا هنا. لكن لما قام المسيح في اليوم الثالث، تغيير كل شيء. هُزم الموت. هُزمت الخطية. الصليب أظهر للناس أن المسيح لم ينجد نفسه يوم الجمعة وذلك لينقذنا نحن بفداءه. والقيامة أظهرت أن المسيح هو السلطان الأعلى على القبر والموت. عيسى، له الجلال والعظمة، هو صاحب السلطة العليا يوم الجمعة وكذلك يوم الأحد.

قال بطرس لليهود: "عِيسَىٰ هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ صَلَبْتُمُوهُ، جَعَلَهُ اللَّهُ الْمَسِيحَ سَيِّدَ الْكُلُّ".^أ وقال لهم أيضاً: "أَنْتُمْ قَاتَلُتُمْ عِيسَىٰ، أَنْتُمْ صَلَبْتُمُوهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ إِلَهٌ آبَائِنَا أَقَامَهُ

مِنَ الْمَوْتِ، وَرَفَعَهُ إِلَى يَمِينِهِ، لِيَكُونَ هُوَ الْمَلِكُ وَالْمُنْقِدُ، وَبِوَاسِطَتِهِ يُمْكِنُ لِبَنِي شَعْبِنَا أَنْ يَتُوبُوا وَتُغْفَرَ ذُنُوبُهُمْ".^أ إن الملك المنقذ هو المسيح الحي وليس فلسفة ولا نظاماً ولا قائداً ولا نبياً. المسيح هو السيد وقيامته من الموت تبيّن هذا. هو صاحب القوة والسلطة والسيادة. سيد القوم هو القوي بينهم، هو صاحب السلطان فوقهم. ففي قيامة المسيح تبيّن لنا قوته وسيادته وسلطانه. هذه الصفات كانت موجودة فيه أثناء خدمته قبل موته، لكنها لم تكن ظاهرة بوضوح للبشر. لكن الآن، بعد قيامته من الموت، ظهرت هذه الصفات بكل وضوح. فمثلاً قبل موته قال إن له السلطة أن يغفر الذنوب.^ب والآن قام من الموت. فهو فعلاً له السلطة أن يغفر ويسامح. فالذي قال هذا ليس إنساناً عادياً. ليس بشراً ساقطاً في المعصية كباقي الناس! بل إنه يتصرف كالله، يغفر الذنوب. إنه يتكلم كالله، لأنّه هو السيد صاحب النفوذ. هو الملك فوق الكل.

إن قيامة المسيح هي برهان واضح على سلطانه في السماء وعلى الأرض. فتحن اليوم نؤمن بكلامه الذي أعلنناه لما قال: "كُلُّ سُلْطَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعْطِيَتْ لِي".^ت ولما قال: "أَنَا الرَّبُّ. كُنْتُ مَيِّتاً، لَكِنِّي الْآنَ حَيٌّ إِلَى أَبْدِ الْأَبْدِينَ، وَبِيَدِي مَقَاتِلُ الْمَوْتِ وَعَالَمُ الْأَمْوَاتِ".^ث أي معى السلطة، عندي السلطان فوق الموت وعالم الأموات. إن عيسى الذي مات على الصليب هو فعلاً الملك قاهر الموت وقاهر الشيطان وقاهر الخطيئة. هو فعلاً "الله المنقذ". الله الذي ينقذ شعبه من الذنب. فالقيامة ليست إلغاء لهزيمة الصليب (فالصلب ليس هزيمة كما قلنا). بل هي إعلان لانتصار الصليب. الملك الآن هو صاحب السلطان. ورمز ملكه ليس عرشاً من ذهب، بل صليباً من خشب!^ج

^أ أع 30:31 وأيضاً آف 1:18-20

^ب مر 2:12-1

^ت مت 28:18

^ث رو 18:1

أنّا المسيح أتباعه أنه سيموت وبعد ثلاثة أيام يقوم من الموت. لذلك فإنه بقيامته أثبت صدق كلامه وصدق نبواته. فهو مثلاً قال إنه سيرجع إلينا مرة ثانية، أي أنه سيأتي مرة ثانية من السماء. ونحن نصدقه في ذلك وننتظره بفارغ الصبر متأكدين أنه سيأتي لأنه أثبت من قبل أنه صادق في كلامه ووعده.

(2) بقيامة المسيح يعتبرنا الله صالحين عنده

قيامة المسيح من الموت هي الوسيلة التي بها يعتبرنا الله صالحين. يقول الرسول بولس: "فَإِنَّ اللَّهَ يَعْتَبِرُنَا صَالِحِينَ، نَحْنُ الَّذِينَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ الَّذِي أَقَامَ سَيِّدَنَا عِيسَى مِنَ الْمَوْتِ. لَأَنَّ اللَّهَ قَدَّمَهُ إِلَى الْمَوْتِ بِسَبِيلٍ دُنُونِنَا، وَأَقَامَهُ إِلَى الْحَيَاةِ لِيَعْتَبِرَنَا صَالِحِينَ عِنْدَهُ".^أ أي بموته دفع الدين الذي كان علينا، وبقيامته راح إلى عرش الله ومعه هذا المستند الخطير؛ موته النبافي عنا، وهناك حصل لنا على الحكم بالبراءة.

ويقول الإنجيل الشريف أيضاً: "كَمَا قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الْمَوْتِ بِقُدْرَةِ الْأَبِ وَجَلَالِهِ، نَحْنُ أَيْضًا نَحْيَا حَيَاةً جَدِيدَةً. فَإِنْ كُنَّا قَدِ اتَّخَذْنَا مَعَهُ فِي الْمَوْتِ، أَيْ مُشَتَّنَا كَمَا ماتَ هُوَ، فَإِنَّنَا بِالْتَّأْكِيدِ نَتَّحِدُ مَعَهُ فِي الْقِيَامَةِ، أَيْ نَقُومُ كَمَا قَامَ هُوَ. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الطَّبِيعَةَ الْقَدِيمَةَ الَّتِي كَانَتْ فِينَا صُلِّبَتْ مَعَ الْمَسِيحِ، لِيَنْبُطِلَ مَفْعُولُ الْخَطِيئَةِ فِي كِيَانِنَا فَلَا تَبْقَى عَبِيدًا لِلْخَطِيئَةِ."^ب

بقيامة المسيح من الموت، زالت شوكة الخطيئة. يقول داود: "بَارِكي اللَّهُ يَا نَفْسِي، وَيَا كُلَّ كِيَانِي بِارِكِ اسْمَهُ الْقُدُوسَ. بَارِكي اللَّهُ يَا نَفْسِي، وَلَا تَنْسِي كُلَّ حَسَنَاتِهِ، فَهُوَ يَعْفُرُ كُلَّ دُنُونِي، وَيَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِي. يُنقِذُنِي مِنْ حُرْفَةِ الْمَوْتِ، وَيُتَوَجِّهُنِي بِالرَّحْمَةِ وَالرَّفَّةِ."^ت

^أ رو 4:24

^ب رو 6:4

^ت مز 1:4-103

وقيامة المسيح من الموت هي الختم الذي صدق به الله تعالى على أنه قبل فداء عيسى للبشر، قبل أن يعتبرنا صالحين عنده على أساس هذا الفداء. في يوم الجمعة قال المسيح وهو على الصليب: "تَمَّ كُلُّ شَيْءٍ".^أ وفي يوم الأحد كان الله القدير يقول من السماء "آمين" وذلك بقيامة المسيح من الموت.

(3) بقيامة المسيح، نحن الآن لنا شفيعٌ عند الله

ولأن المسيح قام من الموت وهو الآن حي، أصبح أيضاً يشفع فينا. يقول الانجيل الشريف إنه: "قَادِرٌ أَنْ يُنْقِدَ إِلَى الشَّمَاءِ الَّذِينَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِوَاسِطَتِهِ، لَأَنَّهُ حَيٌّ دَائِمًا لِيَشْفَعَ فِيهِمْ".^ب ويقول: "مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَحْكُمْ ضَدَّنَا؟ لَا أَحَدًا لِأَنَّ الْمَسِيحَ عِيسَى مَاتَ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ قَامَ حَيًّا، وَهُوَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ يَشْفَعُ فِينَا".^ت نعم، إنه ليس ميتاً بل حيٌّ، فهو يشفع فينا.

الله تعالى يقبل هذه الشفاعة، لأن هذا الشفيع مؤهلاً من كل ناحية للقيام بها. فهو طاهر وكامل وصالح وقدوس وهو الذي أتم فدائنا. يقول يوحنا: "يَا أُولَادِي الْأَعِزَاءِ، أَكُتبُ لَكُمْ هَذَا لِكَيْ لا تُخْطِلُوا. لَكِنْ إِنْ أَخْطَأْ وَاحِدُ، فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْأَبِ هُوَ عِيسَى الْمَسِيحُ الصَّالِحُ".^ث هذا هو الأساس الهام والخطير أن لنا شفيعاً صالحاً وقدوساً.

ثم يقول الكتاب أيضاً إن: "حَبْرَنَا الْأَعْلَى هَذَا قَادِرٌ أَنْ يَفْهَمَ صَعْفَنَا".^ج وذلك لأنه عرف واختبر ما نختبره هنا في هذه الحياة. قابل نفس الظروف والمحن والتجارب

^أ يو 19:30

^ب عب 7:25

^ت رو 8:34

^ث 1يو 2:1

^ج عب 4:15

التي نقابلها، فهو يفهم ضعفنا، يتعاطف مع آلامنا، يشاركنا أحزاننا. لاحظ هذه الكلمات بعناية. إن الكتاب لا يقول إنه يتعاطف معنا في ذنبنا، ولا في معاصينا. بل يفهم ضعفنا. لأن الحقيقة هي أن المسيح لا يتهاون ولا يتسامح مع ذنبنا، بل يدينها ويحكم عليها. إذن هذا هو شفيعك حين تكون ضعيفاً، ومسكيناً، وحزيناً، ومكتئباً، ومغموماً، ومزاجك معكراً. تعال إليه وقل له: "يا سيدِي، أنا اليوم مزاجي معكِر، أنا مكتئب، من فضلك ساعدني".

المسيح يشفع فيك. هو فاهم أحوالك وظروفك. إنه عرف معنى الاضطهاد وسوء المعاملة والظلم. هو اختبر كيف يكون الحال عندما يقوم الناس ضده، حتى صديقه القريب. هو يفهم وضعك حين يتهمك الآخرون بأشياء لم ترتكبها ولم تخطر على بالك. أنت تحبهم وهم لا يتحملونك ولا يطيقونك! أنت تتمى لهم التقدم والنجاح، وهم يتمنون لك التأخر والفشل! أنت تريدهم الفلاح، وهم يطعنونك في الظهر! أنت تخدمهم، وهم يعتبرون أن ذلك واجبك! نعم، سيدنا تألم بكل ما نتألم به. شفيعنا قادر أن يفهم ضعفنا.

قرأت قصة عن ولد أخذ يحتفظ بكل ما يحصل عليه من مصروف يعطيه له والده، وأخيراً ذهب إلى حانوت يبيع الحيوانات الأليفة. وفي نافذة الحانوت أعجبه كلب صغير، فدخل وطلب من التاجر أن يبيعه ذلك الكلب الصغير. ولكن الرجل حاول أن يقنعه أن يشتري كلباً غيره. لكن الولد أصر، وأخيراً قال له الرجل: "لماذا لا تختار كلباً آخر؟ إن هذا الكلب الصغير أعرج لأن رجله أصيبت منذ فترة ولن يمكنه أن يسير بطريقة عادية".

وهنا شمر الولد عن رجله اليمنى وقال للرجل: "أنا أيضاً أصبت رجلي وبترها الطبيب، فأنا أيضاً أعرج. ولذلك أنا أعرف كيف أهتم بهذا الكلب الأعرج وأعتني به. أرجوك أن تبيعني إيه!".

عيسي مر فيما تمر فيه، ولذلك هو قادر أن يفهم ضعفك. في قصة من الأدب الروسي⁶⁸ يتحدث الكاتب عن سائق عربة مات ابنه. كان حزن الأب فائق الوصف. وفي كل مرة كان ينقل الناس في عربته من مكان إلى آخر، كان يحاول أن يخبرهم عن موت ابنه، وعن حزنه الشديد، لعل أحدهم يرثي له ويقول له بعض كلمات التعزية والتشجيع. ولكن للأسف، في كل مرة حاول فيها أن يتحدث عن هذا، كان الراكب مشغولا بالحديث عن مشروعاته ومشغولياته وتجارته وفلاحته ومكاسبه. وأخيرا قرر السائق المسكين أن يتحدث مع حصانه الذي يجر العربة، ليخبره عن حزنه وألم نفسه ووجع قلبه!

هذه قصة تبين قسوة الناس الذين ليس لديهم مكان في وقتهم وبراجحهم ليعزوا نفساً حزينة أو يطيبوا خاطر أب مكلوم! ربما أنت تشعر مثل سائق العربة، تشكوا ولا واحد يصغي، تئن ولا واحد يسمع. الكل مشغول. لكن عيسى ليس كالناس، إنه يسمعك يا أخي. إنه يصغي لأنينك وصراخك ودعائك. لنا شفيع يفهم ويعزي ويطيب الخاطر.

وكما شجع عيسى تلميذه سمعان بطرس، يشجعك أنت أيضا اليوم ويقول لك: "يا مصطفى (أو يا فاطمة أو يا عبد القادر)، طلبَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَمْتَحِنَّكُمْ كَمَا يُغْرِيُ الْفَلَاحَ الْقَمْحَ. لَكِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ مِنْ أَجْلِكَ، لِيَّ لَا يَقْتَلَ إِيمَانَكَ".⁶⁹ نعم، هو شفيعك.

٤) قيامة المسيح هي العربون أننا سنقوم من الموت

بقيامة المسيح من الموت لنا وعد، لنا عربون أننا نحن أيضا سنقوم من الموت. منذ فجر التاريخ والموت هو عدو الإنسان. نحن لا بد أن نموت. أنا وأنت وكل الناس. لكن لأن المسيح قام من الموت فهذا ضمان لنا أنه سيقيمنا نحن أتباعه أيضا من

الموت لنكون معه.

لأن المسيح قام من الموت، فالذين ماتوا مؤمنين باليسوع سيقومون هم أيضاً. قال الكتاب: "الْحُقْيَقَةُ هِيَ أَنَّ الْمَسِيحَ قَامَ مِنَ الْمَوْتِ، وَهَذَا هُوَ الْعَرْبُونُ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ مَاتُوا سَيَقُومُونَ أَيْضًا".^أ هذا هو الضمان أننا نحن أيضاً سنقوم. وقال المسيح نفسه لأتباعه: "لَأَنِّي حَيٌّ فَأَنْتُمْ أَيْضًا سَتَحْيَوْنَ."^ب

قال شاعر عربي:

نفارق العيش لم نظر بمعرفة
أي المعاني بأهل الأرض مقصود
لم تُعطنا العِلْمُ أخبارُ يجيء بها
نقل ولا كوكب في الأرض مرصود⁶⁹

والمعنى هو: نحن نفارق الدنيا ولا نعلم لماذا جئنا إليها، ولا إلى أين نحن ذاهبون! هذا هو صوت من لا يعرف معنى الحياة مع المسيح وفي المسيح. والجواب الشافي لجهل هذا الرجل هو أن عيسى قام، وهو يريد لنا أن نحيا منتصرين وبعد ما نموت، نقوم كما قام عيسى إلى حياة النعيم.

قال لوثر: "يا موت، يا ملك الأهوال، أنت ظننت أنك قهرت مولانا المسيح لأنك أبقيته في القبر 3 أيام. لكن الحقيقة هي أنه هو الذي قهرك فقام حيا! ولذلك لن تقهريني، لن يمكنك أن تبقيني في القبر، لأنني أنا حي فيه. ^ت أنا أحيا وأتألم من أجل اسمه. قد يطاردني الناس، وقد يحرموني من الحياة في هذه الدنيا، لكن هذا لا يهمني. إنما المهم هو أنني لن أبقى ميتاً، بل سأحيَا مع مولاي عيسى المسيح لأنني عارف

^أ كور 15:20

^ب يو 14:19

^ت يو 14:19-20

ومؤمن أنه حي.⁷⁰

المسيح قام، فنحن أيضاً سنقوم من الموت لنكون معه إلى أبد الآبدية. يقول الإنجيل الشريف إنه عندما يرجع عيسى من السماء، فإن أتباعه الذين هم أموات يقومون من الموت، والذين هم أحياً يُحيطرون بقدرة الله مقابلة المسيح في الهواء. قال بولس: "نَحْنُ نُؤْمِنُ أَنَّ عِيسَى مَاتَ ثُمَّ قَامَ مِنَ الْمَوْتِ، وَكَذَلِكَ نُؤْمِنُ أَنَّ الَّذِينَ مَا تَوَا
وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِهِ، سَيُقِيمُهُمُ اللَّهُ لِيَأْتُوا مَعَ عِيسَى. نَحْنُ نُخْرِكُمْ بِالْكَلَامِ الَّذِي قَالَهُ
الْمَسِيحُ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَنَّا نَحْنُ الَّذِينَ تَبَقَّى أَحْيَاً حِينَ يَأْتِي، لَنْ يَسْبِقَ الَّذِينَ مَا تَوَا
الْهُنْتَافَ يُدَوِّي، وَرَئِيسَ الْمَلَائِكَةِ يُنَادِي، وَبُوقُ اللَّهِ يَصْرِبُ، وَيَأْتِي الْمَسِيحُ نَفْسُهُ مِنَ
السَّمَاءِ. فَأَوْلًا يَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ الَّذِينَ مَا تَوَا، ثُمَّ نَحْنُ الَّذِينَ تَبَقَّى أَحْيَاً نُخْطَفُ مَعَهُمْ
فِي السَّحَابَ لِتَقَابِلِ الْمَسِيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَبِذَلِكَ نَكُونُ مَعَهُ إِلَى الْأَبَدِ. إِذْنُ شَجَّعُوا
بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِهَذَا الْكَلَامِ".^١

بغير قيامة المسيح يصير موته مجرد إعدام لشخص ادعى أشياء لا تتحقق له. لو لم يكن المسيح قد قام من الموت لكان الشر قد انتصر على الخير، والكراهية على الحب، والموت على الحياة! لكن المسيح قام منتصراً فائزاً وأعطانا الرجاء، أعظم رجاء في قيامتنا نحن أيضاً من الموت. ولأن المسيح قد قام من الموت، نحن الآن نعلم بكل يقين أن الله سيسمح كل دمعة من عيوننا. نحن نُعيَّدُ ونختلف ونبتهج بموته يوم الجمعة، وأيضاً نُعيَّدُ ونختلف ونبتهج بقيامته يوم الأحد!

وإن كانت قيامته هي العربون أننا سنقوم من الموت، فهي أيضاً العربون على أنه سيتم لك كل وعد وعدك به، ويتحقق كل كلمة مشجعة أعطاها لك. هل وعدك في كتابه بالحفظ والرعاية والأمان والسلام والفوز والنصر والفرح؟ إذن سوف يتحقق لك كل هذا. لماذا أنا متأكد من هذا؟ لأنه قام من الموت.

٥) قيامة المسيح تبين أنه هو ديان العالم

يوم الدين لا بد سيأتي. إن قيامة المسيح من الموت تبيّن أنه هو ديان العالم. يقول الإنجيل الشريف: "إِنَّ اللَّهَ فِي الْمَاضِي غَضَّ التَّنَظُّرَ عَنْ هَذَا الْجَهَنِ، أَمَّا الْآنَ فَهُوَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا. لَأَنَّهُ حَدَّدَ يَوْمًا فِيهِ يُحِاسبُ الْعَالَمَ بِالْعَدْلِ بِوَاسِطَةِ الرَّجُلِ الَّذِي اخْتَارَهُ وَبِرْهَنَ لِجَمِيعِ النَّاسِ عَلَى أَنَّهُ اخْتَارَهُ بِأَنَّ أَقَامَهُ مِنْ الْمَوْتِ".^١

في يوم الدين سيكون سيدنا عيسى إما المحامي الذي يدافع عنك أو القاضي الذي يحكم عليك. والاختيار لك وأنت هنا في هذه الحياة. إن كنت تنتظر لل يوم الآخر، تكون الفرصة قد أفلتت من يدك، وضعاف كل أمل.

واحد من أتباع المسيح الذين كنت أفتر بمعرفيتهم هو الدكتور كريستي ولسن الذي كان يعمل داعية ينادي باسم عيسى في أفغانستان. وهو الآن قد انتهى من مهمته ودعاه ربه إلى جنة النعيم فرحل عن هذه الأرض منذ بضع سنوات. ذات مرة كنا في اجتماع وحدتنا الدكتور ولسن بهذه الواقعة: في عام 1959 طلب الدكتور ولسن من أوزنهاور رئيس الولايات المتحدة أن يتدخل عند الملك محمد ظاهر شاه ملك أفغانستان ليصرح لأتباع المسيح في تلك البلاد بناءً كنيسة. وفعلاً بُنيت الكنيسة في العاصمة كابول. ولكن في عام 1973 طردت السلطات الدكتور ولسن وآخرين غيره من أتباع المسيح وفي 17/7/1973 هدمت الحكومة مبنى الكنيسة في كابول وأزالته تماماً! ولكن القدير الذي لا ينفع ولا ينام حكم أيضاً بطرد الملك وإزالته من عرشه في نفس تلك الليلة!² فقد حدث انقلاب عسكري وضعاف الملك منه.

من هو عيسى؟ هو الديان الذي يحكم على أعمالك هنا ثم أيضاً في يوم الدين. نعم هو ديان العالم.

¹أع 30:17

²قارن دانيال 5:30-31

Herb قاتلان من السجن في ظلام الليل واخترقا الحاجز وقفزا من فوق السور وعبروا المزارع حتى وصلا إلى الطريق العمومي، حيث صادفا سيارة. توقف صاحب السيارة، فطلبا منه أن يأخذهما إلى محطة القطار فوافق. ولكن قائد السيارة أدرك بسرعة أنهما هما المجرمان اللذان قتلا أمه! وبدلًا من أن يتوجه بهما إلى حيث يريدان، قادهما بسرعة إلى قسم الشرطة! ربما الإفلات من السلطة الأرضية أمر صعب، فهل يمكن الإفلات من قضاء الله تعالى ومن اليوم الآخر؟ قالت الملائكة عن عيسى بعدما قام من الموت إنه حي. وقال هو عن نفسه: "أنا حي". وهذه هي الرسالة التي يعلنها القبر الفارغ. عيسى قابل العدو، أي الشيطان، على ساحة القتال وهزمه. لم يمكن للقبر أن يحتويه ويمسكه ويبقيه داخله، فقام منتصراً. وأنت، إن كنت تقبل هذه الرسالة، تحيا وتنتصر أيضاً على الشيطان. أما إن كنت ترفض هذه الرسالة فهناك قيمة أخرى يتحدث عنها الإنجيل الشريف فيقول إن غير المؤمنين بعيسى سيقومون أيضاً من الموت ويقفون أمام عرش الديان ليحكم عليهم بالهلاك الأبدي لرفضهم المسيح. إذن غير المؤمنين به سيقومون أيضاً، لكن لا للحياة، بل ليوم الدين الرهيب المخيف وعذاب الجحيم الأبدي.

ماذا يطلب الله منك في ضوء الصليب والقيامة؟

المسيح مات وقام من أجلك. وأنت الآن تدرك صحة هذا. في صليبه فداوك، وفي قيامته حياتك. فماذا تعمل الآن؟ عليك واجبات ومسؤوليات، لكن يمكنك أن تعيش له ومعه، وتمجد اسم فاديوك وربك من يوم إلى يوم.

١) أن تدرك خطورة المعصية وتطلب من الله المغفرة

يجب أن ندرك أن المعصية شيء خطير. الخطيئة هي إهانة في حق القدير.

الخطيئة تفصل الإنسان وتبعده عن الله. لا تظن أن رفض المسيح أمرٌ هين. لا يتتحدث الكتاب الشريف أبداً عن إمكانية النجاة من الذنب ومن الجحيم عن طريق التشبه بحياة المسيح أو تطبيق مبادئه وتعاليمه في حياتنا. بل عن طريق الفداء بدمه. هذه هي الطريقة الوحيدة للنجاة. هذه هي طريقة الله لحصول على الغفران والحياة. سمعت عن واليين يرفضون نقل الدم لأطفالهم حتى ولو كانوا في خطر، وذلك لأسباب دينية وعقائدية. وفي بعض الحالات تدخلت السلطات وفرضت نقل الدم للطفل، وفي أغلب الحالات أمكن إنقاذ حياة الطفل. لكن الذين يرفضون دم المسيح، سيلاقيون الموت الأبدي. لن يكون هناك سلطات تتدخل من أجلهم، ولن يكون هناك شفيع أو وسيط. إن النجاة هي بدم المسيح هنا في هذه الحياة.

كف يا أخي عن التماس الأعذار! يجب أن تدرك أنك أخطأ في حق الله تعالى.

ثم بعد أن تدرك خطورة المعصية، يجب أن تطلب من المسيح الصفح والغفران. أنت أخطأ في حقه هو، فلا أحد غيره يستطيع أن يغفر لك.

اطلب منه أن يغفر لك

ملكة جميلة كان كل همها أن تقضي يومها تترفة وتتنزه في حدائق قصرها، وتنظر إلى المرأة معجبة بجمالها. هاجم بلادها مرض الجدري، وأصيبت به، فتركها مشوهه الوجه. فما كان من الملكة إلا أن أمرت بتحطيم كل مرآة موجودة في القصر لكي لا ترى وجهها الذي صار قبيحا.

مسكينة هذه الملكة! هل كانت تظن أنه بتحطيم المرآي، يتغير حالها؟ صحيح أصبحت لا ترى شكلها القبيح، ولكن كان الآخرون يرونها يوماً بعد يوم. هل أنت

مثل هذه الملكة أيتها الفتاة؟ هل تظنن أنه يمكنك أن تخديع الآخرين لكي لا يروا الحالة التعيسة التي صرت عليها؟ هل أنت مثل هذه الملكة أنهايا الرجل؟ هل تظن أنك تقدر أن تخفي معصيتك وجريمتك والقباحة التي وصلت إليها؟

صدقني يا أخي أن التدين والتقوى والصالحات لا تمنحك مغفرة الذنب.

قرر فريق من الحلاقين في مؤتمرهم السنوي أن يقيموا معرضاً يبين قيمة فن قص الشعر وأهميته. ولزيادة تأثير الفكرة في الناس، وجدوا شاباً منبوداً مهملًا يعيش بين القاذورات وأكوام الزباله، فأخذوه وقصوا له شعره وحلقوه له لحيته وجمموه ونظفوه. ثم ألبسوه ثياباً جديدة أنيقة، ووضعوه في معرضهم بزهو وافتخار، ليبيّنوا تفوق فن الحلاقة ومهارة الحلاقين في تغيير شكل الإنسان المنبود المهمل، ليصير وقراً أنيقاً نظيفاً.

ولكن للأسف، لم تمض بضعة أيام بعد انتهاء المعرض، حتى رجع الشاب إلى حياته الأولى، فرأه بعض الناس بين أكوام الزباله، بملابس الجديدة الأنيقة الغالية وقد توسخت، وتشعث شعره، وهو في حالة مزرية من القذارة والتعاسة. إن الحلاقين غيره من الخارج، جعلوا مظهره أنيقاً محترماً من الخارج فقط. لكن طبيعته الداخلية ومشاكله النفسية التي تدفعه للبقاء في هذه الحالة المزرية لم تتغير.

وأنت كذلك يا أخي، مهما حاولت أن تنظف نفسك وتبدو في الخارج بغير ما أنت عليه من الداخل، سترجع دائماً إلى أكوام الزباله الأخلاقية، وقاذورات وعفن النفس المريضة بعيدة عن عيسى.

في حديث طال أكثر من ساعة حاول رجل متعلم مهذب أن يثبت لي أنه شخص صالح، وأنه لحسن أخلاقه لا بد أن يمن الله عليه بالنعم! وأنا متأكد أنني إن سألتك يا صديقي ستقول لي نفس الشيء وأنك طيب وصالح. ولكن دعنا نترك آراءنا في أنفسنا جانباً ونفحص كلمة الله، لنرى ما يقوله الإنجيل الشريف بشأن أخلاقنا وأعمالنا.

ذات مرة جاء رجل من قادة الدين اسمه نقميروس إلى عيسى ليزوره. كان نقميروس فقيها مهذباً وعالماً متبحراً في أصول الدين والعقيدة والشريعة والعبادات. كان بحسب الظاهر أمام الناس شخصاً كاملاً، لا لوم عليه ولا عيب فيه. لكن من العجيب أنه لما جاء إلى عيسى في هذه الزيارة قال له عيسى: "أنت متدين، حسناً. ولكن تدينك لن ينفعك! أنت تحتاج إلى حياة جديدة. أنت تحتاج أن تولد من جديد!"

لا شك أن هذه العبارات التي نطق بها عيسى هزت هذا الرجل وحيرته وأذهلتة، لأنه كان يعتبر نفسه تقيراً ومستقيماً في الخلق وحسن السيرة وطيب السمعة! وأنت أيضاً يا أخي، ربما أنت طيب وتقى وتقوم بالفرائض كما يجب، الصلاة والصوم والزكاة، ولكن المهم هو أنك تحتاج إلى حياة روحية، لأنك مهماً كان تدينك أنت ميت روحياً. صحيح أنت تتنفس وتأكل وتتكلم وتسمع وتتحرك. لكن هذه حياة بالجسم فقط، والذي يعوزك هو حياة جديدة. أنت ميت بالذنوب والمعاصي وتحتاج أن تولد من جديد.

فلما قال عيسى لنقميروس: "أنت تحتاج أن تولد من جديد"، قال له نقميروس: "كيف يمكن للإنسان أن يولد من جديد؟ هل يدخل بطن أمه ليتم ذلك؟" أجابه عيسى: "أنت لا تفهم يا نقميروس فإني أتحدث عن الولادة الروحية التي تتم بقوة روح الله تعالى في قلب الإنسان."

هذا يعني أن التدين لا يدل على أن قلبك من الداخل ظاهر. إن الصلاة والصوم والزكاة لا تعني أن الله تعالى يرضى عنك. إن الحسنات والصالحات التي تقوم بها لا تنقذك من يوم الدين. بل إنك تحتاج أن تسلم نفسك وقلبك إلى عيسى المسيح ليمنحك هذه الولادة الجديدة بروحه القدس المبارك، فتصير شخصاً جديداً، كما

يقول الإنجيل: "إن كان واحد ينتمي لل المسيح، فهو خليقة جديدة. زال القديم، وجاء الجديد."^{١١}

صديقي، ربما أنت من عائلة تتصف بالتدين والتقوى، لكن العائلة لن تنفعك في يوم الدين. أنت تحتاج أن تصفي حسابك عن نفسك بنفسك، فلن ينفعك غيرك في يوم الحساب. ربما تقول "صحيح، أنا أرى أن عيسى يغفر ذنبي ويغير شقائي إلى فرح، لكن ماذا سيقول الناس عني، إن أنا تحولت إلى المسيح وأسلمت له؟" أخى، لكي أرد عليك دعني أحكي لك قصة الأمير الهندي الذي هُزمَ في معركة ضد أمير آخر. ركب الأمير المنتصر فيله وأمر الأمير المهزوم أن يسير حافي القدمين أمامه مع باقي الأسرى! غضب الأمير المهزوم وقال: "ماذا يقول الناس عني حين يرون أميراً مثلى يسير حافي القدمين؟ هذا إهانة لكرامتي ومكانتي!" فقال له المنتصر: "لم تسمع بعد باقي أوامرِي! إنك لن تسير حافياً فقط، بل وستحمل أيضاً وعاء من اللبن مملوءاً إلى آخره، فإن انسكب منه ولو نقطة واحدة، ضاعت رأسك!"

حمل الأمير المهزوم وعاء اللين وسار حافيا وتقى مبذر شديد حتى انتهى الموكب دون أن تنسكب منه نقطة واحدة! فسأله الأمير المتصر: "ماذا قال الناس عنك؟" فأجاب: "يا سيدى، لم أنظر إلى مخلوق من الجماهير الكثيرة التي مررنا وسطها. فلم أتعجسر لأن حياتي كانت معلقة في وعاء اللين!"

أخي لا تفك في ما ي قوله الناس عنك إن أنت أسلمت لعيسي المسيح. إن حياتك
الحالدة، إن سعادتك الدائمة معلقة في هذا القرار.

أو ربما ت يريد أن تقول إنك لا تستطيع أن ترك عقيدتك وعقيدة أجدادك
الأقدمين! عجبا! هل تسمح لغيرك أن يقرر لك عقيدتك ومصيرك؟ إذن فأين الشجاعة
والاستقلال الفكري؟ أين الذكاء الذي منحك الله إياه؟ أين حرية الفكر؟

أنت تحتاج إلى عيسى لأنه هو وحده يغفر لك و يجعلك صالحاً بحق في نظر الله .
اطرح عنك يا أخي - واطرحي عنك يا أخي - الأسمال البالية والملابس القدرة التي لا
تستر ، وتعال إلى عيسى الآن وأسلم نفسك له فـ يُلبيك رداء الصلاح الحق ، ويعطيك
الحياة الجديدة .

أنت تتفق معي أن الإنسان لا يحتاج أن يغطس كيلومتراً بأكمله تحت سطح
الماء لكي يموت غرقاً . بل إن بضعة سنتيمترات تكفي ! وأنك لا تحتاج أن ترتكب
الموبقات والكبائر لكي تهلك ، بل مجرد رفضك لعيسى يؤدي إلى الهالك في الجحيم .

عيسى يزيل عنك ذنوبك فيحول يأسك إلى أمل ، وفشلك إلى فلاج

هذا العالم مملوء بالفشل . قلوب الناس يحطّمها اليأس . قال إشعيا النبي يصف
حالة اليأس والفشل التي استولت على الناس في أيامه : "يَئُنْ كُلُّ الْفَرَحَانِينَ، وَيَصْمُتُ
طَرَبُ الدُّفَّ، وَيَسْكُثُ صَوْتُ الْمَرْحِينَ، وَيَصْمُتُ عَزْفُ الْعُودِ!" ربما هذه هي حالتك
اليوم ، ربما هذه صورة واقعية لك ، ربما هذه الكلمات تصفك أنت بالذات ! زفرات
اليأس .. دموع الفشل .. حينما أذهب أرى علامات اليأس والعناء على وجوه الناس .
ربما أنت تبدو في مظهر طيب من الخارج ، ربما ترتدي ملابس أنيقة ، ربما حصلت
على شهادة عالية ، أو على عمل محترم ، أو تزوجت ، أو سافرت في رحلة ممتعة .. ولكن
قلبك يشعر بالوحدة والضياع !

أو ربما مررت في اختبار مرير ، كموت عزيز حبيب ، أو أصابك مرض بلا علاج
أو شفاء ، أو غدر بك صديق ، أو احتال عليك قريب وخانك ، مما دفع بك إلى أعماق
اليأس والفشل والقنوط .

ذات يوم أخذ صديق لي ابنه الصغير إلى أكبر ميدان في عاصمة بلاده . قال الأب

لابنه: "تعال اليوم نَعِدُ الأشخاص الذين يضحكون أو يبتسمون في هذا الميدان الكبير الشاسع الذي يعيش الناس". وسار الأب وابنه طويلاً وهما يراقبان الناس ويتعلّمان هنا وهناك.. كل الوجوه عابسة... لا ابتسام، ولا ضحك... لا فرح ولا مرح... وفجأة قال الولد: "هنا يا أبي.. لقد وجدته، انظر إلى اليمين، فهذا رجل يضحك!" حقاً ما أقل ابتسامات الحياة، وما أكثر أحزانها! أتعرف ما السبب في أنك كثيراً ما تمشي وأنت مطرق الرأس؟

كثيراً ما يبدأ الشاب بالفرح والمرح، يتفاعل بالخير والصلاح والسعادة، ويعزم أن يخدم الإنسانية ويخفف آلام البشرية بعلمه وفنه وإمكانياته وطاقاته. ولكن عندما يصل إلى طور الرجلة، يظن أنه يستطيع أن يطوّر آماله لتمتّشى مع واقع الحياة. ثم تأتي الشيخوخة فيدرك أن ما كان يرجوه إنما هو أحلام بعيدة المنال.

حتى في بعض أُفراح الحياة ومواسمها الطيبة ومناسباتها السعيدة يلاحظنا الفشل. يُحكي في التاريخ القديم أنه بعد موقعة ماراثون بين اليونانيين والفرس، وصل جندي جريح إلى أثينا ليبشر أهلها بانتصار جيوشهم على الفرس. فدخل مجلس الأعيان وهتف: "انتصرنا! انتصرنا! افرواوا!" وما كاد ينتهي من عبارته حتى سقط ميتاً. انتصر، لكنه مسكين لم يتمتع بحملة النصر.

ربما علة فشلك ويساك هو أنك ضائع في صحراء هذه الحياة. وهذا يذكرني بقصة رجل عجوز أعمى كان يتوكأ على عكازه ويسير على حافة حفرة عميقه سحرية وهو لا يعلم بذلك. وفجأة وقع العكاز من يد الرجل، فانحنى وأخذ يتحسس الأرض لعله يجد العكاز. ولكنه للأسف بينما هو يبحث، خطأ خطوة لليسار فهو في الحفرة وتحطم عظامه ومات. ربما أنت مثل هذا الرجل الأعمى. ربما في يأسك وأنت تبحث عن العكاز الذي يمكنك أن تستند عليه، تكون على وشك أن تضع رجلك في حفرة سحرية ميتة. أنت في خطر!

أخي، عيسى يقدر أن ينقذك. هو وحده يغير يأسك إلى أمل ويبدل فشلك بالفلاح والنصر. إن كان الحزن يشوئ لك جمال الحياة، إن كان الأيس يجعلك متسللاً متذمراً، إن كنت لا ترى في الحياة غير القنوط والفشل؛ فأنا هنا باسم الله تعالى لأبلغك رسالة الأمل والرجاء والصفح والغفران والنجاح والصلاح، رسالة الحياة المبتهجة المشرقة، رسالة النور. لأن عيسى المسيح هو فاديك.

2) أن توب وتومن بال المسيح

قال المسيح: "حَانَ الْوَقْتُ، وَأَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يُقِيمَ مَمْلَكتَهُ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالْبُشْرَى".^١ التوبة هي أن توقف عن ارتكاب المعاصي وأرجع إلى الله. أشعر بالندم لأنني ارتكبت المعصية، وأدرك أنني ضعيف أمام سطوة الذنب، وأنني أحتج إلى رحمة الله القدير، فأقر أن أغير اتجاهي لأهرب من المعصية، وأطلب من الله الصفح. هذه هي التوبة حسب مفهوم إنجيل المسيح. التوبة الحقيقية يجب أن تكون جادة وصادرة من القلب.

هناك البعض الذين يعترفون بأنهم ارتكبوا الخطأ، لكن توبتهم غير صادقة، وبعد فترة من الوقت يرجعون إلى نفس الأعمال والتصرفات التي ظنوا أنهم هجروها. قال ملك مصر لموسى وهارون: "هَذِهِ الْمَرَّةُ أَخْطَأْتُ! اللَّهُ صَالِحٌ، وَأَنَا وَشَعِيْ أَشْرَارٌ. ابْتَهِلَا إِلَى اللَّهِ". كَفَائَا مِنَ الرَّعْدِ وَالْبَرَدِ. سَاطِلِقُكُمْ فَلَا تَبْقَوْنَ هُنَّا."^٢ لكن لم تكن توبته صادقة، فتراجع عما أقر ووعد به. وقال بلعام للملائكة: "أَخْطَأْتُ إِلَيْ لَمْ أَعْلَمْ أَنَّكَ وَاقِفٌ فِي الظَّرِيقِ لِتُقَوِّمَنِي".^٣ لكنه استمر في طريقه وأخيراً هلك. إن

^١ مر 15:1

^٢ بخر 27:9

^٣ عدد 34:22

كانت التوبة حقيقة وصادقة فلا بد من الكف عن المعصية.

ثم يجب أن تكون التوبة مصحوبة بالإيمان بال المسيح. لقد قال هو نفسه: توبوا وآمنوا بالبشرى. أي آمنوا بالأخبار الطيبة المفرحة. هذه الأخبار السارة هي أن عيسى جاء لفدائنا. نعم، يجب أن تكون التوبة مصحوبة بالإيمان بعيسى. الإيمان بال المسيح يغير طبيعتي، ويعطيني القوة لأحيا حياة جديدة. يمكنك أن تغسل خنزيراً وتنظفه، وترشه بالعطر، وتضع طوقاً من الذهب حول رقبته، وتأتي به إلى دارك، لكن حين تطلقه يتحين أول فرصة ليقفز في الوحل والقادورات، لأن طبيعته لم تتغير! إنه لا يزال خنزيراً. التوبة بغير الإيمان بال المسيح لا تنفع.

تحدث عيسى عن واحدة من أهم نتائج الصليب فقال: "وَأَنَا مَقِيْرٌ فَوْقَ الْأَرْضِ، أَجْذِبُ إِلَيَّ جَمِيعَ النَّاسِ". ويعلق الوحي الكريم على هذا بأن المسيح "بِهَدَا الْكَلَامَ أَشَارَ إِلَى الظَّرِيقَةِ الَّتِي سَيَمُوتُ بِهَا".^a إنه يتحدث هنا عن موته على الصليب. إنه يقول إنه مقى رفع فوق الصليب يجذب الناس إليه. نعم، يجذب الناس إليه عن طريق موته من أجلهم! لا عن طريق العنف والقهر، ولا عن طريق إجبار الناس أن يأتوا إليه، ولا بأن يهددهم ويفرض عليهم الجزية إن لم يأتوا إليه، ولا بأن يغريهم بغميمة الحرب إن انضموا إليه! بل بمحبته لهم، وتضحية من أجلهم، وموته فداء لهم! بينما كان معلقاً على الصليب في عذاب، جذب اللص التائب الذي كان على حافة الهالك، وأخذه معه إلى الجنة، إلى الفردوس! ومنذ ذلك الوقت، وهو يجذب الملائكة وبجهة وفاته. إن صليب المسيح يذيب القلوب القاسية، ويرد النفوس الضالة. كما يقول الوحي الكريم في كتاب النبي هوشع: "أَجْذِبُهُمْ بِحِبَالِ الْلُّطْفِ وَرَوَابِطِ الْمَحَبَّةِ".^b أنا لا أحتاج إلى براهين وأدلة لكي أؤمن بال المسيح. أنا أحبه لأنه أحبني أولاً. ونحن حين

نحب شخصا، فإن مئة برهان أو ألف برهان لن تزيد من ولائي له، ومئهه اعتراف أو ألف اعتراف لن تشكيكي أبدا فيه. أنا أحبه وهو يحبني. وهذا هو أساس علاقتنا! حين يموت ملك أو رئيس، تُعلن السلطات الحداد في البلاد، ويتحدث الناس عن ما ذر الفقيد ومكارمه وعن أخلاقه ومحاسنه. ولكن بمضي الوقت يُنسى تدريجيا حتى يُنسى تماما من فكر الناس وينتهي تأثيره. أما سيدنا عيسى المسيح فإن قوته جاذبيته هي في موته. ويسبب موته يذكرة الناس وسيذكرهونه إلى الأبد. ولذلك فهو اليوم، عندما قام وانتصر، يقف بذراعين مفتوحتين يرحب بكل من يأتي إليه تائبا راجعا مؤمنا.

رجل غني كان يحب جمع اللوحات الفنية ورسوم المناظر البدية. كان ابنه الشاب فنانا ولكنه ذهب إلى الحرب للدفاع عن بلاده، وهناك لقي مصرعه. حزن الأب جدا، وبعد شهور من وصول النبأ المحزن، قرع شاب يحمل صندوقا صغيرا على باب دار الأسرة. قدم الشاب نفسه للأب المنكوب وقال: "ابنك أنقذني من موت محقق، وهذا أقل ما يمكن أن أعمله". وقدم الصندوق للأب. كان الصندوق يحوي بعض ما تركه الابن المتوفى وخاصة صورة له مرسومة بيده.

ومرت الأعوام، ومات الأب أيضا. ولأنه لم يكن له ورثة، ونصت وصيته على البيع، قامت السلطات بعمل ذلك. بدأ المزاد بصورة الابن الذي مات في الحرب. وللأسف لم يتقدم أحد لشرائها، فهي لم تكون ذات قيمة كبيرة بالنسبة للناس. ولكن المنادي أصر على بيع الصورة أولاً. وأخيراً تقدم رجل كان عاماً في حدائق صاحب الثروة، ولأنه كان فقيراً دفع مبلغاً زهيداً واحتوى الصورة.

وهنا نزل المنادي بالمطرقة وأعلن انتهاء المزاد! وما اعترض الحاضرون، شرح لهم أن وصية الرجل تنص على شرط سري لا نبوح به إلا بعد انتهاء المزاد. هذا الشرط هو

أن من يشتري صورة الابن يحصل على كل الثروة بلا مقابل! يقول الإنجيل الشريف: "مَنْ لَهُ الْاِبْنُ، لَهُ الْحَيَاةُ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللَّهِ، لَيْسْتُ لَهُ حَيَاةً الْخَلُودِ".^أ ويقول أيضاً: "مَنْ لَا يُكْرِمُ الابْنَ، لَا يُكْرِمُ الْاَبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ".^ب حين نؤمن بال المسيح نصير خليقة جديدة. أنا حقاً صرت إنساناً جديداً لأنني وضعت ثقتي في المسيح، لأنني توكلت عليه وأسلمت نفسي إليه.

نزف رجل فقير فقد كمية كبيرة من الدم وأصبحت حالته خطيرة. وفي المستشفى أخذوا يبحثون عن كمية من نوع دمه لينقذوا حياته. وتصادف في ذلك اليوم أن أميراً من العائلة المالكة كان يزور المستشفى وعلم عن حالة الرجل الفقير. فطلب من الأطباء أن يختبروا دمه لعله يكون من نفس نوع دم المسكين. وفعلاً كان. فتبعد الأميرة بكمية من دمه أنقذت حياة الرجل. وفي الصباح جاء الطبيب المكلف ليزور الفقير، ولكنه بدلاً من التحية العادية العابرة، أخنى الطبيب للمريض الفقير قبل يده. اندهش المريض وقال: "سيدي الطبيب، لماذا تعمل هذا معى؟" قال الطبيب: "يا سيدي! إن دم الملوك والأمراء يجري الآن في عروقك!"

حين تُسلم حياتك لل المسيح، يجري في عروقك دم ملك الملوك ورب الأرباب، فيغيرك ويجعلك إنساناً جديداً. قرأت أنه في الحروب الصليبية كان من ضمن الأسرى الذين أخذهم صلاح الدين واحد من جنود ريتشارد قلب الأسد. توسل ذلك الجندي إلى صلاح الدين أن يطلقه ليعود إلى بلاده بحجة أن زوجته من محبتها له قد تموت حزناً عليه. سخر صلاح الدين من الجندي وقال له: "بمجرد أن تموت ستنساك امرأتك وتتزوج من رجل آخر." ثم تحداه صلاح الدين وقال: "إن كانت زوجتك تقطع ذراعها وترسلها لي، يبيّن هذا لي أنها فعلاً تحبك فأطلق سراحتك!" وفعلاً أرسلت المرأة

^أ 12:5 يوم

^ب 23:5 يوم

ذراعها فأطلق صلاح الدين زوجها فرجع إليها سالماً." اليد المقطوعة كانت برهان محبة الزوجة لزوجها. واليوم، ليست يد المسيح المقطوعة، بل جسمه المكسور ودمه المسفوک برهان محبة الله لك يا أخي ويَا أختي!

إني أطلب منك أن تؤمن بعيسى. أن تضع ثقتك فيه. الإيمان هو الاتكال على الله. إبراهيم أطاع الله وأخذ ابنه ووضعه على منصة القرابان ليقدمه ضحية لله تعالى. وهناك أدرك أن الله يريد لنا الحياة لا الموت، والنمو لا الانكماش، والبهجة والفرح لا الكآبة والحزن. إن الله أمين ، وفيه، مخلص، يمكن الاتكال عليه.

إن رفضت الصليب، لن يمكنك الهروب من غضب الله. لن تهرب من يد القدير. كان رجل يتمنى في حقول بالقرب من داره. كان متخصصاً في علوم النباتات. وفجأة لاحظ زهرة تختلف عن كل ما حولها. اقترب الرجل وفحصها فاستغرب جداً لأن تلك الزهرة عادة لا تنمو في بلاده أبداً، بل موطنها هو أمريكا الجنوبيّة. لهذا أراد أن يفحصها ويدرسها بعناية أكثر، فذهب إلى دار صاحب الأرض وطرق على الباب وترجمه بأن يسمح له بأن يقتلع النبات بحملته لدراسته. ولكن صاحب الأرض اضطرب ورفض رجاء الزائر وطلب منه أن يبتعد عن أرضه فوراً.

ولكن في الليل، رجع عالم النباتات ومعه فأس صغيرة وأخذ يحفر الأرض ليستخرج النبات. وكم كان رعبه حين بدأ يشم رائحة كريهة واكتشف أن هناك جثة ميت تحت النبات. انسحب الرجل بسرعة وأبلغ الشرطة. ولما قبض على صاحب الأرض، اعترف أن أخيه جاء ليزوره من أمريكا الجنوبيّة، وحدث خلاف بين الاثنين بشأن الميراث، فقتل أخيه الزائر ودفنه في تلك البقعة. وهنا أدرك الجميع أن الأخ الزائر كان يحمل في جيده بعض بذور ذلك النبات. يبدو أنه كان يريد أن يزرعها هناك. ولما مات نبت البذور. وأشارت إلى الجريمة. هذه قصة تبين أنه في الحقيقة من الصعب أن يهرب قاتل من يد الشرطة والقضاء والعدل، فكم هو أصعب أن تهرب

أنت من عقاب الله بسبب رفضك فداءه ورحمته. لذلك أشير عليك يا أخي، لا تعاند. لا ترفض حب الله لك. لا ترفض تضحية المسيح من أجلك.

(3) أن تتبع عيسى كتلميذ أمين له

المسيح أنفك من الخطيئة لتكون تلميذا وتابعاً أميناً له. هذا يعني أن تكون دائماً معه. أن تسير معه. أن تكون بالقرب منه، في صحبته، وتعلم منه. أن تكون في مدرسته كل يوم. أن تتدرب على يديه، وتثبت نوره في سلوكك، وتعبر حياتك عن حياته. أنت عندما تكون قريباً من عيسى تحصل على القوة الروحية لتحيا الحياة غالبة المنتصرة.

لكن الحقيقة هي أن اتباعه ليس بالأمر الهين. قال المسيح لنا: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَبَعَنِي، فَيَرِجُّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَخَلَّ عَنْ ذَاتِهِ، وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَبَعَنِي".⁷ منذ فترة قرأت قصة تخيلها أحد علماء الكتاب⁷ وقمت بتحويرها بعض الشيء. هذه القصة هي عن جماعة من الناس تسكن في مبنى ضخم مغلق وليس له أبواب، إنما فيه نوافذ قليلة اكتست بالتراب. فلا يمكن لأحد أن يخرج إلى العالم الخارجي حيث إنه لا توجد أبواب، ولا يمكن لأحد أن يرى العالم الخارجي حيث إن النوافذ اسودت بطبقات سميكة من التراب. كل ما يريده أهل هذا المكان من طعام ولباس موجود داخل المبني.

وذات يوم تمكّن شاب من أن ينقب فتحة كبيرة في أحد حيطان المبني ويخرج. ولما رجع قص على الآخرين أنه يوجد عالم آخر خارج المبني وتوجد شمس وسماء وسحب وناس وحقول وزرع وسيارات وقطارات وطائرات! ولكن قادة الجماعة الموجودة في المبني عاقبوا الشاب عقاباً قاسياً وقالوا للآخرين ألا يصدقوه كلامه،

وقاموا فوراً بسد الفتحة لأن هذا يعرضهم جميعاً لخطر فظيع.

هذا مثل يبين كيف أن البعض منا حُكِم عليهم منذ قرون طويلة أن يبقوا مسجونين داخل مبنيٍّ ومُنْعِي عنهم (بطريقة معنوية وروحية) أن يروا ويدنوّقوا ويختبروا ما يقدمه لنا المسيح من حياة روحية جديدة بسمائها وشمسمها ونورها وجمالها وطهارتها وانتصاراتها! وكلما تجرأ أحدهم أن يُنْقَبَ الحائط ويخرج، يقع عليه أشد العقاب. ويستمر تحذير الآخرين لكي لا يستمعوا لما يقوله البعض عن وجود حياة جميلة طيبة خارج أسوار ذلك السجن الرهيب. أخي، أنصحك أن تخطم الحائط وتخرج من السجن وتنجو بجلدك، لتبعد المسيح!

يقول التاريخ إن كورش ملك فارس زحف بجيشه على منطقة في الهند وهزم ملوكها وأخذه أسيراً هو وزوجته وكل الذين بقوا له. فسألته كورش: بم تفدي نفسك؟ قال الهندي: بكل ما أملك، بملكـتي وكل ما لي. قال كورش: حسناً، اكتب هنا تنازلك عن عرش المملكة لي. ثم سأله كورش أيضاً: وبم تفدي زوجتك؟ فصمت لحظة ثم رفع عينيه وقال بصوت ثابت: أفتديها بحياتي، الموت لأجلها.

فتآثر كورش وقال له: لقد صفت عنكمـا، اذهبـا في أمان. ولما سئلت زوجة الملك الهندي عمـا إذا كانت قد رأت عظمة كورش وملابسـه وغناهـ، قالت وهي متآثرة: كلا لم أر شيئاً، لأنـي كنت أنظر إلى وجهـ ذلك الذي قال إنه يفديني بحياته!

أن تتبع عيسى بأمانة وإخلاص يعني أيضاً أنك تخدمـه هو وحدهـ، ولا أحد معـهـ.

نـحن نقول لا إله إلا اللهـ، وهذا إقرار خطيرـ. إن إخلاصـنا وولـاعـنا للمسيـح يتضـمن عـبـادـته هو وحـدهـ. قال سـيدـنا المـسيـح: "لـا يـقـدـرُ الـعـبـدُ أـنْ يـخـدـمَ سـيـدـيـنـ، لـأـنـهـ إـمـا أـنْ يـكـرـهـ الـأـوـلـ وـيـحـبـ الـثـانـيـ، أـو يـكـونـ مـخـلـصـا لـلـأـوـلـ وـيـحـتـقـرـ الـثـانـيـ. لـا تـقـدـرـونـ أـنْ تـخـدـمـوـ اللـهـ وـالـمـالـ مـعـاً".^١

ربما أنت تعرف المسيح. أنت تؤمن باليسوع. المسيح موجود في حياتك، وذلك بالإيمان. لكن هل يتربع على عرش حياتك ملكاً وسلطاناً لا ينافسه أحد ولا يشاركه شيء؟ أنت تحتاج أن يملك عيسى على قلبك وحياتك. أن تكون تلميذاً للمسيح، هذه هي غاية موته على الصليب، فدانا لينقذنا من الهلاك ثم نحن بدورنا نكون تابعين أمناء له، تلاميذ أوفياء.

٤) أن تتخلى عن ذاتك

لما كان سيدنا عيسى مسافرا إلى القدس سأله أحدهم: "يا سيد، هل الذين ينجون قليلون؟" فقال لهم: "اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الصيق. لأنّي أوشك لكم أنَّ كثيرين سُيحاولون أن يدخلوا ولا يقدرون. وبِمُجرد أن يُقْوَم صاحب الدار ويُغلق الباب، تجدون أنفسكم واقفين في الخارج تطّرّقون على الباب وتقولون، 'يا سيد، افتح لنا! لكنه يحبُّ، أنا لا أُعْرِفُكم، ولا أُعْرِفُ من أين أنتُم!' فتقولون، 'أكملنا وشربنا معك، وعلمنا في شوارعنا! لكنه يقول، أنا لا أُعْرِفُكم، ولا أُعْرِفُ من أين أنتُم! أبعدوا عني كلّكم أيّها الأشرار!'"

كان سؤال الرجل: يا سيد، هل الذين ينجون قليلون؟ وحتى يومنا هذا يدور نفس هذا السؤال في فكر الكثيرين. "هل في النهاية سيكون أتباع المسيح كثيرين أم قليلين؟" ونلاحظ هنا أن جواب السيد على هذا السؤال لا يُشيع حب الاستطلاع ولا الرغبة في معرفة عدد المؤمنين الحقيقيين. إنما جوابه هو: ستكون هناك أعداد كبيرة من الناس الذين يقولون إنهم أتباعي، لكن الخطورة في أنهم غير مستعدين أن يدخلوا من الباب الصيق الذي أنا وضعته للدخول إلى ملكتي. إنه باب ضيق لا يسمح لدخول شخص متتفتح بحب الذات والكرياء. إنه باب ضيق لا يسمح لدخول شخص

ينوء تحت ثقل أعباء الحياة. هو باب ضيق لا يسمح لدخول شخص انشغل قلبه وعقله بالغنى والمركز.

نحن ننجو من الذنب ومن الهلاك بنظرة إلى المسيح. نؤمن به ونتخذه ملكاً على حياتنا، فننجو على الفور. لكننا لا ننجو من قوة تأثير الخطيئة في حياتنا وسطوة محبة هذه الدنيا على قلوبنا، حتى ندخل من هذا الباب الضيق. فهل أنت مستعد الآن؟ أنت تقول إنك آمنت باليسوع، وهو كتب اسمك في كتاب الحياة، وطوى صفحة جديدة في حياتك. لكن هل أنت مستعد من ناحيتك أن تدخل من الباب الضيق؟ هل أنت مستعد أن ترك وراءك الكبرياء وحب الذات، ومحبة المال وكنوز الدنيا، والتقاليد البالية والدين القديم، وتجاهد في طاعة المسيح والتقرب منه، والتلذذ به وبمعرفته، والتضحية من أجله بالنفس والتفيس والغالي والرخيص؟

يقول المسيح سيدنا ومولانا وفادينا إن كثيرين سيحاولون أن يدخلوا من ذلك الباب ولا يقدرون، لأنهم غير مستعدين أن يضخوا بهذه الأمور. هؤلاء سيأتون في اليوم الأخير ويطردون على الباب ويقولون له: "يا سَيِّدُ، افْتَحْ لَنَا". لكنه يجيب عليهم ويقول إنه لا يعرفهم، ولا يعرف من أين هم! فيقولون: "نحن نعرفك، نحن كنا نقول إننا أتباعك". لكنه يقول لهم: "لكنكم لم تدخلوا من الباب الضيق. كنتم أتباعي شكلاً وليس حقيقة. كنتم أتباعي في المظهر، لكن ليس من القلب. أنا لا أعرفكم، ابعدوا عني كلكم أيها الأشرار!"

فهو لا يقول لنا إننا يجب أن نطالب بحقنا، بل أن نتخلى عن ذاتنا. أن نضع الأنانية وحب الذات على جانب. وأن نحب الآخرين وأن نُفَضِّلُهم على أنفسنا. إن القلب البشري يجب العظمة ويميل إلى الكبرياء. لكن عيسى هنا يقول لنا إننا يجب أن نتخلى عن الذات التي تسعي إلى العظمة والمركز العالي. لكن التخلص عن الذات لا يعني أننا لا نفرح ولا نتمتع بالحياة الدنيا. لا! لا! بل العكس صحيح. فالفرح هنا هو

نسمة منه علينا. التمتع بهذه الحياة برقة منه لنا. إن الله لا يريد أن يمنعنا أو يحرمنا من مُتعة الحياة، فالكتاب الشريف يقول إن الله تعالى: "يُعْطِينَا كُلَّ شَيْءٍ بِسَخَاءٍ لِّيَنْمَتَّعَ".^أ بل إن التخلّي عن الذات أو إنكار الذات هو أهم من هذا.

التخلّي عن الذات يعني أن نترك قيَّمتنا القديمة البالية، أن نتخلّي عن عواطفنا وتصراتنا التي تبعينا عن الله عز وجل. مثلاً: الغضب، الكراهيّة، الشعور بالماراة ضد الآخرين لأنهم عارضونا أو أهانونا. فالمسيح هنا يطلب منا أن نغفر ونسامح. ومثال آخر هو الكبriاء. الذات تحب الكبriاء والعرفة، بينما المسيح يطلب منا أن نتواضع. فهو يطلب منا أن نتخلّي عن الذات.

يقول بولس: "لَكِنَّ هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي كُنْتُ أَعْتَبُ أَنَّهَا مُهِمَّةٌ، هِيَ الآنَ فِي حِسَابِي بِلَا قِيمَةٍ مِّنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ. بَلْ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، كُلُّ الْأَشْيَاءِ هِيَ فِي حِسَابِي بِلَا قِيمَةٍ بِالْمُقَارَنَةِ مَعَ عَظِيمَةِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ عِيسَى مَوْلَاهُ. فَإِنَّا مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ فِي حِسَابِي مُجْرَدُ زِبَالَةٍ، وَذَلِكَ لِيَ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ، وَأَنْتَيَ لَهُ، وَرَيَّتَنِي اللَّهُ صَالِحًا بِالإِيمَانِ. لَا صَلَاحِي أَنَا عَلَى أَسَاسِ أَنِّي عَيْلُتُ بِقَرَائِضِ الشَّرِيعَةِ، بِلِ الصَّالَاحِ الَّذِي هُوَ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ. أَرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ الْمَسِيحَ، وَأَخْتَرَ قُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَأَشَارِكُهُ فِي آلامِهِ، وَأَصْبِحَ مِثْلُهُ فِي مَوْتِهِ، لِيَأْتُ أَقْوَمَ مِنَ الْمُوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ".^ب

إنها مضيعة أن نهتم بأنفسنا ونهمل الله. إنه تبذير خطير أن نقضي الحياة في طلب الراحة وننسى الله. يجب أن ندرك أن أهم شيء في الحياة هو عمل مشيئة الله لا مشيئتنا نحن، هو إرضاء القدير لا إرضاء رغباتنا وشهواتنا، هو السير مع المسيح مهما كلفنا هذا من مشقة وألم واضطهاد وفقر وعداب. لا الراحة ولا تصفيق الجماهير ولا

الأمان المادي والمالي في هذه الدنيا، لا شيء من هذه يمنحك الطمأنينة والأمان الحق.
إذن لنطلب لا ما يرضينا نحن، بل ما يرضي الله.

معنى أوبرا شهيرة كان دخلها من عملها يفوق دخل كثيرين من الأثرياء.
ولكنها فجأة أعلنت أنها ستعتزل الغناء، وفعلاً توقفت. ذات مرة رآها أحد هم جالسة
بهدوء تقرأ كتاب الله وتتأمل روعة غروب الشمس، فسألها: "لماذا اعتزلت المسرح
وأنت في ريعان الشباب؟" كان ردتها أن عملها كان يحررها من التعمق في معرفة كلام
الله والتعمق بروعة خليقة الله. قررت أن تتخل عن المركز والمال والشهرة في سبيل أن
تقرب لله تعالى. اعتبرت أن المركز والمال والشهرة كلها بلا قيمة من أجل المسيح، كلها
بلا قيمة بالمقارنة مع عظمة معرفة المسيح. اعتبرت كل هذا زبالة لكي تربى المسيح!

٥) أن تحمل صليبك

حدَّث مولانا وفادينا عيسى المسيح أتباعه عن صليبيين. صليبيه هو، وصلبيهم
هم! لقد أظهر لهم أنه سيموت على صليب، ثم طالبهم هم أيضاً بأن يحملوا الصليب
ويتبعوه! ويالها من صدمة عنيفة لهم. ليس فقط أنه هو سيُصلب ويموت، بل أنهم
أيضاً لا بد أن يحملوا الصليب!

قلنا من قبل إن الشخص المحكوم عليه بالصلب كان مطالباً بأن يحمل صليبيه
إلى مكان الإعدام. هذا للإمعان في إذلاله واحتقاره. كان حمل الصليب فضيحة وعاراً
وعيباً. كان تجربة قاسية للمشاعر الإنسانية. كان إضافة صعبة وزيادة رهيبة فوق
العقاب نفسه. حمل عيسى الصليب وسار به. والمعنى الذي يقصده عيسى هنا هو
أن يتتحمل تلميذه كل المصاعب والمتاعب التي تأتي بسبب الإيمان باليسوع وبسبب
إنْباعه بأمانة. كل ما يعتبر عاراً ومهانة في نظر الناس، يصبح عين الشرف والفاخر
والمجد بالنسبة لنا.

هو لا يضع الصليب على كتفي، بل يدعوني لآخره أنا بنفسي وأحمله أنا بنفسي، دون ضغط أو قهر. هو يدعوني وأنا حر الاختيار. يدعوني لأنه يعلم أن في ذلك كل الخير لي.

نَحْنُ لَا نَدْخُل مَمْلَكَةَ الْمَسِيحِ جَالِسِينَ عَلَى فِرَاشٍ وَثِيرٍ، لَا. بَلْ بِمَجْرِدِ دُخُولِنَا يَبْدأُ تَدْرِيْبُنَا فِي حَرْبٍ سَاخِنَةٍ مَعَ إِبْلِيسَ عَدُوِّنَا الْلَّذِودَ. وَكُلُّ خَطْوَةٍ نَتَقْدِمُهَا، هِيَ مَعرِكَةٌ نَكْسِبُهَا بِالْعَرْقِ وَالدَّمِ. وَكُلُّ مَعرِكَةٍ نَكْسِبُهَا يَنْبُغِي أَنْ تَكُونَ لِمَجْدِ قَوْاتِنَا الرُّوحِيَّةِ، الَّذِي بَذَلَ دَمَهُ الشَّمِينَ فِي أَخْطَرِ مَعرِكَةٍ عَلَى الصَّلِيبِ. وَلَذِكَّ نَحْنُ نَقْابِلُ الْأَلْمَ وَالْمَتَاعِبَ وَالْضَّيْقَ فِي الْحَيَاةِ.

حمل الصليب هنا يعني قبول الاضطهاد والألم والعقاب حتى الموت نفسه في سبيل الإيمان باليسوع. إذن نحن هنا ننادي بالفادي المصلوب، وبأتباع له أيضا مصلوبين! قال بولس: أَمَّا آنَا، فَإِنِّي لَا وَلَئِنْ أَفْتَخِرْ بِشَيْءٍ إِلَّا بِصَلِيبِ سَيِّدِنَا عِيسَى الْمُسِّيْحِ، الَّذِي بِهِ صَلِيبُ الْعَالَمِ بِالنِّسْبَةِ لِي، وَآنَا صُلِبْتُ بِالنِّسْبَةِ لِلْعَالَمِ." بـ لا يمكن أن نتبع المسيح من غير صليب!

تحدث عن هذا رجل شجاع من أتباع المسيح فقال: "النعمـة مـجانـة ولكنـها ليست رخيـصة. النـعمـة الرـخـيـصـة هـي بلا صـلـيبـ، هـي بلا عـيسـى مـسيـحـ الـذـي صـارـ بـشـراـ. النـعمـة غالـيـة ولـيـسـتـ رـخـيـصـةـ. إـنـهـ تـكـلـفـ النـاسـ حـيـاتـهـمـ. إـنـهـ كـلـفـ اـبـنـ اللهـ حـيـاتـهـ، وـمـاـ كـلـفـ اللهـ أـغـلـيـ ماـ عـنـهـ لـيـسـ رـخـيـصـاـ عـلـىـ الإـطـلاقـ!ـ"⁷²ـ وـفـيـماـ بـعـدـ ضـحـيـ هـذـاـ الرـجـلـ بـحـيـاتـهـ مـنـ أـجـلـ المـسـيـحـ.

إن الصليب يُفسر لي معنى آلامي. أنا أتألم لأنني إنسان، لكن سيدى تألم من أجلـي، ولذلك لا يوجد ألم يُصيبني إلا ويحاول المسيح بواسطته وفيه أن يأتي ليُقابلني

اکور 19:9
بِ غَلَبٍ 14:6

ويُساعدني. فإن سمحت له، وفتحت الباب لصاحب الجلاله، وتحاوبت مع رغبته، يملأني سلام الله الذي يفوق كل فهم البشر، ويحرس قلبي وعقله. في ذلك الوقت أفهم أن الخسارة التي أصابتني، والألم الذي كاد أن يسحقني، إنما من مُكَوّنات بشرتي، ودليل على أن تدريسي للعرش في تقدُّم. ومق فهمت، أشعر بذراعي عيسى تلفني وتحيطني!

إن حَمْلَ الصليب، ومعاناة الألم والاضطهاد من أجله وفي سبيله، هو جزء من حياتنا الروحية. هو جزء من تدريبنا الروحي. هو جزء من نمونا في الحياة معه ومن أجله. قال بولس: "وَدَائِمًا نَحْمِلُ فِي جِسْمِنَا مَوْتَ عِيسَى بِذَلِكَ تَظَاهَرُ حَيَاتُهُ أَيْضًا فِي جِسْمِنَا".^ا وهذا يعني: نحن دائمًا نتوقع لأنفسنا الموت الذي ماته عيسى. وأيضاً نحمل في جسمنا علامات الضرب والجلد والتعذيب من أجل إيماننا بعيسى. الصليب الذي حمله عيسى ومات عليه كان للتکفير عن ذنبينا. أمّا الصليب الذي يحمله المؤمن بال المسيح، فهو لنشر حق المسيح.

إن كنت تريد أن تخلي الحياة لك من المشاكل والمتابعين، فأنت في خطر أن تخلي حياتك من المعجزات. المشاكل والأعواز والمتابعين والآلام تقودنا إلى محضر الله لتتصرّع إليه، إلى عرش المسيح ليعمل المعجزة ويتدخل في أمورنا ويسد أعوازنا ويخفف آلامنا. الحياة المنتصرة تعني الحياة التي خاضت المعركة. لا بد أن نخوض المعركة لكي نحصل على النصر. لا نصر بلا معركة. أحمل الصليب بشجاعة يا أخي. إن كنت تحمله وتثابر، يحملك إلى نهاية الطريق، إلى السماء، إلى الجنة. لا تظن أن الحياة مع المسيح تعني راحة مستمرة ونرفة، وفرحا دائمًا، ونجاحاً مالياً ومادياً، وحياة خالية من المتابعين فيها تُخلُ كل المشاكل بسهولة! ليست هذه هي صورة الحياة التي رسمها لنا

^ا في 7:4

^ب كور 10:4

الْمَسِيحُ لَمَا قَالَ: "سَتَعَاذُونَ الظِّيقَ فِي الْعَالَمِ، لَكِنْ تَقْوُا أَنَا غَلَبْتُ الْعَالَمَ".^{١٠}

قال رجل تقى: "صليب المسيح هو أسهل حمل أحمله. هو لي جناح طائر أو شراع
قارب يدفعني إلى الأمام ويحملني إلى بر الأمان".⁷³ لذلك حين تأتي المحن أقول: "يا
رب، أنا ضعيف أمام هذا المحن، ولكنني عالم أنك لا ترسل شيئاً لا أقدر أن أحتمله.⁷⁴
لذلك ساعدني لأحتمل بصبر وأنجح في هذا الامتحان. ليت هذا يعود بالمجد والجلال
لاسمك القدوس المبارك، وبالبركة والتقوية لعبدك ولإخوتي شركائي في خدمة المسيح."
إذن لم يطلب المسيح منا أن نحمل سيفاً بل صليباً! قطعاً هو لا يعني أن أحمل
صليباً من خشب على كتفي، ولا صليباً من الذهب على صدري! إنه لا يقصد ذلك
أبداً! بل المقصود بالصلب هنا هو التجارب والمحن التي تعلّمني أن أصبح مثله، هو
الاختبارات التي تعلّمني التواضع والوداعة، وتسبب لي أن أخجل من نفسي، وتوّلم في
الطبيعة الدنيوية. يجب أن أحتمل الألم بصبر. إن لم أغُبْر في المحن والصعوبات، فلن
أعرف معنى الحياة الحقيقة. لو لم يكن ملتوون أعمى، ما كان قد كتب شعره العظيم
وقال: "يا رب، جعلت رؤيتي معتمة، لكي أراك أنت، أنت وحدك!" فمن محنـة العمى،
رأى ملتوون القديـر تعـالـى بـصـيرـتـه الرـوحـيـة وـيـقـلـبـهـ المـشـرقـ المـضـيءـ!

٦) أن تُبلغ الرسالة

قبل صعوده إلى السماء، أوصانا سيدنا وقال: "إذْهُبُوا إِلَى كُلِّ الْعَالَمِ، وَانْشُرُوا
الْبُشْرَى لِكُلِّ النَّاسِ... إِذْهُبُوا وَتَلْمِذُوا كُلَّ الشُّعُوبِ، وَغَطَّسُوهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ وَالْأَبِينِ
وَالرُّوحِ الْقُدُوسِ. وَعَلَمُوهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِكُلِّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ." بـ هذه هي دعوته لنا
نحن أتباعه لنبلغ البشري لكل الناس وندعوه ليتصالحوا مع الله بالمسيح. هذا واجب

33:16

ب ۱۶:۱۵؛ مت ۲۸:۲۹-۲۰

على كل مؤمن بال المسيح. إن كانت مشكلة الناس اليوم هي الذنب والمعصية، فإن الحل الوحيد هو فداء المسيح. وهذا يقول بولس إن الحاجة ملحة إلى وجود من يخبر صاحب المشكلة عن ذلك الحل المضمون والعلاج الناجح فيسأل: "كَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِهِ إِذَا سَمِعُوا عَنْهُ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ عَنْهُ إِذَا جَاءَ وَاحِدٌ وَيَشَرِّهُمْ؟" إذن هنا دعوة خطيرة لنا تأتي من عرش الله: "مَنْ أُرْسِلُ؟ مَنْ يَكُونُ رَسُولاً لَنَا؟" بـ أنا وأنت، كل واحد فينا مسئول أن يبلغ هذه الرسالة ويقود الناس برفق وشفقة إلى هذا الصليب الذي يحررهم ويبعد عنهم الحياة والأمل. دعائي لله من أجلك هو أن يمكنني أن أقول مع بولس: "حَيَايَتِي لَا تَهْمِنِي، بَلِ الْمُهِمُ هُوَ أَنْ أَقُومَ بِمُهِمَّتِي وَأَتَّمِ الْعَمَلَ الَّذِي كَفَنِي بِهِ سَيِّدِنَا عِيسَى، وَهُوَ أَنْ أُخْبِرَ بِإِشَارَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ."^ا

لاحظ هنا أن الوحي الكريم لا يقول: "ما على الرسول إلا البلاغ".⁷⁵ بل يقول إن واجبنا هو: "خُواوِلْ أَنْ نُقْنِعَ الْآخِرِينَ".^ث إنه استأمننا على مهمة خطيرة ويتوقع منها أن نقوم بها خير قيام، كما يقول الكتاب: "وَكَفَنَا بِمُهِمَّةٍ أَنْ نُصَالِحَ الْآخِرِينَ مَعَهُ. أَتَصُدُّ أَنَّ اللَّهَ صَالَحَ الْعَالَمَ مَعَهُ بِوَاسِطَةِ الْمَسِيحِ، وَلَمْ يَخْسِبْ أَخْطَاءَهُمْ ضِدَّهُمْ، ثُمَّ اسْتَأْمَنَنَا نَحْنُ عَلَى الرِّسَالَةِ الَّتِي بِهَا نُصَالِحُهُمْ مَعَهُ."^ج

7) أن تكون على استعداد لأن تضحي بكل من أجله

قال عيسى لأتباعه: "كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَا يَتَخَلَّ عَنْ كُلِّ مَا عِنْدَهُ، لَا يَقْدِرُ أَنْ

^ا رو 14:10

^{بـ} إش 8:6

^{ثـ} أع 24:20

^{ثـ} كور 11:5

^{جـ} كور 19:18-25

يَكُونْ تِلْمِيذِي". أَن الفرق بينك وبين أي واحد آخر يتبع المسيح بطريقة سطحية شكلية، يجب أن يكون في استعدادك أن تصحي بالكل في سبيله، حق بحياتك نفسها، لأنه ضحي بنفسه في سبيلك ولفادتك. أنا كتابع للمسيح لست في طريقي إلى الغنى والثروة، بل في طريقي لأحيا الحياة التي يريدها هو لي. لست في طريقي إلى العظمة والشهرة والقوة، بل في طريقي لأكون خادماً للآخرين من أجله وضعيفاً ومحظياً بل ومغضطها ومرفوضاً ومطروداً في سبيله. قد تأتي الشهرة. قد تأتي المكانة العالية. قد يمن الله على بهذه، لكنها ليست هدفي في الحياة. بل هدفي هو أن أحيا له، أن أمجده وأعظمه وأرفع اسمه القدس المبارك. لقد أشرق النور في قلبي، وغير الله مجرى حياتي، وأنقذني من يأس وعذاب وضياع. لذلك فإني قد جعلت هدف حياتي هو أن أجد اسم عيسى وأكون معترفاً بجميله وصنيعه معي، وبالتالي أن أقدم هذه الحياة الجديدة وهذا الأمل والنور إلى كل من يقبل النص والارشاد والهداية.

كنت أتحدث مع صديق عن الماضي وأيام زمان. كنا ندرس الصيدلة في الجامعة معاً، وخرجنا في نفس الوقت، وعملنا في هذه المهنة بعض الوقت في نفس المدينة. وتطرق الحديث إلى كيف أني تركت مهنة الصيدلة بسبب دعوة الله لي لأعمل في خدمته لأبشر المسلمين بمعنى نعمة المسيح.

ثم قال لي صديقي: "أنت صحيت بالكثير، حين تركت مهنة الصيدلة إلى هذه الخدمة". وهنا اعترضت بشدة. قلت: "لا توجد تضحية تماثل تضحية المسيح على الصليب من أجلي! أنا تركت عملاً وصيدلية ومركزاً، أما هو فبذل دمه، ضحي بحياته من أجلي. مات على الصليب ليغديني".

قال صديقي: "لم يكن هذا من أجلك أنت وحدك. لقد مات المسيح من أجل كل الناس". قلت: "صحيح. مات من أجل الكل، لكن لو لم يكن في الدنيا كلها إلا

خطيء واحد هو أنا، لكن المسيح قد مات من أجلني أنا وحدي! إن تضحية المسيح هي قمة كل حب وبذل". ومن هنا يطالبنا أن نكون على استعداد لأن نضحى بأغلى ما عندنا.

في زمن النبي دانيال، صنع الملك نبوخذنر تمثلاً من ذهب، وأمر الناس من كل الشعوب التي تحت أمره، ومن كل الملل واللغات أن يعبدوا التمثال ومن لا يعبد التمثال يُحرق حيا بلا رحمة ولا شفقة. ولكن رفض شدرخ وميشوخ وعبدنغو أن يعبدوا غير الله القدير الواحد خالق السماء والأرض. سمع الملك بهذا فغضب جداً وأمر بإحضار هؤلاء الرجال الثلاثة قدامه. أراد الملك أن يعطيهم فرصة أخرى لكي يعبدوا التمثال. ولكن أجابه شدرخ وميشوخ وعبدنغو بشجاعة وقالوا: "يا نَبُوْخَذْنَصْرُ، نَحْنُ لَا نَحْتَاجُ إِنْ تَرْدَعْ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ. اللَّهُ الَّذِي تَعْبُدُهُ قَادِرٌ أَنْ يُنْجِيَنَا مِنْ أَثْوَانِ النَّارِ الْمُسْتَعْلَةِ، وَأَنْ يُنْقِدَنَا مِنْ يَدِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ! وَحَتَّى إِنْ لَمْ يُنْفِدْنَا، إِعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّنَا لَنْ نَعْبُدَ آلهَتَكَ، وَلَنْ نَسْجُدَ لِتَمَثَالِ الدَّهْبِ الَّذِي نَصَبْتُهُ".

غضب الملك جدا من هذا التحدي وأمر بأن يُمحى أتون النار 7 أضعاف فوق المعتاد. وأمر البعض من أقوى الرجال في جيشه أن يربطوا الرجال الثلاثة ويرموهم في النار. فربطوهن ورموهم بما عليهم من ملابس. وبما أن النار كانت شديدة جدا، قتل اللهيب الرجال الذين رموا شدرخ وميشخ وعبدنغو.

ومضت بعض اللحظات وجاء الملك ليتفرج على النار ولكن فوجئ بأن وجد في النار أربعة رجال محلولين يتمشون في وسط النار وكأنهم يتزهرون وما بهم ضرر! فانزعج الملك من هذا وهتف وقال: "يا شَدْرُخْ وَمِيشَنْ وَعَبْدَنْغُو، يا عَبِيدَ اللَّهِ الْعَالِيِّ، أَخْرُجُوكُمْ وَتَعَالَوْا!" فَخَرَجَ شَدْرُخْ وَمِيشَنْ وَعَبْدَنْغُو مِنْ وَسْطِ النَّارِ. فَاجْتَمَعَ حَوْلَهُمْ

١٨-١٦ : ٣ دا

ب دا 22:3

وَكُلَّاءِ الْمُلِكِ وَكَبَارِ رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَقَادَةِ الْجُنُوشِ وَمُسْتَشَارُو الْمُلِكِ، وَرَأَوْا أَنَّ النَّارَ لَمْ تَضُرَّ أَجْسَامَهُمْ فَلَمْ تَحْرِقْ وَلَا شَعَرَةً مِنْ رُوُسِيهِمْ، وَلَمْ تَتَعَيَّنْ شَيَاءِهِمْ، وَلَا حَتَّىٰ فِيهِمْ رَاحِخَةُ النَّارِ! فَقَالَ نَبُوَّهُ دَنْصُرُ: "تَبَارَكَ إِلَهُ شَدْرَخَ وَمِيشَحَ وَعَبْدَنْغُو الَّذِي أَرْسَلَ مَلَاكَهُ وَأَنْقَدَ عَبِيدَهُ الَّذِينَ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَخَالَفُوا أَمْرَ الْمُلِكِ، وَبَذَلُوا حَيَاتَهُمْ لِكِي لا يَعْبُدُوا أَوْ يَسْجُدُوا لِإِلَهٍ غَيْرِ إِلَهِهِمْ. لِذَلِكَ أَمَرْتُ أَنَّ أَيَّ اِمَّةٍ أَوْ لُقْعَةٍ يَقُولُ شَيْئًا ضَدَّ إِلَهِ شَدْرَخَ وَمِيشَحَ وَعَبْدَنْغُو، أَمْرَفَهُ إِرْبَابًا وَأَجْعَلَ دَارَهُ مَزْبَلَةً. لَأَنَّهُ لَا يُوجَدُ إِلَهٌ آخَرُ يَقْدِرُ أَنْ يُنْجِي بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ".^١ كَانَ هُؤُلَاءِ الرِّجَالُ أُوفِيَاءُ لِلَّهِ تَعَالَى فَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَبَذَلُوا حَيَاتَهُمْ لِكِي لا يَعْبُدُوا إِلَهًا غَيْرِهِ، فَأَرْسَلَ مَلَاكًا لِيُنْقذُهُمْ. وَكَانَ هَذَا الْمَلَكُ هُوَ الرَّجُلُ الرَّابِعُ الَّذِي رَآهُ الْمَلَكُ فِي أَتْوَنِ النَّارِ.

قال المسيح أيضًا: "مَنْ كَانَتْ حَيَاتُهُ عَزِيزَةٌ عَلَيْهِ يَقْدُدُهَا، وَمَنْ يُضْحِي بِهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يَرْجُهَا وَتَكُونُ لَهُ حَيَاةُ الْخَلْوَد".^٢ في كل حقبات التاريخ استشهد الملايين من المؤمنين بعيسى لأنهم فضلوا أن يثبتوا على اعترافهم باليسوع وإعلانهم الولاء له بدلاً من أن ينكروه. في عام 155 ميلادية حُكِّمَ على بوليكارب بالموت بسبب إيمانه باليسوع. طلب منه الحاكم الروماني أن يتراجع عن إيمانه، ولكن الرجل العجوز الشهيم أجاب: "خدمت عيسى 86 سنة ولم يخذلني، ولا تخلي عنِّي، ولا مرة واحدة طول هذه السنين، فكيف تريديني أن أكفر بملكى ومنقذى وربى الذي فدانى وأنكره؟" وهنا هدد الحاكم بإلقائه في حفرة فيها أسود جائعة، فقال بوليكارب: "هات الأسود!" ثم هدد الحاكم بأنه سيحرقه حياء، فقال الرجل: "أنتم تهددونني بالنار التي تحرقني وتعدبني لحظات قليلة، ولكن كيف تهربون أنتم من نار الجحيم التي تدوم إلى الأبد لأنكم لا تؤمنون باليسوع؟"

^١ دا 3: 26-29

^٢ يو 12: 25

وأخيرا قرر الحاكم أن يحرقوه حيا في النار. وقبل أن يلقي بوليكارب أنفاسه الأخيرة قال: "يا أبي الحنون... أشكرك لأنك جعلتني مستحضا لهذا اليوم وهذه الساعة. إني الآن أنال نصيبي وامتيازي لأكون من الشهداء الأمناء لك، الذين تشرفوا باتباع سيدنا عيسى المسيح بأمانة ووفاء. إني أشكرك يا أبي".

وفي 7 مارس سنة 202 ميلادية قامت حكومة الرومان في مدينة قرطاج (في تونس الحالية) بإعدام زوجة شابة حامل في شهرها الثامن اسمها فيليسيتي. رفضت هذه الفتاة أن تنكر المسيح. ومع كل التهديد والوعيد، وقفت ثابتة في إيمانها بالفادي المحب. وبينما كانت في السجن قبل إعدامها جاءها المخاض لتلد. فكانت في ألم شديد. وهنا قال لها حراس السجن: "إن كنت تصرخين الآن بسبب الولادة، فماذا تعملين حين نرميك للوحوش المفترسة؟" وهنا ردت بكلمتها الشهيرة: "الآن أنا نفسي أتألم، ولكن حين ترموني إلى الوحش، سيكون في واحد يتألم نيابة عنِّي، لأنني وقتها أتألم من أجله!"

لم يكن موت المسيح مأساة بل نصرا، ولذلك فإن موت المؤمن به هو أيضا نصر لا مأساة. فكرة الموت كمأساة هي فكرة بعيدة كل البعد عن الحق الكتابي. فالكتاب يقول إنه عند الموت تعود روح المؤمن إلى خالقها لتنعم في الجنة، في حضرة المبارك الجليل. المسيح لا يعرف الهرب من الموت، بل كما قابل الموت من أجلنا، يتوقع منها نحن أتباعه أيضا أن نقابل الموت من أجله. إنما المأساة هي في البيئة التي نعيش فيها اليوم. إنها تحاول أن تؤجل الموت بكل الطرق المتاحة للعلوم الطبية المتقدمة حتى ولو كان المريض حيا بالاسم وميتا بالفعل لأنه لا يتكلم ولا يتحرك ولا يدرك ما حوله! نحن لا نخاف من الموت. قال النبي داود: "حَقٌّ إِنْ سِرْتُ فِي وَادِي الْمَوْتِ الْمُظْلِمِ، لَا أَخَافُ الْأَذَى لَأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي. عَصَاكَ وَعُكَارُكَ يُعَزِّيَنِي".^١ الشخص الذي لا يخاف الموت

هو أقوى الناس؛ هو الذي يسير في الطريق حاملاً نعشه، حاملاً صلبيه!
 قال أحد أولياء الله: "انظر داخل قلبك، تجد أنك تعطي نفسك لله ولكن في حدود لا تريد أن تتجاوزها! أي أنك تسلم نفسك له، ولكن بمقدار معين فقط! وهذا يعني أنك تحرم نفسك من بركات غير عادية. أنت تطوف بالقرب من اختبارات جديدة لكنها مكلفة، ولذلك تتظاهر بأنك لا تراها لثلا يو بخلك ضميرك! وكلما تراجعت عن تسليم أمر ما له، وكلما ترددت في ذلك، كلما زاد اليقين أنك يجب أن تخضع له. فلو كنت حقاً غير مقيد به، فلماذا كل هذا المجهود لتقنع نفسك بأنك حر منه؟"⁷⁶

منذ سنين عديدة آمن بال المسيح رجل إيراني مسلم اسمه ميرزا إبراهيم. فقضى عليه السلطات ووضعه في سجن في مدينة تبريز. كان ولی العهد الإيراني في ذلك الوقت يعيش في تبريز، فاستدعي ميرزا إبراهيم من السجن. قال ولی العهد: "يا ميرزا إبراهيم، لقد بلغتني قصتك، ومع أنني أعتبرك غبياً ومتهوراً لأن ترك الإسلام، لكنني أجد فيك الشجاعة في نفس الوقت! فالآن أنا مستعد أن أطلق سراحك من السجن إن كنت تقوم بفرض الصلاة أمامي كما كنت تعمل وأنت مسلم".

وفي الحال أخرج ميرزا من جيبه نسخة من الإنجيل الشريف وقال: "يا صاحب السمو الملكي، أنا عارف أن عندك السلطة على الحياة أو الموت. ولكن هنا في إنجيل المسيح الكريم، وجدت الحياة الحق، وعرفت عيسى المسيح منقذی من الذنب. لذلك، يا سيدي، ليس هناك ما يمكن أن تعمله لترحمني من الحياة الحق. أما بشأن قيامي بفرض الصلاة الإسلامية، فأنا لا أستطيع أن أقوم بذلك لأنني لست مسلماً!"
 وهنا أخذوا ميرزا وأرجعوا مرة أخرى إلى السجن، وبعد أيام قليلة شنقوه وأعدمهوه.

في سنة 1546 قبض أعون الحكومة في اسكتلندا على جورج وزهارت واتهموه بأنه ينادي بعقائد ضد الكنيسة. لكن الحقيقة كانت أن نور المسيح أشرق في قلب

وزهارت، فمنحه الله نعمة الغفران والحياة الجديدة، فكان يقرأ كتاب الله ويدرسه بعمق ويطبقه في حياته، وينادي للآخرين بهذه الحياة الجديدة. ولكن هذا لم يعجب قادة الكنيسة في ذلك الوقت، فاتهموه بالهرطقة والكفر وحاكموه محاكمة جائرة ظالمة وحكموا عليه بالموت حرقاً بالنار. وما كانت النار تلتهمه، اقترب منه الرجل الذي كلفوه بإشعال النار فيه، وركع الرجل بالقرب من وزهارت وقال له: "من فضلك ساحني". فطلب منه وزهارت أن يُقرب خده منه، وهنا قَبَّله جورج على خده وقال له: "لقد ساختك، وهذه القبلة هي دليل ذلك. والآن، قم بواجبك!"⁷⁷

في يوم عيد الميلاد سنة 1628 قررت اليابان إعدام مايكيل نكشيميا⁷⁸ لأنه تحول إلى دين المسيح. وبينما كانوا يعتذرون ويسبون الماء المغلي على رأسه وجسمه قال ذلك الشهيد البطل: "مرّقوني إرباً، وانزعوا روجي من جسمي، ولكنكم لن تقدروا أن تجعلوا في ينطق بإنكار سيدي المسيح!". وهنا مات الياباني شهيداً في سبيل سيده. وفاديته.

صليب المسيح هو مثال لنا. نحن كمؤمنين بعيسي لا بد أن نتألم في الحياة. يقول الإنجيل الشريف: "إِنَّ الْمَسِيحَ تَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِكُمْ وَتَرَكَ لَكُمْ مِثَالًا لِيَ تَقْتَدُوا بِهِ".⁷⁹ إن المسيح تألم على الصليب. لا بد أن الله تعالى حزن حزناً شديداً وهو يرى وحيده حبيبه معلقاً على الصليب. كيف يكون شعورك إن رأيت ابنك الوحيد البريء الحلو الطيب الذي تحبه وحوله جماعة من الرعايا يصفعونه على خده ويسبقون في وجهه ويضربونه بعصاً على رأسه ويجلدونه ثم يصلبونه؟ هذا تماماً ما حدث مع مولانا تعالى.

أرسل ملك رسالة إلى أمير يحكم بلاداً قريبة وطلب منه أن يستسلم ويخضع له. فما كان من الأمير إلا أن نادى أحد جنوده وقال له: "اغرز سيفك في قلبك". وفي الحال غرز الجندي سيفه في صدره ووقع ميتاً. ثم قال الأمير الجندي آخر: "اقفز من

هنا وألق نفسك في النهر". وبلا تردد قفز الجندي في النهر وغرق. ثم التفت الأمير إلى رسول الملك المعادي وقال له: "اذهب وقل لسيدي إن عندي مئات الجنود من هذا النوع الذي رأيته، ولن يمكن له أن ينتصر علينا".

ولكن الملك المعادي لم يهمه هذا الكلام واستمر يقترب بجيشه. وقابلة ذلك الأمير ومعه جنوده الشجعان، وأمكنته أن ينتصر عليه.

يطلب منا المسيح أن نضحى بكل شيء. نعم، يجب أن نضحى من أجل سيدنا وملكتنا الذي ضحى بنفسه من أجلنا.

كان الملك آرثر يعين الحراس في قصره من الجنود الذين أصيروا مجرح في الحروب ضد الأعداء. هؤلاء فقط كانوا، في نظر الملك، يستحقون أن يكونوا حراس الملك. فكما ضحوا من أجل الوطن، كان يتوقع منهم أن يكونوا مخلصين وأولياء له وعلى أتم الاستعداد أن يفدوه بدمائهم. الأبطال من هذا النوع فقط كانوا يستحقون هذا الامتياز.

تذَكَّرُ أنَّ الْخَادِمَ لَيْسَ أَفْضَلَ أَوْ أَعْلَى مِنْ سَيِّدِهِ، إِنْ كَانَ سَيِّدُنَا قَدْ تَأْلَمَ فَنَحْنُ أَيْضًا لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ الْآلَامُ مِنْ نَصِيبِنَا. بَعْدَمَا تَخْرُجَ مُحَمَّدًا شَرَدِيلَ خَانَ مِنَ الْجَامِعَةِ، آمَنَ بِالْمَسِيحِ وَأَخْذَ يَقْرَأُ كَلَامَهُ وَيَدْرِسُهُ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَقدِّمُ فِي إِيمَانِهِ بِالْمَسِيحِ، اكْتَشَفَ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَغْطُسَ فِي الْمَاءِ أَمَامَ شَهُودٍ إِعْلَانًا مِنْهُ أَنَّهُ يَتَّبِعُ عِيسَى الْمَسِيحَ. فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ رَجَعَ إِلَى بَلْدَتِهِ وَهُنَاكَ تَعْرَفَ عَلَى جَمَاعَةِ مِنْ أَتَابَاعِ الْمَسِيحِ وَتَطَلُّبُ مِنْ قَائِدِهِمْ أَنْ يَغْطُسَهُ فِي الْمَاءِ فِي مَحْضِ أَهْلِ بَلْدَتِهِ وَأَمَامَ عَيْوَنِهِمْ! وَلَكِنْ بَعْدَمَا تَغْطَسَ الشَّابُ، ثَارَ أَبُوهُ جَدًا وَضَرَبَهُ وَطَرَدَهُ مِنْ دَارِهِ وَقَالَ لَهُ: "أَنْتَ لَسْتَ ابْنِي حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ". صَرَخَ مُحَمَّدًا شَرَدِيلَ فِي أَهْلِ الْبَلْدَةِ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا وَقَالُوا: "أَنَا ابْنُ هَذِهِ الْبَلْدَةِ. وَلَنْ أَتَرْكَهَا. إِنْ أَرْدَتُمْ، فَاقْتُلُونِي. وَلَكِنِي لَنْ أَتَرْكَ بَلْدَتِي". وَسَارَ إِلَى الْبَئْرِ وَجَلَسَ هُنَاكَ وَهُوَ فِي أَلْمٍ شَدِيدٍ بِسَبَبِ ضَرْبِ أَبِيهِ لَهُ، وَبَعْدِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَهُوَ هُنَاكَ وَقَدْ اشْتَدَ عَلَيْهِ

الجوع جداً، جاءت إليه أمه سراً ومعها وجبة طيبة. وبعد بضعة أيام جاء أبوه إلى البئر وجره إلى الدار وأخذ يضربه بعنف ويُشتمه، ثم حبسه في غرفة في الدار. وفي الصبح أحضر له إمام الجامع وبعض علماء الدين لكي يُرجعوه إلى الإسلام. ولكنه رفض. وبعد عدة أسابيع، انكسرت إرادة أبيه، وأدرك أن ابنه لن يرجع عن إيمانه بال المسيح، فأخرجه من حبسه وقال له: "أنت ابني. أنا لا أقدر أن أغير هذا، ولم أقدر أن أثنيك عن اتباع المسيح." أخذه أبوه ووجد له عملاً محترماً طيباً بشهادته الجامعية في مصنع بالقرب منهم. لقد ربح محمد شرديل المعركة. لقد انتصر. لاق اضطهاداً عنيفاً وخاطر بحياته. رفض أن يهرب. أصر أنه ينتمي للبلدة التي نشأ فيها والتي فيها أهله.

لا يمكنك أن تهدد بالموت شخصاً يؤمن باليسع. هذا تهديد فارغ، لأن المؤمن باليسع يجب ألا يخاف الموت. فالموت ينقله إلى محضر سيده وفاديه وإلهه. فهل ينفع أن تهدد شخصاً بالراحة والفرح والسرور والبهجة؟ أنا لا أخاف من الموت من أجل المسيح. هو فاديٌ وقد مات من أجلي، فكيف أبخل بحياتي عليه؟

أمر السيد المسيح يوحنا أن يبعث برسالة إلى قائد جماعة المؤمنين في إزمير لكي يُعرِّيهُمْ ويشددهم ويشجعهم في وسط الاضطهاد والضيق. قال مولانا عيسى المسيح في رسالته إنه يعلم تماماً ما تقاسيه تلك الجماعة من الضيق. ثم قال لقائدهم: "لا تخفْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي يَتَتَظَرُّكُ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ سَيُلْقِي بَعْضًا مِنْكُمْ فِي السَّجْنِ لِيَمْتَحِنَّكُمْ وَتُقَاسُوْنَ الاضطهادَ عَشَرَةً أَيَّامً. فَكُنْ أَمِينًا حَتَّى الْمَوْتِ، وَأَنَا أُعْطِيَكَ إِلَّيْكَ الْحَيَاةَ، يَا مَنْ لَكُمْ آذَانٌ، إِسْمَعُوا مَا يَقُولُهُ رُوحُ اللَّهِ لِجَمَاعَاتِ الْمُؤْمِنِينَ! مَنْ يَغْلِبُ، لَا يُؤْذِيهِ الْمَوْتُ الثَّانِي".^{١١}

يطلب المسيح منا أن نكون أمناء له؛ أن نكون أوفياء له حقاً ولو أدى ذلك بنا إلى الموت. يقول: "كن أميناً حتى الموت". ويقول الوحي:

"يَحْبُّ أَنْ تُرْكَ أَنْظَارَنَا عَلَى عِيسَى مَصْدَرٍ وَهَدِيفٍ إِيمَانِنَا. فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ الْفَرْجِ الَّذِي يَتَنَظِّرُ، إِحْتَمَلَ الصَّلِيبَ وَلَمْ يَهُمَّهُ عَارُّهُ، فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ عَرْشِ اللَّهِ. تَأَمَّلُوا فِيهِ، هُوَ الَّذِي احْتَمَلَ هَذِهِ الْعَدَاوَةَ مِنَ الْأَشْرَارِ، لِكِنَّ لَا تَفْشِلُوا وَلَا تَيَأسُوا".

يجب أن نركز أنظارنا.. تأملوا فيه: يتكلم الوحي هنا لا عن أنظار جسمية، أي عيوننا التي نرى بها الأشياء التي أمامنا، بل عيوننا الروحية التي نرى بها الأمور الروحية. تأمل فيه، لتحصل على الشجاعة في وقت الاضطهاد، وعلى الصبر والاحتمال في وقت الألم لكي لا تفشل ولا تيأس. إنه يعطيك الشجاعة والقوة في كل موقف تقابله. تأمل في آلامه. تأمل العذاب الذي كان فيه. تأمل فيه لا لمجرد الإعجاب به ويشجاعته، مع أن هذا من حرقك، بل ليكون هو مولاك وربك وفاديك ومنقذك، وأيضاً تأمل فيه ليكون مثالك فتقتدى به وتمثل بسلوكه.

إنه من أجل الفرح الذي ينتظره احتمل الصليب. هذا هو فرح انتصاره في معركة الفداء، وفرح إتمامه الفداء العظيم، والفرح الذي هو مكافأة له من أجل تضحيته وألامه من أجلنا، وفرح رجوعه إلى السماء التي تركها لما صار بشرًا. يرمي الصليب إلى المحبة والتضحية. إن عيسى أحبك لذلك ضحي بنفسه من أجلك. وأنت تحمل صليبيك لأنك تحبه. هو يقول إنه لا بد من التضحية من أجله. في حياتنا معه لا بد أن نضحى من أجله.

فمن يحمل الصليب ويتبع عيسى في هذه الحياة، يكون مصيره النعيم في الآخرة. ومن يرفض أن يحمل الصليب ويتابع عيسى في هذه الحياة، يكون مصيره الهاك في الآخرة. قال عيسى: "لَأَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْقِدَ حَيَاتَهُ يَقْدُهَا، أَمَّا مَنْ فَقَدَ حَيَاتَهُ فِي سَيِّلِي فَإِنَّهُ يَجِدُهَا. لَأَنَّهُ مَاذَا يَسْتَفِيدُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبَحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ، لَكِنَّهُ ضَيَّعَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُمْكِنُ أَنْ يُقْدِمَ الإِنْسَانُ فِدْيَيَّةً عَنْ نَفْسِهِ؟ لَأَنَّ الَّذِي صَارَ بَشَرًا سَيَّأَتِي مَعَ مَلَائِكَتِهِ

فِي جَلَالِ أُبِيهِ، وَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ.^١

نعم، هذه دعوة المسيح الخطيرة لنا، أن نحبه أكثر من أعز عزيز على الأرض. قال عيسى أيضاً: "مَنْ أَحَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحْفِي، وَمَنْ أَحَبَ ابْنَاهُ أَوْ ابْنَةَ أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحْفِي. وَمَنْ لَا يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَتَبَعُنِي فَلَا يَسْتَحْفِي."^٢ البعض هنا يحاولون أن يتبعوا المسيح من على بعد! إنهم يريدون أن يتبعوه لأنهم معجبون به وبحبه العجيب وبتعاليمه السامية، لكنهم ليسوا على استعداد لأن يضحيوا بمركزهم أو مالهم أو علاقاتهم أو حياتهم في سبيله.

قال بولس: "أَنَا مُسْتَعِدٌ لَا أَنْ أُقَيِّدَ فَقْطُ، بَلْ أَنْ أَمُوتَ أَيْضًا ... مِنْ أَجْلِ اسْمِ سَيِّدِنَا عِيسَى."^٣ هل نحن على استعداد لأن نُضطهد ونُعذب ونموت من أجل المسيح؟ أنا لا أستحق أن أعيش إن كنت غير مستعد أن أموت من أجل المسيح! نحن نبذل أنفسنا من أجل من بذل نفسه من أجلنا. لا حياة إلا بالموت! لا عرش إلا عن طريق الصليب. قلنا من قبل إنه جاء بعض الأجانب إلى فيليب وطلبوه منه أن يروا المسيح. كان جواب المسيح على هذا الطلب هو: "إِنْ كَانَتْ حَبَّةُ الْقُمْحِ لَا تَقْعُدُ فِي الْأَرْضِ وَتَمُوتُ، فَإِنَّهَا تَبْقَى حَبَّةً وَاحِدَةً، أَمَّا إِنْ مَاتَتْ فَإِنَّهَا تُنْتَيْحُ حَبًّا كَثِيرًا. مَنْ كَانَتْ حَيَاةُ عَرَبَيَّةَ عَلَيْهِ يَفْقِدُهَا، وَمَنْ يُضَحِّي بِهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يَرْجُحُهَا وَتَكُونُ لَهُ حَيَاةُ الْخَلُودِ."^٤ يقول بعض المفسرين والمؤرخين إن هؤلاء الأجانب كانوا موظفين من قبل أحد الملوك.^٥ كان ذلك الملك قد سمع عن الاضطهاد العنيف الذي كان المسيح يواجهه من اليهود، والخطر العظيم المحقق بحياته، فأرسل ذلك الملك الطيب وفداً يعرض على سيدنا عيسى أن

^١ مت 16:25-27

^٢ مت 10:37-38

^٣ أع 21:13

^٤ يو 12:24-25

يقيم في مملكته ويعيش هناك مكرماً وحراً ينادي بتعاليمه كما يشاء. كان رد المسيح معناه. "لا، شكرًا! يجب أن أموت لكي يحيى الآخرون. إهانتي ستجلب الكرامة والحرية للآخرين، وموتي سيجلب الحياة للآخرين!"

قال يوحنا فم الذهب: "ألا إن الموت لأجل المسيح لأعز عندي وأمجد من ملك الدنيا من أقاصيها إلى أقصاها".^أ

إن عدد المؤمنين بعيسى الذين ضحوا بحياتهم من أجله خلال القرن الأخير من تاريخ المسيحية هو أكثر من مجمل عدد الذين استشهدوا في سبيله خلال القرون التسعة عشر السابقة! إنه دعانا لنبذل الحياة من أجله.

وقال بولس أيضاً: "صِرْنَا مَنْظَرًا لِلْعَالَمِ، لِلْمُلَائِكَةِ وَالنَّاسِ مَعًا. تَحْنُ أَغْيَاءً في سَبِيلِ الْمَسِيحِ، وَأَنْتُمْ عُقَلَاءُ بِإِيمَانِكُمْ لِلْمَسِيحِ. تَحْنُ ضُعَفَاءً، وَأَنْتُمْ أَقْوَيَاءُ. أَنْتُمْ مُكَرَّمُونَ، وَنَحْنُ مُخْتَمِرُونَ. لِحَدِّ الآنِ، تَحْنُ نُعَانِي الْجُوعَ وَالْعَطْشَ وَالْعُرْيَ وَالضَّرْبَ وَالتَّشَرُّدَ. تَتَعَبُ وَنَشَتَّغُلُ بِأَيْدِينَا لِتَحْصُلَ عَلَى مَعِيشَتِنَا. نُشَتَّمُ فَنَبَارِكُ. نُضْطَهَدُ فَنَهُتَّمُ. يُفْتَرَى عَلَيْنَا فَنَتَكَلَّمُ بِلِطْفٍ. لِحَدِّ الْيَوْمِ، تَحْنُ مِثْلُ حُثَالَةِ الْمُجَتَّمِعِ، وَمِثْلُ زِبَالَةِ الْعَالَمِ."^{بـ} عانت جماعات المؤمنين بال المسيح في الصين المرة والعذاب والاضطهاد على مدى سنين طويلة. هناك أغنية قوية يرددوها المؤمنون في الصين عنوانها "شهداء في سبيل المسيح" تقول كلماتها:

منذ الوقت الذي فيه ولدت أمّة المسيح

يوم الخمسين

وأتباع ربنا يُضجون بأنفسهم بمحض إرادتهم

مات عشرات الآلاف لكي تنمو الدعوة بالإنجيل
هؤلاء حصلوا على إكليل الحياة

ليتني أكون شهيدا من أجل ربنا
ليتني أكون شهيدا من أجل ربنا
أنا راغب في الموت المجيد من أجل ربنا

هؤلاء الرسل الذين أحبوا المسيح حتى النهاية
تبعوه على طريق الآلام
يوحنا: نُفي إلى جزيرة بطمس المنعزلة
اصطفان: رجمه جمهر غاضب حتى مات

متى: طعنه الغوغاء في (بلاد) فارس ومات
مرقس: فسخت الخيول رجلية بعيدا عن بعضهما ومات
لوقا: الطبيب الحبيب شنقوه بوحشية
بطرس وفيليب وسمعان: صُلب كل منهم على صليب

برتلمي: سلخ الوثنيون جلده وهو حي
توما: فسخت الخيول رجلية بعيدا عن بعضهما في الهند ومات
يعقوب أخو يوحنا: قطع الملك هيرودس رأسه
يعقوب الصغير: قطعوه إلى نصفين بمنشار حاد

يعقوب أخو المسيح: رجموه حتى مات
يهودا: ربطوه إلى عمود ورموا بالسهام
متياس: قطعوا رأسه في القدس
بولس: مات شهيدا في عصر نيرون⁸⁰

أنا أرغب في حمل الصليب والسير إلى الأمام
لأتبع الرسل في طريق التضحية
حتى يمكن لعشرات الآلاف من النفوس الغالية أن تنجو
أنا أرغب في ترك الكل
أنا أرغب في أن أكون شهيدا من أجل المسيح

لاق بولس الاضطهاد العنيف لأنه كان من أتباع المسيح. قال: "تعبتُ... وسجينتُ... وجليدتُ... وتعرضتُ للموت... حمسَ مَرَّاتٍ جَلَدَنِي الْيَهُودُ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَسْعَاً وَثَلَاثِينَ جَلْدَةً. ضُرِبَتُ بِالْعِصِّيِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. رُجْمَتُ بِالْجَحَارَةِ مَرَّةً. تَحَظَّمَتُ بِي السَّفِينَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَضَيْتُ يَوْمًا كَامِلًا، بِنَهَارِهِ وَلَيْلَهُ، فِي عَرْضِ الْبَحْرِ. فِي أَسْفَارِ عَدِيدَةٍ، واجهتُ مَخَاطِرَ مِنْ أَنْهَارٍ وَمَخَاطِرَ مِنْ لُصُوصٍ، مَخَاطِرَ مِنْ يَهُودٍ وَمَخَاطِرَ مِنْ غَيْرِ يَهُودٍ، مَخَاطِرَ فِي الْمُدُنِ وَمَخَاطِرَ فِي الْقُفَّارِ، مَخَاطِرَ فِي الْبَحْرِ وَمَخَاطِرَ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ. فِي تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ، وَفِي سَهَرٍ بِلَا نَوْمٍ. قَاسَيْتُ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطْشِ وَقَلَّةَ التَّغْذِيَةِ وَمِنَ الْبَرْدِ وَمِنْ قِلَّةِ الْمَلَابِسِ... اللَّهُ... يَعْلَمُ أَنِّي لَا أَكْذِبُ. حَاكِمُ دَمْشَقَ الَّذِي يَعْمَلُ تَحْتَ سُلْطَةِ الْمَلِكِ الْحَارِثِ، أَمْرَ بِحِرَاسَةِ مَدِينَةِ دَمْشَقِ لِكَيْ يَقْبِضَ عَلَيَّ. لَكِنَّ الإِخْوَةَ وَضَعُونِي فِي قُفَّيِّ، وَأَنْزَلُونِي مِنْ نَافِذَةٍ فِي السُّورِ، وَهَرَبْتُ مِنْهُ."⁸¹

كما يقول هذا الرسول الشجاع إنه يحمل في جسمه علامات الضرب والجلد والتعذيب من أجل إيمانه بعيسى، كما أنه كان دائماً يتوقع لنفسه الموت من أجل المسيح: **لَخَنْ تُواجِهُ الصُّعُوبَاتِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، لَكِنَّا لَا نَنْهَارُ.** **مُحْتَارٌ فِي مَشَائِلِنَا، لَكِنَّا لَا نَتَحَطَّمُ.** **وَدَائِمًا لَا نَيَّاسُ.** **يَضْطَهِدُنَا النَّاسُ، لَكِنَّ اللَّهَ لَا يَنْسَانَنَا.** **يَضْرُبُونَا، لَكِنَّا لَا نَتَحَطَّمُ.** **وَدَائِمًا لَخَمِيلُ فِي جِسْمِنَا مَوْتٌ عِيسَى.** **بِذَلِكَ تَظَهُرُ حَيَاتُهُ أَيْضًا فِي جِسْمِنَا.** **لَأَنَّا لَخَنْ أَحَيَاءٌ لَكِنَّا نَتَعَرَّضُ لِلْمَوْتِ دَائِمًا مِنْ أَجْلِ عِيسَى، لِكِنَّ تَظَهُرَ حَيَاةُ عِيسَى أَيْضًا فِي جِسْمِنَا الْفَانِي.**^١

ومرة أخرى نستشهد بالرسول بولس الذي قال في خطابه الداعي لشيخ جماعة المؤمنين في أفالسين: "الآن أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى الْقُدُسِ يَدْافِعُ مِنَ الرُّوحِ. وَلَا أَعْلَمُ مَاذَا يَتَنَظَّرُنِي هُنَاكَ". إِنَّمَا أَعْلَمُ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُوسَ يُعْلِنُ لِي فِي كُلِّ مَدِينَةٍ أَنَّ السَّلَاسِلَ وَالْمَصَاعِبَ تَنَتَظِرُنِي. لَكِنَّ حَيَايِي لَا تَهُمُّنِي، بَلِ الْمُهُمُّ هُوَ أَنَّ أَقْوَمَ بِمُهَمَّتِي وَأَقْتَمَ الْعَمَلَ الَّذِي گَلَّفَنِي بِهِ سَيِّدُنَا عِيسَى، وَهُوَ أَنَّ أَخْبِرَ بِإِشَارَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ".^٢

هذا نبل التضحية. الصليب الذي نحمله ليس بؤساً وشقاءً وتعاسة، بل سبب فرح حتى في المصاعب، وسبب أمل ورجاء حتى في أصعب الظروف. إن سيدنا عيسى الذي ضحي بنفسه من أجلنا يستحق أن نضحي نحن بكل شيء، حتى بحياتنا نفسها، من أجله.

منذ فترة قُدُّم الشیخ مهدي دیباچ إلى المحاكمة في إیران بتهمة أنه ارقد عن دینه وصار من أتباع سیدنا عیسی المیسیح. ولما وقف يدافع عن نفسه قال:

بسم الله القدس الذي هو حياتنا. إني بتواضع أعترف بالجميل لقاضي السماء والأرض الذي أعطاني هذه الفرصة الشمينة، وبانكسار أضع أملی في ربی لينقذنی من

هذه المحكمة حسب وعوده. كما أطلب من أعضاء المحكمة الموقرين أن يستمعوا بصير لداعي، وباحترام لاسم الله تعالى.

إني مؤمن بعيسى. أنا ارتكبت الخطيئة والإثم، ثم آمنت أن سيدنا عيسى المسيح مات من أجلي على الصليب وقام منتصرا على الموت، وجعلني صالحا قدام الله تعالى. الإله الحق بيَّن كل هذا لنا في كتابه الحق. نحن البشر ارتكبنا الذنب، وعيسى بموته على الصليب دفع الشمن عنا. أخذ العقاب مكاننا. وردا على هذا الصنيع العظيم الذي عمله معي، طلب مني الوفاء والإخلاص، وأن أنكر نفسي وأتبعه ولا أخاف البشر حتى إن قتلوني. إنما أتوكل على الله خالق الحياة الذي أشفع علَيَّ والذى يحمى المؤمنين به ويكافئهم خير الجزاء.

إن التهمة الموجهة لي اليوم هي الكفر. إنما الله تعالى العالم بما في قلوبنا يؤكّد لنا أننا نحن أتباع عيسى لسنا من الكافرين ولا الضاللين الهالكين، بل نؤمن به بحق وأن نجاتنا من الهالاك مضمونة فيه. حسب شريعتكم الكافر هو من لا يؤمن بالله والأنبياء واليوم الآخر. وأنا ومعي كل أتباع عيسى الحقيقيين، نؤمن بكل هذه.

قلتم في بنود الاتهام إني تركت ديني وتحولت إلى دين آخر. لا، أيها السادة، أنا على مدى سنين عديدة لم يكن لي دين! إنما بعد بحث ودراسة، قبلت دعوة الله عز وجل لي أن أؤمن بربنا عيسى المسيح لأحصل على حياة الخلود في النعيم. الناس يختارون دينهم. إنما المؤمن بعيسى، عيسى هو الذي يختاره! فهو قال: "هذا هي وصيَّتي: أَحِبُّوا بَعْضَكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحِبَّتُكُمْ. لَا تُوَجِّدُ مَحِبَّةً أَعَظَّمُ مِنْ أَنْ يُضْحِيَ الْوَاحِدُ بِنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ أَحِبَّائِهِ، إِنْ عَمِلْتُمْ بِوَصَائِيَّيِّ فَأَنْتُمْ أَحِبَّائِي. أَنَا لَا أَدْعُوكُمْ عَيْدًا بَعْدَ الْآنِ، لَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَعْرِفُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ، إِنَّمَا دَعَوْتُكُمْ أَحِبَّائِي، لَأَنِّي عَرَفْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَيِّ. أَنْتُمْ لَمْ تَخْتَارُونِي، أَنَا الَّذِي اخْرَجْتُكُمْ وَعَيَّنْتُكُمْ لِتَذَهَّبُوا وَتُشْرِرُوا ثَمَّرَا يَدُومُ، فَيُعَطِّيَكُمُ الْأَبُ كُلَّ مَا تَطَلَّبُونَهُ بِإِسْمِي. فَهَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي لَكُمْ: أَحِبُّوا

بعضُكُمْ بعضاً.^١

وقلت في بنود الاتهام إني مسلم منذ ولدت. ولكن كلام الله المخصوص يقول إن عيسى اختارني قبل أن أولد لأكون من أتباعه والمؤمنين به! الله الدائم الباقي يرى النهاية من البداية^٢، وهو الذي اختارني لأنتمي له. وهو يعرف القلوب، فيعرف منذ الأزل من هم الذين سيؤمنون به، ومن هم الذين يبيعون إيمانهم وحياة الخلود في النعيم بأمور هذه الحياة الزائلة! لذلك فإني أفضّل أن يكون كُلُّ العالم ضدي والقدير تعالى معي، أن يدعوني الناسُ كافراً والقدير تعالى يرضى عنِّي. فهو العزيز القوي الذي يرفع من يشاء ويذل من يشاء.^٣

فإن كان الله معي، فمن يقدر أن يفصلني عنه؟ أنا في أمان في حمي القدير. وملجأي هو عرش رحمته. أنا "عَارِفٌ مَنْ آمَنَتْ بِهِ، وَمُتَأَكِّدٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ لِي وَدِيعَتِي إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ".^٤ إنه سيحافظ وديعي إلى ذلك اليوم الذي يحضرني فيه إلى مملكته الأبدية حيث يُنير الصالحون وحيث لا يوجد شر ولا كافرون.

وقلت أيضاً في بنود الاتهام: "ارجع". عجبًا! كيف أترك ذراعي محبة الله؟ ولمن أرجع؟ هل يصح أن أسمع كلام الناس وأخون ربِّي؟ مضت الآن خمس وأربعون سنة وأنا أتبع عيسى وأخدمه. خمس وأربعون سنة وأنا أسير مع رب المعجزات، وهو يظللي برحمته وحنانه يوماً بعد يوم. إني مدین له بحبه الأبوي ورعايته. إن حب عيسى يملأ كياني. إن كل جسدي ينبض بدفء حبه. الله القدير هو حقاً كرامتي وشرفي، هو حامي والمدافعان عنِّي، وقد قبلني وأغدق عليَّ الكثير من بركاته ومعجزاته. وهذا الألم الذي أعاينيه، والسجن الذي أنا فيه، والعذاب الذي ألاقيه، كل هذه

^١ أيو 15:12-17

^٢ إش 42:9، 46:8-10

^٣ لو 1:7، 2:51، 12:2 صم

^٤ تم 12:1

إنما هي براهين صادقة أنه رضي عني وقبلني. فالكتاب الشرييف يقول إن الذي يحبه الله يؤدبه. إنه يفعل ذلك ليُعِدَّنا لجنة النعيم. هو رب دانيال الذي حفظ النبي في حفرة الأسود، فلم تضره الوحش الكاسرة رغم جوعها. وهو الذي حفظني في السجن تسعة سنين الآن، وقد حَوَّل خلالها كل ضرر إلى منفعة، وكل عذاب إلى ربح. لدرجة أن قلبي مملوء بل ويفيض بالفرح والعرفان بالجميل له! وهو رب أيوب الذي يختبر صبري واحتمالي وولائي له. فهو خلال هذه السنين التسع حرفي من كل مسئوليياتي لأكون في حماه وأقضى الساعات في دراسة كلامه والدعاء له، وأنا متعطش لأعرفه وأحبه وأطيعه أكثر من كل وقت مضى. ففي السجن أعطاني أثمن فرصة لأنعمق في معرفته. ويالها من بركات عظيمة غنية ثمينة مجيدة، تلك التي يَدْخِرُها الله تعالى لمن يتبعون عيسى بأمانة.

ثم اعترضتم أيضاً لأنني أدعو الناس ليؤمّنوا بعيسي. ولكن لو رأيتُ أعمى يسير بجوار حفرة، ألا أندره؟ إن كنت لا أحذّره، يسقط! وأين إنسانيتي في هذه الحالة؟ إن واجبي هو أن أندّر الناس وأحذّرهم من الهالك في الجحيم بعيداً عن عيسى. باب رحمة الله مفتوح على مصراعيه والناس لا يرونـه، فكيف أسكـتـ؟ عيسى قال: "أَنَا هُوَ الْصَّرِيقُ، أَنَا هُوَ الْحَقُّ، أَنَا هُوَ الْحَيَاةُ."^أ وقال الإنجيل الشريف عنه: "لَا تَجَاهَ بِعَيْرِهِ، لَأَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ اسْمٌ آخَرُ أَعْطِيَ لِلنَّاسِ نَنَالُ بِهِ النَّجَاهَ."^ب

لهذا فالحياة بالنسبة لي هي فرصة ثمينة لخدمته، الموت هو وسيلة عظيمة لأكون معه! فأنا راض تمام الرضى أن أكون في السجن إكراماً لاسم عيسى، وكذلك أنا مستعد تمام الاستعداد أن أُضحي بحياتي من أجل ربي.

ليت القدير يظللكم جميعاً برحمته وبركته وشفائه، الآن وإلى الأبد، آمين.

من أين جاءت هذه الشجاعة لمهدي ديماج؟ كيف أمكنه أن يأتي من زنزانة في السجن ويقف أمام القضاة والمحامين والشهود والمراقبين ليتحدث بهذه الجرأة والكفاءة والعلم؟ الجواب هو: الروح القدس. نعم، الروح القدس هو الذي يمنحك أتباع المسيح الشجاعة والثبات حتى في أصعب المواقف.

وبعد 10 سنين وهو محبوس في السجن، قال أحد الحراس لمهدي ديماج: "لو جاء سيدنا عيسى إليك في السجن وقال لك إن نبيا جاء بعده وأنك يجب أن تتبع ذلك النبي، فماذا تقول لعيسى؟" قال مهدي: "أرمي نفسي عند قدمي سيدي المسيح وأتوسل إليه وأقول، 'يمكنك أن تقتلني، يمكنك أن تشنقني، يمكنك أن تلقي بي في الجحيم، ولكن من فضلك لا ترسلني لأحد غيرك!'"

هذا هو البطل الشجاع الذي لا يخاف سيف الحكم مهما كان ظالما. هذا هو الرجل الذي ضحي بحياته واستشهد في سبيل المسيح، والذي من أشهر كلماته المأثورة أنه قال: "إنها مضيعة أن يموت المؤمن بال المسيح موتا طبيعيا". أي إن كنا نموت بلا استشهاد، فتحن نصيحة فرصة كبيرة. أما إن كنا نضحي بحياتنا من أجل المسيح ونستشهد من أجله فهذا ربح عظيم.

كن مستعداً يا أخي لمواجهة المصاعب. أنت تعرف قصة يوسف التي وردت في التوراة. رفض أن يرتكب الفحشاء، فماذا كانت نتيجة موقفه الشجاع؟ ماذا حدث لذلك الشاب الطاهر؟ وضعوه في السجن. يا له من اضطهاد مؤلم لشاب بري. ربما يواجهك الاضطهاد يا أخي. قد يضطهدك زملاؤك لأنك شريف وأمين. قد يسيء إليك أهلك ويضطهدونك ويعادونك لأنك تتبّع الحق. قد يتبرأ منك أصدقاؤك لأنك تحب عيسى. لكن الله الذي ساعد يوسف وهو في السجن، سوف يمد لك يد المعونة وأنت في الظروف الصعبة. إن تمسكت به وحافظت على إيمانك بعيسى، سوف يعطيك القوة والبركة حتى تخرج من المصاعب فائراً غالباً وقوياً.

يجب أن نفهم أن سيدنا عيسى ما زال يتألم اليوم. إنه يتألم مع كل مؤمن به يعاني الإضطهاد أو الحزن أو المرض أو السجن بسبب الولاء لسيده وفاديه ومولاه وربه. إن المسيح يتألم مع كل شخص من أي دين أو جنس أو عرق موجود اليوم في سجن أو في حبس بسبب إيمانه بعيسى. كل واحد من أتباع عيسى يُقبض عليه ويُستجوب ويُضرب ويُضطهد ويُختصر ويُعذب، عيسى أيضاً يتألم معه. هل أنت حزين اليوم لأنك فقدت حبيباً أو قريباً، عيسى أيضاً يتألم معك. إنه عارٌ وفاحم الظروف التي تمر بها يا أخي. إنه فاهم وضعنا وآلامنا يا أخي. إن روح الله القدس يذكركم اليوم أن عيسى أيضاً تألم ويتألم. إنه سار قبلك في الطريق التي تسير فيها الآن. إنه مر بالظروف التي تمر بها الآن. ربما وصلت إلى حالة صعبة، ربما أغلقت كل الأبواب في وجهك ولست تدري ماذا تفعل. عيسى يعلم ذلك، وهو سيفتح الباب لك. يقول الإنجيل الشريف: "هَنِئْتَا لِمَنْ يَصْبِرُ عَلَى الْمُحْنَةِ، لَأَنَّهُ بَعْدَمَا يَنْجَحُ يَنْالُ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الَّذِينَ يُجْنِونَهُ". لذلك كانت رغبة بولس أن ينجح في امتحان الألم فقال: "أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ الْمَسِيحَ، وَأَخْتَرَ فُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَأَشَارِكَهُ فِي آلامِهِ، وَأُصْبِحَ مِثْلَهُ فِي مَوْتِهِ".^a

نحن في حرب روحية ضد الشيطان وقوات الظلم. إن الجندي الذي يحارب لا يهتم براحة. نحن في معركة حرية. نحن نتوقع أن نقابل الألم والمصاعب.

^a يع 12: 1
^b 10: 3 في

ختام

من دواعي الشرف لنا أن نقول مع بولس: "أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي لَا وَلَئِنْ أَفْتَخِرْ بِشَيْءٍ إِلَّا بِصَلِيبِ سَيِّدِنَا عِيسَى الْمُسِيحِ، الَّذِي بِهِ صَلِيبُ الْعَالَمِ بِالنِّسْبَةِ لِي، وَأَنَا صَلِيبُ بِالنِّسْبَةِ لِلْعَالَمِ".^أ

نعم، أنا أفتخر بصليب المسيح لأنه عن طريقه كسر سيدي القيود التي كانت تكبلني، وحطم السلسل التي كانت تربطني إلى عادات مُشينة وتصرات مهينة وأثام وخطايا، وحكم ببراءتي، وأطلقني حرا من السجن الذي كنت فيه. أنا اليوم حر طليق، أنا اليوم حي لأن المسيح مات مكانني!

وبحين أقول إني أفتخر بصليب المسيح، لا أقصد الخشبة التي مات عليها المسيح مولانا، ولا أعني أني ألبس صليبا من الذهب أو الفضة وأتباهي به. ولا يعني صليبا ماديا مصنوعا من خشب أو حجارة أو أي مادة أخرى يضعه الناس فوق كنيسة أو مبني. إنما بصليب المسيح يعنيحقيقة موت المسيح على الصليب ثم قيامته حيا منتصرا في اليوم الثالث. كما يقول الإنجيل: "إن رسالة الصليب... بالنسبة لنا... هي قوة الله".^ب نحن نتكلم عن رسالة، عن حقيقة، لا عن رمز أو صورة.

قالت لي فتاة مسلمة اسمها فضيلة: "إني حين أرى البنات يلبسن الصليب، أتمنى لو كنت مسيحية مثلهن لألبس أنا أيضا صليبا يتدلّى من عنقي!" أنا لا أقصد هذا النوع من التباهي بالصليب. بل الرسالة نفسها، كون عيسى مات وقام من أجلني، بهذا أنا أفتخر، وعلى هذا أُحمد الله لحبه وتنازله وتضحية من أجل أنا المسكين.

إن موت المسيح على الصليب هو القوة التي تحررني من مفعول الشر وسلطان الشر الذي يقهري ويدلني ويجعلني أعمل ما لا أرغب فيه، وأرتكب ما لا أحب،

^أ غل 14:6

^ب كور 18:1

وأ فعل ما أندم عليه فيما بعد!

ومع ذلك فإننا حين نرى صليبا فوق مبنى أو مرسوما في مكان ما أو معلقا حول عنق شخص، فإن هذا يجب أن يذكرنا بما عمله المسيح من أجلنا. الرمز هو مذكور بمعرفة المسيح، بتضحية المسيح. يوجد بالقرب من دارنا، فوق جبل⁸¹، صليب كبير ينير في الليل بنور ساطع يراه الناس من على بعد عدة كيلومترات. حين أقترب من الدار وأراه، أشعر بفرح عميق في قلبي لأنني أتذكر ما عمله سيدي ومولاي وربى عيسى المسيح من أجلي. أنا مذنب وهو ضحي بنفسه ليحصل لي على الغفران. ولهذا يقول عنه كتاب الله الكريم: "يَسْهُدُ لَهُ كُلُّ الْأَنْبِيَاءُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَتَأَلَّ غُفْرَانَ الدُّنُوبِ بِوَاسِطَةِ اسْمِهِ" ⁸².

إذن: "لا تحرمني من صليب المسيح ولا أصير محروما! لأنه لو لم يكن هو قد سدد لعدالة الله حقها، لكنني أنا مطالبا بالسداد. ولو لم يكن هو قد نال الغضب الإلهي على الصليب، لكنني أنا نلتاه إلى الأبد. إذن لا تحرمني من هذا السلام الذي لا مثيل له!"

أشرت باختصار من قبل إلى موضوع ظهور موسى وإلياس على الجبل لما كان هناك عيسى وثلاثة من أتباعه. لا شك كانت لحظات مثيرة، فيا ترى ماذا كان موضوع حديثهم معا؟ كان يمكن أن يدور الحديث حول قوة الكلمة الذي صار بشرا، فإن موسى ارتبطت حياته بالكلمة التي أعلنها الله في وصايا وشرائع وأحكام. نعم، هنا الكلمة الذي صار بشرا.

أو كان يمكن أن يدور الحديث عن الطريقة التي بها تحدى إلياس الحكماء والرؤساء الذين ابتعدوا عن طريق الله، وقاده الدين الذين نزلوا إلى قاع الوثنية، وكيف أن عيسى نفسه تحدى هذه الفئات أيضا.

لكن، لا! بل دار الحديث عن موضوع أخطر وأهم من كل هذا، تكلم النبیان معه عن رحیله. عن صلیبه. عن فدائہ. فی هذا الفداء نجاة موسی وإلیاس وملائین غیرہما. فی هذا الصلیب حیاة موسی وإلیاس وملائین معہما. موت المسیح علی الصلیب لفداء البشیر کان هو الموضع الذي یملاً فکر السماء والخلود، کان کل شيء آخر ثانویا وفرعیا. هذا هو أساس رجاء البشر، هذا هو أملهم الوحید.

سمعت قصة عن امرأة كانت تعمل في مستشفى. كانت مسؤوليتها هي تنظيف غرف المرضى بالمكنسة الكهربائية. وكانت تعمل بنشاط وأمانة يوما بعد يوم، وشهرها بعد آخر. ولكن بدأ يحدث أمر غريب في تلك المستشفى. كان على تلك المرأة أن تنظف غرفة العناية المركزية كل يوم جمعة صباحا. فكانت كعادتها في تنظيف الغرف الأخرى تبحث عن مكان في الحائط لتوصيل المكنسة للتيار الكهربائي (مقبس، كبس)، ولكنها لا تجد مكانا فارغا، فتسحب أي سلك موصل حتى تنتهي من التنظيف ثم ترجعه كما كان. بدأت السلطات تلاحظ أن كل يوم جمعة صباحا يموت أحد المرضى في غرفة العناية المركزية. وبالبحث وجدوا أن السبب هو أن تلك المرأة كانت تسحب السلك الموصل إلى جهاز التنفس!

كانت عاملة التنظيف تعمل بأمانة، وكانت مجتهدة ونشطة في عملها. ولكنها كانت تسبب موت الناس. لم تكن تعلم أنها لكي تكنس الغرفة وتنظفها، كانت تفصل إمداد الحياة عن المرضى وتقتلهم!

ربما أنت مثل تلك المرأة ولكن بمعنى آخر. ربما أنت مجتهد ونشيط في القيام بواجبات الدين، ولكنك للأسف تسبب الهلاك لنفسك ولغيرك. لماذا؟ لأنك لا تريد أن تعرف أو أن تقبل حقيقة فداء المسيح. أنت تمنع عن الآخرين إمداد الحياة الحقيقية، حیاة الخلود، وأنت لا تدری!

اقترب من الصلیب، تقترب من الله. أو ابتعد عن الصلیب، تعرف معنى الضیاع

والفراغ واليأس.

أُصيبت بنت فقيرة بمرض خطير في رجليها سبب لها آلاماً شديدة. سمعت البنت وأمها عن جراح مشهور متخصص في علاج ذلك المرض وكان يذهب إليه الناس من مختلف أنحاء البلاد. قالت البنت: "آه يا أمي، لو كان لدينا المبلغ المطلوب للذهاب إلى ذلك الطبيب، لكنت أرتاح من هذا الألم الشديد". تأسفت الأم لأنها ليس في إمكانها تدبير المال الكافي لتعطية تكاليف الفحص والجراحة المطلوبة عند ذلك الطبيب الكبير.

وذات مساء، بعد عنااء يوم طويل في العمل، خرج ذلك الجراح ليتمشى ويتريض قليلاً، ولكن فجأة هبت عاصفة وبدأ المطر ينزل بشدة. فطرق الطبيب على أول دار قابلها في طريقه ليستر تحت سقفها من المطر الشديد. ومن عجيب الصدف أن تلك كانت دار الأم الفقيرة وبنتها. قال الرجل من خارج الباب: "أرجو أن تسمحوا لي بأن أأخذ من سقفكم ستراً، حتى يخف المطر الشديد!" ولكن لكونه غريباً، رفضت الأم أن تفتح له وقالت: "نحن لا نعرفك، ومنزلنا صغير. اذهب إلى منزل آخر".

وفي اليوم التالي نشرت الصحف هذه القصة تحت عنوان: عائلة ترفض استضافة أشهر جراح أثناء المطر! ولما علمت البنت بهذا الخبر، صارت تبكي وتقول: "آه يا أمي، كنت في أشد الحاجة إليك، وجاء إلينا، وقرع على بابنا، ولكننا رفضناه! يا تعاستي!" أخي، إن عيسى واقف الآن على باب قلبك. إنه يقول: "أَنَا هُنَا واقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَكْلُرُقُ". فهل تفتح له باب قلبك؟ هل تسمح له بالدخول؟ أم تعمل مثل تلك الأم، وتقول له: "إذهب إلى مكان آخر"؟ أخاف عليك أن ترفضه وتُضيّع الفرصة، فيكون مصيرك التعasse.

ملحق ١

رموز أسماء كتب الوعي

| | | |
|---|-----|--|
| أ | أخ | أخبار الأيام الأول |
| أح | أخ | أخبار الأيام الثاني |
| إرميا | لد | إرميا |
| إستر | يس | إستر |
| إشعيَا | يش | إشعيَا |
| أعمال الرسل | أع | أعمال الرسل |
| رسالة من بولس إلى المؤمنين في أفسس | أف | رسالة من بولس إلى المؤمنين في أفسس |
| الأمثال | أم | الأمثال |
| أبيو | أي | أبيو |
| بط | 1 | الرسالة الأولى من بطرس |
| بط | 2 | الرسالة الثانية من بطرس |
| ث | ث | الثانية |
| رسالة الأولى من بولس إلى المؤمنين في كورنثوس | 1 | رسالة الأولى من بولس إلى المؤمنين في كورنثوس |
| رسالة الثانية من بولس إلى المؤمنين في كورنثوس | 2 | رسالة الثانية من بولس إلى المؤمنين في كورنثوس |
| لو | لو | لو |
| مت | مت | مت |
| مرقس | مر | مرقس |
| مرافي إرميا | مرا | رسالة الأولى من بولس إلى المؤمنين في تسالونكى |
| مرامير | مرا | رسالة الثانية من بولس إلى المؤمنين في تسالونكى |
| تك | تك | الكتوين |
| ملوك الأول | 1مل | الملوك الأولى من بولس إلى تيموتاوس |
| الملوك الثاني | 2مل | الرسالة الثانية من بولس إلى تيموتاوس |
| ملاخي | ملا | الرسالة من بولس إلى تيموتاوس |
| مييخا | مي | رسالة من بولس إلى تينتوس |
| ناحوم | نا | الجامعة |
| نخيميا | نخ | حقوق |
| نشيد الأناشيد | نش | حج |
| هوشع | هو | حرقفال |
| اللاريين | لا | خر |
| يشوع | يش | دانيل |
| رسالة من يعقوب | يع | دا |
| رسالة من يهودا | يه | راغوث |
| رسالة الأولى من يوحنا | 1يو | رو |
| رسالة الثانية من يوحنا | 2يو | رسالة من بولس إلى المؤمنين في روما |
| رسالة الثالثة من يوحنا | 3يو | الرؤيا |
| يوحنا | يو | زكريا |
| يونس | يون | صفانيا |
| بوئيل | يؤ | صومائيل الأول |
| صومائيل الثاني | 2صم | صومائيل الثاني |
| عاموس | عا | عاموس |
| الرسالة إلى العبرانيين | عب | الرسالة إلى العبرانيين |

ملحق 2

محاولات قتل المسيح⁸³

يذكر الكتاب عدة مؤامرات ومحاولات لقتل المسيح:

1. لما كان صبيا حاول هيرودس قتله.
2. حاول أهل الناصرة أن يطروه من فوق الجبل ليقتلوه لأنه نادى بأن الله يهتم بالشعوب الأخرى (غير اليهود).^ب
3. تأمر رجال الدين أن يقتلوه لأنه شفي صاحب اليد المشلولة في يوم السبت.
4. حين طرد التجار من بيت الله أخذ رؤساء الأخبار والفقهاء يبحثون عن طريقة ليقتلوه.^ث
5. قبل عيد الفصح والفطير بيومين كان رؤساء الأخبار والفقهاء يفكرون في حيلة ليقبضوا على عيسى ويقتلوه.^ج
6. كان أهل منطقة يهودا ي يريدون أن يقتلوه.^ه
7. قرر قادة اليهود أن يقتلوه لأنه شفي الرجل الكسيح في يوم السبت ولأنه ساوي نفسه بالله.^خ
8. تناولوا حجارة ليترجموه لأنه قال: "قبل أن يكون إبراهيم، أنا هو."^د
9. تناولوا حجارة ليترجموه لأنه قال: "أنا والأب واحد."^ذ
10. قرر قادة اليهود أن يقتلوه لأنه أقام لعاذر من الموت، وانتهى هذا فعلا بقتله.^ر
11. في أثناء محاكمته قام رؤساء الأخبار والشيوخ بتحريض الشعب لكي يطالعوا بقتل عيسى.^ز
12. صرخ رؤساء الأخبار والحرس إلى بيلاتس ليصلبه، وقالوا إنه حسب شريعتهم يجب أن يموت.^س

أ مت 2:16

ب لو 4:28-29

ت مت 12:9-14؛ مر 3:1-6؛ لو 6:6-11

ث مر 11:18؛ لو 19:47

ج مر 14:1؛ لو 22:2

ح يو 7:1 ق 20, 25

خ يو 5:18-16

د يو 8:59-58

ذ يو 10:31

ر يو 11:53

ز مت 27:20

س يو 19:7

محلحق ٣

تسلسل أحداث أسبوع الصليب ثم القبر والقيامة

| الأحد | السبت | الجمعة | الخميس | الأربعاء | الثلاثاء | الإثنين | الأحد | السبت |
|--|--------------------------|--|--|---|---|---|--|--------------------------------|
| 18 نيسان (الاثني السبت) مرت | 17 نيسان | 16 نيسان (في الصبيح) مر | 15 نيسان (بعد يومين) مر | 14 نيسان (في اليوم الثاني) مر | 13 نيسان (في اليوم السادس) مر | 12 نيسان (في اليوم السابع) مر | 11 نيسان (في اليوم السادس قبل الأخير) مر | 10 نيسان (أيام الشخص) مر |
| قام من الموت مت 8-1:16 مر | في القبر | أنزل بطرس ويوحنا إليه عذيره مرت 8-1:16 مر | صدر الحضم بصلبه شم عذيره مرت 8-1:16 مر | أنزل بطرس ويوحنا إليه عذيره مرت 8-1:16 مر | لعن شجرة العين ورأى التلاميذ أن الشجرة ذاتلت في الحال مت 20-14:11 مر | مرة أخرى رأى القدس تستقبله كملاً مت 21-11-1 | وليسة في بيت عبيا يو 8-1:12 مر | وليسة في بيت عبيا يو 8-1:12 |
| صادر بيو 18:19 | العشاء الآخر مر 12:14 | يفتح قادة اليهود بيشان سلطنة وسططة بجي مر 32-27:11 | يطرد اليهود من بيت الله مر 11:18-15 | بسكي على القدس لو 41:19 | وليسة في بيت عبيا يو 8-1:12 | | | |
| جسياني مرس 14: 32 العرض عليه ويده حكسته مر 52-48:14 | دفوف بيو 19: 42-38 | المخطة من حل جبل الريتون مر 13:1 | سبحة الأشبال مرت 16-14:21 | اليمهود يذرون أن يقاتلون يو 11-9:12 | | | | |

ملحق 4

كلمات المسيح على الصليب

| حوالي الساعة 3 عصرا | | | | بين الساعة 3 والساعة 12 عصرا | | بين الساعة 9 ص وال الساعة 12 ظ | | | |
|--|--|--|--|------------------------------------|--|----------------------------------|----------------------------|----------------------|--------|
| الكلمات الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة | | | | لا توجد كلمات | | الكلمات الأولى والثانية والثالثة | | | |
| السابعة | السادسة | الخامسة | الرابعة | | | الثالثة | الثانية | الأولى | الكلمة |
| لو 23: 46 | 30: 19 | يو 19: 28 | يو 19: 27 مت 46 | | | : 19 27-25 | لو 23: 43 | لو 23: 34 | الشاهد |
| لله | للكل | للناس | لله | | | لأمه ويوحنا | للس | لله | من؟ |
| روحى وديعة في يديك | تم كل شيء | أنا عطشان | لماذا تركتنى؟ | | | يأى، هذا ابتك يا يوحنا، هذه أملك | معي في الجنة | اغفر لهم | مضمنها |
| قناعة المسيح بالمهمة التي أهلها الله صار بشرًا | نجاح المهمة التي من أجلها الله لأن صانع الأمطار والأنهار والمحيطات عطش | العن الباهظ للفداء لأنها فضلاً عن الله | فضاعة الخطيبة لأنها فصلت الإنسان عن الله | | | جبه لأهله | جبه من أذنبا في حق الآخرين | جبه لمن أذنبا في حقه | ظهور |

ملحق ٥

شعر وقصائد وأغاني

من قصيدة للشيخ الصفي العالم ابن العسال

المجد لله القديم الأزلي ذاك الذي ليس له من أول
 فهو الإله الواحد الجليل ليس له في الخلق من مثيل
 وإنما صفاتـه الذاتية ثلاثة لازمة أصلية
 ثلاثة قـامت بهـنـ الذـاتـ وجودـهـ والنـطقـ والـحـيـاةـ
 منهـ عنـ سـائـرـ الـأـضـدـادـ وـمـاـ لـهـ فـيـ الـخـلـقـ مـنـ أـنـدـادـ
 هـيـهـاتـ أـنـ يـحـمـدـ الزـمـانـ كـلـاـ وـلـاـ يـحـصـرـهـ المـكـانـ
 فالـأـبـ وـالـابـنـ كـلـاهـمـاـ مـعـاـ بـذـلـكـ الرـوـحـ الـمعـزـيـ اـجـتـمـعـاـ
 بـدـونـ أـنـ يـزـيدـ شـيـءـ فـيـ الـعـدـ سـبـحـانـهـ فـقـلـ هـوـ اللـهـ الصـمدـ
 سـرـ بـهـ التـشـلـيـثـ وـالـتـوـحـيـدـ حـارـتـ بـهـ الـأـحـرـارـ وـالـعـبـيدـ
 لـكـنـهـ عـنـ ذـوـيـ الـعـقـولـ يـحـظـىـ بـأـفـضـلـ الـقـبـولـ
 فـمـنـ تـرـاهـ مـنـكـرـاـ ذـاـ الـمـعـقـدـ وـقـالـ: مـهـلاـ كـيـفـ تـشـلـيـثـ الـأـحـدـ؟
 قـلـ: هـذـاـ حـقـ لـيـسـ فـيـ خـلـلـ وـاضـرـ لـهـ بـالـشـمـسـ ذـيـاـكـ المـشـلـ
 جـرـمـ وـنـورـ مـعـ حـرـرـ زـائـدـ ثـلـاثـةـ وـالـكـلـ شـمـسـ وـاحـدـةـ
 مـتـحـدـ جـمـيعـهـ اـتـحـادـ بـلـاـ انـفـصالـ يـقـبـلـ التـعـدـادـ

⁸⁵ من قصيدة للشيخ محمد بن محمد بن منصور الأزهري

| | |
|--|--|
| يا سيدى الفادى إليك حنفى | ولرؤيتي لياك كل أنيني |
| قد ساقنى لحماك حُسْنٌ يقيني | في حبك الوافي جميع ديوني |
| بدم جرى فوق الصليب ثمين | لك ما حبيت تدىّني وتعبدى |
| يا سيد الأسياد بل يا سيدى | بل أنت قانوني بذلك ومرشدى |
| حببتنى في ذى الحياة تزهدى | حتى أروح إليك أو تأثينى |
| صبح الجمال على جبينك لائح | وشندا الرضا من روض قلبك فائح |
| فلذنا أنا بالروح نحوك سائح | طورا أنا فرح وطورا نائح |
| قصدي اللقا يا منيقي لاقينى | البشر الخطاة بنفسه يا ذا الحمل |
| يا أيها المحيى الرفات وفادى | بل يا رجا قلبي ونور العين بل |
| يا منتهى نفسي ويأكل الأمل | يا جسمى بل يا روحي بل يا دينى |
| لن الطريق إليك صعب المسلك | لكنى لسواك لست بمستك |
| أكثـر بعـظم تحـيرـي وتـلـبـيـكـي | لو لم تلاقي سياحتي بمحرك |
| هـو رـوحـكـ الـقـدـوسـ كـيـ يـهـدـيـنـي | وـهـوـ رـوحـكـ الـقـدـوسـ كـيـ يـهـدـيـنـي |
| يا أيها الروح العزيز رأيتني | وـهـوـ رـوحـكـ الـقـدـوسـ كـيـ يـهـدـيـنـي |
| حتى إذا ضلت خطاي هديتني | وـهـوـ رـوحـكـ الـقـدـوسـ كـيـ يـهـدـيـنـي |
| هـاتـ الأـحـادـيـثـ الـقـيـ تـنـفـيـ الـكـدرـ | ماـلـ أـصـلـ يـاـ رـوحـ لـاـ تـرـخـيـنـي |
| عنـ سـيـدـيـ المـحـبـوبـ ماـ دـامـ السـفـرـ | عـلـ فـؤـادـيـ كـلـ يـوـمـ فـيـ خـبـرـ |
| عـنـهـ فـيـ شـوـقـ إـلـيـهـ قـدـ اـسـتـعـرـ | فـلـعـلـهـاـ مـنـ حـرـقـيـ تـطـفـيـنـي |
| يـاـ حـسـنـ يـوـمـ وـصـوـلـهـمـ ذـاـكـ الـجـمـىـ | يـاـ حـسـنـ يـوـمـ سـيـاحـ السـماـ |
| وـالـمـسـيـحـ مـسـرـرـ بـهـمـ مـتـسـسـماـ | يـلـقاـهـمـ جـنـدـ السـماـ مـرـنـماـ |

ويقول أهلاً بالأَلْيَ تَعِينِي
حملوا الصليب وما استحووا بي بين البشر
بل ما ابْغُوا حظاً سوياً اسمى المحتقر
وَيَلْبُسُوا تِيجَانَ مُحَمَّدٍ قدْ بَهَرْ
فليجلسوا حولي على عرش الظفر
وليسبعوا من نعمةٍ يَمْيِنِي
إِذَا رَأَى النَّاسُ فِي الْحَالِ الَّتِي
قدْ عَشْتُ فِيهَا هُنَّا يَا قُدُونِي
حُكِّمُوا عَلَيْيَ بِأَنْفِي ذُو جَهَنَّمَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ لَدِيَ فِي كُلِّ الْوَرَى
حَقِّي عَلَى عَيْنِي أَرَاكَ مَصْوِرًا
مِنْ رُوحِ ذَكْرِ الْحُبِّ أَغْدُو مَسْكَرًا
وَمَقِ حَدِيثِكَ يَا مُنْ قَلْبِي جَرِي
فَفَفِضَ فِي سِيلِ الدَّمْوَعِ حَفْوَنِي
قَلِيلُ الْذِي كَانَ بِالْأَصْلِ مَنْجَسًا
بَدْمُ الْمَسِيحِ عَلَى الصَّلِيبِ تَقْدَسَ
فَعَلَى الصَّلِيبِ رَجَاءُ قَلْبِي أَسْسَ
فِيهِ تَفَرَّسَ شَاكِرٌ مَنْوَنِ
أَنْتَ الْحَنُونُ، ارْثَ حَالَةَ غُرْبَيِ
وَاشْفَقَ عَلَى ضَعْفِي وَمُخْزِنَ كُرْبَيِ
يَا سَيِّدِي إِنِّي مَرِيضٌ مَحْبِي
عَطْفًا! فَلَا يَخْفَاكَ مِمْنَ عَلَتِي
فَإِلَى الْحَبِيبِ تَكْرَماً وَدِينِي
أَنْتَ الْحَبِيبُ فَلَا تَخْفَ شَرِ العَدَى
بَلْ إِنِّي أَعْدَدْتُ عَنِّي لِلْمَدِى
لَكَ مَنْزِلاً فِي غَايَةِ التَّزِينِ
وَهَا أَنَا آتٍ سَرِيعًا بَعْثَةً
إِيَّاكَ أَنْ تَنْسِي مَجِيئِي لَحْةً
حَتَّى تَنَالَ مَعَ الْعَرَوِسِ وَلِيمَةً
بَلْ فَانتَظِرْهُ دَقِيقَةً فَدَقِيقَةً
هَيَّأْتُهَا لِجَمِيعِ مَنْ حَبُّونِي

شعر جورج ماثسون

يا أيها الحب الذي من بابه لا أُبح
لأن نفسي في سوى مرعاه ليست تسرح
وفيه تستريح
إليك أرجع حياتي التي وهبت لي
فتشتتني من بحرك الطامي وفيه تمتلي
من نعمة المسيح

يا أيها النور الذي ضياؤه يتقد
خذ مشعلي فإنه ذاًوي يكاد يخمد
من شدة الوهن
قلبي يرد قبساً من شمسك استعاره
لكي يضيء نورك الباهي السنّا نهاره
على مدى الزمن

في ظلمة الأحزان يا سرور عني تسأل
ولك قلبي بابه منفتح لا يقفل
فادخله يا يسوع (عيسي)

قوس السحاب من خلال المُزْن عيني تبصر (المزن: الغيوم)
ووعدك الصادق في إنجازه أنتظر
صُبحاً بلا دموع

وأنت، أنت أيها الصليب رأسي ترفع
وفي حياتي كلها ما لي سواك مفنع (مفزع: ملجم)
في الضيق والكمد
ومجد هذا العالم الباطل أُلقي في الثرى (الثرى: التراب)
مستبدلاً به نعيمًا في السماء مزهراً
يبقى إلى الأبد

ملحق ٦

المسلم والصلب^{٨٦}

يقول الكتاب الشريف إن الإنسان خاطئ ومذنب ويستحق العقاب والهلاك الأبدي. ويقول أيضاً إن عيسى حمل على الصليب ذنوب كل الناس. ثم يؤكد أن الله يقدم للناس غفراناً وينجّلهم في رحمته عن طريق موت عيسى المسيح. لكن المسلم يرفض هذا كله. أولاً، لأنه لا يستطيع أن يدرك خطورة شر الإنسان. وثانياً، لأنه لا يقدر أن يفهم كيف أن ضحية إنسان واحد يمكن أن تکفّر عن خطايا كل الناس. وثالثاً، يصر المسلم على أن الله أنقذ المسيح ونجّاه من الموت المُخزي على الصليب.

ومن الواضح أن هذه الاعتراضات تستحق أن نوليهما اهتماماً ودراسة. ولهذا سأبدأ باستكشاف السياق التاريخي للإنكار الإسلامي لصلب المسيح والعوامل الفكرية والفقهية التي تسبّب هذا الإنكار. وبعد ذلك سأقدم ردّي على الرفض الإسلامي للصلب، مبيّناً لماذا كانت ضحية عيسى المسيح وموته أمراً ممكناً وضرورياً في نفس الوقت. وأخيراً سأختتم بتحديد المعنى الحقيقي للصلب.

لقد استأنفك الله على رسالة النجاة لتقديمها للآخرين بمحبة وحكمة وصبر، رسالة الفداء عن طريق صليب عيسى المسيح. وهذه أمانة لا تقدر بثمن. ولذلك فإن هدفي هنا هو أن أساعدك لكي تكون أكثر فاعلية في مساعدة المسلم ليفهم هذه الحقائق المجيدة وينجّلها.

إنكار الصليب

يقول القرآن عن صلب المسيح: "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبّهَ لَهُمْ"⁸⁷. وبسبب هذه الآية، يرفض المسلمون منذ فجر الإسلام، فكرة أن عيسى صُلب ومات. لكن هذا الرفض خلق للمسلم مشكلة عويصة. كيف يقول المسيحيون إن سيدهم ومسيحهم صُلب ومات، ثم يأتي المسلمين بعد ذلك بـ 600 سنة ليقولوا إن المسيح لم يُصلب ولم يمت!

وهذا هو السبب أن المفسرين المسلمين جاءوا بعدد من الأفكار والتفسيرات والتأويلات في محاولات حل هذا الخلاف. ولكن الأغلبية العظمى منهم تنكر بإصرار أن عيسى صلب أو مات، بناء على هذه الآية.

جذور إنكار الصليب

يبدو أن معظم مفسّري القرآن متفقون على أن شخصا آخر صُلب بدلاً من عيسى. غير أنهم اختلفوا كثيرا حول هوية هذا البديل المزعوم. اقترح بعضهم أنه يهودي القريوتى، وأخرون سمعان القيرواني، وأخرون يقولون إنه شخص اسمه سرجيوس، وأخرون واحد اسمه تيتانوس، وأخرون رجل اسمه آشيو، وغيرهم يقولون إن اسمه فالتايانوس، وهلم جرا.

وتنسجم نظرية البديل هذه مع منطق القرآن والفكر الإسلامي العام الذي يزعم أن الله العادل لا يمكن أن يسمح لهذا النبي الصالح بأن يصلب، ولا يمكن أن يموت على صليب، لأن الصليب علامة ضعف وجبن. إنما يتوقع المسلم أن يهزم عيسى أعداءه أو على الأقل يتمكن من الهرب منهم، كما هرب محمد مثلاً.

من أين جاء المسلم بهذه الفكرة؟ إن كان كل من اليهود والمسيحيين قد أكدوا عبر التاريخ أن عيسى مات على الصليب، فكيف يمكن لمحمد أن يقول عكس

ذلك؟

يَظْهُرُ أَنَّ بَعْضَ الْهَرْطِقَاتِ، وَالْأَفْكَارِ الضَّالَّةِ، وَالْتَّعَالِيمِ غَيْرِ السَّلِيمَةِ، شَقَّتْ طَرِيقَهَا إِلَى تَلْكَ الْمَنْطَقَةِ مِنَ الْعَالَمِ الَّتِي كَانَ مُحَمَّدٌ فِيهَا. وَقَدْ نَادَى عَدْدٌ مِنْهَا بِمُسْبِحِ غَيْرِ مَصْلُوبٍ وَرَبِّمَا كَانَتْ هَذِهِ مَصْدِرًا لِمَوْقِفِ الْقُرْآنِ مِنَ الصَّلِيبِ. وَفِي مَا يَلِي قَائِمَةٌ قَصِيرَةٌ بَعْضُ هَذِهِ التَّعَالِيمِ الزَّاَفَّةِ الَّتِي كَانَتْ رَائِجَةً قَبْلَ ظَهُورِ مُحَمَّدٍ:

1) بَدْعَةُ "لَا أَلَمْ": وَتَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يَتَأَلَّمَ عِيسَى لِأَنَّ الْأَلَمَ يَحْدُثُ دَائِمًا نَتْيَاجَةً لِارْتِكَابِ الذَّنْبِ، بَيْنَمَا كَانَ عِيسَى نَبِيًّا صَالِحًا مَرْسَلًا مِنَ اللَّهِ. لَذِكْرِهِ لَمَّا جَاءُوا لِيَقْبِضُوهُ عَلَيْهِ وَيَصْلِبُوهُ، أَخْذَ عِيسَى شَكْلَ سَمْعَانَ الْقِيَروَانِيِّ وَأَخْذَ سَمْعَانَ الْقِيَروَانِيِّ شَكْلَ عِيسَى. وَبِذَلِكَ فَإِنَّ الْيَهُودَ فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ صَلَبُوا شَبِيهَ الْمَسِيحِ لَا الْمَسِيحِ نَفْسَهُ، أَمَّا الْمَسِيحُ فَكَانَ يَنْظَرُ إِلَى أَعْدَائِهِ وَيَهْزُأُ بِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرُوُهُ.⁸⁸

2) بَدْعَةُ "الشَّبِيج": وَتَقُولُ إِنَّ عِيسَى لَمْ يَكُنْ إِلَّا رُوحًا أَوْ شَبِيجًا أَوْ سَرَابًا. وَمَا نَسْمَعَهُ عَنْهُ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِأَنْشِطَتِهِ كِإِنْسَانٍ، مِنْ وِلَادَةٍ وَنَمَوٍ إِلَى مَرْحَلَةِ الرِّجُولَةِ، وَمِنْ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَمِنْ التَّعبِ وَالنَّوْمِ وَالْمَوْتِ، وَمَا إِلَيْ ذَلِكَ، هُوَ مُجْرَدُ أَوْهَامٍ أَوْ تَصْوِيرَاتٍ. وَهُنَّا يَجِبُ أَنْ نَلَاحِظَ أَنَّ الْقُرْآنَ يَسْتَخْدِمُ نَفْسَهُ هَذَا التَّعْبِيرَ لِلإِشَارَةِ إِلَى مَوْتِ الْمَسِيحِ (شَبِهُ لَهُمْ، تَخْيِلُوهُ، تَصْوِرُوهُ).⁸⁹

3) بَدْعَةُ "نَزْوُلِ الإِلَهِيِّ عَلَى الْبَشَرِيِّ": وَتَقُولُ إِنَّهُ لَمَّا جَاءَ عِيسَى إِلَى يَهُودَ لِيَغْطِسُهُ، نَزَّلَ الْمَسِيحُ الإِلَهِيُّ عَلَى عِيسَى الْبَشَرِيِّ فِي شَكْلِ حَمَامَةٍ. وَأَجْرَى بِصَفَتِهِ الْمَسِيحِ الإِلَهِيِّ مَعْجَزَاتٍ وَأَعْلَنَ الأَبَّ الَّذِي كَانَ غَيْرَ مَعْرُوفٍ. لَكِنْ عِنْدَ الصَّلْبِ، طَارَ أَوْ ارْتَفَعَ الْمَسِيحُ الرُّوحِيُّ بَعِيدًا، وَمَاتَ عِيسَى الْبَشَرِيُّ ثُمَّ قَامَ ثَانِيَةً.⁹⁰

4) بَدْعَةُ "ابن الأُرْمَلَةِ": وَتَقُولُ لَمْ يَكُنْ عِيسَى هُوَ الَّذِي مَاتَ، وَإِنَّمَا ابْنُ امْرَأَةٍ أُرْمَلَةً.⁹¹

5) بَدْعَةُ "الْتَّلَمِيزِ الْمَصْلُوبِ": وَتَقُولُ لَمْ يَكُنْ عِيسَى هُوَ الَّذِي صُلِّبَ، وَإِنَّمَا أَحَدُ أَتَّبَاعِهِ لَقَدْ احْتَقَرَ عِيسَى الْيَهُودُ، وَتَغْلَبَ عَلَى الْآلَامِ الَّتِي أَرَادُوا أَنْ يَنْزَلُوهَا بِهِ، ثُمَّ صَدَعَ إِلَى الْأَبِ.⁹²

من المحتمل جداً أن هرطقات كهذه أثَرَتْ في تفكير محمد فيما يتعلق بصلب المسيح. نحن نعرف من التاريخ أنه ظهرت أفكار دينية متصارعة في شبه الجزيرة العربية، وقرب حوران، وفي مقاطعة الأنباط. كانت هذه المناطق تُشكّل شبكة طبيعية للطرق التجارية التي ربطت سوريا ومصر وببلاد فارس. فصارت ملجأً لمجموعات اعتبرتها المسيحية خارجة عن العقيدة السليمة، ومع ذلك انتشرت إلى جانب الإيمان المسيحي الحق. نعم، كانت هناك بعد كثيرة جعلت بعض الكتاب المسيحيين في ذلك العصر يقولون إن المنطقة امتلأت بالأفكار التي فيها شطط! لذلك من المعقول أن نظن أن هذه البدع لها دخل كبير في فكرة القرآن عن الصليب.

أسباب إنكار الصليب

يوجد سببان رئيسيان لهذا الإنكار. أولاً، يُنكر المسلمون الصليب بناءً على نص القرآن وتفاسيره. ثانياً، ينكرونه بناءً على معنى الصليب.

أولاً، الإنكار بناءً على نص القرآن وتفاسيره

ذكرنا من قبل الآية القرآنية التي تقول إن عيسى لم يُقتل ولم يُصلب، ولكننا نورد هنا هذه الآية في نصها المطول بعض الشيء: "فَمَا نَقْضَيْهُمْ مِيثَاقُهُمْ وَكُفَّرُهُمْ

بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِعَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوا وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَهَادَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوا يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا.⁹³

حين ندرس ما تقوله كتب التفسير المختلفة بشأن هذه الآيات، نجد أنفسنا أمام غموض وتشويش وتناقض. تفسير الأغلبية العظمى من المسلمين هذا النص كإنكار مطلق لصلب عيسى أو موته، وتفسيره أقلية صغيرة جداً لتعني أنه صليب بالفعل. وسائلحُّصْ بـإيجاز آراء الأغلبية والأقلية.

رأي الأغلبية

لم يُصلب عيسى. وينقسم الذين يتبنّون هذا الرأي إلى جماعتين مختلفتين. الأولى تزعم أنّ شخصاً آخر صُلب بدلاً من عيسى. وأنا أسمّي هذا التفسير "نظريّة البديل". والجماعة الثانية تدّعي أنه ما من أحد صُلب، وأن كلّ هذا كان من نسج الخيال والتصرُّف. وأنا أسمّي هذا التفسير "نظريّة التوهم".

نظريّة البديل. يقول دعاة هذه النظريّة إنّه على الرغم من أن اليهود زعموا أنّهم قتلوا عيسى، إلا أنّهم في الواقع الأمر لم يقتلوا. فقد خبأ الله بشكل معجزي وصُلب شخص آخر مكانه. ويقول بعض المفسرين إنّ الأمر اخترط على الذين ذهبوا للقبض على عيسى في الظلام. ومن خلال معجزة، ألقى الله شَبَهَ عيسى على شخص آخر. ثم قُبض على ذلك الشخص وصُلب بدلاً من عيسى الذي هرب. وبهذه الطريقة ظنّ اليهود أنّهم تخلّصوا من عيسى. لكن ما حدث في الواقع الأمر هو أنّ شخصاً بدليلاً قُتل. وبذلك بدا لليهود أنّهم صلبوه.

نظريّة التوهم. يرى أصحاب هذا الرأي أنه ما من أحد قُتل. وهم يشieren إلى أن القرآن لا يذكر صراحة ولا تضيئنا وجود شبيه. ومن هنا فإنه لم يُلْقَ شبه عيسى على أحد. بل إن ما حدث هو أنه شُبِّه لهم أو ظهر لهم، أي جعلهم الله يتوهمنون أو يتصورون أن عيسى صلب. أي في الواقع لم يُصلب أحد، وبذلك يكون ادعاء اليهود بأنهم قتلوا عيسى هو ادعاء كاذب. أي كان الأمر كُله مجرد وهم.

وعلى الرغم من اختلاف هاتين النظريتين أو الرأيين، إلا أن النتيجة التي يتوصلان إليها واحدة، ألا وهي أن عيسى لم يُصلب وأن الزعم اليهودي بقتل المسيح غير صحيح.

رأي الأقلية

يؤمن المذهب الأحمدى بأن عيسى صلب، لكنه لم يمت. ويعتبر مذهب الأحمدية بدعة وهرطقة لدى المسلمين، وهو محرام في بعض البلاد الإسلامية. وعلى الرغم من أن له نشاطاً كبيراً في مجال السعي إلى جذب الآخرين إليه، إلا أنه يؤلف أقلية صغيرة جداً من تعداد المسلمين الإجمالي. يقول أتباع هذا المذهب إن عيسى صلب بالفعل، لكنه كان ما يزال حياً عندما أنزل من على الصليب. ثم أنعشته الأطیاب الموجودة في القبر، فقام وسافر إلى كشمير في الهند، حيث تزوج وأنجب أبناء ومات شيئاً.

من كل هذا يتضح أن آيات الصليب في القرآن تخلق مشاكل عويصة للمفسّرين المسلمين، وقليلون يقبلون حقيقة أن عيسى مات بالفعل على الصليب. خذ على سبيل المثال المفكّر محمود أثيوپ من جامعة تورنento. هذا المفكّر يقترب جداً من التعليم الإنجيلي بتصرّفه الشجاع الذي يقول: "لا ينكر القرآن موت المسيح. لكنه يتحدّى البشر الذين أوهّموا أنفسهم في حماقتهم أنهم قادرون على القضاء على الكلمة الإلهي، عيسى المسيح رسول الله".

ويجب أن نلاحظ هنا أن القرآن يؤكّد موت المسيح عدة مرات في سياقات مختلفة.⁹⁴

ومع ذلك، فإن مسلمين قليلين جداً مستعدُّون أن يتبنوا هذا النوع من التفكير. فالأغلبية مقتنعة بأن القرآن يُنكر الصلب. وبذلك يجدون أن كتابهم يُناقض حقيقة تاريخية رئيسية يشهد على صحتها أشخاص مسيحيون، وأشخاص غير مسيحيين، أقارب عيسى وأصدقاءه المقربون، أتباعه ومنتقدوه. وفي مواجهة هذه المعضلة، لا يحاول إلا عدد قليل جداً منهم أن يجد طريقة للتوفيق بين الموقف القرآني والتاريخ!

ثانياً، الإنكار بناءً على معنى الصليب

لقد تحدثنا بإسهاب عن معنى الصليب. هذا يجعل المسلم يرفضه رفضاً كلياً. وكما رأينا من قبل، فإن المسلم ليس وحده في هذا. لقد أوضحتنا أن الصليب هو إعدامٌ شخصٍ مجرم، فهل كان عيسى مجرماً؟ قطعاً لا! ثم إن الصليب هو أداة للخزي والاحتقار، فهل كان عيسى يستحق العار والخزي؟ قطعاً لا! ثم إن أهم معنى للصلب هو أنه فداء للبشر المذنبين، فهل يحتاج البشر إلى من يغدיהם ويُكفر عن ذنوبهم، وجواب الإسلام على هذا السؤال هو قطعاً لا!

الرد على إنكار الصليب

سنغطي في هذا القسم موضوعين حيويين كرد على الإنكار الإسلامي للصلب. أولاً، سنلخص بشكل موجز الأدلة التي ثبتت موت عيسى على الصليب. ثانياً، سنقدم إعادة تفسير للنص القرآني الذي يتناول مسألة الصليب بناءً على مبادئ اللغة العربية ومبادئ تفسير القرآن.

الأدلة التي تثبت أن عيسى صلب ومات

يتحدث الكتاب الشريف عن الصليب بلغة قوية تصويرية حية بداية من كتب الأولين وإلى نهاية الإنجيل. غير أن المسلمين لا يقبلون الكتاب الشريف باعتبار أنه إعلان الله النهائي للإنسان. وهذا سأقدم في هذا القسم شهادات من خارج الكتاب الشريف، في مجال التاريخ والخبرة والمنطق. وهي تؤيد قصة الكتاب.

شهادة التاريخ

يوجد شهود مهمون يؤكدون لنا أن عيسى تألم وصلب ومات. وفي ما يلي بعض الأمثلة:

تاسيتوس. عاش هذا المؤرخ ما بين 55-120 م. وقد وصف بأنه أعظم مؤرخ لروما القديمة. وقد انتقد المسيحية بقسوة. ويفسر في سجلاته التاريخية موت عيسى المخزي كما يلي: "عاني المسيح العقوبة القصوى أثناء حكم طيباريوس على يدي واحد من وكلائنا، هو بيلاطس البنطي".⁹⁵

يوسيفوس. عاش هذا المؤرخ اليهودي ما بين 37-97 م. وتحدّث باختصار عن المسيح في كتابه "آثار اليهود". يقول:

"في ذلك الوقت كان هنالك رجل حكيم اسمه عيسى. وكان سلوكه صالحًا وكان معروفاً بالفضيلة. وصار أشخاص كثيرون من بين اليهود والأمم الأخرى أتباعاً له. وحكم عليه بيلاطس بأن يصلب ويموت. ثم قال أتباعه أنه ظهر لهم حيا بعد ثلاثة أيام من صلبه. وبناء على ذلك، ربما كان هو المسيح المنتظر".⁹⁶

التلمود. كلمة تلمود تعني الشريعة الشفوية. فالتلמוד اليهودي هو شرح ما يتعلق بشرعية موسى وعاداتبني إسرائيل وأخلاقهم وتاريخهم. وهو يعتبر المصدر الثاني للتشريع بعد شريعة موسى. يقول التلمود عن موت عيسى:

"في ليلة الفصح عُلِقَ عيسى. ولمدة أربعين يوماً قبل تنفيذ حكم الموت، ذهب شخص ينادي: 'سَيْرَجَمْ لأنَّه مارس السحر وأغوى بني إسرائيل ليتردوا عن الله. إنَّ كَانَ وَاحِدٌ عَنْهُ مَا يَدْافِعُ بِهِ عَنْ هَذَا الشَّخْصِ، فَلَيَتَقْدِمْ وَيَدْافِعُ عَنْهُ.' لَكِنْ بِمَا أَنْ شَيْئاً لَمْ يَقْدِمْ لِلدِّفاعِ عَنْهُ عُلِقَ فِي لِيلَةِ الْفَصَحَّ!"⁹⁷

لوسيان. عاش ما بين 120-180 م. كان لوسيان خطيباً بلغاً وساخراً. وغالباً ما انتقد المسيحيين الذين، على حد قوله: "يُبعدون رجلاً حتى هذا اليوم، ذلك الشخص البارز الذي أدخل شعائرهم الجديدة وصليب بسبب ذلك".⁹⁸

مارا بار سيرابيون. كان سيرابيون هذا سجينًا سوريًا كتب رسالة إلى ابنه يوصيه فيها أن ينتبه ويتمثل بالعلماء الحكماء. رسالته محفوظة في المتحف البريطاني وتعود إلى القرن الثاني الميلادي. وفي ما يلي مقطع من رسالته: "ما الذي رجحه اليهود من قيامهم بإعدام ملكهم الحكيم؟ إذ قُضي على مملكتهم بعد ذلك. فانتقم الرب له منهم بعد.... وقد عاش وفق التعليم الذي كان يقدّمه".⁹⁹

من هنا نرى أن هناك مصادر قديمة عديدة غير الكتاب الشريف تتحدث عن آلام السيد المسيح ومותו مصلوباً. وبالإضافة إلى وجود هؤلاء الشهدوَنَّ الذين لهم وزنهم واعتبارهم، فإنه يوجد غياب مذهل لأي شهادة تناقض شهاداتهم. ويوجد عامل تاريخي آخر مهم هنا. لقد أكَّدت أمَّةُ المَسِيحِ منذ بدايتها بكل وضوح أن مسؤولية صلب المسيح وقتله تقع على قادة الدين اليهود والحكام الرومان. فإذا لم يكن هؤلاء المتهمون قد ارتكبوا هذه الجريمة وصلبوا وقتلوا، فلماذا لم يقوموا هم أو خلفاؤهم من بعدهم بنفي ما كانت أمَّةُ المَسِيحِ تناجي به وتذيعه؟ وحقيقة الأمر هي أنه لا يوجد سطر دفاعي واحد أو حتى كلمة دفاعية واحدة في أي موضع في آية كتابة دينية أو مادة تاريخية لتُنفي التَّهمَّةَ عن هؤلاء القادة الدينيين والعسكريين.

شهادة الحياة المتغيرة

هجر كل التلاميذ عيسى عندما ألقى اليهود القبض عليه^أ. وفي إثر صلبه، اختبأوا خلف أبواب مغلقة من الخوف.^ب لكن ذلك لم يدم طويلاً! فسرعان ما انطلقوا إلى الشوارع والأسواق يجاهرون وينادون بشجاعة وجراة بموته وقيامته. وقد سمع صدى إعلاناتهم القوية في فلسطين والعالم المعروف كله.^ت ما الذي يفسّر هذا التغيير الجذري في موقفهم، من الخوف والاختباء والصمت، إلى الجسارة والانطلاق والمجاهرة؟ سبق أن ذكرنا أن أتباع الأحمدية يزعمون أن عيسى لم يمت، لكنه تمكن من أن يهرب إلى كشمير، حيث عاش مغموراً حتى سن الشيخوخة. فهل هذا الهروب في خزي وعار هو الذي غير التلاميذ؟ هل يعقل أن هذا التغيير في حياتهم نتج عن إيمانهم بشخص خائف طريد؟ لا يمكن أن يكون هذا سبب ما حدث في حياتهم.

فما الذي يفسّر إذا التغيير الذي حدث في حياتهم؟ عندما يأتي أشخاص في تعاستهم وخوفهم وإحساسهم بالذنب واليأس - كما حدث ويحدث أيضاً على مدى الألфи سنة من تاريخ المسيحية - ويكرّسون أنفسهم للفادي المصلوب والمُقام، وينزاح عن صدرهم عباء الخطيئة والعار والذنب ليحل محله السلام والرجاء، ماذا يكون السبب؟ لا بدّ أن السبب هو قوّة الكفارّة التي تحرر، قوة الصليب التي تمنح السلام والفرح. وكيف وماذا ومن غيرّ جون نيوتن من سكّير شئام وتاجر عبيد إلى واعظ وشاعر وقديس محترم؟ إنه عيسى المسيح لا غيره. ومن جيل إلى جيل تشهد حياة الملائين المتغيرة من المؤمنين بال المسيح بقوّة النجاة باسمه.

^أ مت 26:56

^ب يو 20:19

^ت آع 17:6

مهندس إيراني غني، ملأ الأیاس قلبه، كانت رغبته الملحة هي أن يموت وتنتهي حياته. ذات ليلة قبل أن ينام، رتب فراشه في مواجهة مكة لعله يحصل على أمنيته ويموت. وفي نصف الليل سمع حركة في غرفة النوم، وفجأة أضاء نور. فزع الرجل وسأل: "من هنا؟" قال الزائر: "أنا المسيح عيسى، لماذا تريد أن تموت يا ابني؟ لماذا أنت يائس من الحياة؟ تعال إلى وآمن بي، أعطيك الأمل والرجاء والفرح." آمن الرجل بالمسيح في الحال، وأخذ يرقص! وهنا قامت زوجته من النوم وووجده على هذه الحال يرقص! إن المسيح أعطاه معنى جديداً للحياة. غير قلبه، أزال يأسه، أفرج كربه، ومنحه السلام والأمان والرجاء.

ما الذي غيرَ الشيخ الدكتور مصطفى أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية في الأزهر؟ هذا الرجل صاحب العلم الواسع، والمركز العالي، والذي ينتمي إلى أسرة مرموقة من كبار المسلمين، أصبح يائساً تعيساً وهرب عنه النوم. لكنه حين قرر أن يدرس الإنجيل بعقلية مفتوحة، وقلب متعطش، وجد السلام والراحة والفاء، والحياة التي لها معنى.¹⁰⁰

قبضت السلطات على السعودي محمد أمين لأنّه كان يتداول في المخدرات. رموه في السجن وهناك دبر الله القدير من أعطاء دروس "الصراط المستقيم"¹⁰¹ فآمن الرجل بالمسيح وتغيرت حياته. فكتب لي خطاباً قال فيه:

سيدي الشيخ،

عشت مسلماً طول عمري. ولكن منذ عام قُبضَ عليَّ بسبب الاتجار في المخدرات. وفي السجن دبر لي الخالق الرحيم أن يأتي لزياري واحد من أتباع سيدنا عيسى المسيح، وأعطاني دروس الصراط المستقيم. وبسبب هذه الدروس قررت أن أسلم نفسي وحياتي إلى سيدِي وفاديِّي عيسى. والآن أنا أيضاً من أتباعه. صحيح، أنا وحيد هنا في هذه الرززانة، وليس من يزورني في وحدتي غير عيسى المسيح الذي هو

معي ويعزيني دائمًا.

أرجوك أن ترسل لي المزيد من المطبوعات والكتب التي تعرفي أكثر بالحياة مع المسيح وتشجعني في مسيري في هذه الدنيا. إني أرغب في معرفة المسيح عن قرب وبعمق. في الحقيقة أنا أرجو أن أصير داعية له بمجرد خروجي من السجن. وشكرا.

محمد أمين

ما الذي غير المهندس الإيراني محمد أمين، وناهد متولى التي كانت مدیرة مدرسة ثانوية في القاهرة، ويوسف نادرخاني الإيراني، والمؤيد أحمد المستعين بالله الأمير العباسي، ووليد شعيبات عضو منظمة التحرير الفلسطينية (السابق)، وإرجون كانر التركي، ومئات الآلاف غيرهم؟ إنها قوة صليب المسيح! إنها قوة فداء المسيح!

شهادة المنطق

لنفرض أن المسيح لم يُصلب، كما يقول المسلم، فما الذي جعل التلاميذ يخترعون مثل هذه القصة؟ إنهم كانوا يعرفون جيداً أن شريعة موسى تقول إن كل من يُعدم على خشبة ملعون من الله. لم يسمح هذا الحكم المطلق بأي استثناءات. بل مهما كانت هوية الضحية، ومهما كان سبب تعليقه، فهو ملعون. كان الموت على الصليب عاراً وخزياناً، هزيمة قاتلة، ووصمة عار شنيعة!

ولذلك فإن الإيمان بمسيح مصلوب بالنسبة لتلاميذ عيسى، هو تناقض مزعج. فما الذي أجبرهم أن يخترعوا هذه الفكرة؟ بل إن الواقع هو أنهم أثناء حياة المسيح، رفضوا أن يصدقوا أن عيسى سيموت على الصليب، ولم يقدروا أن يفهموه عندما قال إنه سيفعل ذلك. إذن من الواضح أنه كان عليهم أن يتغلّبوا على عقبات كثيرة لكي

يقبلوا وينيّعوا الأمور التي حدثت بالفعل لسيدهم. إن كرامتهم كبشر عاديين، تأبى عليهم أن يخترعوا هذه القصة!

يشير أحد علماء الكتاب إلى وجود رسمنين بالكارикاتير ضد المسيحية في فجر تاريخها يعبران عن استهزاء الناس بفكرة صلب المسيح، بل وبالمسيح المصلوب نفسه. في الرسم الأول صورة شخص له رأس حمار. أما الثاني، فكان شخصاً لسانه ممدود خارج فمه يجر صليباً ثقيلاً.¹⁰² هذا تحكير مؤلم! هذه سخرية وإهانة فظيعة! فلو أراد تلاميذ المسيح أن يخترعوا قصة حول بطلهم، هل كانوا على درجة من الحماقة تجعلهم يختلقون قصة تجلب لهم عاراً فظيعاً وألما لا نهاية له؟ لو لم يكن المسيح قد مات، هل كان تلاميذه إلى هذا الحد أغبياء وحمقى ليقولوا إن سيدهم الذي زعم أنه ابن الله مات على صليب ورفض أن يساعد نفسه في أعظم أوقات احتياجاته؟

أضف إلى ذلك أنه لما بدأت المسيحية تنتشر، كان المؤمنون الأوائل يدركون تمام الإدراك ما يعنيه الصليب. وهذا هو السبب في أن المؤمنين في كورنوس حاولوا أن يتهرّبوا من غباء هذه الرسالة، لكي يبعدوا عن نفسمهم المهانة التي تجلبها عليهم هذه الدعوة. لقد حاولوا أن يتخصصوا في أمور عالية مثل الإعلانات السماوية والخبرات الرائعة والأسرار الروحية العميقة وما شابه ذلك. ظنوا أن هذا أكثر جاذبيةً وقبولاً لأنّه هو نهج المتعلمين والحكماء! لكن بولس لم يكن ليقبل شيئاً من ذلك. فقد عرف معنى حمل الصليب واتباع السيد. ولذلك أوضح للمؤمنين في كورنوس أن الحياة الجديدة في المسيح نتاجت بسبب قوة الصليب - ذلك الصليب الذي كان مشكلة كبيرة لليهود (لأنه لم يكن لائقاً بالمسيح) وغباء بالنسبة لغيرهم (لأنه لم يكن ضروريًا). ويلاحظ عالم الكتاب الذي أشرنا إليه أعلاه أن تعبير "المسيح المصلوب" يحمل تناقضًا للجميع، من يهود ويونانيين ورومانيين وغيرهم. فكان أمراً مُهيناً أن تطلب من أحد أن يصدق مثل هذه الفكرة الحمقاء.¹⁰³

غير أن الصلب الفاضح الشائن صار عmad إيمان المسيحية، وركيزة انتشارها! وصار المصلوب موضوع إعجابنا وافتخارنا، بل وعبادتنا! فكيف يفسّر المرء هذا، لو لم يكن المسيح قد مات فعلاً؟

ومن جهة أخرى، لو أن شخصا آخر مات مكان المسيح، أو لو كان الأمر كله مجرد وهم، لرَحِب تلاميذ عيسى كثيراً بهذه الأخبار الرائعة. كانوا سيطيرون ابتهاجاً وفرحاً حين يعرفون أن سيدهم لم يتعرّض للمهانة والإذلال والتحقير ولعنة الصليب! فمن وجهة نظر بشرية، يعتبر هذا انتصاراً على أعدائه ويبرهن على عظمته.

يقول بطرس إن عيسى لم يظهر بعد قيمته إلا لجماعة مختارة من أتباعه، وليس لكل الناس. والسؤال هنا هو: لماذا لم يظهر لكل الذين عرفوه وسمعوا يعلمُ ورأوه يجري المعجزات؟ لماذا لم يظهر نفسه إلا لعدد صغير نسبياً من الناس؟ ولو أن عيسى لم يُصلب، كما يدّعي المسلم، لكان منطقياً أن يُري نفسه حيّاً للجميع لكي يفند "كذبة" الصلب. والجواب هو، لو ظهر لأيّ واحد من غير أتباعه المؤمنين به، ربما كانوا يُصعقون! وبذلك يكونون مجرّبين أن يؤمنوا به. لكن هل هذه طريقة الله في التعامل معنا؟ هل يُبهرون بقوته لئومن به؟ لا! بل يعطينا حرية الإرادة، لئومن أو لا تؤمن. إنه يريد أن يأتي إليه الناس بمحض إرادتهم، لا إجباراً بسبب قدرته الإلهية. مات عيسى بالفعل على الصليب. لم يختار طريق العالم، وإنما إرادة أبيه. وبصفته الابن الطيع لله، جاء لكي يكون قرباناً وضحية عن ذنوب العالم. لم يتمت كشخص مقهور مغلوب لا حول له ولا قوة. كان بمقدوره إن أراد أن يأمر جنود السماء من الملائكة بأن يأتوا لمساعدته.^ب وكان يستطيع أن يهرب من أعدائه كما سبق أن فعل.^ت لكنه لم يفعل. إنه جاء لهذا القصد، ليبذل نفسه عن البشرية الساقطة. ولا

يوجد منطق في اختراع قصة عن صلبه لو لم تكن قد حدثت حَقّاً.

تفسير آخر لآية الصلب

هناك مشاكل خطيرة مرتبطة بالتفاصيل الإسلامية التقليدية لهذه الآية القرآنية. إن الموقف الإسلامي الرئيسي من مسألة الصلب مستمد من أوائل المفسرين المسلمين. فهم يقولون إن الآية التي نحن بصددها لا تعني أنه شُبِّه للناس أن عيسى صُلِّب، أي أنه بدا وكأنه يُصلَّب، لكن الله جعل شخصا آخر يبدو مثل عيسى فصُلِّب. (يمثل الزمخشري هذه المدرسة الفكرية). وهذه هي "نظيرية البديل" التي ناقشناها من قبل. وقال آخرون إنه لم يمت أحد، وإنما كان الأمر كله وهما. ولهذا فإن زعم اليهود أنهم قتلوا عيسى زعم كاذب. وناقشنا هذا الرأي وأسميناه "نظيرية الوهم" أو التوهم (ويمثل البيضاوي هذه المدرسة الفكرية).

وجاء مفسرون آخرون أيضا ليُعَبِّروا عن رأيهم. لنفترض أن شَبَهَ شخص ما أُلقى على شخص آخر (نظيرية البديل). أو لنفترض أنه هُبِّيء للناس أن أشياء كانت تحدث في حين أنها لم تكن تحدث في واقع الأمر (نظيرية التوهم)، فما هي تضمينات هذا الأمر؟ قال هؤلاء المفسرون إن هذا يعني أننا لا نستطيع التأكد من أي شيء نتعامل معه، بما في ذلك الأمور التي نراها ونلمسها. فعلى سبيل المثال، كيف لي أن أعرف أن زوجتي هي فعلا الشخص الذي أتصوّره؟ فربما كانت في واقع الأمر شخصا آخر. وفضلا عن ذلك، إذا كان مثل هذا الأمر ممكنا، لتطرق الشك إلى كل الشهود التاريخيين. فكيف يمكنني أن أحكم على أي كتاب إن كان صادقا أو كاذبا، إن كان مقدسا أو دنيويا، يدّعى أنه يسرد وقائع تاريخية؟ ألا يمكن أن يكون كل ما هو مذكور فيه تشويشا وخلطا للهويات والمعلومات؟ (يمثل الرازي هذه المدرسة الفكرية).

وإسهاما في النقطة السابقة، يمكنني أن أطرح هنا أسئلة أخرى. إذا كان

الصلب مجرد وهم، فلماذا لا تكون الأحداث الأخرى، المهمة منها وغير المهمة على حد سواء، مجرد أوهام أيضا؟ فهل كان هنالك فعلاً شخص اسمه عيسى، أم أنه كان مجرد سراب؟ وإذا كان قد تم إنقاذ عيسى بتدخل إلهي، فماذا عن التلاميذ؟ كان عيسى قد طلب منهم أن يحملوا صليبيهم ويتباعوه. فهل كان هنالك شيء في كل حالة لعب دور البديل للمؤمن المسيحي في الطريق إلى صليبيه؟ وإن لم يكن الأمر كذلك. فماذا عن آلاف الصليبان حيث تم تعليق أتباع عيسى من زمن نيرون فصاعدا؟ ألا تدل على عدم اهتمام الله الذي لم ينقذ أتباع عيسى بنفس الطريقة التي أنقذ بها سيدهم؟

ويوجد عيب خطير آخر في نظرية البديل. فهي تزعم أن السبب في عدم موت عيسى هو أن الله عادل ولن يسمح للنبي الصالح بأن يموت من أجل ذنب لم يرتكبها. لكن إذا كان الله لم يسمح بموت عيسى، فلماذا يجعل الله شخصا آخر يعاني ويموت ظلماً، حتى لو كان هذا يقصد إنقاذ المسيح؟ لا شك أن هذا يشير إلى تناقض في طبيعة الله الأخلاقية وقصده. هذا الحل غير المعقول يجعل العدالة الإلهية تبدو وكأنها مهزلة. هذه الفكرة المنفرّة تجعل الشخص يشك في قيم الله الأخلاقية، وحشاً لله من كل هذا. فهو العادل الحكيم، والسلطان العظيم.

يدرك بعض علماء المسلمين أن ما يقوله القرآن عن الصليب إنما هو مبتور! ويدافعون عن هذا بأن القرآن لا يقول إن عيسى لم يُقتل، ولا يقول إن عيسى لم يُصلب. إنما كل ما يقوله هو إن اليهود لم يقتلوا أو يصلبوا. وبعبارة أخرى، إن ما يُذكره القرآن هو أن يكون اليهود هم الذين صلبوا أو قتلوا عيسى. أي إن هؤلاء العلماء لا ينكرون أن المسيح مات على الصليب!

يبين التفسير الحرفي للرواية التاريخية أن وجهة النظر هذه مشروعة. فقد طالب اليهود بصلب عيسى، لكن الذي قام فعلاً بعملية الصلب هم الجنود الرومان. وقد

تنبأ عيسى نفسه بأن موته سيكون على أيدي الأجانب، إذ لم يكن اليهود سادة أنفسهم في وقت موت عيسى. فقد كانوا تحت السلطة السياسية لروما. وبدون موافقة تلك السلطة، ما كان ممكناً لعيسى أن يُصلب. وفضلاً عن هذا، لم يكن الصليب وسيلة إعدام يهودية. إذ كان اليهود يستخدمون الرجم، وسبق لهم أن هددوا عيسى به أثناء خدمته، واستخدموه بالفعل فيما بعد لقتل اسطfan.^b

موضوع المسؤولية

من كان المسئول عن صلب المسيح؟ للجواب على هذا السؤال، يشير البعض بإصراع الاتهام إلى اليهود. ويشير آخرون إلى النظام السياسي والديني. أما الكتاب الشريفي، فيقول إن اليهود والروم هم الذين صلبو عيسى. كما يقول أيضاً إنه سُلم إلى قادة اليهود "حَسَبَ حِكْمَةَ اللَّهِ الْمَرْسُومَةَ وَعِلْمِيَّةِ السَّابِقِ".^c

من المحتمل جداً في رأيي أن النص القرآني حول الصليب يقول إن الله هو الذي كان يعمل، كما يقول القرآن في موضع آخر، أي أن الله، لا اليهود، هو الذي أصدر الحكم وأجرى الأحداث بإرادته وفق مشيئته وقصده ومن خلال سيادته.

خذ مثلاً النص القرآني: "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى".¹⁰⁴ يشير النص إلى معركة بدر التي كانت فيها قوَّاتُ أهل قريش تفوق كثيراً جيش محمد من حيث العدد. فرمى محمد حفنة من الغبار على العدو عند بدء المعركة، كأنه يصيّبهم بالعمى بشكل رمزي استعداداً لهزيمتهم. وعلى الرغم من أن الأفضلية كانت لقريش، إلا أنها انهزمت. وهذا يمكن تفسير النص القرآني المذكور

^a لو 32:18

^b يو 8:59؛ 10:33-31؛ 11:8؛ أع 7:54-60

^c أع 2:23

على النحو التالي: "لم تكونوا أنتم الذين قتلتموهم، بل الله هو الذي قتلهم عنكم. ولم تكن أنت يا محمد من رمى التراب. بل الله هو الذي رمى التراب عنك".
ماذا لو طبّقنا نفس هذا المبدأ التفسيري على آية سورة النساء؟¹⁰⁵ ففي تلك الحالة، يمكن أن تُفهم الآية على النحو التالي: "وقولهم (قول اليهود) إنّا قاتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. غير أن اليهود لم يكونوا هم الذين كانوا يسيرون الأحداث في الجلجة. بل الله. مما قاتلوا وما صلبوه، ولكن شُبّه لهم. فالله هو الذي أعدّه لهذا الغرض عينه. إذ أرسله لكي يموت".

ليس أمرا سهلا حل موضوع المسئولة. فكما هو الحال في أسرار التجسد، كان العاملان الإلهي والبشري موجودين. وفي الصليب رفض الجنس البشري خالقهم. غير أن اللاهوتيين يمكن أن يتفقوا على أن الصليب بدأ بمبادرة من الله، كما تنص التفسيرات السابقة.

نصوص قرآنية أخرى

بالإضافة إلى الآية التي ذكرناها من سورة النساء، توجد 3 تصريحات قرآنية أخرى تتحدث عن موت عيسى. وهي تدعم تارikhية الصلب.
 "وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطْهِرُكَ مِنَ الظَّنَنِ كَفَرُوا وَجَاءُكُلُّ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا".¹⁰⁶
 "وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ (أي على التلاميذ والاتباع) شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّاقِبَ عَلَيْهِمْ".¹⁰⁷

"وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلُدُّتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبَعْثَرُ حَيًّا".¹⁰⁸
 لاحظ أن مرتين في هذه الآيات يرد موت عيسى أولاً، ثم بعد ذلك صعوده أو

أرجع أيضاً 4: 27-28

قيامته. فإن كان المسلمون يؤمنون أن المسيح صعد حيًّا إلى السماء، فهذا يعني أنه لا بد مات.

إن رفض المسلمين للصلب وموت المسيح على أساس أن الله العادل لا يسمح لنبي صالح كعيسى أن يموت على أيدي أعدائه، هو رفض غير معقول، لأن به يُناقض المسلمين أنفسهم وكتابهم. كيف؟ لأن القرآن يصرّح أن بعض الأنبياء قُتلوا بالفعل. هاك مثلان: "فَبِمَا نَفَضُّهُمْ مِيثاقَهُمْ وَكَفَرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ".¹⁰⁹ "أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولُنَا لَا تَهُوَى أَنفُسَكُمْ إِسْكَنْدَرًا كَذَبَتُمْ وَفَرِيقًا تُقْتَلُونَ".¹¹⁰

وفضلاً عن ذلك، فإن عدة كتب مسلمين قدماً مثل المغازي وابن إسحاق بالإضافة إلى كتاب حديثين مثل بكتال وآخرين يصرّحون أن النبي محمداً مات بسبب سم وضع له في الطعام.¹¹¹ فإذا أثير اعتراف حول مسألة "الظلم" في قضية صلب المسيح، فلماذا لا تثار نفس المسألة في قتل الأنبياء الآخرين وتسميم محمد؟

ختام المقال: ما يقوله الله عن الصليب

لكي أبيّن مدى قوة الشهادة على صلب المسيح، استقيت هنا في هذا الملحق أدلة من القرآن وتفاسيره، ومن التاريخ والفكر، ومن الخبرة والمنطق. تشكّل هذه كُلها ردوداً على الإنكار الإسلامي. وفي نفس الوقت، امتنعت عن استخدام أدلة من الكتاب الشريف بسبب رفض المسلمين له.

غير أنه ما من حديث يكُون مكتملاً، وما من قرار يكون حاسماً، إلا بعد أن يقول كتاب الله كلمته. يتكلم الله في كتابه، وينبغي علينا أن نساعد المسلم في سماع ما يقوله حول الصليب لعل الله يفتح قلبه ليسمع ويقبل. ولذلك أوردت مبكراً في هذا الكتاب ما يقوله الله عن الصليب بإسهاب وتفصيل يجب أن يقنع أقسى معاند!

ولهذا لن أكرر ما قلته، إنما أشير باختصار إلى بعض الحقائق.

فمثلاً يقول الكتاب عن الفادي الكرييم إنه: "لَهُ طَبِيعَةُ اللَّهِ، لَكِنَّهُ... تَوَاضَعَ جِدًا، وَأَطَاعَ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الْمَوْتِ، لِدَرَجَةِ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الصَّلِيبِ".^أ عانى عيسى على الصليب أحط أنواع الإذلال وأدنى أنواع المهانة. يواجهنا في الجلجلة سر عميق، لأن صليب عيسى أعلى وأعمق من أن تستوعبه عقول البشر أو أن يعبر عنه بكلمات. ليس الصليب مستحيلاً أو غير ضروري. بل هو جوهرى في أهميته لمجيء عيسى المسيح ولإرساليته. بل الصليب هو هدف مجئه إلى الأرض. في مواجهة بين عيسى وروح شرير، قال الروح الشرير: "أَجِئْتَ لِتَهْلِكَنَا؟" بـ يُلْحَضُ هذا السؤال القصد من خدمة المسيح، ألا وهو تحطيم إبليس وملكته. هذا هو السبب الذي دفع عيسى إلى المجيء إلى الأرض، كما قال. وعلى الصليب جرت أعظم معركة، وتم إحراز أعظم نصر. هل نعكس الوضع؟ تعالوا نقول إن عيسى لم يفعل ما ي قوله الإنجيل الشريف.

تعالوا نقول إنه تجنب المهمة أو الإرسالية التي جاء من أجلها. وإنه لعن أعداءه ومعذبيه. وإنه بقي في القبر. لو حدث هذا لكان هزيمة حقيقاً يقول الإسلام إن الله لم يسمح بأن يتألم عيسى، إنما تدخل القدير تعالى وأنقذه من تلك الآلام. ثم يقول الإسلام إن الناس تصوروا أو تخيلوا أن عيسى صلب، لأن الله لا يمكن أن يرضى بعذابه وموته!

لكن هذا الاعتراض يعنى عن رؤية قوة محبة الله العجيبة، وعن فهم أن ما بدا كهزيمة في عيون العالم، كان نصراً لله. فعل صليب الجلجلة حملت محبة الله العبء الهائل لخطيئة الإنسان وكسرت قوتها إلى الأبد. فلا يوجد أى عار أو خزي في الصليب. يقول بولس: "أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي لَا وَلَنْ أَفْتَخِرَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِصَلِيبٍ سَيِّدُنَا عِيسَى الْمَسِيحِ،

^أ في 8:6.

^ب مر 21:27.

الَّذِي يَهُ صُلْبَ الْعَالَمِ بِالنِّسْبَةِ لِي، وَأَنَا صُلْبِتُ بِالنِّسْبَةِ لِلْعَالَمِ.^١ فالصلب هو أقصى تعبر عن محبة الله البادلة للنفس.

"حدث الصليب على الأرض لأنّه متّصل في السماء. فإنّ الله صالح العالم معه بواسطة المسيح.^ب ولم يأت أحد لإنقاذ عيسى هنا، ليس لأنّ الله يفتقر إلى القوة أو الإرادة، وإنما لأنّ قلبه عامر بالمحبة."^{١١٢}

يخشى المسلم أن ينسب الهزيمة إلى عيسى. لكن الصليب لا يعني الهزيمة، بل النصر. لأنّه يعني هزيمة قوّات الظلمة، لا هزيمة عيسى. قضى الله بسقوط إبليس، وتم تنفيذ هذا الحكم في الصليب. فقد وجّه الصليب إلى الشيطان وأتباعه ضربة قاضية لن يتّعاّفوا منها أبداً. وكما كان الصليب ذروة عمل المسيح من أجل البشر، كذلك كان ذروة انتصاره على قوات الشر، كما يقول الكتاب: "وَبِالصَّلِيبِ انتَصَرَ الْمَسِيحُ عَلَى الْحَكَامِ وَالْقَادَةِ الَّذِينَ فِي عَالَمِ الْأَرْضَاجِ، وَنَزَعَ عَنْهُمْ سِلَاحَهُمْ وَسَاقَهُمْ أَذْلَاءً فِي مَوْكِبِهِ الظَّافِرِ."^ت والنتيجة التي لا مفر منها: يعني الصليب الكرامة، لا الخزي، والنصر، لا الهزيمة!

يُمثل الصليب تهديداً لأولئك الذين يريدون أن يعيشوا من أجل أنفسهم. ويهدّأ البعض بالصلب، أمّا نحن أتباع المسيح الحقيقيين، فنفتخر به. ينطوي الصليب على تناقض ظاهري. فهو دليل على الضعف والتّعاسة، ورمز للهزيمة واليأس، وصورة للعقاب والموت. لكن عندما يرتبط باسم المسيح، فإنه يصبح مجدًا وفوزًا وبركة!

لا يمكن إنكار الصليب. فلا رحمة حقيقة صادقة بعيداً عن الصليب، ولا يوجد عدل بمعزل عن الصليب. انزع الصليب من هنا، تصبح الأرض جزءاً من

^١ غل 14:6

^ب كور 19:5

^ت كور 15:2

الجحيم. انزع الصليب، يصير الإنسان إلى الأبد بلا إيمان وبلا رجاء وبلا محبة.
 لأنَّ رسَالَةَ الصَّلَبِ بِالنِّسْبَةِ لِلْهَاكِينَ هِيَ غَيَّابٌ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لَنَا نَحْنُ الْأَجِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ." أَ لقد ائتمتنا الله على هذه الرسالة. لهذا دعونا نشرحها بوضوح للجميع.
 ونعلمُّها بصير، ونبشر بها بسلطان.

ملحق ٧

دعا

اللَّهُمَّ أَيْهَا الْحَيُ الْقَدِيرُ، يَا مَنْ تَعْرِفُ أَسْرَارَ قَلْبِي وَفَكْرِي، أَيْهَا الطَّاهِرُ الْقَدُوسُ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَزِلْ عَنِّي وَزْرِي، وَامْحِ إِثْنِي. سَاعِدْنِي لِأَضْعِفْ نَفْسِي وَقَلْبِي فِي يَدِي مَوْلَاي وَسَيِّدي وَفَادِي عِيسَى الْمَسِيحُ.

"اللَّهُمَّ وَجْهُ أَفْكَارِي وَآمَالِي وَرَغْبَاتِي نَحْوُ السَّمَاءِ وَنَحْوُ الْأَمْرُورِ السَّمَائِيَّةِ. عَلَمْنِي أَنْ أَحْتَقِرَ الدُّنْيَا. عَلَمْنِي أَنْ أَتُوبَ عَنْ ذَنْبِي تَوْبَةً حَقِيقِيَّةً. أَعْطِنِي رَغْبَةً مُقدَّسَةً فِي أَنْ أَصْلَحَ أَمْرِي بِقُوَّةِ رُوحِكَ. سَاعِدْنِي لِأَنْفَذَ بِأَمَانَةِ مَقَاصِدِكَ الْإِلَهِيَّةِ فِيَّ. اجْعَلْ فَهِيمِي غَنِيَا بِكَنْزِ الْحَقِّ الْإِلَهِيِّ. سَاعِدْنِي لِأَعْرِفَ مَشِيَّتِكَ. وَأَنْتَ الَّذِي تَعْمَلُ فِيَّ لِتَجْعَلَنِي رَاغِبًا وَقَادِرًا أَنْ أَعْمَلَ مَشِيَّتِكَ الصَّالِحةَ. عَلَمْنِي أَنْ أَطِيعَ كُلَّ وَصَايَاكَ، وَأَنْ أُؤْمِنَ بِكُلِّ الْوَحْيِ الْمَبَارَكِ الْكَاملِ، وَأَعْطِنِي نَصِيبًا مِنْ وَعْدِكَ الْغَنِيَّةِ الشَّمِينَةِ."¹¹³

يَا مَوْلَايَ الْمَسِيحُ، يَا صَاحِبِ الْجَلَالَةِ مَلِكِ الْعَالَمِينَ، أَنْتَ تَواضَعْتَ وَتَنَازَلْتَ لِتَفْدِينَا وَتَنْقِذَنَا مِنَ الشَّرِّ وَالْمُعْصِيَّةِ. حَمْدًا لَكَ وَشَكْرًا كَثِيرًا. أَعْبُدُكَ مِنْ قَلْبِي لِأَنَّكَ مُسْتَحْقِقُ كُلِّ الْعِبَادَةِ وَالسُّجُودِ. أَنْتَ وَحْدَكَ السَّيِّدُ. أَنْتَ وَحْدَكَ الْإِلَهُ الْحَقُّ. أَنْتَ الْغَنِيُّ. أَنْتَ الْقَدِيرُ.

أَنْتَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ. أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ النَّاسِ، لِذَلِكَ تَحْبِهِمْ جَمِيعًا وَلَا تَكْرِهُ مِنْهُمْ أَحَدًا. حَتَّى الْبَعِيدُونَ عَنْكَ، الَّذِينَ لَا يَطِيعُونَكَ، أَنْتَ تَحْبِهِمْ. أَنْتَ تَرِيدُ أَنْ يَأْتُوا إِلَيْكَ، وَيَتُوبُوا وَيَتَغَيِّرُوا وَيَنْالُوا الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ بِقُوَّتِكَ يَا عِيسَى. أَبْتَهِلْ إِلَيْكَ أَنْ تَجْذِبَ الَّذِينَ لَا يَعْرُفُونَكَ لِيُؤْمِنُوا بِكَ وَبِأَنْكَ صَلَبْتَ وَمَتَّ وَقْمَتَ لِفَدَائِنَا جَمِيعًا. لِيَّنْ قُلُوبَهُمْ، افْتَحْ عَقُولَهُمْ، نُورْ أَفْهَامَهُمْ، امْحُ جَهْلَهُمْ. أَحْضِرْهُمْ إِلَى دَارِ الْأَبْ لِيَعْبُدُوكَ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ. وَكَمَا دَخَلْتَ الْقَدِيسَ كَمِلَكَ تَحْفُّ بِكَ الْجَمَاهِيرَ وَتَهْتَفَ بِجَلَالِكَ، أَتَضْرَعُ إِلَيْكَ

أن تدخل مدننا وعواصمها اليوم، وتدخل قلوب الآلاف والمليين من الناس الذين عذبهم الخطية واستعبدتهم المعصية. امنع القلوب المتألمة سلامك، والضمائر المعدبة حرتك، والأجسام المحطمة شفاءك. ليت الجماهير العفيرة تتوجك ملكاً أبداً على قلوبهم. امنحهم أن يختبروا رحمتك وحنانك وشفقتك ورقة قلبك ولمسة يدك. دعائي أن تهتف الجماهير في عواصمها من نواكشوط والرباط والدار البيضاء والجزائر وتونس وطرابلس وبنغازي والقاهرة والاسكندرية إلى الخرطوم وعمان والرياض ومكة ومقدишيو وبيروت ودمشق والقدس وغزة ودبى وأبو ظبى وبغداد وصنعاء والمنامة والدوحة والكويت ومسقط بأصوات تهز الجبال: "الْجَلَالُ لِابْنِ دَاؤْدَ! تَبَارَكَ الَّتِي يَاسِمُ اللَّهُ... حَمْلُ الْفِدَاءِ الَّذِي ذُبِحَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَئَالَ الْقُوَّةَ وَالثَّرَوَةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْقُدْرَةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْجَلَالَ وَالْحَمْدَ".

سيدي وفادى وحبيبي المسيح، ساعدني بقوة صليبك لكي لا أسمح لصعوبة أو شتيمة أو ضيق أو ألم أو اضطهاد أو عذاب أن يُثني عزتي. ولا شيء بأأن يؤخر تقدمي في خدمتك. ساعدني لأحتمل كل هذا بصر، وأضع كل هذا عند قدميك يا سيدي، وأنت قادر أن تُطّيب نفسي وتعزي قلبي وتملاً حياتي بحضورك وسلامك.

آمين يا رب العالمين.

مذكريات

¹ خر 34:6؛ مز 86:15؛ 103:8؛ لو 1:78؛ يع 5:11.

² <http://www.abideinchrist.com/selah/jan24.html>

³ الدكتور القس إبراهيم سعيد.

⁴ أمثلة أخرى لصور ورموز عن الصليب: سلم يعقوب (تك 28:12): جاء المسيح ليحقق حلم يعقوب عن سلم تربط الأرض بالسماء. حمل الفصخ (خر 12:3-23) حمل واحد لكل عائلة، بلا عيب، ابن سنة، يذبح ويرش دمه على الباب، لكي يعبر الملك المهيكل من غير أن يهلك الابن البكر أو أي واحد من أهل الدار. الشجرة التي حولت الماء المر إلى ماء عذب في مارة (خر 15:23-25)، الصليب يحمل الحياة التي صارت مُرة بسبب المعصية إلى حياة حلوة عذبة مع المسيح. قربان العهد اللاوي (لا 2:3 الخ): توجد إشارات عديدة هنا إلى المسيح وتضحيته بنفسه لفدائنا. أمثال المسيح: مثل قتل ابن صاحب الكرم، مثل الأب الغفور، الخ..

⁵ راجع أيضاً حديث موسى وإلياس عن موت المسيح (لو 9:31؛ مز 22) الخ.

⁶ هؤلاء الأولاد يأتون بعد موته! بعدهما قدم نفسه ضحية للتکفير عن ذنبينا، ومات من أجلنا، يرانا نأتي إليه لنتبعه ونكون له، تلاميذه وأولاده وأتباعه.

⁷ سنتحدث عن هذا بالتفصيل فيما بعد.

⁸ راجع أيضاً: يو 1:36؛ يو 19:36؛ 1 بط 1:18-21؛ رؤ 5:21؛ 22؛ 1 كور 5:7؛ 1 بط 1:19.

⁹ راجع أيضاً: مز 22:16؛ دا 9:26؛ زك 12:10؛ مت 16:23-21؛ 18:11؛ مر 10:45؛ لو 2:9؛ 35-34؛ 10:2؛ 18:11؛ 31؛ يو 3:14-16؛ يو 10:11؛ يو 12:24؛ 13:27-29؛ 18:3؛ 20:1-11.

¹⁰ لاحظ مثلاً هذه المناسبات الأخرى التي فيها تحدث عن ذلك مع تلاميذه، وأيضاً لغيرهم: إشارته إلى يومنس (كما ابتلع الحوت الذي يومنس وبعد 3 أيام لفظه إلى البر، سيموت عيسى ويقوم بعد 3 أيام، مقى 12:40) وأنه سيتألم كثيراً ويُقتل (مت 16:21؛ 17:12؛ 18:19؛ 19:31؛ 20:17؛ 22:12؛ 25:25) وأنه سيصلب (مت 20:20؛ 26:2؛ 10:10؛ 33:34؛ لقا 18:33) وأنه سيبذل نفسه فدية (مت 12:40؛ 17:23-22؛ 20:18، 28؛ مر 10:45) الخ...

¹¹ عبر بولس أيضاً عن حزنه وحرسته على بني إسرائيل لرفضهم عيسى (رو 9:1-5).

¹² كانت منصة القرابان في بيت الله مجرد رمز لأمر أخطر وأهم. الصليب هو الحقيقة!

¹³ هناك قصة في التاريخ تقول إن هؤلاء كانوا سفارة أرسلها أبيقاريوس الخامس ملك الراها ليقول لعيسى إنه سمع عن معجزاته وعن اضطهاد اليهود له، ولذلك فهو يعرض عليه ملجاً أمنياً في مملكته، ولكن المسيح رفض هذا العرض، وقال إن حبة القمح لا بد أن تموت لكي تأتي بشمر. Frederic Farrar, *The Life of Christ*, p. 335.

¹⁴ بتصرف عن Ron Wallace, *The Atoning Death of Christ*, p. 28.

¹⁵ اسمه أورلاندو سكوت من شيكاغو بالولايات المتحدة.

- 16 بتصريف، في الأصل: The God who has the whole world in His hands has grace for the whole world in His heart, Lewis Smedes
- 17 الإنجيل في آية، ترجمة واصف عبد الملك، ص 12، 13. انظر الشعر بأكمله في ملحق 5.
- 18 سيرة يسوع المسيح. الدكتور جورج فورد، بيروت، 1943 ص 436.
- 19 2 صم: 7، 32؛ 22: 22، 20؛ من 18: 31؛ إش: 45: 14؛ مر: 12: 32؛ 1 كور: 4: 1 تم: 5: 2، بع: 2.
- 20 زرت الحمامات الرومانية في عدة مدن أثرية مثل أفالسون وغيرها. كان الأغنياء يذهبون إلى الحمام مرتين في الأسبوع، والأقل مقدرة مرة أو مرتين في الشهر.
- 21 ذات مرة تحدثت من هذه الآيات إلى جماعة من المؤمنين باليسوع، وبعدها كرستنا وقتاً من اجتماعنا للصلوة. ولكن كم كانت دهشتي حين اتجه المصلون في دعائهم إلى طلبات وأدعية مختلفة. قليلون فقط هم الذين أدركوا أهمية ما فعلته في تلك الليلة، وطلبو من المسيح في دعائهم أن يساعدهم ليسلكون في الحياة بطهارة ونقاء وصلاح.
- 22 بتصريف عن Henri Nouwen
- 23 آيات أخرى عن التواضع: أَنْتَ تُقْدِّمُ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَتُخْفِضُ الْمُتَكَبِّرِينَ. (2ص 22: 28)، فَإِنْ تَوَاضَعْ شَعْبِيُّ الَّذِي يُدْعَى بِإِسْمِيِّ، وَصَلَّوْ وَظَلَّلُوا وَجْهِيِّ، وَرَجَعُوا عَنْ سُلُوكِهِمْ، قَالَنِي أَسْمَعَ وَأَنَا فِي السَّمَاءِ، وَأَغْفِرُ ذَنْبَهُمْ، وَأَشْنَى أَرْجُهُمْ. (أُخ 7: 14)، فَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ الضَّيقُ، طَلَّبَ الْمُؤْلِي إِلَيْهِ، وَتَوَاضَعَ حِجَّاً أَمَامَ رَبِّ آبَاهِهِ، وَصَلَّى إِلَيْهِ. فَاسْتَجَابَ لَهُ وَسَعَى تَضْرِعَهُ وَرَدَّهُ إِلَى الْقُدُسِ إِلَى مُنْلَكِهِ، فَعَلَمَ مَسْئَلِي أَنَّ الْمُؤْلِي هُوَ اللَّهُ. (أُخ 13: 33)، يَرْفَعُ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَيَقْبِيْمُ الْحَزَانِيَّ إِلَى الْآمَانِ. (أي 5: 11)، إِنَّ اللَّهَ يُدْلِلُ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَيَبْصُرُ الْمُتَوَاضِعِينَ. (أي 22: 29)، أَنْتَ تُقْدِّمُ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَتُخْفِضُ الْمُتَكَبِّرِينَ. (مر 18: 27)، الْمُؤْلِي عَالٍ لِكُنْهِ يَهْتَمُ بِالْمُتَوَاضِعِينَ. (مر 138: 6)، يَسْخُرُ مِنَ السَّاخِرِينَ، وَيَنْبَغِي عَلَى الْمُتَوَاضِعِينَ. (أم 3: 34)، مَقِيْدُعَيْتِ، ادْهَبْ وَاجْلِسْ فِي أَقْلَ الْأَمَادِيْنِ أَهْمَمَةً. مَقِيْ جَاءَ الْذِي دَعَاكَ، يَبْهُولُ لَكَ، يَا عَزِيزِيِّ، ارْفَعْ إِلَى مَكَانِ أَحْسَنَ! فَتَكْرُمْ فَدَامْ كُلُّ الصُّبُوفِ الْمُؤْجُودِيْنَ مَعَكَ. (لو 10: 10)
- 24 يزعم البعض أن هذا المعين هو نبي جاء بعد المسيح. وما أفعع هذا الخطأ لذلك أود هنا أن أصدى لهذا الزعم بأن أقول:
1. يقول المسيح إن المعين هو روح، وليس بشراً. (يو 14: 16، 16: 26، 15: 17). فهل ذلك النبي كان روح وليس بشراً؟
 2. هذا المعين يرسله الآب باسم عيسى، وعلمنا كل شيء، وذرگنا بكلام المسيح (يو 14: 26). فهل ذلك النبي جاء باسم عيسى، وعلمنا كلام عيسى وذكرنا بكلام عيسى؟
 3. هذا الروح يبقى مع أتباع المسيح إلى الأبد (يو 14: 16). فهل هذا ينطبق على ذلك النبي؟
 4. هذا الروح سيكون في أتباع المسيح (يو 14: 17). فهل هناك بشر يمكنه أن يكون موجوداً في إنسان آخر؟
 5. هذا الروح لا يمكن للعالم أن يراه (يو 14: 17). فهل هذا ينطبق على أي بشر جاء إلى العالم ولم يره الناس؟
 6. طلب المسيح من أتباعه لا يغادروا مدينة القدس بل يبقوا فيها حتى يتم الوعد ويأتي لهم هذا الروح (أع 1: 4). فهل هذا النبي جاء لأتباع عيسى قبل ما غادروا القدس؟
 7. لم يكن عمل هذا المعين هو أن يجمع جيوشاً ويحقق انتصارات بأسلحة أرضية، وإنما أن يبيّن أهل العالم على خطيبتهم التي جوهرها هو عدم الإيمان باليسوع (يو 16: 9).
 8. قال عيسى إن هذا المعين سيمجده ويتحدث نيابة عنه (يو 16: 14-15)، فهل ذلك النبي محمد المسيح ومحثت نيابة عنه؟

- جزء من البلدة التي نشأت فيها اسمه "المصرة" لأنها كانت مصرة لقصب السكر.
محكمة المسيح أمام مجلس الدين وردت في مت 26:57-66؛ مر 14:53-64؛ لو 22:66-71؛ يو 18:24،
لكي تفهم عمق وأهمية العلاقة بين جواب المسيح وكلام دانيال، راجع مقالة "الذى صار بشراً" في الكتاب
الشريف طبعة الدارس.
Flavius Josephus, Jewish Wars, 85:1:4:18
ويا له من فارق عظيم بين هذه المصالحة والمصالحة التي يتحدث عنها بولس (أف 2:14-18).
قال الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي يتحدث عن صليب المسيح:
 ثم ألبستني من الحزن ثوبا
 ودشوك الجبال توجّت رأسي
 أرى المجد معصوب الجبين مجدا
 على حسك الآلام يغمره الدم
 وقال الشاعر المصري أحمد شوقي:
 عيسى، سبilk رحمة ومحبة
 في العالين، وعصمة، وسلام
 ما كنت سفاك الدماء، ولا امراً
 هان الضعف عليه والأيتام
 يا حامل الآلام عن هذا الوري
 كثرت عليه باسمك الآلام
 رؤ 5:14-9.
ربما من باب الاحترام والتبرجيل للسيدي، لا واحد من كتاب البشائر ذكر أن عيسى سقط أو وقع تحت حمل الصليب.
Flavius Josephus, Jewish Wars, 6:245-246
في مناسبات سابقة سمع المسيح مثل هذا التحدى "أنقذ نفسك" ولو بكلمات تختلف عن هذه. فمثلاً مات
لعاذر ووصل الخبر إلى المسيح بينما كان مع أتباعه في بيرية، طلب أتباعه أن لا يذهب إلى بيت عانيا وبذلك ينقذ
نفسه من مؤامرات اليهود هناك. ذات مرة جاءت عائلة عيسى إليه في كفر ناحوم وطلبوه منه أن يرجع إلى
الناصرة لينقذ نفسه.
اقتباس يوسف درة الحداد، تاريخ المسيحية، جزء 2، لوقا وأعمال الرسل، ص 632
John Calvin
سيرة يسوع المسيح. الدكتور جورج فورد، بيروت، 1943 ص 492.

John A. Broadus, *Commentary on Matthew*, p. 576 38

قد يعرض البعض على أن كمية الموالعواد كبيرة بطريقة غير معقولة، ولكن الرد على هذا هو: ربما جزء كبير
من هذه الكمية استعمل كسرير من الأطياط تحت جسم الميت كما حدث في أخ 16:14.

الموالعواد. رج خر 30:23، من 45:8، أم 7:17، نش 1:13، 14:4، مت 2:11، يو 19:39. 40

في اليوم الثالث قدم الله لإبراهيم الكبش الذي ضحي به بدلاً عن ابنه (تك 22:4). وفي اليوم الثالث قاد يسوع
شعبه إلى الأرض المباركة، وحقق الله وعده القديم لهم (يش 9:17). وكان النبي يوئيل في بطن الحوت 3 أيام و 3
ليال (يون 1:17) ثم قدفه الحوت إلى البر. راجع أيضاً مل 20:5، هو 6:2. 41

في كتاب "أين الجنة" تخيل الكاتب خطاباً سطراً قياماً يوم القيمة ويعشه إلى نسيبه هنا. قال قيافاً: "بئس الخبر يا حنا! القد
اختفت جثة عيسى من قبره! لا أدرى كيف حدث هذا، كمالاً يمكّنني أن أفسره، ولا أن أفهمه! اليوم ذهب بنفسي إلى
القبر لأتتحقق من الأمر، فوجدت كل شيء كما قال الحراس... كنت أظن أن هذا الرجل قد انتهى وأصبح نسياناً منسياً..."
لكن، لا! لا يا قيافاً! كيف ينتهي المسيح وهو مبدع الكون؟ كيف يصبح نسياناً منسياً وهو الفادي الكريم؟ كيف
ننساه وهو الغالب المنتصر الذي قهر الموت والقبر؟ كيف نتحاشاه وهو الديان القدير الذي سيقف الكل أمام عرشه؟
بعض هذه النقط مستقاة من عظة لبهجت واصف عبد الملك. 42

Maximilian Kolbe was a Polish priest who died in Auschwitz, on August 14, 1941.
When a prisoner escaped from the camp, the Nazis selected 10 others to be killed
by starvation in reprisal for the escape. One of the 10 selected to die, Franciszek
Gajowniczek, began to cry: "My wife! My children! I will never see them again!" At
this, Father Kolbe stepped forward and asked to die in his place – his request was
granted. As the ten condemned men were led off to the death Block of Building 13,
Father Kolbe supported a fellow prisoner who could hardly walk. No one would
emerge alive – Father Kolbe was the last to die. (<http://www.fatherkolbe.com/> accessed Dec 8, 2009)

Flavius Josephus, *Jewish Wars*, 1:11:15 45

Marcus Tullius Cicero, (106–43 B.C.) *Against Verres* 2. 64. 165 46

Marcus Tullius Cicero, (106–43 B.C.) *Against Verres* 5. 16. 467 47

Colin Brown, *That You May Believe*, p. 38 وراجع 5-1:13 48

سورة هود 113:113 49

Aeschyles 50

51
Ron Wallace, *The Atoning Death of Christ*, p. 118

Gott wird mir verzeihen. Es ist ihr handwerk (G). Dieu me pardonnera. C'est son metier (F). God will forgive me. It's his job (E). (Heinrich Heine 1797 – 1856) 52

قصة باراباس. 53

سوسنة وسي وفى الأصل: 54

Sin is “Whatever weakens your reasoning, impairs the tenderness of your conscience, obscures your sense of God or takes away your relish for spiritual things; in short, if anything increases the authority and power of the flesh over the Spirit, then that to you becomes sin, however good it is in itself.” (Susanna Wesley, as quoted by Ravi Zacharias in *The Grand Weaver*, p. 118, cited in *Topical Encyclopedia of Living Quotations*) 55

عواقب الخطيبة:

1. تسبب لمرتكبها الضرر في الدنيا والهلاك في الآخرة (أم: 5: 6؛ 11-8: 7؛ 33: 6؛ 72-62: 7، جا: 11: 9؛ يو: 8: 43، رؤ: 2: 43-51).

2. تجلب العار على الشعوب (أم: 41: 43).

3. تجعل الإنسان يحتقر الله وكلمه واسمه (عد: 41: 11، 32، 1 صم: 9: 01-21؛ مل: 1: 6).

4. تجعلنا أعداء الله (رو: 5: 01؛ يع: 4: 4).

5. تُخْزِنُ اللَّهَ (تاك: 6: 6؛ مز: 87: 04؛ إيش: 36: 01).

6. تغيط الله (من: 601: 92، 1 مل: 61: 33).

7. تُتَعَبُ اللَّهَ (إيش: 34: 42).

في قصة الرجل الصيبي والعقرب، نحن نمتداح الرجل ونشبه ما عمله المسيح معنا من تضحيه ومعروف. أما في قصة الرجل والشعبان، فنحن نُحَذِّرُ من التعاطف مع الخطيبة. في الأولى ابن الله الطاهر يرضي من أجلنا. في الثانية الإنسان الضعيف تهلكه الخطيبة. 56

للكاتب الشهير وليم شكسبير, *Macbeth*, 57

<http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=0458dcfe7e00dd76> 58

ربما الملك شارل الخامس ملك إسبانيا. 59

أوسيسرو 43-106 ق. م. 60

322-384 ق. م. 61

للكاتب الفرنسي مارسيل بانيول, *Fanny*, 62

Dr Charles Berry, liberal scholar, went to see the dying woman. "There, I leaped onto my mother's knees, and to my cradle faith and I told her of the cross and the Christ who forgives our sins."

في الأوردية: گشن استر.

من مقالة بعنوان: حرية المسلم، في مجلة: نور الحق السنة 2 - العدد 4 - صفحة 4.

رج رو: 6-8، غال: 2؛ 19-20؛ 5: 24؛ 6: 14؛ كو: 20؛ 3: 2.

Alfred, Lord Tennyson, *The Lord of Burleigh*

رواية المؤس للكاتب المسرحي أنطون تشيكوف Anton Chekhov, *Misery*

هو أبو العلاء المعري (363-449 هـ) عن "رباعيات عمر الحياة". عبد المنعم الحفيصي ص 192. كما قال عمر الخiam الشاعر الفارسي: "أليس من الغريب أن الألوف المؤلفة من الذين سبقونا ودخلوا من باب الموت المظلم، لم يرجع منهم ولا واحد ليخبرنا عن الطريق الذي إن كنا نريد أن نكتشفه، لا بد أن نعبره!"

بنصرف عن الإنجليزية، في الأصل:

Martin Luther, addressing death as the King of Terrors said, "thou didst devour the Lord Christ, but wert obliged to give Him back, and wert devoured of Him. So thou must leave me undevoured because I abide in Him, and live and suffer for His name's sake. Men may hunt me out of the world — that I care not for — but I shall not on that account abide in death. I shall live with my Lord Christ, since I know and believe that He liveth!" (Jamieson, Fausset, Brown, *Commentary on the New Testament*, V. 1, p. 626.)

Karl Barth

اللاهوتي الألماني ديترك بونهffer، بتصرف: ثمن التلمذة.

Cheap grace is grace without the cross, grace without the living, incarnate Jesus Christ. Costly grace is the gospel. It costs people their lives. It cost the life of God's Son and nothing can be cheap to us which is costly to God. (Dietrich Bonhoeffer, *The Cost of Discipleship*, 1935)

Samuel Rutherford, *Selected Letters*. صموئيل رذرفورد

كو 1: 11؛ 2: 3 تـم

98 سورة المائدة

76 يتصرف عن فراؤسا فينلون، وفي الإنجليزية:

If we look carefully within ourselves, we shall find that there are certain limits beyond which we refuse to go in offering ourselves to God. We hover around these reservations, making believe not to see them, for fear of self reproach. The more we shrink from giving up any such reserved point, the more certain it is that it needs to be given up. If we were not fast bound by it, we should not make so many efforts to persuade ourselves that we are free. (François Fénelon)

77 Rev. Charles Rogers, *Life of George Wishart*, 1876, p. 24

78 Michael Nakashima

79 .راجع مذكرة رقم 31

80 الرجل السماوي. قصة الأخ يون الصيبي. لوجوس 2003 ص 74-75. كما أحب أن ألفت نظر القارئ إلى أنه توجد عدة مصادر أخرى تعرفنا عن الطريقة التي استشهد بها رسول سيدنا. فمثلاً هناك قصة أخرى غير المذكورة هنا تقول إن برتمي مات مصلوبياً، وأخرى تقول إنهم سلخوا جلده ثم بعد ذلك صلبوه أو قطعوا رأسه!

81 في قرية في جنوب فرنسا Rognac, France

82 *The Works of John Owen*, x, p. 284

83 عن الكتاب الشريف: طبعة الدارس، مذكرة في مت 2: 16.

84 أستعمل الجداول لأساعد القارئ الجاد أن يتصور في ذهنه سير أحداث الصليب ودستوعها ويتذكرها بأكثر سهولة.

85 هو محمد بن محمد بن منصور من سوهاج في صعيد مصر (1871-1918) وكان إماماً وخطيباً في جوامع مدinetه، ثم آمن بال المسيح وصار خادماً له، وأخذ ينادي برسالة المسيح بجراءة وشجاعة في كل أنحاء مصر.

86 هذا الفصل مقتبس من كتاب بالإنجليزية للمؤلف عنوانه "خروج الإسلام إلى حرية المسيح"

Islamic Exodus into the Freedom of Christ

87 سورة النساء 4: 156

88 Basilides باسيليديس

89 Docetism الدوسيتية

90 Cerinthus كيرنثوس

91 Manichaeism مانيني

92 Carpocrates كاريوكراتس

93 سورة النساء 4: 155-158

- Mahmoud M. Ayoub. "Toward an Islamic Christology, II: The Death of Jesus, Reality or Delusion?" *The Muslim World* 70, no. 2. April 1980, p. 106. 94
- Cornelius P Flavius Josephus (A.D. 37-97). *The Antiquities of the Jews*. 18.3.3.. 95
- Tacitus (A.D. 55-120). *The Annals*. 15.44.
- Flavius Josephus (A.D. 37-97). *The Antiquities of the Jews*. 18.3.3. 96
- I. Epstein, trans. *The Babylonian Talmud*. Sanhedrin 43a. London: Soncino Press, 1935, p. 281. 97
- Gary R. Habermas. *Ancient Evidence for the Life of Jesus*. Nashville: Thomas Nelson, 1977, p. 100. 98
- Habermas. Ibid., p.100. 99
- كتاب "ضد التيار" المكرر الدولي الأكاديمي، 1997. 100
- يمكن الحصول على هذه الدروس مجاناً من هذا الموقع: www.SharifBible.com 101
- Martin Hengel. *Crucifixion in the Ancient World and the Folly of the Message of the Cross*. Philadelphia: Fortress Press, 1977, pp. 19-20. 102
- بتصرف Ibid,1977, p.10 103
- سورة الأنفال 8: 17 104
- سورة النساء 4: 157 105
- سورة آل عمران 3: 55-54 106
- سورة المائدة 5: 117 107
- سورة مریم 19: 33 108
- سورة النساء 4: 154 109
- سورة البقرة 2: 86 110
- Mohammed Marmaduke Pickthall, *The Meaning of the Glorious Koran*, 1961, p. 23. 111
- Kenneth Cragg. *Operation Reach*. The Near Eastern Christian Council Study Program in Islam, September and October, 1959, p. 11. 112
- الجزء الموجود بين الأقواس من إرميا تيلور 1667-1613 . 113